2264
.11234
.389
.1961
v.3-4

2264.11234.389.1961 v.3-4
Amin
al-Takamul fi al-Islam

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 073838342

التكامل في الإسلام

من أراد أن يقلع ما في نفسه من شكوك ويعلم
أن الدين الإسلامي يطابق آخر ما توصل اليه
العلم الحديث فليطالع هذا الكتاب

الجزء الثالث

بقلم:

أحمد أمين

(خريج جامعة إستانبول : الرياضيات العالية والفيزياء الرياضية العالية)

« الطبعة الاولى »

مطبعة المعارف - بغداد

[لصاحبها الحاج عبد الكريم الحاج قدوري]

١٣٨١هـ

Amīn, Aḥmad

al-Takāmul

التكامل في الإسلام

المحكم

من أراد أن يقلع ما في نفسه من شكوك وأن يعلم
أن الدين الإسلامي يطابق آخر ما توصل اليه
العلم الحديث فليطالع هذا الكتاب

الجزء الثالث

بقلم

أحمد أمين

« الطبعة الاولى »

مطبعة المعارف ـ بغداد

١٣٨١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين[1] ، الغالب لمقال الواصفين ، الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين . والباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين ، العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ، ولا علم مستفاد . المقدّر لجميع الأمور بلا روّية ولا ضمير ، الذى لا تغشاه الظلم ولا يستضىء بالأنوار ولا يرهقه[2] ليل ولا يجرى عليه نهار . ليس إدراكه بالإبصار ، ولا علمه بالإخبار .

---

(١) من كلام لعلي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام .

(٢) يرهقه : يغشاه .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمد الله تبارك وتعالى أن منّ عليّ بتقديم الجزء الثالث من هذا الكتاب : (التكامل فى الاسلام) ، وعلى هذا الإقبال الذى ألفيته من القراء الكرام والتشجيع الذى لمسته منهم مع مزيد الاعتزاز بهم وبتأييدهم .

وقد قرظ الكتاب ، نظماً ونثراً ، لفيف من المؤمنين الأفاضل الذين كنت عند حسن ظنهم ، فانى إذ أقدم جزيل شكرى لهم ، أعتذر عن تدوين ما تفضلوا عليّ بما لا أستحقه ، دفعاً لتزكية النفس واعترافاً بالواقع وما أنا فيه من قصور وتقصير .

إن الله تبارك وتعالى قد أودع فى هذا الانسان غريزة بها يتوجه العبد بصورة فطرية الى ربه ، متفكراً فى ملكوت السماوات والأرض ، فيعزو بصورة طبيعية هذا النظام الرائع : النظام الكونى الدقيق الى الله العلى القدير . وهو القائل : « وهديناه النجدين » أى : طريق الخير والشر . وفى آية أخرى : « فأقم وجهك للدين حنيفا [1] ، فطرة الله التى فطر الناس عليها . لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[2] ، « ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار »[3] . وفى الحديث : « لولا أن الشياطين يحومون الى قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماوات والأرض » .

---

(١) حنيفاً : أي مائلا عن العقائد الزائفة .

(٢) سورة التوبة : ٣٧

(٣) سبحانك : أي تنزيهاً لك ، سبح الله أي نزهه وقدسه . . آل عمران : ١٩١

(RECAP) 2264 .11234 389 .1961 v.3-4

إلا أن الانسان يلوث نفسه بنفسه ، فيخمد بيده هذه الغريزة الثمينة ، غريزة التوجه الى الخالق المتعال ، وتقديسه وتعظيمه ، حتى تتحجر النفس من جراء شتى المعاصي والآثام ، فتسود وتحجب عن رؤية الحق[١] والواقع ، فتتوارد عليه شكوك وأفكار مادية حالكة ، واتجاهات سلبية ، فيتراءى له : أنه قد بلغ شأواً قاصياً من الثقافة ، وانه كان خرافياً ، فأمسى متحرراً عما يشين العقل البشرى أو يعوقه عن سيره التقدمى ، فيعد نفسه تقدمياً وغيره رجعياً .

لقد أجمع علماء النفس أن التدين أمر فطرى عند البشر ، وأن المفاهيم البشرية كالمادية وغيرها من نزعات ، قد تعيش برهة من الزمن نتيجة لطغيان هذه النفس الطائشة الأمارة بالسوء ، إلا أنها سرعان ما تموت وترجع الفطرة الى فعاليتها الطبيعية وتدين بما وراء الطبيعة بدرجة تكاملها وقطعها مراحل فى عوالم تطهير النفس وتزكيتها . فانه تعالى يقول : « إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون »[٢] . فلابد من تقوى واجتناب للمحرمات حتى يعتبر الانسان بما أودع الله من عظيم الصنع فى هذا الكون الرحيب !

فالظلم والإعتداء هما اللذان يحجبان الفرد عن رؤية الحق وهو غافل عما ينتهى اليه من جراء بغيه وطيشه على حد قوله تعالى « كذلك نطبع على قلوب المعتدين »[٣] . وفى آية أخرى : « وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون »[٤] .

فلا ينبغى أن يقنط المؤمن اذا ما رأى أمواجاً وقتية تناهض الدين وتقاومه ، فانها أمواج ترشحت من نفوس معدودة استولى عليها شيطانها

---

(١) عن النبي (ص) : « شر العمى عمى القلب » .
(٢) سورة يونس : ٦
(٣) سورة يونس : ٧٤
(٤) سورة العنكبوت : ٤٩

نتيجة لآثامها ، فضغطت على حريات غيرها من نفوس كثيرة جداً لا توافقها في الرأى وهى تؤمن في أعماق نفوسها بخالق أزلى أبدى ، منظم هـذا الكون أبدع تنظيم .

وقد أملى بعض هذه النفوس على الآخرين أفكاراً لا توافق الواقع فى شىء . منها : « أن هناك تنافياً بين الدين ومعطيات العلم الحديث التى تسندها التجارب ، وتحددها المعادلات ، فلا ينبغى الالتفات الى ما يملى علينا الدين » !.

إن صح هذا بالنسبة الى بعض الأديان السماوية التى مستها اليد البشرية المحرفة . فلا يصح بالنسبة الى الدين الاسلامى ، لقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

فى هذا الجزء يجد القارئ آيات كثيرة مما جاء فى كتاب « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » سبقت العلم الحديث فى اعطائها عصارة ما توصل اليه العلم المادى ، حيث لا تلسكوب ولا ميكرسكوب : (مرقب ومجهر) .

فلا تكاد تجد فى الاسلام ما كان فى عوالم الكنيسة فى القرون الوسطى . فقد سلمت الكنيسة (جوردا نو برونو) الى غرفة التعذيب وأذيق أمر أنواع العذاب ثم أوثق الى قاعدة خشبية وأحرق حياً عام ١٦١٠م لتصريحاته العلمية .

ونشر (بمجمع الكرادلة المقدس) قرار الجرم لمن يقول بدوران الأرض واعتبار القائل كافراً زنديقاً .

وان غاليليو[١] قد وعد الكاردينال بالطاعة المطلقة ، مسلماً بأن ما قاله عن دوران الأرض باطل ، كما أقسم بالأناجيل المقدسة سنة ١٦٣٣م : أن الأرض لا تدور حول الشمس !

---

(١) هو ابن أحد نبلاء (فلورنسا) وأحد رواد العلم العظماء . وهو الذي وفق الى اعداد مرقب الرصد الذي أرانا به عوالم السماوات ، وقد كان يسر في تطبيق التحليل الرياضي عو المعضلات الطبيعية ، وهو في عمله على نواميس الحركة قد عبد الطريق لـ (نيوتن) .

قد جعل الاسلام (المنطق) حاكماً عند عرض تعاليمه من واجبات ومستحبات ومحرمات ومكروهات ومباحات بقوله : « أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها » . وبقوله : « إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ، « كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » ، « لعلهم يتفكرون » . وبقوله : « إنه فكر وقدَّر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر » .

دين الاسلام يخاطب العقول ، تلك العقول التى لم تحجب عن رؤية الحق والواقع بالآثام والفسوق ، انه يدعو الى المنطق الصحيح ولا يفرض شيئاً دون أن يرافقه برهان ودليل وذلك بقوله : « ولقد ذرأنا[1] لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها . اولئك كالأنعام بل هم أضل ، اولئك هم الغافلون »[2].

فما من فرد إلا وأودع الله فيه عقلا يعرف به اصول المعارف الإلهية ، « العقل ما عبد به الرحمان واكتسب به الجنان » ، لكن الانسان لسوء اختياره وفسوقه وفجوره يسدل ستاراً على ذلك العقل الفطرى . فيكون إذ ذاك كمن لا عقل له ، فلا يعمل بالنصوص الدينية ، فيكون كمن لا دين له ، فيكون مصداق هذا الحديث : « لا دين لمن لا عقل له » على حد قوله تعالى : « واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعبا ، ذلك بأنهم قوم لايعقلون »[3]. فالعقل نبىٌّ باطنى لمن لم تبلغه الرسالة . فيحاسب حسبما يملى عليه عقله الفطرى غير الملوث بالذنوب والآثام . فمن كان فى (آلاسكا) مثلا ولم تبلغه الرسالة ، محاسب يوم القيامة وفق ما أودع الله فى عقله من معارف أولية . فان ظهور آثار الدين فى المرء إنما هو ظهور آثار العقل فيه .

إذن . فلا يعتبر بآيات الله إلا من صلح عمله وطابت سريرته وطهرت

---

(١) ذرأنا : خلقنا .

(٢) سورة الأعراف : ١٧٨

(٣) سورة المائدة : ٦١

الى حدما نفسه . إن نفساً كهذه تنجذب الى آيات الله والى ما وراء الطبيعة بصورة فطرية ، وتزداد فرحاً وسروراً عند قراءة ما يؤيد عظمة الله تعالى فى هذا العالم الواسع الأرجاء : « إنما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذُكروا بها خروا[١] سجداً وسبحوا[٢] بحمد ربهم وهم لا يستكبرون . تتجافى[٣] جنوبهم عن المضاجع[٤] يدعون ربهم خوفاً وطمعا ومما رزقناهم ينفقون »[٥].

فلا تكفى لتكامل هذه النفس العبادة والتهجد فحسب ما لم ينفق الفرد مما رزقه الله تعالى .

فالاسلام دين يحقق للناس سعادة الدارين وفى الوقت الذى يأمر بالتسبيح والعبادة يأمر فى الوقت نفسه بأن يعطى الغنىُّ من فضول ماله لتزكو نفسه ، ولئلا يبقى على وجه البسيطة فقير .

فقد قال الصادق سلام الله عليه : « ان الله فرض فى أموال الأغنياء ما يسعهم ، ولو علم أن ذلك لا يسعهم لزادهم » .

وفى البحار عن الصادق (ع) : « المال مال الله جعله وديعة عند خلقه ، وأمرهم أن يأكلوا منه قصداً[٦] ، ويلبسوا منه قصداً ، وينكحوا منه قصداً ، ويركبوا منه قصداً ، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المسلمين . فمن تعدى ذلك كان أكله حراماً ، ومالبس منه حراماً ، وما نكح منه حراماً ، وما ركب منه حراما ، يتقلب فى حرام . وبئس العبد عبد يعيش فيما حرم الله عليه ، يصبح ويمسى والرب ساخط عليه . هذا حاله فى الدنيا . وأما آخرته :

---

(١) خروا : سقطوا

(٢) سبحوا : أي نزهوا ربهم عن النقص حامدين له نعمه .

(٣) تتجافى جنوبهم : ترتفع وتتنحى .

(٤) المضاجع : الفرش ومواضع الاضطجاع .

(٥) سورة السجدة : ١٦

(٦) قصداً : في حدود الاعتدال ، قصد يقصد قصداً : أي استقام واعتدل . ومنه الاقتصاد أي الاعتدال والتوسط .

خرج من قبره ويكون من الذين يأتيهم النداء من الله : « أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون » .

إنه تعالى يقول : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ان الله يحب المحسنين »[1] .

ويقول الصادق (ع) أيضا : « ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقى مسلم فقيراً محتاجا ولاستغنى بما فرضه الله له ، وان الناس ماافتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء » .

فلو كان المسلمون مؤمنين حقاً مطبقين أحكام الاسلام دونما تبعيض وتفريق لما رأيت من يشكو الفقر والمرض والجهل . ولرأيت الأرض جنة عدن . ذلك لأن الاسلام لم يدع أمراً فيه حياة الناس وسعادتهم إلا وقد أمر به ، ولم يدع أمراً فيه هلاك الناس وانحطاطهم وتسافلهم إلا وقد نهى عنه .

فدين الاسلام دين الكمال الانسانى . وما جاء فيه من دساتير أخلاقية وعبادية وقضائية وادارية واقتصادية واجتماعية كلها ترمى الى تكميل النفس الانسانية وابلاغها أسمى مراتب الكمال .

فما علينا الآن إلا أن نقوم بتطبيق قواعد الاسلام وتعاليمه الرفيعة على أنفسنا أولا ثم نعمل مجاهدين مخلصين لأجل نشر هذه التعاليم فى أرجاء الأرض وإفهام الناس حقائق الاسلام : دين الفطرة ، بأساليب عصرية لا تخالف روح الاسلام ودساتيره المشروعة فى شىء .

---

(١) سورة المائدة : ٩٦

فالله تعالى يقول : « فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ، فلا كفران لسعيه وإنا له لكاتبون »[١] .

« ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما »[٢] .

« ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم »[٣] .

وقد قال الإمام محمد الباقر عليه السلام : « ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين وفريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتؤمن المذاهب وتحلُّ المكاسب وتردُّ المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم أمر الناس » .

---

(١) سورة الأنبياء : ٩٤

(٢) سورة النساء : ٩٩

(٣) سورة البقرة : ٢١٨

العلم والايمان

قال على (ع) : « بالعلم يُعرف الله ويوحد » . فالعلم خير وسيلة لمعرفة الخالق جل جلاله والتعرف على ما أودع الله تعالى من دقائق الصنع وخواص مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً وثيقا لإيجاد عوالم من الجماد والنبات والحيوان ولتسيير هذه الأفلاك بهذا النظام الرائع البديع . نظام يجعل عينى الفلكى الذى لم يقسُ قلبه بالموبقات ، تفيضان بالدموع خشوعاً وتقديساً لله تعالى لما يرى هنالك من دقيق المعادلات وبديع القوانين . نظام يجعل (هانرى برگسون : Henri Bergson) مؤمناً بوحدانية الله تعالى معظماً اياه حين يتتبع نظام الذرة وما فيها من معادلات وقوانين تبهر العقول . هذه الذرة التى قد بلغت من الصغر بحيث لو وضعت (١٠٠٠٠٠٠٠٠) منها ، على شرط الكروية ، بعضها جنب بعض لكان طولها ميلمتراً واحداً . نظام يجعل الطبيب الذى لم يلوث باطنه بسكر أو فسق يركع أمام عظمته تعالى حين يرى انه تعالى قد رتب فى المخ البشرى (٢٠٠٠٠٠٠٠٠) عصب موضوعة بعضها جنب بعض بحساب دقيق بحيث لو جُس أحد هذه الأعصاب لحدثت عوارض تخص هذا العصب المجسوس دون غيره .

نظام يخشع تجاهه العالم بالميكانيك السماوى والفيزياء ، حين يرى : كيف رتب الله تعالى الأبعاد بين الأجرام السماوية ومنها بُعد أرضنا عن الشمس وبعد القمر عن الأرض وهو القائل : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم »[1] .

فلو كان بعد الأرض عن الشمس ضعف ما عليه الآن لنقصت الحرارة

---

(١) سورة الواقعة : ٧٥ ، ٧٦

التى تأتينا من الشمس الى (ربع) ما عليه الآن[١] ولقلت سرعة حركة الأرض حول مدارها الى النصف[٢] ولطال فصل الشتاء الى ضعف ما عليه الآن ولانجمد نتيجة لذلك جميع ما على الأرض من كائنات حية ولاستحالت الحياة عليها .

ولو كان بعد الأرض عن الشمس نصف ما عليه الآن لأصبحت حرارة الأرض أربعة أمثال ما عليه الآن بنفس السبب ولتضاعفت سرعة الحركة حول المدار ولنقص طول مدة كل فصل من الفصول الأربعة : (الربيع ، الصيف ، الخريف ، الشتاء) الى النصف[٣] ، ولتبخر ما على الأرض من مياه ولما أمكن السكنى عليها من شدة الحرارة وذلك لقربها من الشمس .

ولولا ان الله تعالى قد أحاط أرضنا بغلاف غازى (جوى) ثخنه (٨٠٠) كم لحفظها مما تتوجه نحوها من أحجار سماوية : (٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠) حجارة فى كل ثانية ، بسرعة ٥٠ كم / ثانية[٤] لما عاش على سطحها كائن حى ولاستحالت الحياة على وجه البسيطة . على أن لهذا الغلاف الغازى أو الدرع الحصينة أثراً هاماً فى ايصال حرارة الشمس الى الأرض بدرجة من الاعتدال

---

(١) حسب قانون فيزياوي : شدة الحرارة على سطح ما تتناسب تناسباً عكسياً مع مربع المسافة عن مصدر الحرارة .

(٢) ذلك لأنه يتناسب محيط الدائرة تناسباً طردياً مع نصف القطر :

م = ٢ س ط

وان حاصل ضرب السرعة الزاويوية في المسافة عن المركز مقدار ثابت :

لا × س = ث

(٣) ان كان بالامكان حصول تغيير فصلي اذ ذاك .

(٤) أي تقطع هذه الأحجار السماوية مسافة قدرها خمسون كيلومتراً في الثانية ، أي ان سرعتها في الساعة (١٨٠ ٠٠٠) كيلومتر .

وقد دلت دراسة المعلومات التي ترسلها الاقمار والصواريخ على أن حوالي عشرة آلاف طن من مواد الشهب والنيازك تتساقط نحو الارض كل يوم .

والتناسب كى يمكن أن تعيش على سطحها النباتات والحيوانات والانسان . وكذلك فى نقل المياه وبخار الماء من المحيطات (البحر المحيط) الى القارات . فلولا هذا الغلاف الجوى لتحولت القارات الى أرض قاحلة .

ولو كانت الأرض بقدر القمر وكان قطرها ربع ما عليه الآن ، لما كانت قوة الجذب عليها (أى سطح الأرض) تكفى لجذب المياه والهواء ، ولما استقر الماء على سطحها . لأن قوة الجذب تكون إذ ذاك سدس قوة جاذبية الأرض اليوم[١] . ولارتفعت درجـــة الحرارة الى حد يؤدى إلى إبادة الحياة عليها .

ولو كان قطر الأرض ضعف ما عليه الآن ، لكان سطح الأرض أربعة أمثال ماعليه الآن[٢] وكانت قوة الجذب ضعف قوة جذب الأرض الحالية ، ولقل ارتفاع الجو الى حد مخطر ولارتفع الضغط الجوى من كيلوغرام واحد على كل سانتيمتر مربع الى كيلوغرامين ولأشكلت الحياة على وجه الأرض .

ولو كانت الأرض من حيث الكبر بقدر الشمس لأمست قوة الجذب عليها (١٥٠) مرة أكثر مما عليه الآن حسب قانون (نيوتون) ولنقص ارتفاع الجو حوالى (١٠) كيلومترات ولما أمكن تبخر المياه ولكان الضغط الجوى على كل سانتيمتر مربع من السطح أى على (١ سم^{٢}) = ١٥٠ كيلوغراماً . أى لكان وزن حيوان يزن الآن كيلوغراماً واحداً = ١٥٠ كيلوغراما ، ولكان طول الانسان بطول السنجاب (فى الوقت الحاضر) ولاستحالت الحياة العقلية لمثل هذه الموجودات .

وهكذا نرى أن الله تعالى قد جعل أرضنا هذه من حيث الكبر والبعد

---

(١) قوة الجذب : ق = ى × $\frac{ك ك'}{ن^{٢}}$ ، ولابد من ملاحظة نصف القطر .

(٢) ان سطح الكرة يتناسب طردياً مع مربع نصف القطر :

سطح الكرة = ٤ ط ن^{٢}

عن الشمس والقمر وسائر الأنجم من حيث الكتلة وقوة الجذب بدرجة تتيسر معها الحياة على سطحها ، فان زلّ أحد هذه الأشياء أو غيرها مما نعلمه أو لا نعلمه لاستحالت الحياة عليها .

« إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا . ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، انه كان حليما غفورا »[١] .

* * *

البروتين (Protéine) جزء هام من مادة البروتوبلازم (Protoplasme)[٢] ، وهى المادة التى منها تتكون جميع الخلايا وكل الأحياء . فالبروتين هو المادة الابتدائية الاولى التى تشكل ، مع الجزء الأصلى ، الخلايا الحية . وهذه مؤلفة من عناصر خمسة : الكاربون والايدروجين والنيتروجين والاوكسيجين والكبريت . وعلم انه يوجد فى الجزىء[٣] الثقيل منها : ٤٠٠٠٠ ذرة (Atome) .

فان ادعى مدع أن فى الطبيعة ٩٨ عنصراً قد وزعت أو وجدت دونما نظام وترتيب ، بل وجدت ورتبت بالصدفة ، فللعلوم الرياضية أن تحقق إمكان حدوث هذه الصدفة ! وأن تحسب مرتبة الاحتمال أو درجة الصدفة التى يمكن أن تحدث لإمكان انضمام عناصر خمسة : (الكاربون والايدروجين والنيتروجين والاوكسيجين والكبريت)[٤] لإيجاد ذرات المادة الاولى : البروتين (Protéine) ، وأن تحسب مقدار المادة التى يجب أن تكون موجودة قبلا وفى حالة خلط ومزج دائم ، وأن تحسب المدة التى يجب أن

---

(١) سورة فاطر : ٤١ ، ان أمسكهما : أي : ما أمسكهما .

(٢) كان يعرف : البروتوبلازم : أنه المادة الزلالية الحية التي تتكون منها خلية الاجسام النباتية والحيوانية فهو مصدر كل حياة .

(٣) Molécule

(٤) على أن للانسان أن يسأل : كيف وجدت هذه العناصر الخمسة ابتداءاً وما هو الأساس وهل المادة العمياء أن ترتب وتنظم وتنظر الى المستقبل ؟

تنقضى لحصول هذا التركيب أى لاجتماع هذه العناصر الخمسة .

فالعالم السويسرى : (شارل أوژن گوى) تمكن من حساب مرتبة الاحتمال لحدوث ما فى البروتين (Protéine) من تركيب .

فقال : إن مرتبة الاحتمال لحدوث هذا التركيب للعناصر الخمسة فقط هى :

$\frac{١}{١٦١٠}$ أى فى كل ١٠ ..... حادثة تركيب يحتمل أن يحصل تركيب يشبه تركيب المادة الاولى : البروتين .

واذا قلنا انه يوجد فى الكون مثل هذا التركيب وأعقد منه تراكيب لا تتناهى ، وذلك لحصول هذا النظام البديع فى عوالم الجماد والنبات والحيوان ، لأصبحت إذن مرتبة الاحتمال $\frac{١}{\infty}$ (أى : واحداً منسوباً الى اللانهاية) ومآل ذلك : الصفر . إذن فلا صدفة وانتفى كل احتمال .

* * *

وقد حسب أيضا العالم السويسرى (شارل) أن المقادير اللازمة من المواد المذكورة التى يجب أن تقع بالصدفة بعضها جنب بعض لتشكيل (البروتين) ، وذلك بعد تبدلات وتحولات كثيرة جداً ، هى ملايين مرة أكثر من جميع ما فى هذا الكون المادى من مواد .

كما علم أنه لابد وأن ينقضى ١٠^{٢٤٣} [عشرة مرفوعة الى قوة ٢٤٣ ، أو ١٠ متبوعة بـ ٢٤٢ صفراً] من السنين لحدوث تركيب البروتين المؤلف من عناصر خمسة فقط ، فكيف بالمدة اللازمة لحدوث عناصر أخرى ، لا تعد ولا تحصى .

إن البروتينات مكونة من مواد متسلسلة تسمى بالحوامض الأمينة (Amino Acides) . ويحار الانسان اذا ما رام أن يستقصى هذه المواد المتسلسلة وكيف ترتبت وتسلسلت ذرات هذه المواد . فان الذرات ، لو كانت

قد اتصلت وانضمت بعضها ببعض بصورة خاطئة لشكلت مواد سامة مهلكة .

وقد حسب البروفسور (ج . ب . ليڤ) انه : تتشكل سلسلة پروتين بسيط بـ ($١٠^{٤٨}$) شكلا مختلفاً . ويقول انه لا يمكن أن ينتظم جزئ من البروتين الحالى بالصدفة مع ضآلة هذا الاحتمال .

على أن البروتين (Protéine) مادة كيمياوية فاقدة الحياة . وان الحياة أو الحيوية أمر هام خطير جداً تأتيها من الخارج وان الله تعالى هو الذى نفخ فيها الروح وجعلها حية بعد أن كانت مادة ميتة لا حياة فيها ولا حيوية ، لاسيما مع تلك الدرجات العالية من الحرارة حين تشكل الأرض ، عندما كانت سديماً[١] ، على ما ثبت فى علم طبقات الأرض : « ثم استوى الى السماء وهى دخان . فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها . قالتا أتينا طائعين »[٢] .

فما أعظم قول الله بالنسبة الى ولوج الحياة فى الخلية الميتة (Cellule) حين يقول :

« يا أيها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب »[٣] .

* * *

إن العلم بأحوال الكون يجعل الفرد المؤمن يركع لله تعالى خشوعا ، ويسجد له تواضعا وخنوعا وتفيض عيناه بالدموع حباً وتسبيحا وخضوعا ، لو كان قد بلغ مرتبة من اليقين لأعمال كان يقوم بها صالحة مع تهجد وتزكية وتحلية وتطهير وهو القائل : « وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . حقا ، لا يستفيد فى مجالات تكامل النفس العالمون ببعض

---

(١) السديم : الضباب ، ويراد به هنا : غاز عالق به مواد صلبة .

(٢) سورة فصلت : ١١

(٣) سورة الحج : ٧٣

ما أودع الله من دساتير وخواص ودقائق الصنع فى هذا الكون إلا الموقنين منهم . ولا يقين إلا بعد تزكية وتطهير وترك للموبقات والإجرام ، عند ذلك يوقن من وفق الى التزكية بهذه الآية المنيفة حين يقول تعالى : « أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون » .

وقد أتم الله الحجة على عباده بقوله : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » .

* * *

نفى الصدفة بنوضيح آخر :

لو أرادت الصدفة (دون مدبّر عاقل) أن ترتب حروف هاتين الكلمين : (انسان يقظان) المؤلف من ١٠ حروف وكان عدد العلب (أو الخانات) الجاهزة فى المطبعة لهذا العمل ١٠٠ علبة [١] ، فدرجة الاحتمال لظهور حرف (ا) (أولا) من بين ١٠٠ علبة تكون : $\frac{1}{100}$ (واحداً من مائة) .

ولأجل أن يظهر حرف (ن) من كلمة : انسان ، بعد حرف (ا) مباشرة تكون درجة الاحتمال لهذا الظهور = $\frac{1}{10000}$ (واحداً من عشرة آلاف) .

ذلك لأنا مع كل سحبة من السحبة الأولى لظهور حرف : ا (أولا) ، يحتمل أن نسحب ١٠٠ مرة كى يظهر حرف (ن) بعد (ا) مباشرة . وبما أنه يحتمل أن نسحب ١٠٠ مرة لظهور حرف (ا) أولا ومع كل سحبة يحتمل أن نسحب أيضا ١٠٠ سحبة لظهور حرف (ن) ، إذن درجة احتمال ظهور

---

(١) باعتبار الحرف الاول والحرف الوسط والحرف الاخير والحرف المفرد .

حرف (ن) بعد (ا) مباشرة تكون واحداً من عشرة آلاف ، أى واحداً

من ١٠٠ × ١٠٠ = $\frac{١}{١٠٠٠٠}$ = $\frac{١}{١٠^{٤}}$

ولأجل ظهور أو مجىء حرف (س) بعد حرف (ن) مباشرة (من لفظ : انسان) تكون درجة الاحتمال واحداً من مليون أى :

$\frac{١}{١٠٠ \times ١٠٠ \times ١٠٠}$ = $\frac{١}{١٠^{٦}}$

ودرجة الاحتمال لأجل ظهور أو مجىء حرف (ا) بعد حرف (س) من لفظ : انسان ، مباشرة ، تكون : $\frac{١}{١٠^{٨}}$

ودرجة الاحتمال لأجل ظهور حرف (ن) بعد (ا) من كلمة (انسان) مباشرة ، تكون : $\frac{١}{١٠^{١٠}}$

ودرجة الاحتمال لترتب حروف : (انسان يقظان) بالصدفة (دون أن يكون للعقل أو الحافظة دخل فى الموضوع) تكون واحداً من مائة مليون مليون مليون ، = $\frac{١}{١٠^{٢٠}}$ أى نحتاج الى ١٠٠ ... ... سجة .

وإذا كان عدد حروف صفحة من كتاب رتبت حروفها بالصدفة العمياء ٢٠٠٠ حرف ، فتكون درجة الاحتمال :

$\frac{١}{٢٠٠٠ \times ٢^{١٠}}$ = $\frac{١}{١٠^{٤٠٠٠}}$

واذا فرضنا أن كتاباً عدد صفحاته ٤٠٠ وان الصدفة العمياء هى التى

نظمت ورتبت حروف هذا الكتاب . فتكون درجة احتمال وقوع هذه

الصدفة = $\frac{١}{١٦٠٠٠٠٠^{١٠}}$

وبما أن المقام صار يقترب من اللانهاية ∞ ، فإن درجة احتمال ترتب حروف مكتبة تضم مائة الف مجلد أو اكثر تساوى واحداً منسوباً الى اللانهاية : أى $\frac{١}{\infty^{١٠}} = \frac{١}{\infty} = ٠$

ثم ، ألا ينبغى للقائل بالصدفة أن يسأل نفسه : كيف وجدت هذه الحروف : (الحرف الأول بشكله الخاص ، والحرف الوسط بشكله الخاص . . . الخ) بهذا النحت الجميل عن تدبير وهندسة خاصة فى بادئ الأمر حتى يأتى دور الصدفة وترتب اللفظين : (انسان يقظان) بالصدفة العمياء دون ارادة وعلم !

فالتنظيم ضارب أطنابه ابتداءاً واستمراراً وأبداً فى هذا الكون ، فلابد من موجد ومنظم ابتداءاً واستمراراً وأبداً وهو الله جلت عظمته ، ووسعت رحمته .

فلنأتِ بعد ذلك الى هذا الكون الرحيب وما فيه من ذرات وجزيئات وعناصر ومركبات لا تتناهى فى السماوات وفى الأرضين ، سواء فى عالم الجماد أو النبات أو الحيوان وفى عوالم أخرى لا يعلمها إلا الله تعالى ، لنرى انعدام الاحتمال بطريق الصدفة لحدوث هذا النظام الرائع فى ما لا يتناهى من أجزاء مترتبة بعضها إثر بعض عن حكمة وتدبير . فدرجة الاحتمال فى هذه الحالة = $\frac{١}{\infty} = ٠$ ، تساوى الصفر لا محالة ودون أى ريب .

فلابد إذن من مدبّر منظم حكيم عارف بقوانين الميكانيك والتفاعلات

الكيمياوية والرياضيات العالية والطبيعيات الى ما هنالك ، وهو الله تعالى :
« ألا يعلمُ مَن خلق وهو اللطيف الخبير » .

على أن للسائل أن يسأل : كيف وجدت هذه الأجزاء ابتداءاً ، وكيف تسلسلت متكاملة بعضها عن بعض ثم استمرت وهى متكاملة . ومن الموجد لها أولا قبل أن تترتب ؟ وما هو أساس الوجود المادى ؟ وما هو أساس الوجود الروحى ؟ وكيف جاءت هذه الحيوية وما حقيقتها ؟

فلا مناصَ من الاعتراف بمن هو واجب وجوده من الأزل لإيجاد هذا الكون الرحيب بهذا الترتيب البديع وهو الله تعالى واجب الوجود .

« سبح[١] اسم ربك الأعلى ، الذى خلق فسوّى ، والذى قدّر فهدى[٢] ، والذى أخرج المرعى ، فجعله غثاءاً[٣] أحوى »[٤] .

« أدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . (سورة النحل : ١٢٥) .

* * *

جاء فى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة » . « وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به وانه يستغفر لطالب العلم مَن فى السماء ومن فى الأرض حتى الحوت فى البحر . وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر » . و « إن العلماء ورثة الأنبياء » .

---

(١) سبح : أي قدس ونزه ربك عن النقائص .

(٢) قدر فهدى : أي قدر كل ما خلقه تقديراً مناسباً للحكمة ومؤدياً للاغراض التي خلقه من أجلها على أحسن حال .

(٣) غثاء : ما يلقيه السيل من ورق بال وزبد .

(٤) أحوى : ما به حوة ، والحوة سواد الى خضرة .

ما هو هذا العلم الذى تضع الملائكة أجنحتها لطالبه رضاً به ؟ هل هو هذا العلم المادى الذى يقطع العالم به علاقته بواضعه وموجده وخالقه ؟ هل هو العلم بأحوال الكون وقوانينه دون عزو ذلك الى مرتبها وواضعها ، بل صار يكفر العالم بها بمن أوجدها ونظمها غاية التنظيم ؟ هل هو هذا العلم الذى يعتبره المنحرفون والمنجرفون معبوداً جديداً وإلهاً قهاراً ، حلالاً للمشكلات ، يدفع المعضلات ويقهر كل شيء ويسير العالم حسب أهواء الضالين المضلين ؟ فلا حاكم ولا قاهر خارج حدود هذا العالم إلا العلم ؟! ولا مسيطر ولا مدبر فى الكون كله دونه ! (أى دون العلم ؟!) . . . أهذا هو ذلك العلم الذى يقول عنه على عليه السلام : « أيها الناس إعلموا : أن كمال الدين طلب العلم والعمل به » . فأى كمال رأينا فى نفوس بعض العلماء الماديين وبعض الفلاسفة الماركسيين ! » فهم أعداء الله فى أرضه ولا غنى لهم عن رزقه . فلو سلط الله تعالى على مخ أحدهم جرثومة ضئيلة لا ترى بالعين المجردة لأمسوا مجانين ولعلموا ما هم عليه من فلسفة زائفة ضالة هدامة !

على أن العلم لا يستطيع أبداً أن يكون بديلا عن الإيمان بالله فى حياة الانسان ، يملى على الانسان سنن الكمال . ذلك لأن هذا العلم إنما خرج من نفوس لم تزكّ ولم تتطهر . فلا يزال عليه طابعها : ذلك الطابع المادى الحالك . ولأن هذا العلم متغير ومتطور من لحظة الى أخرى وأن نتائجه التى تؤكد اليوم من قبل العلماء تنقض غداً بفعل الاختبارات والتجارب فى كثير من ميادين العلم . وهكذا سيظل (العلم) له خاصية التغير والتبدل ويخضع لعامل التطور ، إلا ما كان مجرداً بحتاً كالرياضيات البحتة وذلك فى حدود معينة محدودة .

أهذا العلم الذى يقول به المادى دون أن يتجاوز بفكره حدود الأرض والجسد ، هو ذلك العلم الذى يقول عنه رسول الله (ص) : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ، « ألا إن الله يحبّ بغاة العلم » . أترى ان الله يحب العلماء المفسدين فى الأرض ، وهو القائل : « أم نجعل الذين آمنوا

وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار »[١] .

انظروا الى هذا الحديث ، لتعلموا ماذا يراد بالعلم فى لسان الشرع وماذا يراد بالفضل ؟

فعن أبى الحسن موسى عليه السلام : قال دخل رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، المسجدَ . فاذا جماعة قد أطافوا برجل فقال ما هذا ؟ فقيل علاّمة .. فقال : « ماالعلامة ؟ » فقالوا له « أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار والعربية » . قال : فقال النبى (ص) : « ذاك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه » . ثم قال النبى (ص) : « إنما العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو فريضة عادلة ، أو سنة قائمة وما خلاهن فهو فضل » .

فترون أن المراد فى لسان الشرع من (العلم) هو ذلك العلم الذى يوحد به الله تعالى فى أرضه وسمائه فيعبد ويقدس . هو ذلك العلم الذى يأخذ بالنفس الانسانية الى ساحات القدس بعد تزكيتها وتطهيرها من الدنس والرجس بما يقدّم للبشر من تعاليم إلهية ودساتير ربانية ، وكذلك العلوم الطبيعية والفيزيائية والكيميائية والفلكية ، وكل علم مُظهر لعظمة الله فى أرضه وسمائه ، اذا كان هذا العلم لا ينفك عن عزو جميع المكتشفات الى الله المبدع العظيم .

لذلك يقول (اسحق نيوتن) وهو أعظم علماء القرن الثامن عشر وله الفضل الأكبر فى تقدم العلوم المادية فى القرن العشرين الى هذه المرتبة ، انه يقول : « لا شك فى الخالق . فإن هذا التنوع فى الكائنات وما فيها من ترتيب أجزائها ومقوماتها وتناسبها مع غيرها ومع الأزمنة والأمكنة لايعقل أن تصدر إلا من حكيم عليم » . .

وهو القائل أيضاً : « لا أدرى كيف يُنظر الى العالم . ولكن أتراءى لنفسى كما لو كنت غلاماً يلهو على شاطىء البحر وأسلى نفسى بين الحين

---

(١) سورة ص : ٢٨

والآخر بالعثور على حصاة أكثر ملاسة ، أو صدفة أجمل من المعتاد . بينما محيط الحقيقة العظيم يمتد أمامى دون كشف » .

ويقول أيضاً فى محل آخر : « ما من شك أن خالق العالم هو محيط بأسرار علم الميكانيك احاطة تامة كاملة » .

(پاستور) كان ينكر إله الكنيسة . إلا أنه كان مؤمناً بالخالق المعبود ، إله العالمين ، خالق الجراثيم . . . على حد تعبيره .

• • •

فى القرآن الكريم (٧٥٠) آية كونية تشرح بإيجاز : عصارة ما أودع الله تعالى من كمال فى العالم المادى من سماء وأرض وفى عالم النبات والحيوان ، وآيات أخرى تذكر شيئاً عن عوالم النفوس والأرواح . كل ذلك ، ليوقن هذا الانسان ، لو نال قسطاً من طهارة النفس ، أن هذه القوانين والنظم التى لم يتوصل الانسان إلا الى جزء ضئيل منها ، إنما هى خير دليل على وجود صانعها ومبدعها العلىّ القدير وخير مرشد الى مدبر ومسير أوجد جميعها بقدرته ، بقاؤها بإرادته ، زوالها بأمره . فليس (للعلم) ، هذا العلم الذى يعتز به المادى وهو من صنع الله ، أن يدير العالم ، لو تخلف هذا العالم عن ارادة الله تعالى ومشيئته طرفة عين . « إن الله يُمسك السماوات والأرض أن تزولا . ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » .

لذلك يقول أبو جعفر (ع) : « الكمال كل الكمال : التفقه فى الدين والصبر على النائبة وتقدير المعيشة » .

وفى حديث آخر : « اذا أراد الله بعبد خيراً فقهه فى الدين » .

وفى حديث آخر : « عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين الف عابد » .

وعن أبى عبد الله عليه السلام : « يغدوا الناس ثلاثة أصناف : عالم ومتعلم وغثاء ، فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء »[1] .

---

(١) الغثاء : الزبد والبالي من ورق الشجر .

وقال أبو عبدالله (ع) : « من تعلم العلم وعمل به وعلم لله دُعى فى ملكوت السماوات عظيما . فقيل : تعلمَ لله وعمل لله وعلمَ لله » .

وقد جاء فى تفسير « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ » : من صدّق فعله قوله . ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم .

فالمادى الذى قد تعلم شيئاً من قوانين الطبيعة وخواصها ، أو وفقه الله تعالى الى كشفها ولم يتأثر بما أودع الله من دساتير رياضية لا تحصى فى هذا الكون ومن دقيق الصنع ولم يخشع قلبه ولم يخش الله فى حركاته وسكناته ، ولم يكن لنفسه نصيب من الخضوع لله « الذى خلقه ، فسوّاه فعدله . فى أى صورة ما شاء ركبه » ، ليس ذلك العالم الذى عناه الله فى الآية المتقدمة .

فقد قال أبو عبد الله (ع) : « اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم » .

ما أعظم هذا الدستور انه أدب التعليم الرفيع . لو عُمل به لما بقى على وجه البسيطة من يشك فى وجود الله جل جلاله ، أو ينحرف عن الصراط السوى .

وقال عيسى (ع) : « بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر » . . وقد قال الحواريون عيسى (ع) ، على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا روح الله ، من نجالس ؟ » . قال : « من يذكركم الله رؤيته ويزيد فى علمكم منطقه ويرغبكم فى الآخرة عمله » .

وإن قوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات » يدل دلالة صريحة أن الذى أوتى قسطاً من العلم ولم يكن مؤمناً لا ترفع له درجة بل بنص هذه الآية هو من الخاسرين : « ومَن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »[1] . « إن الدين عند الله الإسلام »[2] .

---

(١) سورة آل عمران : ٨٥ (١) سورة آل عمران : ١٩

وإن قوله : « شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط » يدل دلالة واضحة على أن أولى العلم فى هذه الشهادة العظيمة إنما هم من العلماء الذين بلغ بهم علمهم وتقواهم معاً الى توحيد الله والاعتراف بعدالته .

وما أعظم هذا الحديث القدسى وما أجل معناه : « يا موسى عظم الحكمة فإنى لا أجعل الحكمة فى قلب إلا وأردت أن أغفر له ، فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها ، كى تنال كرامتى فى الدنيا والآخرة » .

فلا يستفيد العالم بأحوال الكون ودساتيره من علمه ما لم يكن قد جعل التقوى لنفسه شعاراً والأخلاق الفاضلة دثاراً . لذلك جاء فى الحديث عن الرسول (ص) : « قطع ظهرى رجلان : عالم متهتك . يصد الناس عن علمه بفسقه ، وجاهل متنسك يدعو الناس الى جهله بنسكه » . وقال على عليه السلام : « قصم ظهرى رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك » .

وقد جاء فى حديث آخر : « كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم . ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع » .

ومن جملة صفات العلماء على ما ورد فى اصول الكافى : « لا حقود ولا حسود ولا وثاب ولا سباب ولا عياب ولا مغتاب ، يكره الرفعة ويشنأ السمعة ، سهل الخليقة ، لين العريكة ، هشاش بشاش ، لا بعباس ولا بجساس ، كظامٌ ، بسام » .

فطوبى لأولئك العلماء الذين يدعون الى الله بعمل صالح ويرفعون لواء الإسلام عالياً بجهادهم المتواصل : « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين »[1] .

• • •

إن الله تبارك وتعالى أكد فى آيات جمة أن تتتبع الكون وما أودع فيه

---

(١) سورة حم ، السجدة : ٣٣

من نظم وقوانين تربط أجزاء الكون بعضها ببعض ، كى نزداد معرفة به تعالى . فنخشع له وذلك بتقديسه وتسبيحه والعمل بما أمر بـــه ، فنزداد بصيرة وذلك غاية الغايات . فقـــد جاء فى الحديث : « أعلمكم بالله أخوفكم له » شريطة أن لا يتجرد هذا العلم (أى العلم بأحوال الكـون) عن طاعة الله تعالى ، وأن لا يكون آلة هدم وتخريب . فقد قال على (ع) : « كثرة العلم فى غير طاعة الله مادة الذنوب » .

إنه تعالى يقول : « قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض ، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »[١] . فإنه تعالى يصرح : أن التعرف على ما أودع الله من قوانين ومعادلات فى الكون المادى[٢] وما أودع فيها من قوى وطاقات ، وما يربط هذه الطاقات أو المواد بعضها ببعض من قوانين وخواص لا تفيد الذين تخلوا عن طاعة الله ولا تؤثر فى تكميل نفوسهم : هؤلاء الذين لازموا الشهوات والنزوات وحضروا المراقص والملاهى ومجالس الفسق والفجور وأفسدوا فى الأرض بأنواع البغى وضروب الظلم . وهذا ما نشاهده اليوم . ويشهد لنا التاريخ فى الأمم الغابرة . « سنة الله فى الذين خلوا من قبل »[٣] .

نرى اليوم من ينكر وجود الخالق جل جلاله أو يستهزئ برسالة الأنبياء (ع) وقد درس شيئاً من قوانين الفيزياء أو الكيمياء ، أو درس شيئاً من علم الحيوان والنبات الى ما هنالك ، مع اعترافه ببعض ما أودع الله من خواص ودساتير فى هذا الكون . وان البعض من هؤلاء مع جهلهم المرير بالعلوم الحقيقية كالرياضيات العالية والفيزياء الرياضية العالية وحقائق

---

(١) سورة يونس : ١٠١

(٢) يوجد في الكون مثل شمسنا مائة الف مليون شمس . وان كلا من هذه الشموس المضيئة لابد وأن تجمع حولها كواكب أخرى ذات أقمار تضيء ساعة وتظلم أخرى .

(٣) سورة الاحزاب : ٣٨ ، (خلوا : مضوا)

الكيمياء وما ثبت هناك من دساتير ، يتبنون فلسفة مادية ، فلسفة تجعل المادة الصماء كل شيء فى هذا الكون . وتعتبر الاقتصاد محوراً أساسياً لكل الفضائل والمكرمات والمعتقدات والمثل العليا ، حين أن الفلسفة لا تبنى على جهل . ففلسفة تبنى على جهل بحقائق الكون ، فلسفة فاشلة ، واهية مضلة . إنها فلسفة الشهوات ، والتفكك من قيود يتحقق بها شرف الإنسان وكماله . إنها فلسفة اباحية همجية ترجع بهذا الانسان المسكين الى جاهلية جهلاء ، إنها فلسفة هدم وتخريب !. « فإن لم يستجيبوا لك ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضلُّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين »[1] .

يقول (پوانكارة) وهو من أعلام الرياضيين : « نحن الرياضيين إنما نعمل للفيزياء والفلسفة » . ومعنى ذلك أن الفلسفة يجب أن تبنى على آخر ما توصل اليه العلم الحديث ، لا على مفتريات وأكاذيب لا تدعمها المكتشفات الحديثة وما ثبت من أحوال الأمم الماضية .

فالتجربة ليست كل شيء فى نمو الإنسان الرياضى ، خلافاً لما يقوله الماديون . ففى الإنسان ملكة التعليل والتسبيب ، وملكة التعميم والتجريد ، دون أن يكون للتجربة دخل فيها . لذلك يقول (البرت آينشتاين) : « كيف أمكن للرياضيات أن تكون أداة مناسبة بشكل يستحق الإعجاب لواقع الأشياء مع أنها ثمار التفكير الإنسانى مستقلا عن التجربة » .

وقول (فيثاغورث) : « العدد يحكم العالم » دليل على وجود خالق مبدع ربط أجزاء هذا العالم بحكمة فائقة تحت حساب دقيق يمكن أن يعبر عنها بمعادلات وأعداد وقوانين :

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرُّ مرَّ السحاب . صنع الله الذى

---

(١) سورة القصص : ٥١

أتقن كل شيء ، إنه خبير بما تفعلون »[١] « قد جعل الله لكل شيء قدرا »[٢] .

• • •

إن الله تعالى يقول : « فلينظر الإنسان مم خلق »[٣] . وهو يحثنا على تعلم علم الأحياء (Biologie) وعلم الحيوان (Zoologie) وعلم وظائف الأعضاء (Physiologie) . ففى جسم الإنسان أكثر من ٢٠٠ عظم ولكل واحد منها شكل خاص ، ولولا هذا الشكل الخاص لما تمكن الإنسان من الحركة . وفى جسم الإنسان ٥٠٠ عضلة : كل منها ، تتغذى بمئات الأوردة والعروق ، تديرها أعصاب كثيرة . والقلب ، وهو بين هذه العضلات ، ينبض فى السنة (٣٠) مليون مرة .

وأما طبقات العين ، فهى الطبقة القرنية والعدسية ، ثم طبقة مائية زجاجية تنتهى فى الشبكية . وان الطبقة الشبكية لا تزيد عن ثخن الورقة ، وهى تتألف من تسع طبقات ، أبعدها تتألف من (٣) ملايين اسطوانة و (٣) ملايين مخروط .

وقد حسب أحد علماء الفسلجة أنه توجد فى المادة السنجابية التى هى فى تلافيف الدماغ : ستة ملايين خلية وأن كل خلية تتألف من ألوف الدقائق الظاهرة وأن كل دقيقة تتألف من ملايين الجواهر . إنه تعالى يقول : « قل سيروا فى الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق »[٤] ثم يذكرنا الله بالآخرة لنستعد لها لأنها هى الحياة الحقيقية التى تستحق أن يطلق عليها :

---

(١) سورة النمل : ٩٠

(٢) سورة الطارق : ٥

(٣) سورة الطلاق : ٣

(٤) سورة العنكبوت : ٢٠

كلمة الحياة ، وذلك بقوله فى بقية الآية : « ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ، إن الله على كل شىء قدير »[١] .

لقد سبق القرآن العلم الحديث فى التكلم عن بداية الخلق وهى (الخلية الحية) . فهى جوهر الحياة . وذلك لأن كل مشكلة تتعلق بالحياة . تبحث فى النهاية فى الخلية وان كل كائن حى ما هو إلا خلية .

يقول الدكتور (كلارنس كوك لتيل) : « إننا قد نفهم النشاط العظيم المتنوع فى مدينة كبيرة ، ولكنا قد لا نصدق انه من الممكن أن تقوم أجسامنا بعملية أكثر تعقيداً وأشد غرابة فى هدوء ودأب لايعرف الكلل ، عملية فيها صناعة تخزين واصلاح ومواصلات ونقل وأعمال پوليسية وتخلص من نفايات وادارة انتاج للغذاء وضبط للحرارة . وان هذا هو ما يحدث حقاً فى الخلية الواحدة » . فما أعظم ما أودع الله بحكمة فائقة من أعمال شتى متنوعة فى غاية الدقة . أعمال ميكانيكية مختلفة ، فى هذه الخلية التى تبلغ من الصغر ما لا يمكن للعين المجردة مشاهدتها .

يقول (راتكليف) : « فى اللحظة التى يتم فيها الإخصاب ، تقرر الخلية الصغيرة بدقة تامة نوع المخلوق البشرى الذى يجرى انتاجه ، حتى لون عينيه وتموجات شعره ، وان العلم ما زال قاصراً عن ادراك الأسباب والدوافع التى تدفع بالبويضة الى أن تتخلص من نصف مادتها بعد أن تبلغ درجة النضج وتصل الى الرحم . وأن يتخلص الحيوان المنوى كذلك من نصف ما به ، حتى اذا اتحد النصفان كونا خلية واحدة صغيرة بالغة من الصغر حداً كبيراً . إذ يبلغ وزنها ١٥ جزءاً من عشرة ملايين جزء من الغرام . وتصل يوم الميلاد الى حوالى ثلاثة كيلوغرامات وذلك بانقسام هذه الخلية الواحدة الى عدد من الخلايا تبلغ حوالى (٢٠٠) مليون خلية » .

فالخلية على الرغم من صغرها كيان عضوى معقد أشد التعقيد . فى الخلية

---

(١) سورة العنكبوت : ٢٠

خصائص ظاهرة وخصائص خفية كثيرة وكثيرة جداً ، لم يظفر بها العلم الحديث ، تعمل فى التغييرات الطبيعية الكيميائية فى الوسط الإنسانى لتواجه الحالات الجديدة الطارئة فى حالات الصحة والمرض تبعاً لما تستلزمه حالة الجسم.

يقول الدكتور (روسكوسبنسر) : « ليس فى الطبيعة شىء أعجب من الحكمة التى تقسم بها الخلية نفسها الى جماعات شتى ، لكل جماعة وظيفة تؤديها ، وكل جماعة منها تختلف لهذا الغرض عن الأخرى قواماً وتركيباً ، ولكنها كلها أصلها واحد وان الله تعالى قد زود الخلايا بقوى عجيبة وبخصائص مدهشة كل ذلك لتشييد الكيان العضوى الحى » . « أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءاً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإلهٌ مع الله ، بل هم قوم يعدلون »[1] . (أى يميلون عنه) .

* * *

وقد أمر الله تعالى بدراسة النبات كى يعتبر الإنسان بهذه الحيوية التى أوجدها الله فى خلايا النبات وهذا النمو الذى نشاهده فيه ، إنه (أى النمو) لأمر عجيب ، إنه نمو بأمر الله ومشيئته ، إذ العطالة أو القصور الذاتى : (Inertie) شىء لا ينفك عن أى جسم أو أية مادة فى هذا العالم المادى على ما ثبت فى علم الفيزياء . فلا بد من يد غيبية تعمل بحكمة فى ترتيب هذا النمو تحت آلاف بل ملايين من عوامل وخواص وتأثيرات مترتبة بعضها إثر بعض بحكمة فائقة وبشكل بديع وجمال رائع ، إنه تعالى يوضح لنا ذلك بقوله جل من قائل : « فلينظر الإنسان الى طعامه ، أنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الأرض شقاً . فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً[2] وزيتوناً ونخلا

---

(١) سورة النمل : ٦٧

(٢) قضباً : كل شجرة طالت واسترسلت أغصانها .

وحدائق غلبا[١] وفاكهة وأبّاً[٢] ، متاعاً لكم ولأنعامكم »[٣] .

إنه تعالى يقول فى سورة أخرى : « فأين تذهبون »[٤] . الى أين يذهب هذا الإنسان وهو تحت هيمنته تعالى وبين يدى جبروته سبحانه : فمن الغفلة أن لا يطيع الإنسان ربه ولا يؤمن برسالة رسله (ع) ، حسب التسلسل ، وأن يبقى جاحداً لرسالة خاتمهم نبى الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإمامة الأوصياء من بعده عليهم السلام . حقاً إن الآية المتقدمة « فأين تذهبون » : « لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد »[٥] .

فإلى أين يفر والى أين يتوجه هـــذا المخلوق الضعيف بين يدى ربه ، المغرور بما منّ عليه خالقه من علوم ومعارف ، فلا ملجأ إلا اليه . على حد قوله تعالى : « ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين »[٦] ، فطوبى لمن أقلع عن طيشه وغروره وفكر فى عقباه ومصيره ، فشمر عن ساعد الجد لإصلاح نفسه والمثول بين يدى ربه واستعد ليوم « لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله »[٧] . « ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين »[٨] .

• • •

إن الله تعالى قد حث على تعلم علم الفلك بقوله جل من قائل : « فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم »[٩] . فما أعظمها من آية . إنه تعالى يعظم مواقع النجوم والأبعاد المقدرة بينها بحكمته ، فانها من الدقة بمكان ،

---

(١) حدائق غلباً : بساتين ذات أشجار غليظة .
(٢) أباً : تبنا ، أو العشب رطبه ويابسه ، مرعى .
(٣) سورة عبس : ٢٤ — ٣٢
(٤) سورة التكوير : ٢٦
(٥) سورة ق : ٣٧
(٦) سورة الذاريات : ٥١
(٧) سورة الانفطار : ١٩
(٨) سورة المطففين : ٥ ، ٦
(٩) سورة الواقعة : ٧٥ ، ٧٦

بحيث لو تغير بعضها عن مواضعها شيئاً يسيراً بالنسبة الى الفضاء اللانهائى ، لاختل نظام السماء لما هنالك من تجاذب من جميع الجهات حسب الدستور الآتى :

$$ق = ى \times \frac{ك ك'}{م^{٢}}$$

أى تتجاذب الكتلتان فى الفضاء بنسبة حاصل ضرب الكتلتين : (ك ، ك') مقسوماً على مربع المسافة بينهما (م) بعد ضرب الناتج فى نسبة ثابتة معلومة

$$= \frac{١}{١٥ \cdots \cdots \cdots}$$ من ثقل الغرام[١] .

اكتشف (ليفريه Leverier) استناداً الى القانون المذكور وقوانين الحركة الكوكب المسمى بـ (نبتون Neptune) وعين موضعه قبل أن يراه ، فخر الراصدون تلسكوباتهم الى هذا الموضع المزعوم . فرأوه رأى العين بعد أن كان (ليفريه) رآه رأى الفكر ورأى العلم والحساب ، ثم رأى الفلكيون أيضا أن هناك أيضا اختلافاً يسيراً فى مدار الكوكب (اورانوس) . زعموا من أجله أن كوكباً أبعد من (نبتون) ما زال مختبئا فى السماء فاكتشفوه وأسموه (بلوتو) سنة ١٩٣٠ ميلادية . وهكذا يتنبأ العلم والدساتير عن أشياء لا ترى بالعين ، فتكشف لتبرهن مرة أخرى على ما أودع الله من نظام رياضى متقن فى سير الكواكب والأنجم : مداراتها وحركاتها .

* * *

حقا ان فى مثل جزيرة العرب التى لا تربط حواضرها بعضها ببعض

---

(١) ى = ٦٫٦٧ × ١٠ $^{-٨}$ من ثقل الغرام = $\frac{١}{١٥٠٠٠٠٠٠}$ من الداين.

إلا أراض واسعة جرداء غير ذات زرع ، ما كان ليمكن أن ينمو العلم وان تكون فيها حياة علمية . فللإسلام فضل كبير فى ايجاد وسائل الحضارة فى البلاد العربية ، ومن ثم وجود علماء فى شتى العلوم والفنون ومكتشفات جمة كانت أساسا للمكتشفات الحديثة .

لم يكن للعرب فى الجاهلية أى أثر للعلوم ولم يكن هناك أى مظهر من مظاهر الحياة العقلية . ومنذ بزوغ فجر الاسلام لم يكن فى قريش إلا (١٧) رجلا يكتبون ويقرأون . ولذلك كان يلقب من يجيد الكتابة والرمى بـ (الكامل !) .

فالقرآن هو أول كتاب دعا الأعراب الى التفكر فى أحوال السماوات والأرض والجماد والحيوان والنبات بقوله تعالى : « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت » .

إن العلم الحديث كان يجهل حقيقة قوله تعالى : « والشمس تجرى لمستقر لها . ذلك تقدير العزيز العليم »[1] الى قبل ٥٠ سنة تقريبا . حتى تقدم الميكانيك الرياضى وأسست مراصد كبيرة واخترعت مراقب جسيمة ، فعلم أن ما كان يعتقده الفلكيون من ثبوت الشمس فى محلها خطأ فاحش ، وأن للقرآن القول الفصل فى شرح حقائق السماء والميكانيك السماوى كعصارة للعلوم . كما ثبت أخيراً أن لكل كوكب أو نجمة فلكا خاصا لا يتعداه ، وان الجاذبية التى أودعها الله بين الكرات لا تدع مجالا ليزل بعضها عن مكانها وما رسم لها من أفلاك ومدارات وحركات قيد شعرة . « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون »[2] .

* * *

(١) سورة يس : ٣٩

(٢) سورة يس : ٤١

دعا رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، المسلمين الى تعلم الكتابة والقراءة وأمرهم بكتابة القرآن وتعلمه ونشره . حتى أنه جعل ، فى غزوة بدر ، فداء بعض الأسرى : أن يعلموا صبيان المدينة القراءة والكتابة ، على أن يعلم كل واحد من الأسرى عشرة من المسلمين .

كما انه أمر رسول الله (ص) بعض المسلمين بتعلم لغات أخرى . فقد أمر زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية . وهكذا أمر بعضهم بتعلم لغات أجنبية ، وذلك لبث الدعوة فى الأقطار النائية وارسال كتب الى بعض الملوك .

ويا حبذا لو أسست جامعة دينية كبرى ، تدرس فيها شتى العلوم الدينية مع شيء من العلوم الحديثة ، لاسيما الرياضيات والطبيعيات والفلسفة الحديثة على ضوء الفلسفة الاسلامية الحقة وردّ نواحى الضعف فيها (وما اكثرها !) بالحجج الدامغة المنطقية على ضوء العلم الحديث . وتدرس فيها لغات شتى . يتعلم كل عشرين طالباً مثلا حسب رغباتهم لغة أجنبية خاصة بصورة متقنة ، حتى يتمكنوا من الكتابة والخطابة فيها . ثم يوفدون ويوزعون على بعض مدن العالم لبث الدعوة الاسلامية الحقة وذلك بعد أخذهم شهادة عالية ، شهادة التخرج من هذه الجامعة الدينية الكبرى . فينيروا الأرض بجهودهم المشكورة عند الله تعالى كما فعل آباؤهم من قبل .

وقد حث الرسول (ص) على التعلم والتزود من العلوم الموجودة فى كل وقت حتى قال : « اطلبوا العلم ولو فى الصين » . فهو أول من دعا ، بقوله هذا ، الى الهجرة الى البلاد النائية طلباً للعلم وأول من أسس مشروع البعثات . ولكن هذا النوع من البعثة لا يشبه ما نحن فيه من البعثات فى الحال الحاضرة بحال . لأن المسلم عندما كان يهاجر من بلده الى الخارج لتحصيل بعض العلوم ، إنما كان يهاجر وهو مملوء ايماناً بالله وتقوى وورعاً وخوفاً من الله تعالى . لا يدفعه ولا يزيغه عن طريقته الحاد الملحدين وتشكيك الضالين

ودسائس المستعمرين باسم الثقافة والتقدم ! بل كان مجهزاً بعقيدة راسخة عن براهين قطعية وتعاليم اسلامية رائعة . حافظاً للقرآن ، عاملا به ، مؤتمراً بما أمر الله من صلاة وصوم وزكاة وواجبات أخرى . متناهياً عما نهى الله عنه من رقص وسكر وفجور !

ولكن شبابنا اليوم بعيد عن روح الاسلام وحقيقته وتعاليمه ، فالبعض منهم يمقت الاسلام ويظنه ضرباً من الرجعية والخرافة نتيجة سموم بثها المستعمرون وأعداء الاسلام .

وقد يصلى بعض هؤلاء الشبان خوفاً من أوليائهم أو إرضاءاً لآبائهم وأمهاتهم إن كانوا مصلين يحثون أولادهم على أداء الصلاة . إنهم يصلون ما داموا مراقبين ، ولكنهم يتركونها عند رفع هذه المراقبة . يفرح الأب عندما يرى أن ولده يطيعه فيصلى ، لأنه يعلم علم اليقين ان مآل ولده النار ان ترك صلاته . وقد فاته أن السموم المبثوثة هاهنا وهاهنا قد أثرت فيه . وعلى رأسها ما يقوم به ولده من أعمال غير مشروعة . فصار لا يأنس بمناجاة ربه والمثول بين يديه خاشعاً تائبا من ذنوبه .

وقد حث رسول الله (ص) المسلمين على الحضور فى مجالس علماء الدين بصورة خاصة ليتعلموا معالم دينهم ويتأدبوا بآدابهم . وكانت المساجد محلا للعبادة والدراسة معاً حتى القرن الرابع الهجرى . فأسست دور خاصة بالتدريس فى فاس . يقول (دلفان) : ان جامعة (القروين) هى أول جامعة فى الدنيا ، وقد تخرج فى هذه الجامعة عشرات من الطلاب الأجانب من غير المسلمين ومنهم الراهب (جربرت) الذى أدخل الأعداد العربية الى أوروبا . وقد ترجم كل ما دوّنه المسلمون من علوم .

وقد تعلم (سبتاى بن ابراهام) اليهودى الذى قد أسر من قبل المسلمين فى النصف الأول من القرن العاشر اللغة العربية فى بغداد وبقى فيها يدرس الطب ، ثم عاد الى أوروبا وقاد هناك حركة علمية مرموقة .

وهكذا (قسطنطين) الذى كان يعيش فى (قرطاجنة) أتقن اللغة العربية وذهب الى ايطاليا حيث ترجم كثيراً من كتب المسلمين فى علوم شتى .

وان المسلمين هم الذين أنشأوا أول كلية طبية فى (ساليدن) فى ايطاليا ، وأسسوا أول مرصد فلكى فى (أشبيلية) . وهكذا كان للمسلمين اليد الطولى فى الهندسة المعمارية والنحت والزخرفة . وان (كنيسة نوتردام دوپارى) إنما بنيت من قبل مهندسين مسلمين .

وكذلك المسلمون هم الذين اخترعوا طريقة الكتابة بالحروف البارزة لتعليم العميان القراءة .

لذلك يقول : (أرنست رنان) : « إن الآثار والأسفار المحتوية على شتى العلوم والفنون التى أضفاها علماء الاسلام على الكون ونقلتها الحملات الصليبية الى جميع بلاد الغرب وما سبق ذلك من احتكاك بين العرب وأوروبا عن طريق الأندلس ، أدى كل ذلك الى افعام المكتبات الأوروبية الخاوية الفقيرة بكنوز لا تفنى من العلم الذى أنتجته قرائح العرب . وكان من نتائجه انتشار الثقافة والترعرع العلمى فى البيئة الأوروبية بأسرها ، كما رفع مستوى شعوبها الى أفق التمدين الذى نشاهده عليها اليوم » .

ويقول (هـ . ج . ويلز) : « قد سبق العالم الاسلامى الغرب بقرن أو ما يقاربه . فقد أسست فى البصرة والكوفة وبغداد والقاهرة وقرطبة سلسلة من الجامعات العظيمة ، فأضاء نورها تلك الجامعات خارج العالم الاسلامى الى مسافات بعيدة واجتذب اليها الطلاب من الشرق والغرب » .

ويقول (نهرو) رئيس وزراء الهند الحالى وهو هندوكى العقيدة : « كان محمد واثقاً بنفسه ورسالته . وقد هيأ بهذه الثقة وهذا الإيمان لأمته أسباب القوة والعزة والمنعة . . . الى أن يقول : ان قصة انتشار العرب فى آسيا وأوروبا وأفريقيا والحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التى قدموها للعالم هى

اعجوبة من اعجوبات التاريخ . لقد امتازوا بالروح العلمية الاستطلاعية مما يجلعهم يدعون بجدارة آباء العلم الحديث » .

فهل يحق لأحد بعد قراءة هذه الفقرات أن يقول : إن الدين أساطير وتقاليد تقف فى سبيل الحياة !

فالإسلام يناصر العقل والعلم ويرحب بالأفكار والنظريات العلمية الصحيحة والمكتشفات العلمية التى تخدم البشرية فى مجالات تكميل النفوس البشرية ويحارب الجهل والخرافة وكل ما يخالف العقل .

فالمسلمون بتمسكهم بدينهم أصبحوا مكتشفين ومنقذين قسماً من العالم من الجهل والخرافة بعكس اوروبا التى لم تظهر الحضارة الحاضرة فيها إلا بعد أن تغلب العلم الحديث على الكنيسة ورجال الدين فيها !

* * *

يقول المستشرق الايطالى : (ليبرتينى) فى كتابه : (الإسلام فى أمجاده)[1] : « إننى أكاد أعتبر أقطاب الأندلس وجزيرة العرب - عندما أضاء سناء الحضارة العربية بفضل جهادهم والعلم المنتشر فى ربوعهم - أكبر أعداء العالم . لأنهم لم يكتفوا بإفناء بعضهم بعضا ، بل تعدّوا ذلك الى وأد ألمع حضارة أوجدها انسان على وجه الأرض . وكانت لم تزل تترعرع فى أحضان النهضة الإسلامية الخارقة . فلو أتاح لها أربابها والعاملون على إشعال قبسها الوضاء الباهر أن تمشى فى سبيلها الى التكامل لما بقى على وجه الأرض إلا كل عربى أو مستعرب . ولما كان غير الإسلام ديناً للمجموعة البشرية . فاكتفى الناس شر الفتن والحروب والانقسام الى دول ونحل وملل لا يحصيها قلم أو تجمعها جامعة مهما سمت بجبروتها ومتين انسجامها » .

* * *

(١) المسلمون والعلم الحديث : للاستاذ عبد الرزاق نوفل .

يقول (نيتزه Nitza) : « إن القسيسين عوضاً من أن يفتحوا أبواب أوروبا للمسلمين والمبشرين بالدين الإسلامى وأن يخضعوا وينحنوا لهم تعظيما واجلالا شهروا سيوفهم فى وجوههم ، فأمسى الدين فى عرفهم عبارة عن مجموعة خرافات فحسب » .

وقد بدأت ترجمـــة معظم كتب المسلمين فى الفلسفة والطب والفلك والرياضيات الى اللغة اللاتينية منذ النصف الأول من القرن الثانى عشر ، وفى مقدمة هؤلاء (رايموند Raymond) رئيس أساقفة (توليدو) وحاكم مدينة (كاستيل) : (١١٣٠ — ١١٥٠ م) الذى شكل هيأة من المترجمين تولى رئاستها وأسماها : (Dominican Gondeslavi) .

وأما المسيحيون فقد جهلوا طوال العصور الوسطى محمداً (ص) نبىّ الرحمة ، وظلوا قرونا يعتقدون أن محمداً هو (إله) المسلمين . فكانوا يقولون بوجود وثن ذهبى يسمى محمداً (Mohom) وانه يمثل رسول الله . وإن كتاب العصور الوسطى قد نعتوا محمداً (ص) بنعوت كاذبة عجيبة ، فقالوا : « ليس محمد نبياً كاذبا وشاباً ماجنا فحسب بل رجل مخادع مخرب ، قاد نفوسا ضعيفة بعيداً عن جادة الصواب ، بعد أن مناهم بكثير من المتع ، معظمها متع شهوانية » !؟ .

وإن معظم هذه الاتهامات ترجع الى البيزنطيين الذين هوجموا من قبل المسلمين ، فعمدوا الى تشويه سمعة الاسلام باتهامات ما انزل الله بها من سلطان .

ومما يثير الدهشة أن قساً إسبانيا يُدعى (Euloguis of Cordova) رغم وجوده مدة طويلة بين المسلمين وتعرفه على كثير من حقائق الاسلام ، يذكر فيما كتب : « ان محمداً قد أخبر أن الملائكة ترفعه الى السماء بعد وفاته بأيام ثلاثة ورغم ذلك فقد التهمت الكلاب جثمانه العفن ! »[1] .

---

(١) الحضارة الاسلامية : تأليف : خدابخش ، المؤرخ الهندي ، وترجمة الدكتور علي حسني الخربوطلي مدرس التاريخ الاسلامي بجامعة عين شمس .

إن هذه الاتهامات قد شوهت سمعة الاسلام فى الغرب ، فأحدثت انطباعات سيئة أبعدت الغربيين عن الميل الى الإسلام واستقصاء ما فيه إلا من ساقه حب البحث والاطلاع كـ (كارليل) و (تولستوى) و (كوستاولوبون) و (برناردشو) وغيرهم . فكتبوا شهادات حقيقية عن الإسلام وبعض حقائقه .

فالواعظ (نيكلدوس) الذى عاش فى أواخر القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر طلب من اخوانه المسيحيين أن يتخذوا من الإسلام وصفات المسلمين مثلا عليا لهم وكان معجبا بدراسة القرآن فى مدارس بغداد وأثنى كثيراً على نظام الزكاة والوقف لأغراض الخير ، وشفقة المسلمين على الطيور والحيوانات وفكرة التوحيد الناصع فى الإسلام وكتابة المسلمين (بسم الله الرحمان الرحيم) فى أعلى الرسائل وخلعهم الأحذية قبل دخول المساجد وكرمهم وحسن ضيافتهم .

ولا ننسى كتاب (الاسلام على حقيقته) تأليف (شارل فوستر) سنة ١٨٢٩ وما كتبه (كوسان) و (ويل) و (ڤون كريمر) و (وليام ميور) وغيرهم مما أزاح كثيراً من الاتهامات .

ولنذكر دليلا على عدالة المسلمين هاتين الشهادتين :

نقل (توماس ارنولد) طرفا مما روته كتب الفتح فى كتابه الدعوة الى الإسلام :

(١) أنه لما بلغ الجيش الإسلامى وادى الأردن وعسكر أبو عبيدة فى (فحل) كتب الأهالى المسيحيون فى هذه البلاد الى العرب يقولون : « يا معشر المسلمين ، أنتم أحب الينا من الروم وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا » .

ومن ذلك أيضا :

(٢) ان أهل حمص أغلقوا أبواب مدينتهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين : أن ولايتهم وعدلهم أحب اليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم وإن كانوا على دينهم .

ولولا الكتب التى نشرت فى اوروبا فى القرن الحادى عشر للميلاد ، وهى مليئة بالاتهامات والشتائم وافتراءات غريبة وما قام به القوالون فى الطرق والشوارع ، لكانت نظرة اوروبا الى الإسلام غير ما نراه اليوم .

فواجب الشباب المسلم اليوم واجب خطير جداً . عليه أن يقوم بإزاحة ما ترسب من أكاذيب ومفتريات عن الإسلام فى الغرب وعرض الإسلام كما هو ببيان واضح وبلغات مختلفة وبذل النفس والنفيس فى هذا المضمار . فلا شىء يقرب العبد الى الله كهداية عباد الله وانقاذهم من الضلال .

ومما يبشر بمستقبل زاهر أن قد تأسس فى (جنيف Génève) مركز اسلامى : (Islamic Centre 333) لنشر حقائق الإسلام فى الغرب وكذلك تأسست جمعيات اسلامية فى (اليابان) : (ژاپن) تدعو الناس الى الإسلام .

• • •

ومما هو دليل على تقدم المسلمين فى الهندسة الى حد بعيد هو : أن أعظم جسر أقيم على نهر (التيمس) كان من صنع مهندسى العرب . وأن قباب معظم الكنائس الشهيرة فى (باڤاريا) كانت من صنع العرب . وأن الاسطول البحرى الهولندى الذى قهر الأساطيل الانكليزية فى معركة (ليزبونة) عام ١٥١٢ م كان من صنع العرب . وان الورق العبادى الذى كانت تستخدمه البلاد الأوروبية لتأليف الكتب ونسخ[1] المناشير الرسمية كان من صنع العرب . وان علم الجبر والفلك والجغرافية والمثلثات والتشريح والكيمياء كانت من وضع المسلمين . وان أول خريطة وضعت للكرة الأرضية

---

(١) استنساخ

كانت من صنع الإدريسى العربى الأندلسى ، كل ذلك : إستجابة لقوله تعالى : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب »[1] . (سورة ق : ٦ — ٨) . واستجابة لقوله تعالى : « قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض » . واستجابة لقوله تعالى : « ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار » .

ويقول العلامة (دوسن) : « إن المدنية الأوروبية بل المدنية الغربية كلها مدينة للمسلمين . ومن المدهش أن يصبحوا ـ وكانوا أول أمرهم على الفطرة ـ عنصراً فاتحاً ، ويعتبروا سادة لنصف العالم فى مائة عام . ومن أشد العجب حماستهم العظيمة وسرعتهم البالغة فى تحصيل العلوم وتكوين الثقافة اللازمة لعظمتهم . حتى وصلوا الى مستوى عالٍ فى مائة سنة . بينما نرى الجرمانيين ، لما فتحوا الأمبراطورية الرومانية . قضوا ألف عام قبل أن يقضوا على التوحش وينهضوا لإحياء العلوم » .

وفى مكتبات اوروبا اليوم آلاف الكتب التى ألفها المسلمون فى شتى العلوم . مما يدل على أن الاسلام دين يرافق العلم ويحث على العلم ولا تنافى بينه وبين العلم أبداً .

فالمسلمون قد نبغوا فى شتى العلوم . فهم الذين قد أبدعوا فى علم الكيمياء والطب وأوجدوا القوانين والدساتير التى هى أساس العلم الحديث . وبثوا المراصد واكتشفوا قواعد علم الفلك ونظموا الخرائط الجغرافية . وكان الأدب والشعر يلعب دوراً هاماً فى التعبير عن المكتشفات . فهم كانوا يعبرون أحياناً عن دستور رياضى أو قاعدة نحوية أو قانون هندسى الى غير ذلك

---

(١) منيب : أي راجع الى ربه .

بالنظم ، عدا النثر . وقد قرأت قبل اكثر من ثلاثين سنة قطعة شعرية ، هى دستور لحل المعادلات الجبرية من الدرجة الثانية فى كتاب ألفه استاذ الفيزياء الرياضية بجامعة استانبول : صالح زكى فى اربعة مجلدات أسماه : (الآثار الباقية) .

والمسلمون هم الذين أوجدوا (علم الجبر) . ولا يزال يعبر عن هذا العلم فى الغرب بنفس ما اصطلح عليه المسلمون : (Algèbre ، Algebra) . كما أن أسماء كثير من النجوم فى علم الفلك لا تزال باقية فى كتب الافرنج على ما اصطلح عليه المسلمون . والمسلمون هم أول من عرفوا اصول الرسم على سطح الكرة وقالوا بدوران الأرض على محورها وضبطوا حركة أوج الشمس وتداخل أفلاكها فى افلاك أخرى . وهم أول من عملوا الأسطرلابات وبنوا مراصد كثيرة . ولهم اكتشافات هامة فى المساحات والحجوم وتقسيم الزاوية . وهم واضعو الهندسة التحليلية . وقد أدخلوا تحسينات جمة على حساب المثلثات الكروية وأضافوا عليها وألفوا فى البصريات وحسبوا زاوية الخسوف . وكانوا قد تعرفوا الى استعمال التخدير فى العمليات الجراحية . حين أن الكنيسة كانت تحرم إذ ذاك ممارسة الطب انتظاراً منها لإتمام الشفاء على يد المناسك الدينية التى يقوم بها القساوسة تاركين ما خلق الله من أنواع العقاقير والأدوية لدفع ما يصيب الانسان من أمراض . وقد صنعوا الورق وأبدعوا فى صناعة المنسوجات وصنعوا السكر من القصب ونبغوا فى طرق الرى والزراعة العلمية .

يحدثنا العلامة : (هوليارد) استاذ الكيمياء بكلية (ايتون) والذى يُعتبر أعظم الأساتذة فى الكيمياء فى اوائل القرن التاسع عشر فيقول :

إن سبب نبوغه فى الكيمياء هو تعلمه اللغة العربية وتضلعه منها ودراسته ما اخترعه المسلمون فى علم الكيمياء .

• • •

وهذا : (جابر بن حيان) أملى عليه الإمام الصادق (جعفر بن محمد) عليهما السلام ، خمسمائة رسالة فى ألف ورقة عن الخواص الكيمياوية والطبيعية وكان الكيمياويون من قبله كخالد المتوفى سنة ٨٥ هـ يروون عن علىّ عليه السلام موازين الصناعة .

إن جابر بن حيان يُعد من أساطين علم الكيمياء وحجة فيه بلا نزاع . . وقد نبغ فى علوم أخرى أيضاً كالطب والفلسفة وقد ألف (٢٠٠) كتاب ، (٨٠) منها فى علم الكيمياء . وقد جاء بنظريات هامة فى علم الكيمياء تحققت صحتها من قبل علماء الغرب عندما بدأوا فى توسيع علم الكيمياء . وقد علمه الإمام الصادق عليه السلام طريقة تحضير (مداد مضيء) ، يستخدم فى كتابة المخطوطات الثمينة ، لإمكان قراءتها فى الظلام . وعلمه أيضاً طريقة صنع صنف من الورق غير قابل للاحتراق .

وهكذا (عز الدين الجلدكى) قد جاء بقوانين هامة فى علم الكيمياء : منها قانون النسب الثابتة فى الاتحاد الكيميائى ومن كتبه : (نهاية الطلب) ، (التقريب فى أسرار التركيب) ، ويبلغ كل منهما نحواً من ألف صفحة .

وهكذا قاد (أبو القاسم المجريطى) أكبر حركة كيميائية فى الأندلس .

فهل كان كل ذلك ، لأن الدين يعارض العلم ولا يوافقه فى شىء ؟ ! . . تلك هى سلعة غربية ، جاءت من معارضة الكنيسة للعلم وإعدامها كثيراً من العلماء فسرت الى الشرق والى شبابنا المثقف ، فتأثروا بها وتغيرت وجهة نظرهم الى دينهم القويم ، دون أن يتحملوا أعباء البحث والتنقيب !

• • •

وقد نبغ المسلمون فى علم الطب ، حتى ترى أن (وليم أوسلر) يقول فى كتابه : (تطور الطب) : « إن المسلمين أشعلوا سراجهم من القناديل اليونانية . وبلغت مهنة الطب عندهم أثناء القرن الثامن الى الحادى عشر للميلاد من المكانة والأهمية ما لا تكاد تجد له مثيلا فى التاريخ » .

ولا بأس بذكر ما جاء فى التاريخ العام للأفيس ورامبو :

« إن انكلترا ، كانت فى القرن السابع الميلادى الى ما بعد العاشر فقيرة فى أرضها ، منقطعة الصلات بغيرها ، تعترض الأمراض والأوبئة المتكررة المواشى والسائمة . وكانت أوروبا غاصة بالغابات الكثيفة . وتنبعث من المستنقعات الكثيرة فى المدن روائح قتالة ، لم يعرف أهلها النظافة » . ويقول (درابر) : « وكان من أثر ذلك أن عمت الجهالة أوروبا وساورتها الأوهام . فانحصر التداوى فى زيارة الاماكن المقدسة[1] ومات الطب

---

(١) إن لشفاعة أنبياء الله (ع) والأئمة (ع) والصلحاء من عباد الله (رض) وفى التوسل بهم الى الله تعالى أثراً بالغاً فى دفع المكروه وقضاء الحوائج . مع العلم أنهم « لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » . (سورة الأنبياء : ٢٨) . إنهم أبواب الله والوسيلة اليه باذنه تعالى . . انهم : « عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » .

وقد كتبت الجرائد معجزة للإمام على بن موسى الرضا (ع) قبل سنين : وذلك أن أمرأة اصيبت بداء السرطان ، وقد أثبت ذلك معهد الأشعة السينية (R. X) ويئس الاطباء من شفائها وقالوا انها تموت قريباً لا محالة ، فنذرت لله وتوسلت الى الله تعالى بالإمام الرضا (ع) . فرأت ، ذات ليلة فى ما يرى النائم : يقال لها : قد شفيت وما بك من داء . قامت من فراشها فرحة مستبشرة ، وعرضت نفسها على الاشعة والاطباء ، فلم يروا أثراً للسرطان ، فتعجبوا من ذلك وقالوا : « إن ما حدث ليس بحادث طبيعى وليس للطب العادى أن يفسر ذلك » .

ليس المراد من الإستشفاع أو التوسل الى الله تعالى بالأنبياء والاوصياء عليهم السلام ، أن نترك ما خلق الله من أدوية للأمراض تفضلا منه وما علم البشر =

وحيث أحابيل الدجالين . وكلما دهم البلاد وباء فزع رجال الدين الى الصلاة واغفلوا أمر النظافة ، وكانت الأوبئة تفتك بهم فتكاً ذريعاً » .

المسلمون هم أول من مارسوا العمليات الجراحية . مع العلم ، أن أوروبا كانت ترى ، فى القرن الثانى عشر الميلادى ، أنه لا يجوز للإنسان أن يغير ما خلق الله وأن يتصدى الى عملية جراحية ! حين أن المسلمين قاموا فى ذلك الحين بتأليفات جمة فى علم الجراحة وشرحوا الآلات التى كانوا يستعملونها فى كتبهم وهى تزيد على مائتى آلة عدا تأسيسهم مستشفيات ، بعضها للرجال وبعضها للنساء ، مقسمين المستشفى الى أقسام متعددة حسب نوع المرض ، وأقاموا معازل لعزل المرضى المصابين بأمراض مُعدية .

والمسلمون هم أول من أسسوا المستشفى السيار . فكان ينتقل هـذا المستشفى من بلد الى بلد ، مجهزاً بالأدوات والادوية والاطعمة والاشربة وملابس وصيدلية كاملة مع أطباء ، لاسيما حين حدوث وباء أو مرض

= من عمليات جراحية . فقد جعل الله تعالى لكل شىء سبباً . والشفاعة أو التوسل عند تعسر الامور وغلق الابواب العادية سبب من الاسباب ، إن أذن الله بذلك . والحديث القائل : داووا مرضاكم بالدعاء والصدقات ، ليس معناه أن نترك الطرق العادية التى هيأها الله لنا وألهمها ثلة من عباده ، ولكن ندعو ونتصدق مع المعالجة من طرقها والإلتزام بالنظافة والتعقيم الى حد بعيد ، كى لا يحدث خطأ فى المعالجة ولا يحدث اشتباه فى تشخيص المرض ومقدار الدواء وتسمم حين اجراء عملية جراحية واشتباه غير منتظر الى ما هنالك . فالدعاء والتصدق والتوسل والمعالجة والتعقيم والنظافة كلها أسباب هيأها الله تعالى لقضاء الحوائج والشفاء تفضلا منه ورحمة . . إنه تعالى يقول : « واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون » . (سورة البقرة : ٤٦) .

معد . والمسلمون هم أول من اكتشفوا وسائل التخدير واستعملوها فى العمليات الجراحية .

* * *

وان أجمل بناء من أبنية جامعة (برنستون) الأمريكية يحمل اسم طبيب مسلم هو : محمد بن زكريا الرازى . وانه أول من أسس الطب التجريبى ، وذلك بإجراء تجاربه الطبية العلاجية على الحيوان قبل تجربتها على الإنسان . وقد وضع (٢٢٩) كتاباً فى الطب ترجمت الى معظم اللغات العالمية ، وتقرر تدريسها فى كليات الطب ، كما انه اشتغل فى الكيمياء وألف فيها كتباً عدة .

كان الرازى رجلا متدينا ، يعالج الفقراء مجانا ويشترى لهم الدواء من ماله . ولذا مات فقيراً رغم شهرته الواسعة .

نعم ، إن رجال العلم فى الإسلام ما كانوا لينفكوا عن دينهم ، بل كان تعلقهم بدينهم تعلقا شديداً . يتعبدون فى أوقات معينة ويستعينون بالله فى حل مشاكلهم العلمية ، بصلاة يصلونها ، أو بدعاء أو صدقات .

* * *

وهكذا ابن سينا[1]، كان كلما أشكلت عليه مسألة ، توجه الى القبلة ، صلى ركعتين ودعا الله تعالى ، متضرعا ، فيلهمه الله تعالى ما يزيل مشكلته . كان قلبه متعلقا بالمسجد ، وقد يعتكف فيه إذا أعيته مشكلة أو عسرت عليه مسألة .

وابن سينا هو أول من قال : إن الإضطرابات النفسية تسبب اضطرابات معدية ، وقد تسبب قرحة المعدة . وهو الذى اكتشف الدورة الدموية فى الإنسان قبل (وليم هارفى) بـ (٦٠٠) سنة . وقال فى معالجة السرطان ما توصل اليه العلم الحديث . وكتابه : القانون ، هو من

---

(١) هو : أبو علي بن عبدالله بن سينا المعروف بالرئيس .

أكبر الموسوعات الطبية . وكان يدرّس فى مختلف كليات الطب . وكان أهم مرجع طبى لكل من أراد التخصص فى علم الطب .

وضع ابن سينا نظريات فى تكوين الصخور والجبال اتخذت أساسا لعلم طبقات الارض (Géologie) فى الوقت الحاضر .

ويقال عنه ، انه قال عند دنوّ أجله : « إن الذى كان يمدنى بقوة . قد أمسك عنى » . فاغتسل غسل التوبة وأنفق ما كان لديه واعتق مواليه وعبيده وصار يختم القرآن فى كل ثلاثة أيام ، حتى وافته منيته .

* * *

إن المسلمين اشتغلوا فى العلوم الطبيعية وتمكنوا من حساب الوزن النوعى للعناصر . ووجدوا أن الوزن النوعى للرصاص ١١,٣٣ . ويقرر العلم الحديث انه ١١,٣٥ . فالإختلاف يسير جداً .

كما أنهم اخترعوا بندول الساعة والآلات الدقيقة . واستعملوا (البوصلة) ، ووضعوا قوانين الصوت والضوء ، ونظريات فى كلا الموضوعين لا زالت تدرس حتى الآن . ويقال ان الغربيين اندهشوا عندما شاهدوا (ساعة) أهديت الى (شارلمان) ملك فرنسا . وقالوا : ان فيها جنيا يحركها .

وقد ألف ابن الهيثم (٤٧) كتابا فى الرياضيات والطبيعات و (٥٨) كتابا فى الهندسة وكتبا أخرى فى مواضيع شتى وهى مما مهد الطريق للكتشفات الحديثة .

* * *

وان كمال الدين الفارسى الذى عاش فى أواخر القرن السادس الهجرى يعتبر حجة فى علم الضوء بلا منازع .

وقد وضع أبو الريحان البيرونى فى كتابه : (الآثار الباقية) والذى يبحث عن (الإيدروستاتيكا) مثل صعود مياه الفوارات والعيون الى الأعلى

وعن تجمع مياه الآبار بالرشح الجانبي الى غير ذلك . ولا مجال لذكر ما وضع من كتب فى مباحث علم الفيزياء .

وقد نبغ المسلمون فى الزراعة وعلم النبات وأعمال الرى وتربية الدواجن ، ووضعوا فيها كتباً مفيدة . ومن أساطين هذا العلم : عبداللطيف البغدادى ، وضياء الدين البيطار ، ورشيد الدين الصورى .

والمسلمون عند دخولهم الى بلد جديد كانوا يهتمون بأمرين فى وقت واحد : (١) تنظيم الحدائق ، (٢) بناء المساجد .

* * *

ولا مراء أن : محمد بن موسى الخوارزمى ، يُعد واضع علم الجبر وقد ترجم كتابه فى الجبر الى لغات عدة .

والمهم أن العلماء المسلمين ما كانوا لينفكوا عن ذكر الله تعالى فى عملهم العلمى وتجاربهم العلمية . سواء حين التدريس أو الكتابة أو العمل فى المختبر . لذلك يقول الخوارزمى فى أول صفحة من كتابه : « يقول الخوارزمى بعد حمد الله : هادينا وحامينا » . ويقول فى مقام آخر : « وبالله توفيق فى هذه وغيره ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

وأما خواجه نصير الدين الطوسى . فهو معروف فى أوساط الغرب . إنه نابغة من نوابغ الرياضيات . يعتبر الطوسى كما قال بعض العلماء متفوقاً فى الهندسة لا على معاصريه فحسب ، بل وعلى علماء الهندسة فى العصر الحاضر .

وأما (ثابت بن قرة) فقد أخذ يستعمل الهندسة فى حل المعادلات من الدرجة الثالثة . وقد أخذ العالم الإيطالى : (جيرولاموكاردان) فى القرن السادس عشر عن (ثابت) طريقته هذه فى حل المعادلات من الدرجة الثالثة .

و (ثابت بن قرة) هو أول من وضع حساب التكامل والتفاضل وأوجد حجم الجسم المتولد من دوران القطع المكافىء حول محوره .

ولعمر الخيام حلول قيمة فى الهندسة ترجمت الى لغات أجنبية .

والمسلمون هم واضعو علم الفلك بأسلوب علمى صحيح مستعملين فى ذلك الهندسة والجبر وحساب المثلثات . وقد أسسوا مراصد عدة وكان فى (مراغة) مرصد كبير ، اشتهر بآلاته الدقيقة وأجهزته المتعددة .

• • •

وأما التاريخ والجغرافيا ، فقد نبغ المسلمون ودونوا فيهما كتبا مفصلة وموسوعات مشهورة وهم واضعو علم الإجتماع .

يقول المؤرخ (گوتيه) عن الشريف الادريسى : « إن الشريف الادريسى الجغرافى كان أستاذ الجغرافيا وهو الذى علم أوروبا هذا العلم وبقى معلما لها ثلاثة قرون . ولم يكن لأوروبا مصور للعالم إلا ما رسمه الادريسى » .

ولو أردنا أن نستقصى علماء الجغرافيا والتاريخ من المسلمين وما ألفوا من مؤلفات وما قاموا به من اكتشافات لاحتجنا الى وضع كتب متعددة فى هذا المقام .

وأبو عبد الله القزوينى اشتهر بأنه من علماء العلوم الطبيعية ومع ذلك فهو يعد من أساطين علمى التاريخ والجغرافيا وله مؤلفات فى الفلك والعلوم الرياضية مما يجعله فى القمة .

كان أبو عبدالله القزوينى رجلا متديناً ، وهو القائل : « ليس المراد من النظر تقليب الحدقة ، فإن الحيوان يشارك الانسان فى ذلك . ومَن لم يرَ من السماء إلا زرقتها ومن الأرض إلا غبرتها فهو مشارك للحيوان . وأدنى حالا وأشد غفلة ، بل المراد من النظر التفكير فى المعقولات والنظر فى المحسوسات والبحث عن حكمتها وتصاريفها لتظهر حقائقها » .

وكم من رجال العلم قاموا برحلات موفقة واستكشافات ناجحة وضحوا بحياتهم بغية العثور على ما فى الأرض من بقاع مجهولة .

* * *

ومما يدل أن للمسلمين كفاءة مرموقة فى الاختراع والاكتشاف حتى فى العصر الحاضر نبوغ بعض علماء المسلمين فى بعض المواضيع الحديثة . ومنهم المرحوم الدكتور على مصطفى مشرفة المصرى . فقد وضع رسالة علمية أثبت فيها خطأ وقع فيه (أينشتين) وصحح فيها خطأه . ولذلك ، قد اختاره (أينشتين) ليساعده فى أبحاثه . وهو الوحيد الذى زامل هـذا العالم فى أبحاث المادة والذرة (١) .

كان الدكتور على مصطفى مشرفة على جانب عظيم من التقوى وحب الله تعالى وتقديسه . وهو القائل : « إن المجد لا يبنى على القوة ، حتى ، ولا على العلم ، إنما يبنى على شىء آخر ، وهو ذلك القبس المقدس الذى نشعر جميعاً بأنه يميز الانسان على سائر الحيوان ، تلك القوة الروحية التى تحرك فينا حب الحق وحب الخير وحب الجمال . وعلى قدر استجابة البشر لذلك الداعى تأتى عظمتهم ورفعة شأنهم . وعندى ان ما وصل اليه الانسان من العلم وما ترتب على ذلك من قدرة واختراع إنما جاء على قدر طلبه للحقيقة وشغفه بالحق كما ان حب الحق وحب الخير إنما يتفرعان من حب الجمال . فالحق والخير جميلان . ولذلك من أحب الجمال أحبهما جميعا . ووددت لو استطعت أن أصور للقارىء فيض ذلك الجمال الذى يدركه طالب الحقيقة العلمية : ذلك التناسق البديع بين أجزاء الكون ! » .

وهو القائل : « اليوم ، وقد امتزج العالم بحياة الأمم والأفراد صار لزاماً على رجال العلم أن يبتعدوا عن الفلسفة المادية فى جميع صورها وأشكالها . كما صار لزاماً على الشعوب أن يتقبلوا رسالة العلم وأن يستعينوا

---

(١) المسلمون والعلم الحديث : الاستاذ عبد الرزاق نوفل .

بها على محاربة الشر ، وقد بينت أن الأرض لا تزال رحبة تتسع للناس جميعا وأن القوى الموجودة على سطحها قوى عظيمة ، فاذا استعان بها الناس على قضاء حوائجهم وسخروها لخيرهم ورفاهيتهم مستعينين بالعلم والروح العلمية ، كان لنا أن ننتظر للبشر مستقبلا يكفل طمأنينتهم وسعادتهم وسموهم » .

إسمعوا ماذا يقول (أينشتاين) نابغة القرن العشرين فى الفيزياء وعلم الذرة عن التوجه الدينى وأثره فى الاكتشافات . إنه يقول : « إن بصيرتنا الدينية هى المنبع وهى الموجهة لبصيرتنا العلمية » . لذلك كان كلما حاضر محاضرة فى النظرية النسبية يطلب الى المسؤولين أن يكون الناس أحراراً فى القيام بطقوسهم الدينية وتطبيقها .

* * *

يكفى فى تأييد الإسلام النواحى العلمية أن قد ورد فى القرآن الكريم لفظ العلم فى أكثر من (٥٥٠) موضعاً مما يدل على الحفاوة البالغة فى الدين الاسلامى بمفهوم العلم ومشتقات لفظ العلم . ولكن القرآن لا يدع مفهوم العلم مفهوماً مجرداً من التعليل والتوصل الى النتيجة العقلية الحتمية التى يجب أن تؤخذ من العلم بأسرار هذا الكون : ألا وهو الوصول الى (واضع العلم) وخالقه ومبدعه وهو الله جلت قدرته . أى يريد القرآن أن لا ينظر الفرد نظرة مادية الى ما أودع الله من دقيق الصنع والقوانين فى هذا الكون دون ارجاع هذا الصنع الى صانع حكيم قدير .

إن أول آية نزلت من القرآن الكريم هى : « إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم »[1] . فالله تعالى هو الذى علم الإنسان بما أعطاه من مواهب وقابليات أن يكتب بالقلم وأن يتعرف الى أشياء كثيرة من قوانين أودعها الله فى هذا الكون الواسع الأرجاء .

---

(١) سورة العلق : ١ — ٤

لذلك يقول (رينورت) : « يجب أن نعترف أن العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التى أنعشت أوروبا فى القرن العاشر مقتبسة من القرآن » .

* * *

ومما يؤيد اهتمام الاسلام بالعلم الى حد بعيد ، حث علىّ سلام الله عليه كثيراً من المسائل الرياضية والفيزيائية ، ذكرنا البعض منها فى نهاية الجزء الثانى من هذا الكتاب ، ووضعه أسس علم النحو . وقوله لكميل (رض) : « يا كميل ، لو شئت أن أصير من هذا الماء نوراً لفعلت » . يقول على (ع) هذا القول فى وقت لم تعرف الكهربائية وكيفية استخدام الشلالات فى تحريك (الدينامو) وايجاد التيار الكهربائى ومن ثم تأسيس المصابيح الكهربائية . ولم تعلم القوى النووية وتحطيم الذرة وتحرر طاقات هائلة : حسب دستور أوجده (أينشتاين) : ط = ك × س٢ . . أى أن الطاقة المتحررة من تحطيم ذرةٍ ما تساوى مربع سرعة الضوء مضروباً فى الكتلة .

لذلك يخاطب رسول الله علياً عليه السلام قائلا : « ليهنئك العلم يا أبا الحسن ، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلا » .

وقول على عليه السلام : « لو شئت أوقرت سبعين بعيراً من سورة الفاتحة » . دليل على أن الاسلام يرافق العلم ويعظمه .

* * *

وقد كان للمسلمين الفضل الأكبر فى ايجاد الطريق التجريبى فى الاكتشاف العلمى . لذلك يقول : (گوستاو لوبون) أحد فلاسفة اوروبا : « إن القاعدة عند العرب هى : جرّب وشاهد ولاحظ تكن عارفاً ، حين أن القاعدة كانت عند الأوروبى الى ما بعد القرن العاشر المسيحى . إقرأ فى الكتب وكرر ما يقوله الأساتذة تكن عالماً ! » .

ويقول (گوستاو لوبون) فى كتابه حضارة العرب : « إن العرب لم يظلوا طويلا معتمدين على كتب اليونان التى نقلت لهم . فقد أدركوا بعد لأى أن التجربة والترصد والمشاهدة خير من أفضل الكتب . ولذلك سبقوا اوروبا الى هذه الحقيقة التى تُعزى الى (بيكون) أنه أول من أقام التجربة والاختبار اللذين هما ركنا المناهج العلمية الحديثة . فالمسلمون هم أسبق الى نظام التجربة فى العلوم » .

لذلك يقول (گوستاو لوبون) : « إن المسلمين العرب وحدهم كانوا أساتذة الأمم المسيحية عدة قرون . ونحن الغربيين لم يُتح لنا الإطلاع على التراث اليونانى والرومانى إلا بفضل العرب ولم يستغن التعليم فى جامعاتنا عما نقل الى لغاتنا من كتب العرب إلا فى أزمان متأخرة » .

والحق ان ما يعرف اليوم باسم الطريقة (البيكونية) التى قوامها كما يقول (بيكون) : « اننا لا نستطيع أن نخضع الأشياء ما لم نخضع لها أولا » أى لا نتمكن من الاستفادة منها ما لم نكتشف قوانينها ، ترجع أصولها الى المسلمين المكتشفين الطريقة التجريبية . فتأثر بها (بيكون) وغير (بيكون) . لذلك يقول (سيديو) : الفرنسى فى كتابه عن تاريخ العرب : « ان ما يميز مدرسة بغداد هو الروح العلمية الحقة التى تسيطر على أعمالها . فالمضى من المعلوم الى المجهول ، وملاحظة الظواهر ملاحظة دقيقة من أجل الصعود بعد ذلك من النتائج الى الأسباب ، ورفض كل شىء لم يؤيد بتجربة . تلك هى المبادىء التى سادت والتى أشاعها كبار معلمى تلك المدرسة » .

ويقول (جيب) فى كتابه عن : (الاتجاهات الحديثة فى الإسلام) : « إن انصراف الفكر الى الحوادث الجزئية ، هيأ للعلماء العرب أن يذهبوا

---

(١) باكون (Bacon) : راهب فرنسيسكاني انكليزي ، من كبار علماء القرون الوسطى ، ومطبق الطريقة الاختبارية (التجريبية) .

الطريقة التجريبية الى أبعد بكثير مما فعله سابقوهم من يونان ورومان ، وانهم الأصل فى دخول الطريقة التجريبية الى اوروبا » . ويقول (همبولت : Humbolt) : « من الواجب أن يعد العرب المؤسسين الحقيقيين للعلوم الفيزيائية » .

يقول المؤرخ (جيبون) : ان ولاة الأقاليم والوزراء (يعنى فى البلاد الإسلامية) . كانوا ينافسون الخلفاء فى إعلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد فى الإنفاق على اقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلب العلم . وكانت نتيجة ذلك : أن ذوق العلم ووجدان اللذة فى تحصيله قد انتشر فى نفوس الناس من (سمرقند) و(بخارا) الى (فاس) و (قرطبة) . فقد أنفق وزير واحد لأحد السلاطين ـ هو نظام الملك ـ مائتى ألف دينار على بناء مدرسة فى بغداد . وجعل لها من الريع ليصرف فى شؤونها ما يعادل : خمسة عشر ألف دينار فى السنة . وكان عـــدد الذين يغذّون بالمعارف فيها (٦٠٠٠) تلميذ . فيهم ابن أعظم العظماء فى المملكة وابن أفقر الناس فيها . غير أن الفقير يُنفق عليه من الريع المخصص للمدرسة . وابن الغنى يكتفى بمال أبيه . وكان المعلمون ينقدون رواتب وافرة » .

وان الفيلسوف الامريكى (درابر) يعجب من وجود آراء علمية فى كتب العرب كان الغربيون يعتقدون انها لم تولد إلا فى عصرنا الحديث .

وان علماء اوروبا يقدرون ما للمسلمين من خدمات جمة فى الفلسفة ، لذلك يقول (رينان) : « إن (آلبرت الكبير) مدين لـ (ابن سينا) فى كل شىء وان (سان توما الأكوينى) مدين فى فلسفته لـ (ابن رشد)[1] . وفى الوقت الذى نرى أن المسلمين يعملون فى توسعة العلم الإنسانى نرى بمزيد الأسف

---

(١) على أنا لا نوافق (ابن رشد) في نظرياته الفلسفية كلها . ففيها نقـــاط ضعف لا توافق النصوص القرآنية وفلسفة الاسلام الحقة في شيء ، لا مجال الى ذكرها وردها هنا .

أن (الكاردينال : أكزيمنيس) يأمر بإحراق ثمانين ألف مخطوطة عربية فى الأماكن العامة بغرناطة » .

وها هو المستشرق النمساوى المسلم (ليوبولد ڤايس) يقول : ـ وما أصدقه ـ : « إن اوروبا لتعرف هذه الحقيقة حق المعرفة : أن ثقافتها مدينة للإسلام بتلك النهضة على الأقل بعد قرون من الظلام الدامس ، ولم يقف الاسلام يوماً سداً فى وجه التقدم العلمى . انه يقدّر الجهود الفكرية فى الإنسان الى درجة يرفعه فيها فوق الملائكة . وما من دين ذهب أبعد من الإسلام فى تأكيد غلبة العقل وبالتالى غلبة العلم على جميع مظاهر الحياة » .

* * *

يظهر من كل ما ذكر بشأن علماء المسلمين ومكتشفاتهم وما كانوا عليه من تمسك بالدين وتعبد وتهجد : أن العلم لا يعارض الدين فى شىء . بل ، إن الدين وتعلق الفرد بربه واستمداده من علم الله الذى لا يتناهى ، وطلب المعونة منه تعالى لكشف بعض أسرار الكون ، يفتح على المتتبع أبواب المعرفة . ثم ان الله تعالى يهيىء له بلطفه مصادفاتٍ واتفاقات غير منتظرة ، وعجيبة جداً ، يظفر بسببها العالم المتتبع بحقائق جديدة وخواص مجهولة قبلا ، لم تكن بالحسبان . كل ذلك لتوجهه الى الله تعالى ومكافأة له ازاء تعبه وتضحيته .

وأى تنافٍ بين دستور يجده المتتبع فى ربط العناصر بعضها ببعض أو ربط أجزاء العالم بعضها ببعض وبين عبادة الله فى أرضه والقيام بتزكية النفس وما أمر الله به من صلاة وصوم وزكاة وحج وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وانفاق وأعمال صالحات وما أكثرها . . . الخ .

بل هناك علاقة متينة بين ما يجده العالم من دساتير وبين واضع هذه الدساتير فى هذا الكون الرحيب . ثم الخشوع والخضوع ، بصلاة وتسبيح تجاه عظمة مَن وضع هذه الدساتير بهذا الاتقان المحير للعقول وهو

الله جلت عظمته . إذ أن ارجاع المعلول الى العلة أمر فطرى فى البشر ما لم تتلوث هذه الفطرة بخمور وفجور وبغى وظلم . أى ما لم تتلوث هذه النفس التى هى أعز الأنفس علينا بما يبعدها عن ساحات القدس . فقد جاء فى الحديث : « اذا أذنب العبد كانت نكتة سوداء على قلبه . فإن هو تاب وأقلع واستغفر صفا قلبه . وإن هو لم يتب ولم يستغفر كان الذنب على الذنب والسوداء على السوداء حتى يغمر القلب » .

فما على هذا الانسان إلا أن يقلع عن ذنبه حالا ، كى لا تتراكم ذنوبه ، فيسود قلبه ، فلا يبصر الواقع والحق وتتغلب إذ ذاك عليه المادية الحالكة ، فيتمسك ـ لا سمح الله ـ بالمادية العمياء ، وهو لا يعلم عن حقيقة المادة شيئا ! لذلك يستحب أن يستغفر العبد ربه ، عندما يأخذ مضجعه ليلا قائلا ثلاث مرات « استغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه » . كما يستحب له أن يستغفر الله بصوت خافت بعد التسبيحات الأربع فى الركعة الثالثة والرابعة من صلاة الظهر والعصر والعشاء .

* * *

وهكذا الفلسفة التى يتبناها الفيلسوف وغير الفيلسوف هى رشحات نفسه ، فإن كانت نفسه نفساً طاهرة زكية بعيدة عن الفسوق والعصيان مؤمنة بالله والبعث كانت فلسفتها فلسفة تناسب نفسه ، فلسفة قريبة الى الواقع وإن كانت نفسه نفساً لئيمة ، خبيثة ، مكارة ، غدارة ، قاسية ، متحجرة ، ففلستها تكون فلسفة هدامة ، سفاكة ، مخربة . لا ينبض فيها شىء من محاسن الأخلاق ، شىء من العطف والحنان . ففلسفة كل انسان مرآة نفسه .

وقد أخطأ (تنمان : Tenne mann) فى قوله « إن جملة عوائق وقفت تقدم المسلمين فى الفلسفة ، وهذه العوائق ترجع الى كتابهم المقدس الذى يتعارض ونظر العقل الحر » . وذلك لأن القرآن الكريم يدعو الناس

الى التفكير الحر وينهى عن التقليد الأعمى بقوله : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها »[١] . « إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[٢] . وبقوله : « إن فى ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون »[٣] . و « لآيات لقوم يعقلون »[٤] . « إن فى خلق السماوات واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولى الألباب »[٥] . « أفلا تعقلون »[٦] ، « وما يعقلها إلا العالمون »[٧] . وبقوله : « إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » .

وقد ذم الله تبارك وتعالى اولئك الذين لا يعقلون بقوله : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله . قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون »[٨] . وبقوله : « إن شر الدواب عند الله الصمُّ البكم الذين لا يعقلون »[٩] . وبقوله : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومَن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب »[١٠] .

الإسلام يريد منا أن لا نتقبل شيئاً دون تمحيص وتمييز وذلك بقوله : « فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب »[١١] .

وقد عظم أمر العقل والتفكير الى حد بعيد بقوله : « ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا »[١٢] .

وقد جاء فى حديث : « إنما يُداق الله العبادَ فى الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول فى الدنيا » .

---

(١) سورة محمد (ص) : ٢٤
(٢) سورة الرعد : ٣
(٣) سورة النمل : ١٢ ، وسورة الروم : ١٣
(٤) سورة البقرة : ١٦٣
(٥) سورة آل عمران : ١٩٠
(٦) سورة الانعام : ٣٢ ، وسورة القصص : ٦٠
(٧) سورة العنكبوت : ٤٣
(٨) سورة البقرة : ٦٥
(٩) سورة الانفال : ٣٢
(١٠) سورة البقرة : ٢٦٩
(١١) سورة الزمر : ١٨
(١٢) سورة آل عمران : ١٩١

واذا أردت أن تعرف مَن هو ذلك العاقل الذى يتبنى فلسفة حقة لا تزيغ به الأهواء ، فيميل الى هاهنا وهاهنا من مسالك ضالة مضلة . فانظر الى مايقوله الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حين يعرفنا (العاقل) انه يقول مخاطباً هشاماً أحد أصحابه : « يا هشام ، إن العاقل هو الذى لا يشغل الحلالُ شكره ولا يغلب الحرامُ صبرَه » . فمن كان مصداق هذا الحديث فانه يزيّف كل فلسفة بشرية ، ولا ترتاح نفسه إلا الى فلسفة الإسلام الحقة .

وإن كانت التجربة سند العلم الحاضر ، فليجرّب من كان يشك فى صحة هذا المقال ، ايرى كيف يخرجه الله تعالى من الظلمات الى النور بمنه . « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور . والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » .

القرآن وما فيه من فلسفة حقة لم يدع مجالا لظهور فلاسفة فى الشرق بالمعنى الذى يريده (تنمان) ، إلا اذا انحرف هذا الفيلسوف عن النصوص القرآنية وجاء بنظريات هوجاء تعبر عن هوى نفسه ! ذلك ، لأن حقيقة الوجود وما أودع الله فيه من كمال ووظيفة الانسان وما سخر له من عوالم شتى من جماد ونبات وحيوان وربط العوالم المختلفة بعضها ببعض كل ذلك مسطور فى كتاب الله الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »[1] ـ بتعبير واضح . « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين »[2] . « ما فرطنا فى الكتاب من شىء »[3] .

إلا أن هذه الفلسفة الحقيقية التى يضمها القرآن الكريم ، هذه الفلسفة الإلهية التى منّ الله بها على عباده من عالم الغيب أى من عالم غابت عنا حقيقته

---

(١) سورة السجدة : ٤٢
(٢) سورة النحل : ٨٩
(٣) سورة الأنعام : ٣٨

وليس لنا أن نصل الى كنهه ، لا يصل الى تفهم عمقها وأثرها فى تكامل البشر فيلسوف لم يخرج بعد عن ماديته الضيقة وهو ينظر الى الوجود نظراً سخيفاً متأثراً ببيئته ، فيلسوف ظن أن الاصطلاحات والظنون والمزاعم الباطلة ، أو تلفيق وجهات نظر فلاسفة متعددين (أو متفلسفين) تؤلف فلسفة حديثة أو تقدم معطيات جديدة فى عالم الفلسفة والعلم .

إن فلسفة هؤلاء ، هذه الفلسفة التى طابعها المادية ، هى وليدة نفوس متحجرة ، بعيدة كل البعد عن فلسفة الإسلام الحقة ، ان هذا البعد نفسه يجعل الفيلسوف الغربى ومنهم (تنمان) يزعم أن ليس فى القرآن فلسفة أو ان القرآن يتعارض ونظر العقل الحر ، انه يريد اصطلاحات وتلفيقات ليس من ورائها الوصول الى صلب الحقيقة والواقع وإنما هى ظنون وأهواء !!.. « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى »[1] .

• • •

اذا كان موضوع الفلسفة البحث عما وراء الطبيعة وكان ما هووراء المادة أو الطبيعة مجهولا لهذا الانسان لعدم وجود مقياس مشترك بين هذين العالمين ، فمن العبث أن يزعم أو يوقن هذا الانسان ان ما تمليه عليه نفسه (هذه النفس التى تتحول معطياتها من وقت الى وقت) هو الواقع الصحيح . أما الفكر البشرى ، فيعمل لأجل البحث عن خواص المادة والقوانين التى تتحكم فيها وليس له أن يقيس ما وراء الطبيعة على ما هو فى الطبيعة ، فيعمم ما يجده من قوانين ومعادلات فى الطبيعة على ما وراء الطبيعة ، وان قول الله تعالى : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » هو غاية ما يمكن أن يقال عن الروح مع ما نحن فيه من جهل مرير .

---

(١) سورة النجم : ٢٣

فما تقوّله الفلاسفة عن الوجود ، وعن الله تعالى ، وعما وراء الطبيعة لا يخلو عن مقترحات تنمُّ عن مرتبة نفوس أصحابها فى ساحات الكمال أو أودية التسافل وهو ليس من الواقع الحقيقى فى شىء . ذلك لأن العقل الفطرى ينحجب عن فعاليته واعطاء الحكم الصحيح عند تلوث النفس . « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ، فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه ، إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا ، وإن تدعهم الى الهدى : فلن يهتدوا إذن أبداً »[١] . « كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين[٢] ، لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين » . فهناك رابطة وثيقة بين معطيات العقل عن الفلسفة الحقة ودرجة تكامل النفس وتسافلها .

وأما فلسفة القرآن أو الحقائق التى أوحاها الله تعالى الى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، فهى الحق الصريح الذى لا غبار عليه ولا ريب فيه ، بعد اثبات نبوة محمد خاتم النبيين بالعقل والمنطق . ذلك لأن هذه الحقائق إنما جاءت من منبع صافٍ فياض . جاءت بوحى منه تعالى : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »[٣] . « وما من غائبة فى السماء والأرض الا فى كتاب مبين »[٤] .

* * *

وقد أضرت فلسفة اليونان وفلسفات اخرى بالإسلام ضرراً بالغاً . على أنه قد نبغ فى المسلمين من تفهم الفلسفة اليونانية وصححها على ضوء فلسفة الإسلام الحقة ، ومع ذلك كله لم ينجُ هؤلاء الفلاسفة من الزلل فى القول والابتعاد عن صريح القرآن . فالإسلام فى غنى عن استجداء فلسفة بشرية حالكة . فقد جاء فى (اصول الكافى) ، عن الصادق عليه السلام :

---

(١) سورة الكهف : ٥٨ (٣) سورة الملك : ١٤

(٢) سورة الحجر : ١٢ (٤) سورة النمل : ٧٥

« قال رسول الله (ص) . القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى ، واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الآخرة . فيه كمال دينكم . وما عدل أحد عن القرآن الا الى النار » .

ولا يعلم صحة ما قاله رسول الله (ص) الا من سلك مسالك الصلحاء ونهج مناهج الأتقياء ، عند ذلك يعلم أن لا فلسفة تطابق الواقع والمنطق الا فلسفة القرآن الحقة .

* * *

وكم للمنصفين من الغربيين من شهادات تنص على عظمة القرآن وانه كتاب الله المنزل « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

فقد قال : « ادموند بورك » الخطيب السياسى الانكليزى : « القانون المحمدى : (القرآن) قانون ضابط للجميع من الملك الى أقل رعاياه ، وهو قانون نسج بأحكم نظام قضائى وأعظم قضاء علمى ، تشريع لامع ما وجد قط مثله فى هذا العالم من قبل » .

وقد قال الكاتب (مراشى) : « من يتأمل آى القرآن يجد أن أساس الإسلام التوحيد وقطبيه التآخى وتحسين شؤون العالم تدريجياً بواسطة العلم . فهذه هى الأسباب الحقيقية لظهور الإسلام » .

وقال (المستر بيكتول) : « القرآن هو الذى دفع العرب الى فتح العالم ومكنهم من انشاء امبراطورية فاقت امبراطوريات اسكندر الكبير ، والامبراطورية الرومانية . سعة وقوة وعمراناً وحضارة ودواماً » .

وقال (گوستاو لوبون) : « ان القرآن لم ينشر الا بالإقناع لا بالقوة ، فاستطاع بذلك أن يجذب اليه الشعوب وتدين به تلك الشعوب » .

وقال (ريتونبورث) : « يجب أن نعترف أن العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة مقتبسة من القرآن ، فجميع العلماء مدينون له » .

ويقول أحد الغربيين الذين اعتنقوا الدين الإسلامى : « هل يتأتى لجميع فلاسفة العالم أن يثبتوا غلطة واحدة فى القرآن ، ولو ارتكنوا على كل ما فى أيديهم من العلوم العصرية ، لا يتأتى لهم ذلك . ولو وجدوا فيه خطأ صغيراً ما كانوا إلا مظهريه . ولكن أنى لهم ذلك !؟ والعلوم كل يوم فى تبدل وتغير . وفى كل لحظة تظهر معانٍ باهرة لآيات قرآنية ، ما كنا لنفهم معناها إلا بعد تقدم العلوم » .

« لأضرب لكم مثلا : كان الفلكيون يدعون أولا أن الأرض ثابتة والشمس متحركة (١) ، ثم قالوا : بل الأرض متحركة والشمس ثابتة ، ثم جاءوا اليوم يقولون : علمنا الآن أن كلا فى فلك يسبحون ، وان الشمس تجرى لمستقر لها . فمن هنا علمنا أن العلوم تتغير وتترقى والقرآن ثابت لا يتغير بالحوادث » .

« فإن وجد فى الكتاب الحكيم شىء لا نفهمه ، وجب علينا أن ننتظر رقى العلوم ، ولا نشك لحظة فى صحة القرآن » .

ثم يقول : « قصدت فى سياحاتى مدينة (بوتارليه) لمقابلة الدكتور (جرينه) المسلم الفرنسى الشهير ، الذى كان عضواً فى مجلس النواب ، للسؤال عن سبب دخوله فى الإسلام ، فعند الوصول والسؤال منه ، قال لى : « تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية التى درستها من صغرى وفهمتها جيداً فوجدتها منطبقة كل الانطباق مع معارفنا الحديثة ، فأسلمت ، لأنى تيقنت أن محمداً (ص) أتى بالحق الصراح ،

---

(١) لقد قال فيثاغورث قبل الميلاد : ان الارض تدور حول الشمس ، أي أن الشمس ثابتة والارض متحركة . وقد فات الكاتب أن يضيف ذلك . . . وقد بينا حركة الشمس في الجزء الاول مع شيء من التفصيل .

من قبل ألف سنة ، من غير أن يكون له مدرس من البشر . ولو أن صاحب كل فن من الفنون أو علم من العلوم ، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما يعلمه جيداً ، كما قارنت أنا ، لأسلم . دون ريب ، إن كان عاقلا ، خالياً عن الأغراض[1] .

• • •

يقول المؤرخ الكبير : (لوثرب ستودارد) فى كتابه (حاضر العلم الإسلامى) :

« قد سارت الممالك الإسلامية فى القرون الثلاثة الأولى من تاريخها (٦٥٠ — ١٠٠٠ م) أحسن سير . فكانت أكثر أصقاع العالم حضارة ورقياً وتقدماً وعمراناً ، مرصعة بجواهر المدن الزاهرة والحواضر العامرة والمساجد الفخمة والجامعات العلمية المنظمة ، وفيها بمجموع حكمة القدماء ومخزن علومهم يشعان اشعاعاً باهراً ، وما انفك الشرق الإسلامى خلال هذه القرون الثلاثة يرسل الى الغرب نوراً » .

ويقول : (گولدزيهر) تحت عنوان (الدين والمروءة) : « إن الأسلام رسم للحياة مثلا أعلى غير المثل الأعلى للحياة فى الجاهلية . وهذان المثلان لا يتشابهان وكثيراً ما يتناقضان ، فالشجاعة الشخصية والشهامة التى لا حدّ لها والكرم الى حد الإسراف ، والإخلاص التام للقبيلة ، والقسوة فى الانتقام ، والأخذ بالثأر ممن اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل ، هذه هى اصول الفضائل عند العرب الوثنيين فى الجاهلية ، أما فى الإسلام : فالخضوع لله والانقياد لأمره ، والصبر واخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين ، والقناعة ، وعدم التفاخر ، وتجنب الكبر والعظمة هى المثل الأعلى للانسان فى الحياة » .

---

(١) من مقال للاستاذ السيد أحمد الحسيني في مجلة « صوت المبلغين » التي تصدر بكربلاء .

ويقول : (ليودوروش) « إن الإسلام دين انسانى طبيعى اقتصادى أدبى ، ولم أذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعاً فيه ، بل إنى عدت الى الشريعة التى يسميها (جول سيمون) : (الشريعة الطبيعية) ، فوجدتها كلها أخذت عن الإسلام ، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين فى نفوس المسلمين ، فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرماً ، بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من حب الخير والرحمة والمعروف فى عالمَ لا يعرف الشر واللهو والكذب » .

ويقول (ماسينيون) : « يمتاز الإسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة بمساهمة كل فرد من أفراد الشعب بالعشر من موارد الجماعة ، والإسلام ينبذ التبادل غير المقيد ، كما يناوئ الأموال المصرفية فى حين أنه شديد التمسك بحقوق الولد والزوجة والملكية ورؤوس الأموال التجارية . فهو بذلك يقف موقفاً وسطاً بين البورجوازية الرأسمالية والشيوعية البلشفية . وللإسلام ماضٍ بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها ، وليس من مجتمع آخر له مثل ما للإسلام ماضٍ كله التوفيق فى جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة فى الحقوق والواجبات ، ولقد برهنت الطوائف الإسلامية الكبرى فى إفريقيا والهند والهند الشرقية والجماعات الصغيرة منهم فى الصين واليابان على أن الإسلام يستطيع أن يوفق بين العناصر التى لا سبيل الى التوفيق بينها » .

* * *

ولكى نعرّف الإسلام أنه دين الفطرة والتسامح ، لا بأس بذكر شهادة (سيرت . و . أرنولد) فى كتابه : (الدعوة الى الإسلام) : « ومن هذه الأمثلة التى قدمناها آنفاً عن ذلك التسامح الذى بسطه المسلمون الظافرون على العرب المسيحيين فى القرن الأول من الهجرة ، واستمر فى الأجيال

المتعاقبة ، نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبـــائل المسيحية التى اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وارادة حرة . وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون فى وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح » .

حقق الله على أيدى العاملين المجاهدين : أن يدين العالم أجمع بدين الفطرة : دين الإسلام ، دين العقل والمنطق ، فيقول كل فرد من أبناء العالم :

« ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم ، فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار »[1] .

* * *

وهكذا نرى (الإسلام) دين العلم والعمل الصالح ، قد حقق على أيدى المسلمين كثيراً من المكتشفات فى شتى الحقول حتى عُدوا مؤسسى النهضة العلمية الحديثة فى أوروبا ، ولم يكتف الإسلام بالحث على العلم فحسب ، بل أراد للبشر الاستمرار فى البحث والاستزادة من العلم دوماً وذلك بقوله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « وقل ربِّ زدنى علما » .

غاية ما هنالك : يريـــد (الإسلامُ) أن يرافق الورعُ والتقوى العلمَ والمكتشفات ، كى يترشح منهما[2] اليقين بالله وكتبه ورسله وبعوالم القدس وحياة لا ظلم فيها ولا فساد . وذلك بقوله جل من قائل :

« أمنْ هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب »[3] .

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٣

(٢) التقوى والعلم .

(٣) سورة الزمر : ٩ ، قانت : طائع ، مواظب على الطاعة .

من حقائق القرآن

« والسماءَ بنيناها بأيدٍ وانا لموسعون »

فى القرآن الكريم (٧٥٠) آية كونية، هى عصارة ما توصل اليه العلم الحديث، لاسيما فى القرن الإخير . وإنها معجزة خالدة ما بعدها معجزة . كل ذلك ، لكى يعتبر هذا الانسان بهذا الكتاب السماوى ويعلم أنه منزل من ربه لهدايته ، ويعلم أنه لم يُخلق عبثاً وإنما خُلق لغاية ساميـــة تتناسب وعظمة خالقه : « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » . (سورة الدخان : ٣٨ — ٣٩) .

إنه تعالى يقول نحن بنينا السماء بقوتنا وقدرتنا ونحن نوسع السماء ونوسعها حيث لا يعلم مدى هذا التوسع والإمتداد إلا الله تعالى .

كان (أينشتاين) يريد أن يحسب وزن العالم : (الكتلة) أى وزن ما فى الكون من كواكب وأنجم وأجرام ، ثم عدل عن هذا الرأى لما رأى أن نجوماً تتشكل حديثاً ونجوماً أخذت تقطع مراحل الكهولة وقد أوشكت أن تبيد .

وقد ثبت أخيراً أن الأجزاء النائية من الكون تندفع فى الفضاء بسرعة مخيفة ، وأن الكون آخذ بالتوسع بسرعة فائقة .

يقول علماء الفلك : إن مجموعتنا النجمية تشمل مائة بليون من النجوم أو أكثر . وإن ما بين النجوم ممتلىء بالغازات ومواد مختلفة ، خلاف ما كان يتصوره بعض الناس قبل ذلك . وان التحليل الطيفى للنجوم البعيدة جداً قد دل بصورة قطعية على وجود الغاز الكونى بين النجوم والمجرّات بحالة تخلخل شديد جداً ، إذ قدرت كثافته بنحو ميليغرام واحد فى كل مليون

ميل مكعب من الفضاء . وهذا الغاز مكون كله تقريباً من غازى الإيدروجين والهليوم ومن دقائق ترابية .

قد ثبت أن النجوم كلها متحركة « كل يجرى لأجل مسمى » وأن مواضعها بالنسبة لبعضها البعض قد تغيرت . ولكن لكونها بعيدة عنا جداً أى بعيدة عنا ملايين السنين من السنين الضوئية لا نشعر بحركتها ، فلا تتبدل خارطة السماء إلا فى بضع مئات من آلاف السنين . وأما السنة الضوئية فهى ما يقطعه الضوء بسرعته الكبيرة خلال سنة واحدة من أميال أو كيلومترات . وبما أن الضوء يقطع فى الثانية (١٨٦ ٠٠٠) ميل أو (٣٠٠ ٠٠٠) كيلومتر تقريبا . وان السنة تعادل (٣١ ٥٣٦ ٠٠٠) ثانية . إذن : ٦٠ × ٦٠ × ٢٤ × ٣٦٥ × ١٨٦٠٠٠ ميل = ٥٨٦٥ ٦٩٦ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل وهو ما يقطعه الضوء من أميال خلال سنة واحدة . أى ٦ مليون مليون من الأميال على وجه التقريب . أو ١٠ مليون مليون كيلومتر تقريبا .

وقد علم أن متوسط سرعة النجوم فى حركتها الى جهات شتى هو (٢٠) كيلومتراً فى الثانية . فالشمس مع سياراتها (عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشترى ، زحل ، أورانس ، نبتون ، بلوتو) وتوابعها من أقمار تتحرك بسرعة تبلغ (١٩٫٥) كيلومتراً فى الثانية الواحدة بالنسبة للنجوم القريبة حولها أى أن الشمس مع سياراتها وتوابعها تتحرك بهذه السرعة الهائلة : (سبعين الف كيلومتر فى الساعة تقريبا) على شكل لولبى نحو نجمة فى السماء تسمى بالنسر الواقع . وتتحرك بسرعة أخرى فى فلك حول مركز المجرة .

والمجرة هى منطقة طويلة من النجوم تمتد فوق رؤوسنا كالقوس ويمتد من أفق الى أفق وقد تركزت فيها النجوم أكثر تركز وتكثفت فيها بعضها فوق بعض أكبر تكثف ، أو هى كالطريق فى السماء ازدحم بسالكيه

ازدحاماً وما سالكوه إلا النجوم . على أن فى السماء مثل هذه المجرة التى فوق رؤوسنا مجرات متعددة لا تعد ولا تحصى .

وقد دلت الأبحاث على أن نجوم كل مجموعة فى المجرة فضلا عن دورانها فى أفلاك بعضها حول بعض ، فانها جميعاً تتحرك بحركة مشتركة حول المحور الأصلى العمودى على الدائرة الإستوائية للمجرة .

فالأجرام تدور فى مجموعتها فى أفلاك ثابتة بالنسبة لبعضها البعض وفى الوقت ذاته تدور كل مجموعة بأجرامها المتلازمة حول المحور الأصلى للمجرة فى فلك خاص .

وقد دلت البحوث الدقيقة من التحليل الطيفى للمجرات الخارجية على أنها تتباعد عنا ، أى يتباعد بعضها عن بعض باستمرار وسرعات عظيمة جداً تقدر بآلاف الأميال فى الثانية الواحدة . فعلم أن الفضاء يتمدد بين المجرات ويتسع باستمرار . وان هذا التمدد يقدر بمائة وخمسة أميال فى الثانية الواحدة لكل بعد قدره مليون سنة ضوئية . وعُلم أن حجم الفضاء العالمى الآن يبلغ نحو عشرة أمثال حجمه منذ بداية تمدده . أى أن كل بعد من أبعاده الثلاثة قد زاد قليلا على ضعف ما كان عليه أولا . وعُلم أيضاً أن هناك من النجوم حجومها ملايين المرات قدر حجم الشمس .

ولقد أمكن باستعمال أجهزة خاصة التعرف الى نجوم قد أرسلت ضوءها منذ ملايين السنين ولكنه لم يصل الينا لحد الآن . فعلينا أن نتصور سعة الكون الذى خلقه الله تعالى وهو يتسع يوماً بعد يوم بأمره تعالى كما اتسع بامره حتى بلغ ما عليه اليوم .

وعُلم أيضا بعد مشاهدات دقيقة أن هناك ملايين من مجرات خارجية منتشرة فى الفضاء كما بينا وأن كل مجرة مؤلفة من بلايين النجوم .

يقول (سير جينز) : إن أكثر هذه المجرات منتشرة انتشاراً منظماً فى طبقات متتالية يبلغ متوسط البعد بين بعضها والبعض الآخر نحو مليون

ونصف من السنين الضوئية مع العلم ان الضوء يقطع ٦ مليون مليون من الأميال (تقريبا) فى سنة واحدة .

يقول الأستاذ (كامو) : إن (هبل) مدير مرصد (مونت ولسن) الذى له أبحاث هامة عن المجرات الخارجية : قد سبر أغوار الفضاء بمرقب مرصده الكبير وتوغل فيها فتمكن من النظر الى مسافات سحيقة تقدر نحو خمسمائة مليون سنة ضوئية . وقد أحصى من المجرات الخارجية نحو مائة مليون مجرة وإنه يحتمل وجود مجرات أخرى على مسافات أعظم من هذه التى شاهدها (هبل) .

ويقول : إن أبعاد هذه المجرات الخارجية تتضاءل بجانبها أبعاد النجوم فى مجرتنا التى يبلغ قطرها نحو مائة الف سنة ضوئية وسمكها نحو عشرة آلاف سنة ضوئية .

وقد دل الحساب الرياضى من المشاهدات الدقيقة : على أن أبعاد المجرات الخارجية عن مجرتنا مذهلة . إذ وجدوا أن أقربها منا ، ويدعى سديم : (أندرو ميدا العظيم) يبعد بنحو ستمائة وثمانين الف سنة ضوئية . ثم تزيد أبعاد المجرات بعد ذلك الى ملايين ، ثم عشرات الملايين ، ومئات الملايين من السنين الضوئية . فما أوسع فضاء هذا الكون وما أعظم ما خلق الله العلى القدير .

اذا كانت شمسنا هذه تبعد عن أقرب نجمة اليها ٢٦ مليون مليون ميل ، فإن الصاروخ يجب أن يسير بسرعة الضوء أى بسرعة (١٨٦٠٠٠) ميل فى الثانية ، مدة أربع سنوات وأربعة أشهر تقريبا كى يصل الى أقرب نجمة الينا . وأنى للصاروخ أن يسير بهذه السرعة العظيمة وأن يقطع فى الثانية الواحدة (١٨٦٠٠٠) ميل أو (٣٠٠٠٠٠) كيلو متر . مع العلم أن أسرع ما وجد من الأجسام المادية السريعة (عدا الأرواح طبعاً) هو الضوء . وكل ما كان اكثف من الضوء كانت سرعته اقل . ويقال إن سرعة الأمواج

الهرتزية هى بقدر سرعة الضوء تقريبا وهى طاقة كهربائية . فلا يمكن أن توجد واسطة مادية سرعتها بقدر سرعة الضوء على ما ثبت فى الفيزياء . وعلى فرض الإمكان فنحتاج من العمر مئات الملايين من السنين كى نصل الى بعض النجوم التى نشاهدها بآلاتنا الحاضرة ، شريطة أن نسير بسرعة الضوء . ومما لا شك فيه أنه مع تقدم العلم سوف يمكن (باذن الله) كشف آلات أدق وأمتن ، فيرى إذ ذاك من النجوم والمجموعات النجمية والمجرات ما لا يمكن رؤيته فى الوقت الحاضر .

إن الله تعالى يقول : « تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »[1] . فيصعد الملك أو جبرائيل فى ما خلق الله من أكوان فى يوم مقداره خمسون الف سنة ، وبما أنه لا يمكن قطع ما خلق الله تعالى من مسافات شاسعة وأكوان متعددة بسرعة الضوء وإن استمر السير ملايين ملايين من السنين ، إذن وجب أن نقول أن سرعة سير الملك أضعاف اضعاف سرعة سير الضوء .

وقد عُلم اخيراً أن فى الفضاء منظومات شمسية تعدُّ بالملايين تشبه نظامنا الشمسى ، أى أن كلا منها له سيارات فُتقت منه وتدور حوله وتوابع واقمار فتقت من سياراتها وتلفُّ حولها وانه بسبب أبعاد النجوم الساحقة وضآلة الضوء المنعكس من السيارات وضعف قوة المراقب : (Telescopes) الحالية لا يمكن اثبات وجود هذه الأنظمة (المنظومات الشمسية) بالمشاهدة الفعلية .

فانظر كيف تتحقق الآية الكريمة : « والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون » وقد نزلت فى وقت لم تكن هناك مراقب (تلسكوبات) ، ولم يكن يعلم احد أن هذه السماء تتوسع يوماً بعد يوم بنظام خاص اودعه الله فيها وطاقات

---

(١) سورة المعارج : ٤

هائلة جهزها الله بها . فقد حدث انفجار فى الشمس سنة ١٩٥٦م قُدرت الطاقة المتحررة، فكانت تعادل طاقة ١٠٠ مليون قنبلة هيدروجينية مع العلم أن طاقة قنبلة هيدروجينية تعادل طاقة الف قنبلة ذرية . والقنبلة الذرية لا تبقى ولا تذر ! فسبحان الذى خلق هذه الطاقات الهائلة بإرادته وشكلها كما يشاء بحكمته ، وأودع فيها من النظم والقوانين والمعادلات كما أراد بتدبيره . وهو القائل : « ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم »[١].

إن الإنسان ليندهش حين يرى أن علياً عليه السلام يجيب عندما يسأل عن المسافة بين السماء والأرض . بقوله : « دعاء مستجاب » . ذلك لأنه ليس هناك عدد يمكن أن يُعبر به عن هذه المسافة التى لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى . إلا أن يقال : « دعاء مستجاب » . فإن الله تعالى لا يخلو منه مكان وهو القائل : « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد »[٢] . . . « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة . إن الله بكل شىء عليم »[٣] .

فهل يجدر بهذا الإنسان أن يركبه الغرور ، فيترك عبادة ربه ، هذه العبادة التى تأخذ بمجامع قلبه وتجعله سائراً فى عوالم الملكوت ، سائراً فى ساحات القدس ، حيث لا دنس ولا رجس . سائراً فى عوالم من الاطمئنان والحبور ما لا يمكن أن يقاس بأفراح هذا العالم المادى وما يترشح من المادة الصماء ، منغمراً فى موسيقى العالم اللانهائى تاركاً العالم المادى الضيق الحالك وراء ظهره .

فطوبى لنفوس عرفت لماذا خُلقت ، فازدادت معرفة بالله تعالى وحققت

---

(١) سورة الكهف : ٥٢

(٢) سورة ق : ١٦

(٣) سورة المجادلة : ٧

الغاية الرفيعة التى خلقت لأجلها . وهو القائل كما جاء فى حديث قدسى مخاطباً ابن آدم : « خلقتُ الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلى » . « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمونِ . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين »[١] .

أيجدر بهذا الإنسان أن يعثو فساداً فى الأرض والله تعالى يقول : « كلوا واشربوا ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » . كل ذلك : لأنه جاء بصاروخ أدواته من خلق الله ، وتركيبه بعقل أوجده الله . مع علمه أن هذا الصاروخ مركب من (٣٠٠ ٠٠٠) قطعة مرتبة ترتيباً هندسيا دقيقا لو تخلفت احدى القطع عن الترتيب الهندسى لفشل الصاروخ ووقف عن الإنطلاق ، فكيف لا يعظم ولا يقدس خالقه الذى جهز مخه بـ (٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠) عصب لكل واحد منها وظيفته ، فلو جسّ أحدها حدثت عوارض تختلف عما لو جس غيره . ولو حسبنا بحساب رياضى (حساب الاحتمالات) نرى أن ليس هناك أية صدفة تجعل عشرين مليون عصب تترتب بهذا الترتيب الدقيق حتى تتوارد عليها الإحساسات فتشعر الروح بواسطتها بما حدث . فهى دونما تشبيه كآلة الراديو . فكما أن الراديو ليس هو الصوت والمتكلم هكذا هذه الأعصاب الكثيرة فى المخ الانسانى ليست هى الروح والانسان وإنما واسطة لتحسس الروح أو النفس . وحسب ما هو مقرر فى حساب الاحتمالات : إن الاحتمال الذى يجعل عشرين مليون عصب تترتب ترتيباً هندسيا فيؤدى الى انتاج مطلوب هو واحد من ١٠ متبوعة بعشرين مليون صفر إلا صفراً واحداً ، أى : واحد من ١٠ مرفوعة الى قوة عشرين مليون . ومعلوم ان

مآل نسبة : $\frac{١}{١٠^{٢٠\,٠٠٠\,٠٠٠}}$ أو : $\frac{١}{١٠^{٧} \times ٢}$ هو الصفر

(١) سورة الذاريات : ٥٦ — ٥٨

ولما كان ما خلق الله من عوالم مختلفة من جماد ونبات وحيوان وما رتب لكل منها ترتيباً دقيقاً لا يُعد ولا يحصى إذن تصبح النسبة :

$$\frac{١}{\infty_{١٠}} = \frac{١}{\infty} = ٠$$ فلا صدفة أبداً .

على أن للمفكر أن يقول : ومن أين جاءت هذه الأجزاء التى كل منها بدورها مشكل من جزيئات أخرى بصورة دقيقة وهندسية وهكذا دواليك حتى ينتهى بنا الى جهل الواقع .

« فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »[١] .

كيف لا يفكر هذا الانسان أن من يأتى بتركيب هذا الانسان العجيب لا يخلق عبثاً ولا يوجد لاهياً ، وان وراء هذا الخلق غاية رفيعة سامية . ألا وهى معرفة الله تعالى وهو القائل كما جاء فى حديث قدسى : « كنت كنزاً مخفيا فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق لكى أعرف » . فلا بد من أنبياء ولا بد من دساتير تقرب النفوس الى الله تعالى . وهو القائل : « لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين »[٢] .

ولكنها الذنوب والفجور والخمور ، تراكمت دون توبة واستغفار على قلب هذا الانسان فحجبته عن رؤية الحق والواقع وأعمته : « إن أعمى العمى عمى القلب » فصار لا يؤمن إلا بالمادة العمياء ، وسول له شيطانه مزاعمه وصار يتشدق ويعزو كل شىء حتى الأخلاق الى المادة والوضع الاقتصادى وكأنه جاء بفلسفة ! وفهم سر الحياة متهما غيره بالرجعية والخرافة ! « ومن يعشُ عن ذكر الرحمان نقيض له شيطانا فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى اذا جاءنا قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين »[٣] .

---

(١) سورة الحج : ٤٦ (٢) سورة الانبياء : ١٧

(٣) سورة الزخرف : ٣٦ — ٣٨

ما اعظم هذا الحديث ، حيث يشرح تأثير الذنوب فى النفس : « اذا أذنب العبد كانت نكتة سوداء على قلبه ، فإن هو تاب وأقلع واستغفر صفا قلبه . وإن هو لم يتب ولم يستغفر كان الذنب على الذنب والسوداء على السوداء حتى يغمر القلب » . لذلك يستحب أن يستغفر كل منا عندما يأخذ مضجعه ليلا قائلا : ثلاث مرات : « استغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه » . كى لا تتراكم ذنوبه بعضها على بعض فيسود قلبه ، فيأتى دور الإنكار والجحود : « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون »(١) .

« ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا ، به الحق ، واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا »(٢) .

ولكن مهما يكن من شىء فان الغلبة للمؤمنين فى هذا العالم على قلتهم . ذلك لأن الله تعالى يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »(٣) . فلا بد من تضحية ، لا بد من جهاد . وهو القائل : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا وإن الله لمع المحسنين »(٤) .

---

(١) سورة العنكبوت : ٤٩
(٢) سورة الكهف : ٥٧
(٣) سورة الحجر : ٩
(٤) سورة العنكبوت : ٦٩

فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون

— ١ —

إن الله جل وعلا يُقسم بما نراه وبما لا نراه مما خلق من عوالم شتى : عالم الجماد وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الإنسان وعالم الأرواح وعالم الجن وما فى السماء من عوالم لا تُرى حتى بأدق الآلات .

والقسم بما خلق قسمٌ بعظمته تعالى وبالدقة المتناهيـــة التى أودعها فى مخلوقاته ، وارتباط هذه المخلوقات بعضها ببعض ارتباطاً وثيقا يحير الألباب : « ما ترى فى خلق الرحمان من تفاوت . فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ، ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » . ذلك لأن الإنسان كلما تقدم فى تحقيقاته وتجاربه ، كلما ظفر بدساتير جديدة كانت تخفى عليه ، وخواص عجيبة وسعة لا تتناهى ودقـــة لا تستقصى ، أودعها الله فى أرجاء هذا الكون الرحيب .

فيحق لله تعالى أن يقسم بعظمته التى ـ لا تتناهى ـ هذه العظمة التى تتجلى فى ما نبصره وما لا نبصره .

إن قابلية الإنسان فى الإبصار قابلية محدودة ، لذلك يستعين بآلات شتى : (المجهر : Microscope) كى يُبصر الدقيق من الأشياء ، كالميكروبات والجراثيم التى يجب أن تكبر آلاف المرات بل عشرات الآلاف ، كى يمكن رؤيتها ، أو يستعين بالمرقب : (Telescope) لـــيرى فى مسافات شاسعة ما خلق الله من كواكب وأنجم وشموس ومجرات وما أودع الله فى الفضاء من مادة غازية قليلة الكثافة جداً .

• • •

قد بلغ ببعض الأفراد فى اوروبا التسافل فى النفس حتى صاروا يجحدون

الروح والنفس والملائكة ، يجحدون الخالق جل جلاله وكل ما لا يرى بالعين ويؤمنون بكل ما يرى بالعين .

حين أن العين ذات قابلية محدودة . فهناك كثير من الأشياء كان ينكرها المادى سابقاً لعدم وجود آلات يبصرها بها ، ثم اعترف بها بعد اكتشاف آلات تساعد على الرؤية . وكذلك اليوم ، هناك كثير من الأشياء لا ترى حتى بأدق الآلات ولكنها سوف ترى فى مستقبل قريب عندما تكتشف آلات جديدة ودقيقة جداً .

لذلك تنقسم الموجودات الى : منظور وغير منظور . فكل ما يراه الإنسان بعينه المجردة أو بالمجاهر أو بالمراقب أو الأجهزة المقربة وكل ما فى السماء وما تحت الأرض وما فى قاع المحيطات وما فى السحب : كل ذلك من العالم المنظور . وأما العالم غير المنظور فهو ما لا يمكن رؤيته بالآلات أو بالعين المجردة ولكنه موجود ، يحكم العقل بوجوده أكثر مما يحكم بوجود المنظور كالخشبة .

فهناك أشعة لا ترى بالعين ولا بالآلة : أشعة غير منظورة . أى أن هناك أشعة مرئية وأشعة غير مرئية . وإن الأشعة المرئية هى جزء صغير من الصورة الكلية للضوء . والأشعة غير المرئية أكثر تفرعاً وتأثيراً من الأشعة المرئية . لذلك أخذ يقول علماء الضوء : إن كلمة (ضوء) أو (حزمة ضوئية) أو (إشعاع) قد لا تدل على حقيقة الضوء ، والأولى أن يقال : (الطاقة المشعة) ، لتدل على جميع أنواع الإشعاع : المرئى منها وغير المرئى .

على أن العلم الحديث لم يصل الى حقيقة الضوء كما لم يصل الى حقيقة القوى أو كل شىء قوانىّ (منسوب الى القوة) ، لم يصل الى حقيقة القوة الجاذبة وحقيقة الكهرباء . وإنما تُفرض فروض فيفسر بها بعض الظواهر ، ثم تخمد تلك الفروض بعد برهة من الزمن ويُعوض عنها بفروض أو فرضيات

(Hypothèses) أخرى يمكن تفسير الظواهر القديمة والجديدة بها معاً وهكذا دواليك . .

فالعلم الحديث لا يتيسر له الولوج الى اعماق الأشياء والوصول الى حقائقها التى لا حقيقة بعدها . وهو يعمل دوماً للوقوف على أسرار الأشياء واذا به يقف أمام اودية جديدة من المجاهيل تدهش الألباب .

فمن تلك الأشعة غير المرئية : الأشعة السينية (X Rays) ، أو اشعة (رونتكن) . هذه الأشعة تخترق الأجسام التى لا يمكن أن يخترقها الضوء العادى ! وقد اكتشفت بالصدفة . إنها قوية جداً ذات موجة قصيرة . فإن طول موجتها (١٠٠٠٠) مرة اقصر من طول موجة (الضوء المنظور) .

ومن الأشعة التى لا ترى بالعين (ولو بالآلة) الأشعة الجيمية (أشعة گاما) . وهى ذات موجة قصيرة ايضاً ، اقصر من طول موجة الأشعة السينية .

ومن الأشعة التى لا ترى : الأشعة (فوق البنفسجية Ultra - Violet) فان طول موجتها اطول من طول موجة الأشعة السينية واقصر من طول موجة الضوء المرئى .

ومن الاشعة غير المرئية : الاشعة (دون الحمراء) فى شعاع الشمس . وهى موجات حرارية نحسّ بها ولا نراها وهى تصل الى الاعصاب والعضلات ، ولا يحس فيها الفيلم العادى للتصوير .

وقد استخدم الإنسان الانواع المذكورة من الاشعة فى الكشف عن أمراضه ومعالجة كثير منها وقد استخدمها أيضا فى الغذاء والدواء .

وقد علم أن الاشعة . فوق البنفسجية التى هى فى شعاع الشمس ، تقتل كثيراً من الجراثيم المضرة . وقد جاء فى الشرع المحمدى (ص) : أن أحد المطهرات هو الشمس . فتطهر الارض النجسة أو الابواب أو الجدران أو الاشجار أو الثمار التى عليها (من غير المنقول) والحصران والبوارى (من

المنقول) بعد زوال العين : بإشراق الشمس عليها حتى تجف ، وإن كان ما ذكر جافاً فيصب عليه الماء حتى تجففه الشمس بالإشراق عليه .

وهكذا موجات الراديو ، وموجات الرادار الذى يكتشف وجود الأشياء فى الفضاء ويحدد مكانها بالضبط من النوع غير المنظور .

• • •

وقد تكون بعض الأجسام المادية ، فى وقت ، من نوع غير المنظور ، لعدم وجود آلات تكشف عنها . وبعد اكتشاف آلات جديدة ودقيقة وتقدم الفيزياء والرياضيات العالية ، تصبح من النوع المنظور .

مثال ذلك : ما كان يعلم قبل (١٠٠) سنة أن فى كل مجرة عدداً كبيراً جداً من النجوم تكاد تعد بالملايين تسودها أنظمة كالنظام الشمسى . أى أن كلا منها شمس فى حد ذاتها وقد فتقت منها سيارات وفتقت من السيارات هذه توابع وأقمار تدور حول الأم وتدور فى الوقت نفسه حول نفسها . فاذا تقدمت الآلات الفلكية ، سيأتى اليوم الذى يُتلافى فيه ضآلة الضوء المنعكس من الأنجم التى تقع فى مسافات لانهائية وسوف نشاهد أنجماً وعوالم كانت سابقاً من نوع غير المنظور .

لذلك يقسم الله تعظيما لشأن ما خلق من عوالم لا تتناهى ، عوالم لا ترى بالعين المجردة ولا بالآلات بقوله : « فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون » .

كما أنه كان يعد سابقاً الغاز الموجود فى الفضاء بين النجوم والذى اكتشفه اخيراً العلم الحديث من غير المنظور ، وقد امسى منظوراً أوملموسا محسوسا . ذلك لأن كثافة هذا الغاز تساوى ميليغراماً واحداً فى كل مليون ميل مكعب من الفضاء .

* * *

فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون

— ٢ —

ومما لا يمكن إبصاره : الذرة ، فانها من الصغر بحيث لا يمكن للإنسان أن يبصرها حتى بأدق الآلات . وقد اصبح اليوم التعرف الى (الذرة) وما أودع الله فيها من تركيب وقوانين ومعادلات من أهم العلوم الحديثة وأدقها واصعبها . واصبح علم الذرة علماً هاماً يُتخصص فيه بعد دراسة الفيزياء العالية على ضوء الرياضيات العالية . لذلك يجدر بنا أن نتكلم على الذرة ـ وهى من النوع (غير المنظور) مما خلق الله تعالى ـ بشيء من التفصيل .

كان يقول : (ديموقراطيس (Démocrite) الفيلسوف اليونانى منذ زمن بعيد[1] : إنه لو قسمت قطعة من الحديد مثلا الى جزئين ، ثم قسم أحد الجزئين الى جزئين آخرين ايضاً وكررت هذه العملية مرات متعددة جداً ، فاننا سنصل الى مرحلة لا نتمكن فيها تقسيم الجزء الأخير الى جزئين آخرين مع الاحتفاظ بخواص الحديد ، أى أنه لو قسم الجزء الأخير ايضاً لا نحصل على الحديد بل يكون شيئاً غير الحديد ، فصار يسمى الجزء الأخير الذى لا يمكن تجزئته بـ (جزء لا يتجزأ) . وهذا ما يسمى اليوم بالذرة : (آتوم : Atome) ومعناها فى اليونانية غير المنظور .

إن البحوث الأخيرة فى علم الفيزياء أيدت هذه النظرية وبرهنت على صحتها . وذلك أن كل عنصر كالحديد أو الذهب يمكن تجزئته الى اجزاء متعددة الى مرحلة يقف امكان التجزئة فيها مع الاحتفاظ بخاصية ذلك العنصر ، حتى نبلغ الى جزء لا يتجزأ أى جزء لا يمكن تقسيمه وتجزئته

---

(١) قبل الميلاد بخمسة قرون .

مع الاحتفاظ بخاصية ذلك العنصر ، أى لا يكون بعد ذلك جزىء الحديد حديداً أو جزىء الذهب ذهباً . والذرة هى هذا الجزىء الذى لا يتجزأ .

إن العالم المادى مكون من عناصر مختلفة : كالحديد والذهب والفضة والكاربون وغاز الهيدروجين (أو الإيدروجين) وغاز الاوكسيجين . الخ . واصبح عدد هذه العناصر التى اكتشفها العلم الحديث : (١٠٠) عنصر لحد اليوم .

وقد اعلن فى عام ١٨٩٧ (السير تمسون) وغيره انهم تمكنوا من ان يفصلوا من جميع انواع الذرات التى هى فى حالة تعادل جسيمات متساوية فى الوزن وذات شحنات كهربائية سالبة متساوية ، اطلقوا عليها اسم (الألكترونات) بالنسبة لشحنتها السالبة ، وان ذلك يدل على ان (الذرة) المتعادلة ، لابد ان تكون مكونة من جزيئين احدهما : موجب التكهرب والأخر : سالب التكهرب ، ومن شحنتين كل منهما مساوية ومضادة للأخرى . وكان ذلك اول اكتشاف علمى عن امكان تجزئة الذرة . ولكن وقفت الإكتشافات العلمية فى هذه الناحية مدة من الزمن حتى كشفت المواد المشعة ودرست احوال انحلالها الذاتى .

ويقال عن (مادام كورى) مدرسة الفيزياء فى جامعة (صوربون) : إنها قد وضعت فى جيب ثوبها بالقرب من الصدر قطعة من الراديوم قد نسيتها وبعد مدة شعرت بخدشة فى صدرها وكانت تعلم وزن تلك القطعة قبلا ، فلما فتشت عن سبب تلك الخدشة علمت أن الراديوم هو الذى اثر فى صدرها بإشعاعاته ووزنت القطعة من جديد ، فوجدت نقصاً فيها وعلمت ان قسما من المادة قد تحولت الى طاقة : (إشعاعات) .

كما ان (بيكريل) العالم الفرنسى كشف فى آخر القرن التاسع عشر بمحض الصدفة ! ودون ترتيب سابق اشعاعا غريبا غير مرئى ينبعث من احد مركبات عنصر (اليورانيوم) ـ اثقل العناصر المعروفة ـ ، ورأى ان هذا

الإشعاع الغريب يؤثر فى مادة اللوح الفوتوغرافى كأشعة الشمس ، وعلاوة على ذلك : ينفذ هذا الإشعاع خلال الاجسام غير الشفافة .

فعلم بعد هذا الاكتشاف ان كل ما فى الكون من مظاهر مادية وجميع ما هنالك من عناصر : (كالحديد والراديوم) وجدت من شىء واحد هو الطاقة : (Energie) ، وان هذه الطاقة هى القوة الكهربائية السالبة التى تتجلى فى الألكترونات (Electrons) وفى القوة الكهربائية الموجبة التى تتجلى فى (البروتونات) (Protons) وكهربائية متعادلة : موجبة وسالبة وتتجلى فى النيوترونات (Neutrons) . وعلم ان العالم المادى هى قوى كهربائية : موجبة وسالبة أو طاقات هائلة تكدست فكانت ذراتٍ واجساما ، فليس هناك مادة بالمعنى الذى يفهمه المادى . وإنما هى قوى وطاقات خلقها الله بقدرته وارادته ، ورتبها ترتيبا بديعا ، خاضعا لمشيئته تعالى ، فكانت هذه الذرات وهذه العناصر وهذه الأجسام والمواد .

وخلاصة ما قلنا : إن الذرة مكونة من :

١ - بروتونات موجبة .

٢ - الكترونات سالبة ، شحنتها مساوية ومضادة لشحنة البروتونات .

٣ - ومن نيوترونات ، كل منها مكون من اتحاد بروتون موجب والكترون سالب .

فتكون الذرة فى مجموعها مكونة من جزئين ، أحدهما موجب التكهرب : (كهربائية موجبة) والآخر : سالب التكهرب : (كهربائية سالبة) . وشحنتاهما متساويتان ومتضادتان .

وهذا مما يجعلنا أن نتصور العالم مكونا من جسيمات مكهربة . لذلك كان يقول (أينشتاين) : ان العالم مجموع قوى كهربائية ومغناطيسية أو (كهرطيسية) . فأين المادة التى يتشدق بها المادى . ضاربا يده على منضدته قائلا : هذه هى المادة ! .

تصوروا دائرة كبيرة (أو بالأحرى كرة كبيرة) نصف قطرها طويل جداً فهذه هى الذرة . توجد فى مركز هذه الذرة دقائق صغيرة متجمعة تسمى بنواة الذرة وفيها البروتونات وهى الكهربائية الموجبة أى شحنتها موجبة ، وان وزن الذرة أو وزن المادة هو وزن هذه النواة أى البروتونات (أو الكهربائية الموجبة) تقريباً .

إن عدد البروتونات فى ذرة كل عنصر يختلف عن الآخر . فمثلا عدد البروتونات فى نواة ذرة الحديد لا يساوى عـــدد البروتونات فى نواة ذرة الأورانيوم (يورانيوم) . ففى نواة كل ذرة من كل عنصر عدد معين من البروتونات .

وفى محيط الدائرة (أو الكرة التى تصورناها) عدد معين من الألكترونات (كهربائية سالبة) مجموع شحناتها مساوٍ لشحنة النواة وفى حالة تعادل معها وتتحرك بسرعة عظيمة حول النواة تبلغ مئات الأميال فى الثانية لكى تمنع سقوطها عليها تحت تأثير التجاذب بينهما . وان كتلة النواة تبلغ بضعة آلاف المرات قدر كتلة مجموع (الألكترونات) . ويفصل بينهما أى بين النواة والألكترونات الدائرة حولها فراغ هائل . وان حجم كل منهما ضئيل جداً بالنسبة لحجم الذرة الذى كله فراغ تقريبا . وقد صور (رذرفورد) تكوين الذرة بصورة المجموعة الشمسية وقد ادخل عليها بعض التعديلات . وهذا دليـــل على عدم تناهى ما أودع الله من خواص وقوانين فى دقائق هذا الكون !! ..

قلنا إن الالكترونات وهى عديمـــة الوزن تقريباً تدور بسرعة هائلة حول مركز الذرة (البروتونات) وهى تقع عن المركز بفواصل معينة كما فى النظام الشمسى . وإن الأبعاد بين الألكترونات الدائرة ونواة الذرة هى تقريباً تساوى الأبعاد بين الشمس والكواكب السيارة حولها مع حفظ النسبة . فإذن كل ذرة هى مجموعة شمسية .

وقد ذكر الفيلسوف العربى : فريد الدين العطار : أن ذرات العالم فى عمل مستمر وانه توجد فى كل ذرة شمس ظاهرة وروح باطنة .

وقال : هاتف الاصبهانى الذى توفى سنة ١١٩٨ هجرية :

دل هر ذره راكه بشكافى آفتابيش درميان بينى

أى اذا كشفت عن باطن كل ذرة لألفيت شمساً فى وسطها .

فهو قد توصل الى كشف هذه الحقيقة بإلهام ربانى ونور قذفه الله تعالى فى قلبه . فقد جاء فى الحديث وما أعظمه : « العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء » .

وكم قذف الله من أنوار فى قلوب المخترعين والمكتشفين وكم هيأ لهم صدفاً تمكنوا بها من العثور على حقائق جديدة . وكم كان شكرهم وخضوعهم قليلا ! تجاه نعم الله التى لا تعد ولا تحصى . . .

وكذلك ، فالألكترونات وهى شحنات كهربائية سالبة يختلف عددها فى كل ذرة باختلاف العناصر . كالحديد والفضة والذهب مثلا . وعدد هذه الألكترونات التى تدور بسرعة هائلة فى محيط الذرة يساوى دائما عدد البروتونات التى هى وسط الذرة . وان لحركات الألكترونات وسيرها فى أفلاكها الخاصة بسرعة فائقة آثارها العجيبة لا مجال الى ذكرها . وان حركة الألكترونات هى من الانتظام والدقة مما يجعل أن يعترف الفيلسوف الفرنسى (هانرى بركسون) : (Henri Bergson) بخالقه وأن يقول : « إن يداً غيبية تعمل فى تنظيم هذه الحركات المنظمة لإيجاد أوحدوث تيار كهربائى وأمواج كهربائية مختلفة وتفاعلات كيميائية الى غير ذلك مما سيكشفه العلم الحديث » .

تصوروا الذرة عادة على أنها كرة غلافها الخارجى سحابة زغبية من الألكترونات تكوّن معظم حجم الكرة تقريباً ، وبالرغم من ذلك فإنها

لا تكاد تكون شيئاً من وزن الذرة . ويحدد عدد الألكترونات فى هذه السحابة خواص الذرة الطبيعية والكيموية .

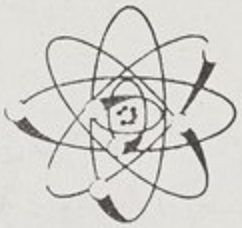

الذرة : هى أصغر جزء من المادة وتتركب من نواة بها بروتونات ونيوترونات ويحيط بها الكترونات

شكل (١) الذرة

* * *

قلنا إن الذرة تبلغ من الصغر بحيث لا يمكن رؤيتها بأدق الآلات وهى من « ما لا تبصرون » ، أى من نوع غير المنظور . ذلك ، لأنه لو وضعت عشرة ملايين ذرة بعضها جنب بعض على شرط الكروية يكون طول ذلك كله ميليمتراً واحداً . ومعنى ذلك أن معدل قطر الذرة هو $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠٠}$ من الميليمتر . وان قطر (نواة الذرة) يساوى واحداً من مائة الف جزء من الذرة أى يساوى $\frac{١}{١٠٠٠٠٠}$ من الذرة . إذن قطر نواة الذرة يساوى $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠}$ أى واحداً من ترليون جزء من الميليمتر أو $\frac{١}{١٠^{١٢}}$ مم . واذا جمعنا من نوى الذرة مليارد نواة فلا يمكن رؤيتها مع أقوى المجاهر : (Microscope) ، ومع ذلك فقد عبأ الله تعالى فى هذه النواة طاقة (قوة) عجيبة خارقة تدعى : (بطاقة النواة) . وان الطاقات (القوى) المدمرة عند انفلاق القنبلة الذرية إنما هى نتيجة تحرر هذه القوى الخارقة من نواة الذرة الضئيلة . فان كيلوغراما واحداً من الأورانيوم : ٢٣٥ يطلق حين تحطيمه طاقة بقدر ما يطلق ٢٥٠٠٠٠٠ كيلوغرام من الفحم !

فسبحان الذى أودع هذه القوة الخـــارقة فى نواة (الذرة) وأجرى الألكترونات التى لا يمكن أن ترى بأية آلة حولها ، وهذا مما يقسم الله تعالى به بقوله : « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » . لما هنالك من عظمة خارقة وإتقان فى الخلق ما بعده اتقان .

• • •

قلنا إن نواة الذرة مؤلفة أو مكونة من نوعين من الدقائق :

١ - البروتونات وفيها شحنة كهربائية موجبة . والبروتون جسيم صغير ثقيل نسبياً ، يبلغ وزنه ١٫٦٧٣ × ١٠ $^{-٢٤}$ من الغرام (وهو محمل بشحنة كهربائية موجبة) .

٢ - نيوترونات . وهى متعادلة من حيث الكهربائية أى تتعادل فيها الشحنة الموجبة مع الشحنة السالبة . ووزن النيوترون = ١٫٦٧٤ × ١٠ $^{-٢٤}$ من الغرام .

وأما الألكترونات فتدور حول النواة بسرعة هائلة تبلغ (٣٦٠ ٠٠٠) ميل فى الساعة وهى ذات شحنة سالبة ووزنه ٩ × ١٠ $^{-٢٨}$ من الغرام .

وهناك فضاء واسع أو فراغ رحيب بـــين النواة (نواة الذرة) وبين الألكترونات التى تدور حولها .

يختلف عدد البروتونات فى نُوى ذرات العناصر المختلفة وكذا عدد الالكترونات التى تدور حول النواة ، مع العلم أن عدد الالكترونات فى ذرة كل عنصر يساوى دائماً عدد البروتونات فى ذرة نفس العنصر . فيعتبر عدد البروتونات الموجودة فى نواة كل ذرة عدداً دالا على عددها الذرى أو رقم ترتيبها فى الجدول الدورى . أى أن العدد الذرى يساوى عدد البروتونات الموجودة بها .

وفى مركز الذرة ، كما قلنا ، توجد البروتونات والنيوترونات مكدسة بعضها مع بعض فى وسط الذرة ، إذ أن حجمها عبارة عن جزء من

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢ من حجم الذرة كلها . فإذا كان حجم الذرة فى حجم منزل كان حجم هذه المجموعة لا يتجاوز حجم رأس دبوس . ولبيان مدى تكدس هذه الجسيمات ، فأن حجماً منها يزن ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٤٨٠ مرة قدر وزن نفس الحجم من الماء .

تصوروا دائرة كبيرة وضعوا بروتونا واحداً فى مركزها وضعوا : الكترونا واحداً على محيط الدائرة . فهذه تمثل لنا ذرة الإيدروجين (وهو غاز فيه قابلية الاحتراق) وأحد عنصرى الماء .

فى ذرة الإيدروجين وهو أخف العناصر يوجد : بروتون واحد فى الوسط والكترون واحد فى المحيط يدور حول البروتون بسرعة هائلة وبينهما فضاء أو فراغ واسع رحيب .

ويليه من حيث الوزن : (الهليوم) وهو غاز غير محترق يُملأ به المناطيد (بالون) .

فى ذرة (الهليوم) يوجد (بروتونان) فى الوسط و (نيوترونان) فى الوسط أيضاً ويوجد فى مدارها الخارجى الكترونان . شكل : ٢

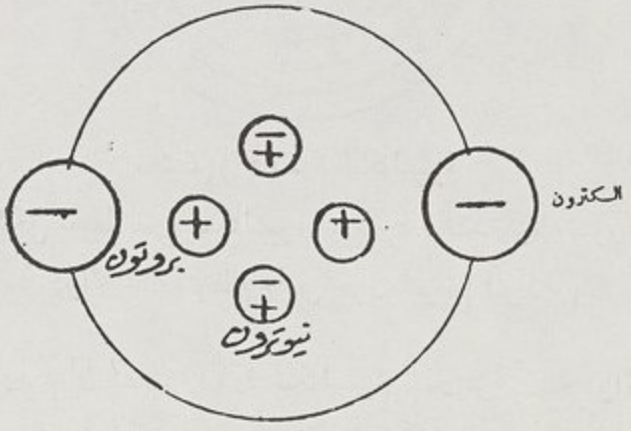

شكل (٢) ذرة الهليوم
الكترونان يدوران حول بروتونين
وفى النواة أيضاً يوجد نيوترونان

وأما العنصر الثالث من حيث الوزن فهو : (ليثيوم) . يوجد فى نواة ذرة الليثيوم ٣ بروتونات ومعها ٤ نيوترونات ، وتدور فى الأطراف حول النواة ٣ الكترونات : الكترون واحد على المحيط تماماً واثنان منها على محيط دائرة أخرى من الداخل بالقرب من المحيط الأصلى .

وهناك عنصر آخر يسمى بـ (نئون) . فان فى ذرتها (١٠) الكترونات ، يدور إثنان منها على محيط دائرة قريبة من المحيط الأصلى وتدور (٨) الكترونات على المحيط الأصلى تماماً . وأن الدائرتين متقاربتان . ومتحدتا المركز .

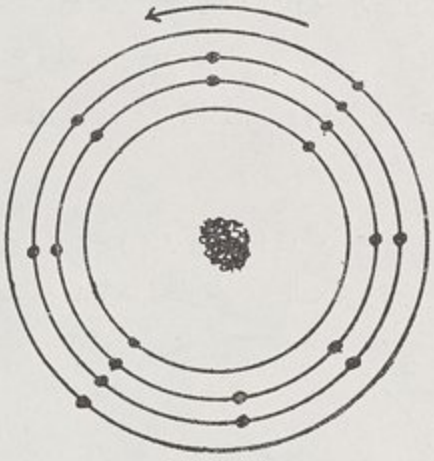

شكل (٣) ذرة الكالسيوم

شكل مبسط لذرة الكالسيوم ، (٢٠) الكتروناً تدور فى دوائر مختلفة بنظام خاص حول النواة (المركز) .

وإذا أردتم أن تتصوروا ذرة الكالسيوم فارسموا أربع دوائر متحدة المركز . وضعوا : الكترونين فى نقطتين متقابلتين على الدائرة الأولى من الداخل وضعوا على كل من الدائرتين الثانية والثالثة (من الداخل الى الخارج) ٨ الكترونات فى نقاط متقابلة أى (طرفى القطر) ، وضعوا فى

الدائرة الرابعة و(هى محيط الذرة الخارجى) الكترونين فى نقطتين متقابلتين، وهذه الألكترونات تدور حول البروتونات بسرع هائلة ونظام بديع كما أمرها الله تعالى : « ألا له الخلق والأمر » .

وأما ذرة : (الأورانيوم) أو (يورانيوم) فيوجد فى نواتها : (٩٢) بروتونا ومن (١٣٦) الى (١٤٧) نيوتروناً تصاحب البروتونات فيها . ويوجد (ذرياً) : ١٢ نوعاً من الأورانيوم يُشبه بعضُها البعض ، ولها تقريباً نفس الخاصية . وفى نواة كل من هذه الأنواع (وهى ١٢ نوعاً) يوجد ٩٢ بروتوناً ولكنها تختلف من حيث عدد النيوترونات . وتسمى هذه الأنواع من العناصر المتشابهة : (النظائر Isotope) أو (المماكنات) .

والنظائر هى العناصر التى تتساوى ذراتها من حيث عدد البروتونات وعدد الألكترونات ولكنها تختلف قليلا فى عدد النيوترونات التى فى نواها . وفى الحقيقة هى عنصر واحد . وهذا الاختلاف فى عـــدد النيوترونات لعنصر واحد يؤدى الى اختلاف فى أوزانها الذرية .

وإذا جمعنا عدد النيوترونات مع البروتونات فالمجموع يعطينا العدد الكتلى (Mass Number) أو الوزن الذرى . كما أن الفرق بين الوزن الذرى والعدد الذرى يساوى عدد النيوترونات .

وأن النظائر أو التوائم أو المتشابهات الخاصة بعنصر معين لها جميعاً نفس التفاعلات والخواص الكيميائية . وبما أنه ما يحـــدد هذه الخواص الكيميائية هو عدد الألكترونات الخارجية وبالتالى عدد البروتونات التى فى النواة ، وعلى ذلك ، فالنظائر الخاصة بعنصر ما لها عدد ذرى واحد ، وإنما تختلف فى أوزانها الذرية أى تختلف بإختلاف عدد النيوترونات فيها . والوزن الذرى = عدد البروتونات + عدد النيوترونات . . إذن فالنظائر لعنصر ما كالأيدروجين مثلا هى ذرات نفس العنصر تختلف بعضها عن بعض بسبب اختلاف عدد النيوترونات الداخلة فى نواة كل ذرة أو توأم

أو نظير من النظائر المختلفة الخاصة بذلك العنصر .

وقد علم أنه يوجد ٣ نظائر للأيدروجين . و ٣ نظائر للفوسفور و ٥ نظائر للكبريت و ٦ نظائر للكالسيوم ويمكن توضيح النظائر الثلاثة الخاصة بالإيدروجين بالأشكال (٤ ، ٥ ، ٦) :

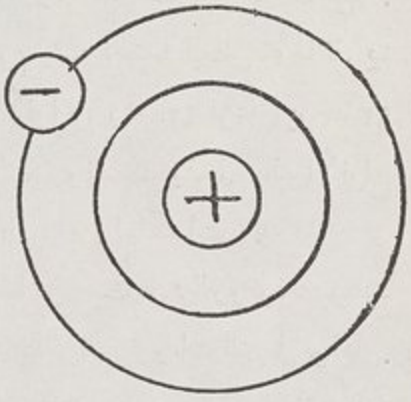

شكل (٤)

الإيدروجين Hydrogen

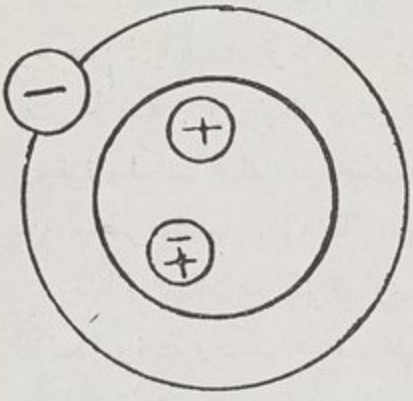

شكل (٥)

الإيدروجين الثقيل Deuterium

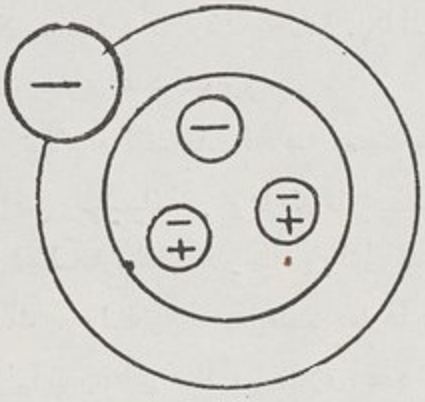

شكل (٦)

الإيدروجين الثلاثى Tritium

إن هذه النظائر الثلاثة تشترك جميعاً فى شىء واحد وهو : أن فيها جميعاً

الكترونا واحداً فى مدارها الخارجى ، وكذا پروتونا واحداً فى نواتها ، أى أنها جميعاً لها عدد ذرى واحد . بينما نرى أنها تحتوى على عدد مختلف من النيوترونات فى النواة .

فالإيدروجين العادى لا يحتوى على نيوترونات إطلاقا ، بينما يحتوى الإيدروجين الثقيل (Deuterium) على نيوترون واحد الى جانب البروتون . ويحتوى الايدروجين الثلاثى (Tritium) على نيوترونين . وهكذا نرى أن هذه النظائر الثلاثة لها عدد ذرى واحد هو الواحد الصحيح . بينما نرى أن لها ثلاثة أوزان ذرية مختلفة . فالإيدروجين العادى وزنه الذرى ١ والإيدروجين الثقيل وزنه الذرى = ٢ ، وعند اتحاد الإيدروجين الثقيل بالأوكسيجين نحصل على ما يعرف الآن باسم الماء الثقيل .

وعند اكتشاف الإيدروجين الثلاثى (Tritium) وجد أنه أثقل فعلا من كل من الإيدروجين العادى والثقيل لأن وزنه الذرى = ٣ . تلك هى النظائر العادية .

وأما النظائر المشعة هى تلك النظائر الخاصة بالعنصر الواحد ، والتى لها نشاط إشعاعى ، وهنا نسأل ما هو النشاط الإشعاعى ؟

يعرف النشاط الإشعاعى بأنه نشاط ينتج عن اضطراب نواة الذرة نتيجة اختلال نسبة ما فيها من (النيوترونات) الى (البروتونات) عن (النسبة اللازمة) لاستقرار نواة الذرة . وذلك كأن تواجه النواة بإدخال بعض البروتونات أو النيوترونات اليها . وبديهى أن مثل هذا العمل يؤدى الى اختلال (نسبة النيوترونات الى البروتونات) عن الحد اللازم لاستقرار النواة ، ولهذا السبب تضطر النواة الى محاولة إصدار نوع أو آخر من الإشعاعات المختلفه حتى تصل الى حالة الإستقرار .

وقد وُجد فى الهواء الجوى أن غاز (النتروجين) مكون معظمه من ذرات وزنها الذرى ١٤ مخلوطة بقدر ٣ فى الألف من ذرات وزنها الذرى ١٥ .

والأكسيجين فى الجو كذلك معظمه مكون من ذرات وزنها ١٦ مخلوطة بذرات بقدر ٣ فى كل ١٠٠٠٠ منها وزنها الذرى ١٧ .

وان الجدول الآتى يوضح لنا تركيب ذرات بعض العناصر :

تتركب ذرة الهليوم من :

(٢ بروتون موجبة + ٢ نيوترون متعادلة) + ٢ الكترون سالبة .

تتركب ذرة الليثيوم من :

(٣ بروتون موجبة + ٤ نيوترون متعادلة) + ٣ الكترون سالبة .

تتركب ذرة الكاربون من :

(٦ بروتون موجبة + ٦ نيوترون متعادلة) + ٦ الكترون سالبة .

تتركب ذرة النتروجين من :

(٧ بروتون موجبة + ٧ نيوترون متعادلة) + ٧ الكترون سالبة .

تتركب ذرة الأكسيجين من :

(٨ بروتون موجبة + ٨ نيوترون متعادلة) + ٨ الكترون سالبة .

تتركب ذرة اليورانيوم من :

(٩٢ بروتون موجبة + ١٤٦ نيوترون متعادلة) + ٩٢ الكترون سالبة .

وقد دلت التقديرات العملية على أن وزن الذرة يساوى تقريباً وزن نواتها (١) .

وان القنبلة الذرية هى نتيجة انفجار نواة نوع واحد من ذرة (اليورانيوم) تدعى : (يورانيوم ٢٣٥) . فى نواتها يوجد : ٩٢ بروتونا و ١٤٣ نيوترونا . فلا تصنع من بقية أنواع اليورانيوم القنبلة الذرية فيكون الوزن الذرى :

٩٢ + ١٤٣ = ٢٣٥ .

فتحطيم الذرة (أو التفاعلات النووية) هو عبارة عن تفاعلات بين جسيمات نواها ، وتغيير فى أوضاع الالكترونات حولها تنشأ عنها نوى

---

(١) فى نهاية الكتاب جدول يبين أسماء العناصر المكتشفة مع أوزانها الذرية .

ذات عناصر جديدة يحيط بكل منها العدد اللازم من الألكترونات .

ومن الواضح أن التفاعلات العادية بين العناصر كالأكسيجين والإيدروجين فى تكوين الماء مثلا تحدث بين ذرات كاملة من الأكسيجين وذرات كاملة من الإيدروجين (مثلا) فى حالة تعادل دون حدوث تغيير فى نواها . أى لا يحدث حين تكون الماء من الغازين (الأكسيجين والايدروجين) أى تغيير فى نواة ذرة الأكسيجين وذرة الايدروجين . ذلك لأن تفاعل ذرات الأكسيجين والايدروجين المتعادلة لتكوين الماء عبارة عن اتحاد ذرة كاملة من الأول بذرتين كاملتين من الثانى . ويعزون مثل هذه التفاعلات الى حدوث انتقال بعض الالكترونات فى المحيط الخارجى لذرات العناصر المتفاعلة من بعضها الى بعض ، فيُصبح بهـذا الانتقال بعضها موجب التكهرب وبعضها سالب التكهرب فيحدث الاتحاد بينهما تحت تأثير التجاذب الكهربائى . وان الطاقة التى تنتج من مثل هذه التفاعلات العادية تكون غالباً على صورة حرارة : تكافىء الفرق بين طاقة تماسك الألكترونات بالنوى فى الذرات قبل التفاعل وبعد التفاعل .

إلا أن التفاعلات النووية فى الإنحلال الذاتى أو بين نوى الذرات فى أعمال التحطيم (وهو موضوعنا الذى نبحث عنه) ، فيحدث عنها تغيير فى (تكوين النوى) من الجسيمات التى تتركب منها وهى : (البروتونات والنيوترونات) علاوة على التغير فى توزيع أوضاع الألكترونات المحيطة بها . ولذلك تكون الطاقة المنبعثة من (التفاعلات النووية) أعظم بكثير من التفاعلات العادية عند تركيب العناصر فى الكيمياء وتبلغ مئات الألوف من المرات قدر الطاقة التى تنبعث من التفاعلات العادية بين الذرات والجزيئات الكاملة . ويصدر معظم هذه الطاقة من باطن الذرات على صورة إشعاع وطاقة حركية وتكون جزء من الطاقة المختزنة فيها والتى تربط جسيماتها بعضها ببعض .

وقد قال (أينشتاين) : « إن فى الذرة طاقة كبيرة يمكن تسخيرها والإفادة منها . وإن المادة صورة من صور الطاقة . وان الغرام الواحد من المادة يتحول الى ألف مليون مليون مليون وحدة من وحدات الطاقة : (ارگ : Erg) . أوالى ٢٥ مليون كيلووات ساعة ، أى ما ثمنه نحو ٥٥٠ ألف دينار » .

• • •

كانت أمنية أهل القرون الوسطى تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة كالفضة والذهب بطريق كيماوى . لكنهم أخفقوا فى ذلك ولم يوفقوا رغم ما بذلوا من مساعىَ جمة . فاستحال عليهم تحقيق ما أرادوا . فنبذوا الفكرة فى القرن الثامن عشر واستبدلوا بها بفكرة ثانية فى القرن التاسع عشر وهى : عدم إمكان تحويل العناصر بعضها الى بعض .

ولكن قد حدث فى عام ١٩١٩ تحطيم ذرات (النيتروجين) وتحويلها الى ذرات الأكسيجين والإيدروجين . وهكذا توالت بعد ذلك تجارب تفتيت الذرة باستخدام قذائف من جسيمات (ألفا) أى نوى الهليوم ومن جسيمات أخف ولكن أكبر أثراً منها . وهى (البروتونات) أى (نوى الايدروجين) بعد اعطائها سرعة عظيمة . فتمكنوا بذلك من تحطيم وتحويل ذرات عدد من العناصر بعضها الى بعض : مثل تحويل عنصر (الايدروجين) الى عنصر (هليوم) وتحويل (الصوديوم) الى (مغنسيوم) و (الليثيوم والبورون) الى (هليوم) . فتحقق فعلا أمر تحويل العناصر بعضها الى بعض .

ومما لا ريب فيه أن البشر لا يخلق شيئاً ، فلا يتمكن من خلق ذرة جديدة غير موجودة فى الطبيعة . أى غير مخلوقة بيد الله تعالى (وأعنى بقدرته تعالى) . والبشر لا يقوى على ايجاد بروتون أو نيوترون من العدم دون أن يستعير من عناصر بسيطة أخرى (أى من ذراتها) .

وإن أبسط الأفكار ليعترف أن العناصر وما فى ذراتها من ترتيب دقيق وتوزيع البروتونات والنيوترونات وحركة الالكترونات الدقيقة

الهائلة حولها لم توجد من تلقاء نفسها ، ذلك لأنه بنيان شامخ قد روعى فيه تمام الحكمة وكمال التدبير[١] .

كما أن العلم ليعترف أن الحيوية فى الكائنات الحية لم تكن نتيجة ترتيب مادى بين المواد وإنما جاءتها من الخارج بأمر من الله تعالى .

فليس للبشر أن يخلق بروتونا أو الكترونا ، إلا أنه يستعيرهما من بعض العناصر ويدخلهما فى عنصر آخر لتحويل بعض العناصر الى عناصر أخرى موجودة قبلا فى الطبيعة (الكون) . وهذا ما يسمونه بتحويل العناصر : (Transmutation) .

وزيادة فى التوضيح نقول اذا رمزنا بعدد من البروتونات فى نواة ذرة الرصاص مثلا بـ (ب) ورمزنا بعدد من النيوترونات فى تلك الذرة أى ذرة ذلك العنصر بحرف (د) ، فسيكون دستور النواة :

ب + د

فاذا أردنا أن نزيد فى عدد البروتونات من (ب) الى (ب + ١) ، شريطة أن يبقى عدد الالكترونات ثابتاً ، لزم أن ندخل نواة الإيدروجين فى نواة الرصاص . ولتحقيق هذه الغاية يجب أن نوجه بروتونات سريعة السير جداً نحو نواة الرصاص كى يدخل بروتون واحد (بطريق الصدفة) فى نواة الرصاص ، وعند ذلك يكون عدد بروتونات ذرة الرصاص (ب + ١) . وبهذه الطريقة نتمكن من أن نصنع من الرصاص ذهباً . وأن نصنع من الزئبق ذهباً . ذلك لأن هذين العنصرين : (الرصاص والزئبق) قريبان من عنصر الذهب من حيث عدد البروتونات . ولكن يجب أن لا ننسى أن علينا أن نصرف ١٠٠٠ غرام من الذهب للحصول على غرام واحد من الذهب

---

(١) قد علم أخيراً أن سرعة الالكترونات فى ذرة الهيدروجين قد بلغت ألفى كيلو متر فى الثانية . وهذا فى ما يعرفه العلم والعلماء أقصى سرعة أمكن أو يمكن معرفتها على وجه الأرض .

بطريقة تحويل العناصر . وهذا ما لا يجوزه الاقتصاد .

فعلم مما سبق أن الذرة ليست بجزء لا يتجزأ على ما كان يعتقده البعض ، لأنها تنحلل الى قسيمات أخرى فقوى وهى عالم برأسها لها قوانينها وخواصها ، وهى ليست بمادة كما يزعم المادى . وبذلك قد فندت نظرية (دالتون) . وكم من نظريات مادية سخيفة فندت بعد كشف بعض حقائق الذرة . إلا أن المادى (الشيوعى) مع الأسف يتحكم على العلم والعلماء بدكتاتوريته . فيقتل العلماء ويبيدهم إن لم يوافقوه فى هذيانه فى عصر حرية الأفكار وفى عصر الإنطلاق الفكرى .

وكذلك فندت نظرية (تومسون : Thomson) التى كانت تقول : إن الذرة مملوءة مصمتة وان الالكترونات موضوعة على البروتونات ملتصقة بها كذباب على ظهر فيل ، فعلم أخيراً أن الذرة خالية فارغة وفيها فضاء واسع رحيب .

وعلم أن أصل الموجودات على وجه الارض شىء واحد . إنما هو البروتونات التى تشكل نواة الذرة . والبروتونات هذه هى عينها من حيث الخواص والماهية فى ذرات جميع العناصر ، وليس هناك أى اختلاف بين بروتون ذرة عنصر وبروتون ذرة عنصر آخر . خلافاً لما يتقوله الماديون من نظرية التبدل والتغير .

وإن عملية تبديل العناصر وتحويل بعضها الى بعض (Transmutation) تثبت لنا هذه الحقيقة . كما أنه لا فرق بين الكترون ذرة راديوم والكترون ذرة الحديد منذ ملايين السنين ولم يحدث أى تغير وأى تبدل خلافاً لما يهذيه المادى الخيالى البعيد عن العلم الصحيح . وهل هناك وئام بين الديكتاتورية والعلم ؟ ! .

فلو كان هذا (التغير) الذى يقول به المادى صحيحاً لوجب أن تتبدل ذرات الايدروجين كلها الى (هليوم) وأن تتبدل ذرات (الهليوم) الى

(ليثيوم) وهكذا حتى تصل النوبة الى (اليورانيوم) ، فلا نرى فى عالمنا اليوم عنصراً عدا عنصر (اليورانيوم) مثلا ! ولكننا نرى أن العناصر كلها موجودة الى يومنا هذا . وهى من الانتظام والدقة والترتيب بحيث يتمكن العلم من ايجاد عناصر مجهولة إستناداً الى النظام الذى أودعه الله فى سلسلة العناصر . كما أن الأميبا (الكائن الحى ذا الخلية الواحدة) لا يزال موجوداً على وجه الارض مع وجود حشرات وحيوانات وانسان لها من الأعضاء والتشكيلات الداخلية وقوانين دقيقة ومعادلات ما لم يصل اليه العلم الحديث إلا قليلا : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، إن الله عزيز حكيم » .

قلنا إن النظام الذى أودعه الله فى تسلسل ذرات العناصر المختلفة كان سبباً لكشف عناصر مجهولة ، كما أن دستور (نيوتون) فى الجاذبية بين الأجسام كان سبباً لكشف كوكبين مجهولين (نبتون) و (پلوتو) . ذلك لأنا نتمكن من أن نحسب حسب هذا الدستور :

$$ق = ط \times \frac{ك \, ك'}{م^{٢}}$$

قوة الجذب بين الأجرام ومواضع هـــذه الأجرام ومداراتها ، ولا بأس بتوضيح هذا الدستور :

ك تشير الى مقدار كتلة نجمة فى الفضاء (غرام ــ كتلة)

ك' « « « « نجمة أخرى فى الفضاء (غرام ــ كتلة)

م « « المسافة بين النجمتين (بالسانتيمترات)

ط النسبة الثابتة وهى $= \frac{١}{١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠}$ من ثقل الغرام تقريبا

إذن ، قوة الجـــذب بين نجمتين فى الفضاء أو كتلتين ، تساوى حاصل

ضرب كتلتيهما فى النسبة الثابتة مقسوما على مربع المسافـــة بينهما .

* * *

وواضح أن دقائق النواة فى الذرة (أى البروتونات) التى شحنتها موجبة يجب أن تتباعد بعضها عن بعض لاتحاد نوع الكهربائية ، ذلك لأن شحنتها موجبة ، مع ذلك ، فإن الله تعالى قد جهزها بطاقة فائقة تتغلب على الخاصية الكهربائية المودعة فى الطبيعة بإذن الله : وهى (تباعد كهربائيتين من نوع واحد بعضها عن بعض) . وان هذه الطاقة التى جُهزت بها نواة الذرة لا يمكن أن تعزى الى الطبيعة ، لأن من شأن الطبيعة أن تُباعد بين كهربائيتين من نوع واحد ، أى بين البروتونات لأن شحناتها موجبة . فالله هو الذى قدأودع فى النواة هذه الطاقة الهائلة لتقريب البروتونات وجعلها كتلة واحدة ، وهى إذا تحررت بوسائل شتى (بتحطيم الذرة) هدمت ما حواليها فلا تبقى ولا تذر .

قد وفق « آينشتاين » لحساب هذه الطاقة الهائلة فى بُنية النواة فى الذرة وعلم أنها تساوى : مربع سرعة الضوء مضروباً فى كتلة المادة . فإذا فرضنا الطاقة = ط ، وكتلة اليورانيوم مثلا = ك ، وسرعة الضوء س .

فالطاقة المتحررة أو المودعة فى كتلة ك تساوى

ط = ك × س^{٢} .

إذن فى نواة الذرة يدٌ غيبية تعاكس متطلبات الطبيعة وتفند ما يتخيله المادى الجاهل من نظرية (التغير المستمر) ، حيث (على ما يعتقد) لا نظامَ ولا ترتيب .

* * *

ومن جملة ما لا يرى بالعين من (ما لا تبصرون) المارد الذرى الذى كان يرهب العلماء منذ ٢٥ سنة ، فقد أعلنت الجهات العلمية فى ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٥ ، أن الدكتور (ايرنست لورنس) قد توصل الى اكتشاف المارد

الذرى ، هذا المارد الذى كانوا يحسون بوجوده ولا يرونه ، وهو جزىء ذرى يسمى (البروتون السالب) . ويستطيع إفناء المادة من جميع أشكالها افناءاً تاما . خلافاً لما كان يقوله (لاووازيه) : إن المادة لا تفنى ! وكم من نظريات كان يُنظر اليها كحقائق ثابتة لا تقبل النقاش ولا التبدل ، فذهبت أدراج الرياح . فهل بعد هذا يجوز أن يجعل العلم معبوداً يُعبد ويستغنى الفرد فى سيره التكاملى عن رسالة السماء ؟ . . ليست القضية قضية علم ونظريات . إنها قضية نفوس . فإن النفوس لو تردت وتسافلت ومرضت لا تذعن إلا بما تحقق شهواتها فتبرر موقفها متذرعة بالعلم ! هذا العلم الذى تفند مُعطياته من وقت الى وقت ويعوض عنها بمعطيات ونظريات أخرى وهكذا دواليك !

نعم ، لقد وقف العلم الحديث على افناء المادة افناءاً تاما بالبروتون السالب . وهو موجود فى طبقات الجو العليا . وان عمره لقصير جداً ، فلا يزيد على $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠٠٠}$ من الثانية [١] .

فتسليط البروتون السالب على الذرة يفنى البروتون الموجب وان هذه العملية (عملية الإفناء) تحرر $\frac{٩٩٠}{١٠٠٠}$ من الطاقة الموجودة فى الذرة .

وقد علم أن (البروتون السالب) . منطلق فى الفضاء حول الكرة الأرضية ، ومن شأنه افناء جميع أنواع المادة التى تصطدم بها . ومن الصعوبة السيطرة على هذا البروتون السالب . فاذا تمكن العلم من ذلك ، فيكون إذ ذاك بالإمكان : توليد طاقة من رطل واحد من أية مادة ذرية باصطدامها بالبروتون السالب تساوى الطاقة المتولدة من مليون ونصف مليون طن من الفحم . فيمكن إذ ذاك افناء العالم بقنبلة زنتها عشرة أرطال فقط .

---

(١) واحد من الف مليون جزء من الثانية .

فالله تبارك وتعالى حفظ الكرة الأرضية من أن تصطدم بالمارد الذرى (البروتون السالب) المنتشر فوقنا فى الفضاء ، وذلك بجعله : « السماء سقفاً محفوظا » بقدرته . وهو القائل : « وجعلنا السماء سقفاً محفوظا وهم عن آياتها معرضون » . « وكأيّن من آية فى السماء والأرض يمرُّون عليها وهم عنها معرضون »[1] .

• • •

إن (البروتون السالب) أو المارد الذرى هو (البروتون) المضاد للبروتون الذى نعرفه فى أرضنا هذه والتى تتكون منها الذرات ، فالعناصر ، فالأجسام . كما أنه اكتشف أخيراً (الألكترون الموجب) وهو الألكترون المضاد للألكترون الذى نعرفه وقد تكلمنا عنه فى بحث الذرة . ففى الوجود نوعان مختلفان من المادة تبنى منهما النجوم والشموس والكواكب وسائر الأجسام . وإذا حدث أن التقى نوع منهما بالآخر أو تصادم معه تحدث عمليات افناء ذرية تختفى معها معالم المادة من الوجود ، بينما تنطلق طاقات هائلة منها : تلك التى استخدمت فى الأصل فى ربط جسيمات : نويات وذرات تلك المواد[2] .

ولنرمز للنوع الأول من المادة ذات البروتونات الموجبة والألكترونات السالبة بالحرف (م) مثلا ، ولنرمز للنوع الثانى من المادة المضادة للأولى : أى ذات البروتونات السالبة والألكترونات الموجبة بالحرف (س) . فعندما يتصادم (بروتون موجب) مع (بروتون سالب) ، أوعندما يتصادم (ألكترون سالب) مع (ألكترون موجب) يعدم أحدهما الآخر من

---

(١) سورة يوسف : ١٠٥

(٢) يؤدي تحطيم بعض الذرات الى تحرير نيوترونات ذات سرعة كبيرة وان النيوترونات المتحررة حين التحطيم النووي تستطيع تحطيم ذرات أخرى . فينتج من هذا تفاعل متسلسل مستمر .

عالم الوجود ، بينما تنطلق الطاقة الكلية حسب الدستور الآتى :

الطاقة المنطلقة = الكتلة المادية المختفية × مربع سرعة الضوء .

وهكذا نرى أنه عندما تدخل ذرة من نوع المادة (م) الى عالم المادة (س) أو بالعكس تفنى الألكترونات أولا ، ثم تفنى البروتونات .

ويظهر مما ذكر أن الزوجية متأصلة بأمر الله تعالى فى أصغر موجود فى هذا الكون وهو الذرة ، ففيها ألكترون (كهربائية سالبة) وبروتون (كهربائية موجبة) . حتى أن المادة نفسها على نوعين أى أن الزوجية متأصلة فيها : فالبعض منها ألكترونها سالب وبروتونها موجب ، كما فى العناصر المكتشفة لحد الآن وعددها : (١٠٢) ، تبدأ بالإيدروجين وتنتهى بـ (نوبليوم) . والبعض الآخر ألكترونها موجب ، وبروتونها سالب .

ثم ان الزوجية متأصلة فى النبات ، (فى الزهرة عضو التأنيث وعضو التذكير) « وأرسلنا الرياح لواقح »[١] . وتشاهد الزوجية فى الحيوان وفى الانسان ، حتى فى النجوم ! فان بعضها تدور حول البعض الآخر بعلقة الجاذبية ، كانجذاب الذكر للأنثى أو بالعكس . وهكذا نرى أن الآية : « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكّرون »[٢] تتجلى بعد ١٤ قرناً تقريبا ، وكذلك قوله تعالى : « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسكم ومما لا تعلمون »[٣] .

وقوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[٤] .

حتى أنه تعالى جعل عدد تردد صوت المرأة (٢٢٠) فى الثانية وعدد تردد

---

(١) سورة الحجر : ٢٢

(٢) سورة الذاريات : ٤٩

(٣) سورة يس : ٣٦

(٤) سورة الروم : ٢١

صوت الرجل (١١٠) فى الثانية ، ليكون صوت المرأة أرفع وأجمل من صوت الرجل حصولا للانجذاب الزوجى ، وتحقيقاً للزوجية فى هذا الكون ، لتكون الوحدانية له تعالى لا يشاركه فيها شىء من مخلوقاته حتى الجماد : « فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ، ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير »[١] .

وها نحن نسأل المادى ، هل وُجد (الألكترون) قبلا ثم خلق لنفسه بروتونا أم بالعكس . وأين انعقد مؤتمر تنظيم العناصر والقانون الدورى والمعادلات التى تربط جسيمات الذرة بعضها ببعض وتتحكم فيها ؟

« فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »[٢] .

• • •

ويُرى أن العالم ، مع هذا التقدم العلمى فى عوالم المادة والذرة والطاقة ومطابقة ذلك مع ما جاء فى كلام الله المجيد قبل أربعة عشر قرنا ، يتقرب يوماً بعد يوم من الإسلام . ويأتى قريباً ذلك اليوم الذى يسود فيه الإسلام فى العالم كله كما تنبأ (برناردشو) قبل بضع سنين ، لو تخلى عن بغيه وطيشه ومجونه ، رغم جهود عناصر الغى والضلال فى الشرق والغرب لاسيما الصهيونية الكافرة ! . « الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا »[٣] . لذلك يقول : (تشارلس ستانيمتز) وهو من أعظم العلماء ، حين يُسأل عن نوع البحث الذى سيحظى بأعظم تقدم فى النهاية : انه يقول : « سيحدث أعظم الاكتشافات فى النواحى الروحية . فسوف يأتى اليوم الذى يعلم فيه الناس أن الأشياء المادية لا تجلب السعادة وانها قليلة النفع فى جعل الرجال والنساء أقوياء قادرين على الإبداع . وعندئذ سوف

---

(١) سورة الشورى : ١١ (يذرأكم) : أي يكثركم .
(٢) سورة الحج : ٤٦
(٣) سورة الكهف : ١٠٥

يحول علماء الدنيا معاملهم الى دراسة الله والصلاة . وعندما يأتى هذا اليوم يشاهد العالم فى جيل واحد من التقدم أكثر مما شاهده فى الأجيال الأربعة السابقة » .

انظروا ماذا يقول الكاتب (هراس ليف) عن الاسلام . إنه يقول : « ما كان شىء فى العالم ليقنعنى بأن أى دين من الأديان يدعو الى المساواة بين الناس ، ولو أن بعضها يتظاهر بهذه الدعوة . فقد زرت كثيراً من الكنائس والمعابد ، فرأيت التفريق بين الطبقات داخل المعابد كما هو خارجها . وكان اعتقادى بالطبع أن الأمر لابد كذلك داخل المساجد الإسلامية . ولكن ما كان أشد دهشتى حينما رأيت الشعور بالمساواة على أتمه بين المسلمين فى عيد الفطر فى مسجد (ووكنج) بلندن . وهناك وجدت أجناساً مختلطين على اختلافهم فى المراتب اختلاطاً لك أن تسميه بحق أخوياً . ولم أكن شاهدت مثل ذلك . ترى فى المسجد (نوبياً) من بلاد (نمباسا) يصافح عظيما من رجال الأعمال فى مصر أو سياسيا من بلاد العرب ، وقد ارتفعت الكلفة بين الجميع . فلا يأنف أحدهم مهما عظم قدره من أن يجاوره فى الصلاة أقل الناس شأنا . وإنك لا تجد أقل محاولة لتخطى الصفوف الى مكان ممتاز بالمسجد . لأنه ليس هناك أى مكان ممتاز . فالكل عند الله سواء . لا فضلَ لأحد على سواه . وعندما صرح لى إمام المسجد بأن المسلمين يعتقدون رسالة جميع الأنبياء ويؤمنون بما أنزل اليهم كدت لا أصدق أذنى . وكان هذا جديداً استفدته عن الإسلام . لذلك لم أعد أشك فى أن هذا الدين يصلح لأن يكون دينا عالميا » .

فلابد للمسلمين من تضحية مخلصة ولابد للدعاة من التجهز بأسلحة القرن العشرين من أساليب الدعوة والإرشاد ومن معطيات العلم الحديث والتزود بالتقوى الى أبعد حد . والتجرد عن كل نزعة عدا الإسلام . فان فاقد الشىء لا يعطيه ، إنه تعالى يقول :

« وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقونِ يا أولى الألباب »[١] .

* * *

أحدث شكل لذرة الهليوم ، ألكترونان فى الأطراف يدوران حول النواة وفيها بروتونان ونيوترونان .

شكل (٧)

قلنا إن من جملة ما لا يمكن إبصاره حتى بالآلات الدقيقة هو (الذرة)[٢] . ومع ذلك كله ، فان العلم الحديث قد استخدم ما كان يعرفه من : قوانين الكتلة والطاقة فى استنباط صفاتها وتركيبها وخواصها مع كونها غير منظورة . ولقد أيدت القنبلة الذرية الأولى ما كشف من قوانين ونظريات حول تركيب الذرة غير المنظورة ووظائفها .

إن العلم الحديث قد استدل على تلك الظواهر التى تتعلق بالذرة بآثارها وهى من « ما لا تبصرون » معتمداً فى ذلك على الاستدلال المنطق الصرف وعلى ما كان معلوما من حقائق أولية بسيطة تتعلق بهذه الظواهر والأشياء .

فخرى بالمادى الذى يعترف بالذرة ويستخدمها فى حقول شتى ويستدل بالآثار على وجودها ووجود الألكترونات فيها وهو لم يرَ شيئا منها حتى بالآلات ، أن يتبع نفس الطريقة فى الاستدلال على وجود الله

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) حجم الذرة بالنسبة الى تفاحة كحجم التفاحة بالنسبة الى الأرض . وحجم كل من البروتون أو النيوتون أو الألكترون بالنسبة الى الذرة كلها كحجم حبة من العدس بالنسبة الى الهرم الكبير .

تبارك وتعالى وأن لا يقول : لا سبيل الى الاعتقاد بغير المنظور ... مع العلم أن غير المنظور فى هذا الكون المادى أشد تأثيراً وفعاليـــة من المنظور : كالكهرباء والمغناطيسية وأمواج (هرتز) الى ما هنالك . فالعالم المادى كله قوى كهربائية ومغناطيسية وجاذبية ، وكل اولئك من النوع غير المنظور .

وما أعظم قول الله تعالى حين يقول : « فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »[١] .

ويقول تعالى : وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

فلا يستفيد من هذه الآيات التى أودعها الله أرضه وسماءه إلا من كان له شىء من الإيمان . فان حب الله ومعرفة الله أعلى وأسمى من أن يحل نفوسا مدلهمة ، ظلماء بذنوبها وآثامها ومجونها وبغيها .

وهكذا يقول جل من قائل : « قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض ، وما تُغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »[٢] . فلابد من إيمان (ولو كان هذا الإيمان ضعيفا جداً) ، كى يعتبر الفرد بما أودع الله من نظم وقوانين فى أرضه وسمائه . ولكن المادى ، لظلمات فى نفسه ، لا يؤمن إلا بما تمليه عليه نفسه المتسافلة المريضة ، ومهما سمى ذلك فلسفة ! أو نظرية علمية ديالكتيكية فهو مرض ولوث ورجس ، بعد تفنيد العلم الصحيح كل ذلك . « وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون »[٣] .

فلا دينَ على وجه الأرض منذ خلق الله تعالى الأحيـاء عليها ، إلا الاسلام . بحكم العقل وبحكم العلم الصحيح وبنصوص من الكتاب . لا الظنون والأهواء ونظريات تجرح بعد زمن يسير . لذلك يقول تعالى :

---

(١) سورة الحج : ٤٦

(٢) سورة يونس : ١٠١

(٣) سورة التوبة : ١٢٦

« أفغير دين الله يبغون ؟ وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعاً وكرها واليه يُرجعون » . ومن معانى الاسلام هنا : أن ليس ما فى السماوات والأرض شيء غير محتاج فى وجوده وبقائه وفنائه الى قدرة الله والى قول الله تعالى : (كن) والى مشيئة الله وارادة الله : « تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهنّ ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان رحيما غفوراً »[١] .

فما من شيء فى الكون إلا وهو ينادى ، لما فيه من نظام وجمال وكمال ، بعظمة الله تعالى ، يسبحه ويقدسه . أليست هذه القوة : قوة الجذب بين الكرات . هذه القوة التى يجهل حقيقتها العلم الحديث ، تدل على أن الكون يسير بإرادة الله تبارك وتعالى ومشيئته ؟ « إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما[٢] من أحد من بعده ، إنه كان حليما غفورا »[٣] .

وما أعظم ما جاء فى دعاء علمه أمير المؤمنين علىّ (ع) كميلا حين يقول : « اللهم انى أسألك برحمتك التى وسعت كل شيء ... (الى أن يقول) وبعظمتك التى ملأت كل شيء ، وبسلطانك الذى علا كل شيء ، وبوجهك الباقى بعد فناء كل شيء ، وبأسمائك التى ملأت أركان كل شيء ، وبعلمك الذى أحاط بكل شيء ، وبنور وجهك الذى أضاء له كل شيء ، يا نور ، يا قدوس ، يا أول الأولين ويا آخر الآخرين » .

حقا : إن من يتتبع العلوم الحاضرة وما اكتشف من حقائق وعوالم ونظم ودساتير وخواص لا تعدّ ، يعلم أن ما جاء فى الدعاء المتقدم يفسر تماما حالة الاجسام اعتباراً من الذرة الى السماوات العلى ، فكل شيء

---

(١) سورة الاسراء : ٤٤

(٢) ان أمسكهما : أي ما أمسكهما

(٣) سورة فاطر : ٤١

(لو حُلل تحليلا نهائياً) يضيء بنور الله ويقدس الله تعالى وينزهه من كل نقص ، وينادى بصوت رفيع : أن لا إله إلا الله العلى القدير : خالق الطاقات ومرتبها ترتيباً حكيما حتى كانت هذه الذرات وتلك العناصر بهذا النظام الخارق الدقيق : « وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال »[١] ، وهكذا السماوات ، فالمجرات ، فالأرضون ، فالنباتات ، فالحيوانات ، فالانسان .. وأما كيفية خلق الله تعالى الملائكة والانسان والسماء والأرض ، فذلك ما نجهله . إذ يبدو التطلع على ذلك مستحيلا على حد قوله تعالى : « ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم »[٢] .

• • •

تدبروا هذا الدعاء وهو دعاءٌ لطلب العافية ، علمه النبي (ص) علياً (ع) ، لتروا كيف أن كل ما فى الكون يسبح الله وينزهه عن كل نقص :

« اللهم انى أسألك بأنك سبوح ، قدُّوس ، يسبحك سوادُ الليل وضوءُ النهار وشعاعُ الشمس ودويُّ المـــاء وحفيف الشجر ونجوم السماء وثرى الأرض وأمواج البحار وصخور الجبال ودوابُّ البحر .

أسألك يا ربِ ، يا أحد يا فرد يا صمد . فى السماء ميعادك وفى الأرض قضاؤك وعلى العرش استواؤك ، وفى الجنة رحمتك وفى النـــار عذابك ، والملائكة جنودك ، يسبحونك ويقدسونك ويهللونك الليلَ والنهارَ لا يفترون . لا إله إلا أنت الملك الجبار الحنان المنان الديان الرحمان ، بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام .

أسألك بأسمائك الحسنى وأمثالك العليا وبرهانك العظيم وحجتك البالغة أن تصرف عنى شر ما أجد من الداء وشر ما أخاف وأحذر » .

* * *

---

(١) سورة الرعد : ٩

(٢) سورة الكهف : ٥٢

بعد أن عرفنا شيئا عن تركيب الذرة (Atome) ، هذا التركيب الذى يحير العقول وهو أساس لجميع ما فى هذا الكون المادى من عناصر ومركبات ، يجدر بنا أن نتساءل حامل الفكرة المادية الديالكتيكية (المادية العلمية النظرية !) كيف يوفق بين حقائق الذرة وبين نظريته الهوجاء .

يقول (ستالين) ، وهو الذى لم يدرس شيئاً عن علم الذرة وحقائقها وان ذكاءه المحدود كان أقل من أن يمكنه من أن يتخصص فى الفيزياء الرياضية العالية أو الميكانيك الرياضى أو الميكانيك السماوى (Mécanique Céleste) إنه يقول[1] : « ان الديالكتيك معناه دراسة التضاد فى ماهية الأشياء . وان النمو إنما هو نتيجة صراع بين الأضداد » ؟ ! .

ما هو هذا التضاد الذى نشاهده فى الذرة وما هو هذا الصراع ؟ . إنما نحن نرى أن هناك التياماً وتآلفا وتوافقا و (تفاهما ! ؟) بين الألكترونات والبروتونات ، تحت نظام بديع وان الألكترونات تدور حول البروتونات بنظام وهى مجذوبة اليها كما فى المنظومة الشمسية[2] ، لا اختيار لها ولا ارادة . وان ارادة خارجية وهى ارادة الله ، جلت عظمته ، جعلت هذه الألكترونات تدور حول النواة وأن تتوزع على مدارات معينة بفواصل معينة ، تحت حكمة فائقة ، بحيث لو اختل النظام المودع فيها ، لما كانت فى الوجود : ذرة (هليوم) أو (ليثيوم) أو حديد أو (كالسيوم) ... الى ما هنالك .

حقا ان (لينين) و (ستالين) لو كانا من حيث الدراسة فى مستوى عالٍ ، (وكيف يكون السفاك محققاً وعالما ؟) لما جاءا بهذه النظريات التافهة الواهية رغبة فى القضاء على من لم ينتم الى مذهبهم الرجعى ، المذهب الجنونى . هذا

---

(١) نقلا عن مذكرات لينين الفلسفية !.

(٢) « ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت »

المذهب الذى لايقرُّه ولا يعترف به (لو كان حراً) من له أدنى المام بالعلوم الحاضرة ، إلا اذا كان ممن تلوثت نفسه بما كسبت يداه من جرائم وآثام .

لذلك يقول (لورد كيلفن) وهو الفيزيائى البارع : « اذا فكرت تفكيراً عميقاً ، فان العلوم سوف تضطرك الى الاعتقاد بوجود الله »[١] .

فأنت لا ترى فى حركة الألكترونات حول البروتونات حركة عشواء أو سلوكاً جنونيا (كسلوك المادى) دون قصد وغاية .

وقد وجد (ماندليف)[٢] بلطف من الله تعالى منذ ١٠٠ سنة قانوناً فى ترتب العناصر ، وذلك أن العناصر الكيمياوية (كالإيدروجين والحديد والراديوم ... الخ) قد رتبها الله تعالى تبعاً لتزايد أوزانها الذرية ترتيباً دوريا . وان العناصر التى تقع فى قسم واحد تؤلف فصيلة واحدة وتكون لها خواص متشابهة . ولذلك تمكن العلماء بفضل هذا الترتيب أن يتنبأوا بوجود عناصر لم يكن قد عُلم بها قبلا . حتى أن العلم قد تنبأ بفضل هذا الترتيب بخواص هذه العناصر المجهولة وجاءت صفاتها مطابقة تماما للصفات التى توقعوها مستفيدين من القانون الذى وجدوه . وهل يمكن أن يسمى ما اكتشفه (ماندليف) بالمصادفة الدورية ؟ أو يحق لنا أن نسميه بـ (القانون الدورى) .

وكم من قوانين ومعادلات وما أجرى عليها من أعمال رياضية قد أنبأت عن حقائق جديدة وسببت مكتشفات حديثة ، يعلم ذلك من درس الفيزياء الرياضية العالية ، وما يستعمل هنالك من معادلات تفاضلية دقيقة . فهل

---

(١) وهو القائل : « ان كل حادثة فيزيائية لا يمكن أن يعبر عنها بدستور رياضي ليست بحادثة معروفة فيزيائياً » . وهذا خير دليل على وجود الله تعالى وعظمته سبحانه .

(٢) وقد أعلن سنة ١٩٥٥م كشف العنصر ١٠١ (أي الرقم الذري : ١٠١) وسمي تقديراً لـ (ماندليف) : واضع أسس التصنيف الدوري للعناصر : ماندليوم Mendelvium ($M_{v}^{256}_{101}$) أي أن في هذا العنصر ١٠١ بروتون و ١٥٥ نيوترونا فيكون الوزن الذري ١٠١ + ١٥٥ = ٢٥٦ .

للطبيعة العمياء أن تسن آلاف القوانين وأن تنظمها تنظيما يحير الألباب ، حتى يكون هذا العالم الذى نشاهده ونراه .

« أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإله مع الله ، بل هم قوم يعدلون (١) . أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً ، أإله مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون »(٢) .

اذا كان كما يقول : (كارل ماركس) : ان الأشياء انما وجدت نتيجة التكامل فى الأضداد ! فليوضح لنا كيف أن الشيء أوجد ضده ، وكيف أن الرجل أوجد لنفسه أنثى . لذلك يقول (مونتنى) وهو أحد فلاسفة فرنسا : « مهما يكن من شيء ، فليس للرجل أن يخلق لنفسه امرأة لها عضو التناسل ابقاء للجنس البشرى ، فالله تعالى هو الذى خلق المرأة كما خلق الرجل وهكذا بقية الحيوانات والحشرات والنباتات » .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »(٣) .

أنى للكهربائية السالبة : (الالكترون) أن توجد لنفسها كهربائية موجبة ، ثم تترتب ترتيبا بديعا لا تحيد عنه ولا تتغير ، منذ خلق الله الذرة ، خلافا لما يقوله المادى من (نظرية التغير) التى لا يحققها العلم الحاضر . ان هى الا نظرية عشواء كواضعها . « ومن يعشُ عن ذكر الرحمان نقيض له شيطانا

---

(١) يعدلون : أي يعدلون بالله غيره ، أو يعدلون عن الحق .

(٢) سورة النمل : ٦٠ — ٦١

(٣) سورة الروم : ٢١

فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون »[١] .

[يعشو : يتعامى] ، [نقيّض : نهيء] .

نحن لا نرى أى تضاد فى الذرة ، فهل المرأة ضد الرجل ، بل نرى فى الذرة وفى كل زوجين خلقهما الله تعالى تكاملا وتوافقا . فلا تتم الحياة ولا تستقر ولا تستمر إلا بذكر وأنثى . ولا تتم الذرة ولا تتحقق إلا بالألكترون والبروتون . فهذه هى الزوجية التى أودعها الله فى جميع ما خلق حتى فى الجمادات لتبقى الوحدانية له تعالى . « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون »[٢] . ولذلك يقول الدكتور (جورج ابرل دافيز) رئيس البحوث الذرية : « إن كل ذرة من ذرات هذا الكون تشهد بوجود الله . وانها تدل على وجود الله حتى دون حاجة الى الاستدلال : بأن الأشياء المادية تعجز عن خلق نفسها » .

وقد علمنا أن ذرة (الإيدروجين) مركبة من ألكترون واحد يدور حول بروتون واحد . فكيف يفسر لنا المادى حدوث الهليوم : المشتمل على ألكترونين يدوران حول (بروتونين) من ذرة الأيدروجين حسب قانون التغير ! أو نظرية التضاد ! ؟ . فكان يجب اذن أن تتحول جميع ما فى الكون من ايدروجين الى هليوم وأن لا نرى فى العالم فى وقت من الأوقات إلا (الهليوم) . فلا يبقى على وجه الأرض (ايدروجين) . فتجف البحار وتيبس الأشجار . لأن جميعها مركبة من ايدروجين وعناصر أخرى . ثم أين التحول الذى يقول به المادى وهو : « ان التغيرات الكمية تتحول الى تغيرات كيفية ! » . وهل للمادة الصماء أن تغير نفسها حتى يحدث نتيجة لذلك عالم كله نظام وانتظام وقوانين ثابتة ومعادلات لا يصل الى كنهها العقل البشرى مهما أوتى من قوة وكمال .

---

(١) سورة الزخرف : ٣٦ — ٣٧

(٢) سورة الذاريات : ٤٩

ليس العلم بهذه الدرجة من الضعة حتى يتغير حسب أهواء الفلاسفة الماديين المتطفلين على العلم . وليس العلم مجرد مقترحات تكشف عن نفس متسافلة ، رائدها الهدم والتخريب !

ألا يفكر هذا المادى انه حسب نظريته المادية الديالكتيكية السخيفة يجب أن لا يكون اليوم فى الكون إلا عنصر واحد وهو (أورانيوم) مثلا ، ذلك لأن حسب (هواه) قد تكاملت العناصر كلها وفق قانون الأضداد والتغير الذى يقول به وتحولت الى عناصر أخرى . فإذن يجب أن لا يبقى إلا عنصر واحد وهو (الأورانيوم) !

وهكذا القول فى الأحياء ، حسب هذه النظرية السخيفة ، يجب أن لا يبقى فى الكون إلا الانسان الذى قد تكامل من (أميبا) : وهو الكائن الحى ذو الخلية الواحدة . وأن لا يكون فى الوجود من الكائنات الحية غيره . .

ثم كيف يفسر لنا المادى نظرية التضاد فى تركيب الماء (H_2O) ، ما هو هذا التضاد الذى نشاهده بين الأوكسيجين والإيدروجين وما العداوة التى نشاهدها بين (الكلور) و (السوديوم) : ClNa فى ملح الطعام وبين الكلور والإيدروجين فى (آسيد كلوريديك) : HCl . بل هناك تركيب على وتقارب وتوافق أودعها الله فى جزيئات هذه الأجسام لحدوث هذا العالم .

* * *

ثم ان المادى الديالكتيكى لا يرتضى للانسان هذا المنطق العظيم الذى وهبه الله اياه ، فكان السبب بإذنه تعالى لكل ما اكتشف من علوم تدل على عظمة الخالق ، هذا المنطق الذى بُنيت عليه القضايا الهندسية والرياضيات العالية والفيزياء العالية وعلم الفلك العالى والكيمياء ومكتشفات الذرة ، فيسمى هذا المنطق مع الأسف بالمنطق الشكلى ، ثم يأتى بمنطق فى غاية

السخافة (منطق الهـــدم والردم) . منطق المتناقضات ويسميه بالمنطق الديالكتيكى .

أسفاً على ما بلغ اليه العلم فى القرن العشرين ، علم يتحكم فيه جبابرة طغاة بنظريات سخيفة تبريراً لموقفهم التخريبى فى العقائد والنفوس .

يقول هذا المنطق السخيف : المنطق الديالكتيكى ، إن الشىء يكون صحيحاً وغلطا فى نفس الوقت ، ويمثلون لذلك (فرضية دالتون) فى تركيب العناصر . وان هذه النظرية فندت لثبوت ما فيها من أخطاء وقام مقامها نظرية (روتفورد) بشأن الذرة . فالمنطق الديالكتيكى ! يقول إن فرضية (دالتون) كانت صحيحة ومغلوطة فى نفس الوقت . وهذا مما يضحك الثكلى ، فالدستور لا يكون صحيحاً وخطأ فى نفس الوقت ، ذلك لأنه لو كان خطأ كانت النتائج التى تؤخذ بتطبيق ذلك الدستور خطأ لا محالة . ان المنطق الديالكتيكى يقول ان دستور نيوتون فى الجذب العام بين الكرات والأنجم :

$$ق = ى \times \frac{ك\ ك'}{م^{٢}}$$

كان صحيحاً وخطأ فى نفس الوقت . وفاتهم أن (أينشتين) رأى أن هذا الدستور لا يعطى النتائج الصحيحة لو طبق فى مسافات بعيدة ، فأدخل البعد الرابع وهو الزمان فى دستور وضعه ، ذلك لأنه رأى أن سرعة الأجسام دخيلة فى حساب مقدار الكتلة ، والسرعة يدخـــل فيها مفهوم الزمان . فلذلك صحح دستوراً وضعه (نيوتون) وجاء بدساتير أخرى دقيقة لا مجال الى ذكرها . فكيف إذن يكون الشىء صحيحاً وغلطا فى نفس الوقت ؟! .

إنما يعترف المادى بهـــذا المنطق الديالكتيكى السخيف ، كى يثير العمال والناس فيحرك عواطفهم ويخلق منهم أعداءاً يفتك بعضهم ببعض . ان رائده الفتك والبطش . انه يعترف بهذا المنطق الواهى : ان ما يوجد من دساتير وقوانين صحيحة وخاطئة فى نفس الوقت ، كى يبرر موقفه فى وضع قوانين

اجتماعية مغلوطة تخالف ما طبع عليه الانسان ، تخالف ما ثبت فى علم النفس من غرائز وخصال ، وحمل الناس جبراً على تقبلها ، كل ذلك تبريراً لديكتاتورية فئة قليلة تريد أن تحقق لنفسها شهوة الحكم والسيطرة باسم انقاذ العمال والفلاحين ! وهم ومع الأسف فى أسوأ حال ، بعيدون عن الحكم كل البعد . فئةٍ تريد سيطرة اليهود على العالم بعد سحق الفضائل والمقدسات والدين .

يقول المادى : إن النظام الرأسمالى صحيح وخطأ فى نفس الوقت ، انه يحفر قبره داخل كيانه حتى يزول فتأتى الشيوعية وهى التى تسود العالم فى النهاية وتلك نهاية العالم ، فلا نظام بعد ذلك . فلماذا يتوقف هذا المنطق الفاسد : (صحيح وخطأ فى نفس الوقت) عند هذا الحد ؟ فلماذا لا تحفر الشيوعية قبرها بيدها داخل كيانها ؟ فتزول ويسود فى الأرض ، بإذن الله ، نظام عادل ، لا رأسمالية ولا شيوعية ، نظام ارتضاه الله لعباده فى أرضه : وهو نظام الإسلام .

• • •

نعم ، ان ما رتبه المادى من قوانين وان سماها ، لإغواء الناس ، علمية ، نظرية ! ولكنها تخريبية ، صهيونية حقاً ، يريد من ورائها سحق الفضائل والمقدسات والأخذ بهذا الانسان الى جاهلية جهلاء والى أسفل السافلين .

أجل ، لو تسافلت الانسانية فى بعض بلدان العالم حتى جعل الأولاد والبنات بضاعة مادية يتصرف فيها الديكتاتاريون باسم المجتمع والبروليتاريا[1] كيفما شاؤوا وأخمدت الحريات باسم التقدم ! وأمسى الفرد آلة صماء لا حرمة له ولا ارادة ، وكان رائد المجتمع وبالأحرى رائد الديكتاتوريين مادياً بحتا لا ينبض فيه شيء من المعنويات ، والمقدسات ، فعلى مثل هذا المجتمع السلام ! .

فلا نجاة لهذا العالم الا باتباع الإسلام وتطبيق تعاليمه الخالدة خلود الدهر .

* * *

(١) البروليتاريا : Prolétariat : طبقة العمال .

وان الروح من غير المنظور ، وكل منا يعترف بالروح ولا يقوى على مشاهدتها كما يشاهد الخشبة . إلا أن وجودها أثبت وأوضح من وجود الخشبة . لتعلقها بنا تعلقاً لا يقبل الانفكاك .

فالمخ والجهاز العصبي كآلات الراديو . فكما أن آلات الراديو ليست من حقيقة الصوت الانسانى فى شىء ، كذلك الأقسام المادية فى المخ الانسانى والجهاز العصبي ، فهى ليست من الروح المجردة فى شىء . فالروح التى لا ترى بعيوننا تقوم بما تقوم به من أعمال مستعينة بالمخ والمخيخ ... الخ . كما يستعين الشخص بالراديو لإيصال صوته الى حيث يريد . فاذا أصيبت آلة الراديو بعطب لا تقوى على التقاط الصوت وكذلك المخ ، وليس المخ من الروح فى شىء ، كما أن النفس غير المخ ، فان النفس لا تفنى بعطب يصيب بعض أجزاء المخ ، كالنسيان (مثلا) .

وقد قال الفلاسفة ، وكذلك الإلهيون : إن الروح جوهر مجرد عن المادة وعوارض المادة وان اتصال الروح بالبدن هى اتصال تدبير وتصرف ، أى أن الروح أو النفس تتصرف بالبدن وتقوم بتدبيره وعندما يموت الإنسان ينقطع هذا الاتصال بين الروح والبدن .

وقالوا : إن نفس الإنسان جوهر روحانى مجرد قائم بذاته ، ذلك لأن نفس الانسان تعرف وتعرف انها تعرف أيضاً وهكذا ... وان المعرفة ليست من خواص الجسم . فإذن وجب أن تكون النفس شيئاً مجرداً عن المادة . ثم قالوا : إن المادة لو انتقشت عليها صورة تبقى هذه الصورة منقوشة عليها الى أن تنقش عليها صورة أخرى . فيحصل اضطراب من انتقاش الصورتين فيكون شكلا غريباً ، حين أن النفس ليست كذلك . تنتقش فيها أنواع المعارف والمعلومات دون أن يؤدى الى شكل غريب أو ارتباك أو يؤدى الى محو الصورة الأولى . فهى إذن ليست من نوع المادة ، ومعلوم أن الإنسان يزداد فهماً كلما ازداد علما .

وقد قال الماديون : إن المخ إذا أصيب بعطب تأثرت العقليات بل الأخلاق وغيرها . وجعلوا ذلك دليلا على أن المادة هى كل شىء ، ونفوا وجود الروح وهى من أوضح الواضحات . وقد فات هؤلاء أن المادة ضرورية لإظهار شىء خفى عنا . ومثلها مثل عدة (التليفون) . فإنها ضرورية لسماع صوت من يتكلم ، واذا اصيب التليفون بعطب اختل الكلام ووقف . ولكن التليفون وأعنى الآلة أو (المسرة) ليس منشأ الكلام مطلقاً .

ثم ألا يرى الانسان نفسه ، فى حلمه (فى عالم الطيف) ، فى أماكن بعيدة أو فى بلاد أخرى نائية ، وهو ملقى على فراشه ، نائم فى غرفته . فمن هذا الذى سافر الى بلاد أخرى وهو مضطجع فى فراشه ؟ هذه هى روحه التى بين جنبيه [1] ، روحه التى يُسأل عما قريب عن أفعالها وأعمالها . عن كل صغيرة وكبيرة جاءت بها فى « يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » .

إن الفسق والظلم يسدان على النفس الانسانية أبواب الرحمة وهذا بدوره يؤدى الى اتباع هوى النفس وما يُملى عليها شيطانها على حد قوله تعالى : « بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ، فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين » . وليس هناك جامع بين الفسق والإيمان : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » . (سورة السجدة : ١٨) .

فلنفس المؤمن التقى رشحات . كما أن لنفس الفاجر المفسد رشحات أيضاً . ان الله تعالى يقول : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار » . (سورة ص ، ٢٨) .

---

(١) « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . (سورة الزمر : ٤٤) .

فرشحات نفس المؤمن : الإيمان بما غاب عنه عن تعليل صحيح ومنطق واضح جلي . يتجلى لعقل الانسان الفطرى غير الملوث بالآثام . ورشحات نفس الآثم الفاجر الفاسق : الركون الى المادة العمياء والإخلاد الى الأرض « ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه »(١) والاعتقاد بالمحيط والبيئة وعوامل أخرى مادية وانكار ما وراء المادة أو الطبيعة .

وليس المنطق والدليل فى هذا المقام بعد ادلهام النفس وظلماتها بالشىء الذى يزيح المادى عن غيه وطيشه . فهو مأنوس بما وصلت اليه نفسه البهيمية البعيدة عن رحمة ربها من انحراف وميول سلبية « كل حزبٍ بما لديهم فرحون » (سورة الروم : ٣٢) . فالضال لا يعى ما هو عليه من ضلال : « لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون »(٢) .

وهكذا يوضح الله تعالى حال اولئك الذين نسوا تذكير الله اياهم وفرحهم واغترارهم بالنعم التى تغدق عليهم أى بهذا الاستدراج الإلهى (ونستجير بالله من ذلك) وذلك بقوله : « فلما نسوا ما ذُكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء ، حتى اذا فرحوا بما أوتوا ، أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » (أى متحيرون ، آيسون) (سورة الأنعام : ٤٤) .

إنه تعالى يقول : « ولا تطع مَن أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ، وكان أمره فُرُطا »(٣) . فان قلباً كهذا بعيد عن تلقى كل ما يهدى الى الصواب إلا اذا تاب وأناب وتخلى عن طيشه وغروره وأعقب أعماله السيئة بحسنات : « إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين »(٤) .

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٥ — أخلد الى الأرض : أي مال اليها ودام فيها واتبع ميله الشهواني .

(٢) يعمهون : يتحيرون ، عمه : تحير وضل — سورة الحجر : ٧٢

(٣) فرطا : اسرافا ، خارجاً عن طريق الحق .

(٤) سورة هود : ١١٥

هذه هى فلسفة الهداية والضلال الحقة بشكل واضح لا تعقيد فيه . إنه تعالى يقول : « والله لا يهدى القوم الفاسقين » . « والله لا يهدى القوم الظالمين » . « والله لا يهدى القوم الكافرين » . « وإن الله لا يهدى كيد الخائنين » . « إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار » . « إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب » . « فإن تولوا ، فإن الله أعلم بالمفسدين » .

وإن الله تعالى لا يضره كفر الكافرين وجحد الجاحدين . ذلك لأنه تعالى يقول : « من كان يريد العاجلة [١] عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا »[٢] . ثم يقول الله تعالى فى موضع آخر من القرآن الكريم : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة[٣] لجعلنا لمن يكفر بالرحمان لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج[٤] عليها يظهرون[٥] . ولبيوتهم أبواباً وسُرراً عليها يتكئون . وزخرفاً[٦] ، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا[٧] . والآخرة عند ربك للمتقين »[٨] .

* * *

إن دين الإسلام دين تطهير ودين تزكية النفوس . فما لم تأخذ هذه النفس فى التدرج فى مراحل التطهير ، فلا تفتح لها أبواب الهداية . وكل ما جاء فى الدين الاسلامى من أوامر ونواهى ومستحبات ومكروهات : كلها ترمى الى تطهير هذه النفوس مما علق بها من أدران وأوساخ معنوية . وبمقدار

---

(١) أي الحياة العاجلة وهي الدنيا .
(٢) مدحوراً : مطروداً
(٣) أي لولا أن يرغب الناس في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة .
(٤) معارج : مصاعد جمع معرج .
(٥) يظهرون : يعلون الى فوق .
(٦) زخرفاً : زينة .
(٧) ولكن كل ذلك تمتع قليل في الحياة الدنيا .
(٨) سورة الزخرف : ٣٣

طهارتها يحصل لها يقين بالمقدسات وبما غاب عنها من عوالم ، فيراها حقائق ناصعة لا غبار عليها . فتكون البراهين مؤيدة لما يترشح من نفسه الطاهرة .

انه تعالى يقول : « ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون » . « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يطهروا ، والله يحب المطهرين » .

فدين الإسلام دين تطهير النفوس لو عمل به وطبق تطبيقاً تاماً .

وان أعداء الإسلام يعملون لأجل اشاعة الفواحش بأنواع الوسائل : بالصحف والمجلات بما فيها من تصاوير خلاعية وكتب غرامية وأفلام سينمائية وتمثيليات شهوانية ثم بتهيئة حانات الخمور وايجاد محلات الزنا والفجور ، كي تتلوث النفوس . فاذا تلوثت لم يكن فى النفس عندئذ محل يحل فيه حب الله تعالى وذكره ، تحل فيه المقدسات والفضائل . ومن ثم يأتى دور الأنكار والجحود ! فترسخ أقدام المادية فى النفوس وتكون المادة معبودة لها ، كما كان فريق من الناس يعبدون الأصنام من ذى قبل ولحد اليوم .

* * *

وقد قرأت ما كتبه شاب فى احدى المجلات وقد بلغ من العمر ١٩ سنة : « ان أكثرية الشباب الساحقة منصرفون الى أعمال منكرة ، أعمال تقشعر منها الجلود بافراط لا مزيد عليه وبصورة غير مشروعة . ان هذا الانهماك فى الفسوق لا يدع مجالا للشاب كى يفكر فى مصيره وتكميل نفسه والتوجه نحو المقدسات . فان اختلاط الجنسين فى شتى المجالات وغيره من عوامل شتى قد فسحا مجالا واسعاً للإشباع الجنسى بشكل فظيع . وهذا بدوره يجعل الشاب غير ميال بالقيم الأخلاقية والفضائل والمقدسات وبالدين بعد تلويث نفسه بيده . فلابد من معالجة جذرية تبعد الشاب عن هذه المزالق لو أريد

بالشاب الهداية والكمال الخلقي وتقديس المقدسات . فان النصيحة وحدها لا تكفي لردع الشاب عن غوايته !

ومن هنا يعلم قيمة ما وضعه الإسلام من قوانين صارمة تمنع اختلاط الجنسين وما يؤدى الى التفسخ الخلقي ومن ثم الى تلويث النفوس واستهزائها بالمقدسات ! . « ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » (سورة الروم : ١٠) .

* * *

نعم ، قد أخذ الماديون فى أوروبا ، هؤلاء الذين قد تحجرت عقولهم بعد أن تلوثت نفوسهم ، ينكرون كل ما لا يقع تحت أبصارهم أو حواسهم الخمس . مع العلم ان هذه الحواس ناقصة الى حد بعيد فى قابلياتها وامكانياتها . وهى تعمل على قدر ما أودع الله فيها من كفاءات . لذلك يستعان بآلات أخرى تزييداً لقابلية بعض الحواس من إبصار وسماع ... الى ما هنالك . وكلما زادت حساسية هذه الآلات كلما تعرف الانسان الى أشياء كان يعتقد أنها غير موجودة من ذى قبل . حتى استعمل (ميكروسكوب الكترونيك) حيث تكبر الجرثومة بواسطتها (٧٠٠٠٠) مرة . ولعل الله تعالى يوفق فى المستقبل بعض المتتبعين الى تكبير بعض الميكروبات الصغيرة جداً الى مليون مرة أو أكثر . وهكذا تتجلى للإنسان بما يلهم الله تعالى بعض المشتغلين فى الفيزياء وعلم الأحياء عوالمُ عجيبة كانت تعد الى زمن قريب من (غير المنظور) .

ويجب أن لا يعزب عن البال أن الحواس الخمس إنما هى آلات يستعان بها (على ضوء ما تعطى من معطيات) على ربط الحوادث بعضها ببعض ، ثم الاستقراء فالاستنتاج . . الخ . والمهم هو هذا العقل الانسانى الفعال : هذا الذى يضع دساتير العلوم ويربط بين معطيات الحواس (بقدر ما توصل اليه

العلم المادى) بالفطرة دون اللجوء الى تجربة سابقة . ولا ريب أن هذا العامل المهم فى الربط وأعنى به العقل ، هو من (غير المنظور) . لذلك يقسم الله بغير المنظور بقوله : « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » . كما ان قوة الجاذبية من (غير المنظور) .

والنفس الانسانية هذه التى يعبر عنها بـ (أنا) من النوع غير المنظور . فـ (أنا) هو غير هذه العظام التى تؤلف الهيكل العظمى (اسكلت) والجهاز العصبي والدورة الدموية ... الخ . ذلك لأنك عندما تقول (أنا) تغفل تماماً عن كل ما فى بدنك من دم وعظم وعصب . فـ (أنا) ليس من المادة فى شىء ، وهو من غير المنظور .

• • •

وها نحن نذكر بعض ما حدث من الوقائع التى أيدت لعلماء الغرب وجود الروح . ولا يخفى أن هذا البحث لمن أهم المباحث لشبابنا المعاصر المحاط بظروف مادية حالكة ، وتشكيكات محرفة مضللة :

ذكرت دائرة معارف بريطانيا ان امرأة فى لندن شاهدت ذات يوم عند الصباح زوجها الذى كان قد اشترك فى حرب (ترانسوال) بباب الغرفة . فتعجبت ، وتقربت منه ، فلاحظت أن ليس له جسم كأجسام البشر . وهو لا يتكلم بشىء . فأخبرت بعض الجهات المختصة وتمكنوا من تصويره ! واذا به ضابط قد قتل فى تلك الساعة فى حرب (ترانسوال) فى جنوب افريقيا وجاءت روحه تزور الزوجة : رفيقة الحياة .

يقول الدكتور الطبيب (أدوين فردريك باورز) استاذ الأمراض العصبية فى جامعات امريكا أنه قد أمضى أكثر من عشرين سنة وهو يبحث ويدقق ويرى اللوحات السالبة لصور الأرواح الفوتوغرافية !

وقد بلغ العلم الحديث مرتبة تمكنه من تصوير سيارة فى المكان الذى كانت فيه بعد أن غادرته . ذلك لأن الاهتزازات الخاصة بها (بالسيارة)

لا تزال موجودة فى المكان الذى كانت فيه ، إلا أنها غير مرئيـــة . فباستخدام آلة خاصة للتصوير أمكن تصويرها !

وان القرآن الكريم يوضح لنا أرواح الملائكة التى ليست من المادة والجسم فى شىء بقوله : « فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم » وذلك فى (سورة هود : ٧٠) وهو قوله تعالى :

« ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى : قالوا سلاما . قال : سلام . فما لبث أن جاء بعجل حنيذ : (مشوى) ، فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس[1] منهم خيفة ، قالوا : لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط » .

ويقول الله تعالى بالنسبة الى سرعة الملائكة التى ليست من الأجسام البشرية فى شىء ، سرعة لا تقاس بسرعة ما يستحصل بأعمال مادية بواسطة الأمواج الكهربائية ، بل هى سرعة فائقة لا يعلم مداها إلا الله : « تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . ولا شك أن سرعة الملائكة أعظم من سرعة الضوء : أى (٣٠٠٠٠٠ كم / ثانية) أضعافاً مضاعفة لعدم تناهى الأبعاد ! فما أبعدها من مسافات شاسعة تقطعها الملائكة فى خمسين ألف سنة بتلك السرعة الهائلة !

* * *

تغلغلت المادية فى أوروبا فى القرن الماضى من جراء تلوث النفوس بأنواع المعاصى والآثام وضروب الفساد والظلم[2] . فصاروا يعزون كل شىء الى المادة وهم لا يعلمون عن حقيقة المادة شيئاً ، وجهلهم بالمادة أكثر من جهلهم بأنفسهم . حتى صار يُعرّف بعضهم المادة : بضرب يده بقوة على

---

(١) أوجس : أضمر منهم خوفاً .

(٢) « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » . (سورة الجاثية : ٢٠) .

المنضدة ، قائلا مع خيلاء تلازمه : « هذه هى المادة » . وهو لا يعلم عن حقيقة المادة شيئاً .

حقاً ، إن هؤلاء المتطفلين على العلم الحديث ذوى الأدمغة المتحجرة والنفوس الضالة أصبحوا عالة على العلم والبشرية جمعاء فضلوا وأضلوا . حتى صاروا يضغطون على علماء الذرة والأحياء أن يعدلوا نظرياتهم التى تبرهن بجلاء وجود الصانع جل جلاله ، وجعلها مؤيدة للمادية الهوجاء .

أنى للنفس المتحجرة أن تذعن للدليل ودونها حجاب يصدها عن رؤية الحق والواقع ! « بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين » . (سورة الروم : ٢٩) .

إن ما أذكره من حوادث قد لطف الجو المادى المدلهم فى أوروبا فى القرن التاسع عشـــر وبعده . فصار يعتقد ثلة من العلماء الذين لم تتلوث نفوسهم بلوث المادية العمياء . أن وراء هذا العالم المادى : (والعالم المنظور) ، عالماً آخر غير منظور .

منها : أن قائداً لفرقة موسيقية فى باريس قد سمع ذات يوم بصورة جلية واضحة ، وهو فى عمارة خاصة بالفرقة المذكورة ، أن شخصاً غير منظور يقول له بوضوح : إن هذه البناية ستنهدم بكاملها يوم الاثنين المقبل فى الساعة التاسعة صباحاً . يبحث القائد عن صاحب هذا الصوت ، فلا يجد أحداً . يرجع الى مكانه . واذا بنفس الصوت يؤكد ما قال أولا . فلا يرى أحداً . فيبقى متحيراً ! من هذا الهاتف ، يا ترى ؟

حتى كان اليوم الموعود . يخرج القائد قبل الساعة التاسعة مع من كان فى البناية على سبيل الاحتياط . واذا بها تنهدم عن بكرة أبيها .

* * *

يذكر لنا أحد علماء الغرب فى بعض مؤلفاته : أن رجلين هاجرا وطنهما وذهبا الى (استراليا) بغية الاشتغال فى رعى الغنم والمتاجرة بها . فازدهرت

تجارتهما فى مدة وجيزة وأصبحا ثريين . إلا أن أحدهما فقد شريكه فجأة بعد مدة . وصار يفتش ويبحث عنه بشتى الوسائل ، فلم يعثر على أثره .

وفى يوم بينما كان هذا الرجل يعود الى بيته جاعلا طريقه على ضفاف بركة عميقة فى شارع ضيق ، شاهد شريكه المفقود جالساً على ضفة البركة جلسة القرفصاء يرمق ببصره الماء .

همَّ الرجل أن يبدى سروره وفرحه ، لأنه قد ظفر بضالته بعد مدة مديدة وتعب شديد ، لكنه رأى أن كآبة تعلو وجه صديقه المفقود ، وهو يتضاءل كلما همَّ أن يدنو منه حتى انمحى ولم يبق منه أثر .

يقول الرجل : فوقفت فى محلى ولم أقترب واذا بصديقى المفقود يبدو من جديد مشيراً بيده الى محل فى البركة ثم يغيب . فعلمت أن لابد فى البركة من شىء يجب اخراجه . ففتشنا المحل الذى قد أشار اليه الصديق المفقود واذا بجثته ملقاة فى قعر البركة ، مغطاة بأوراق الشجر وقد قتل بفأس وجدوها فى قعر البركة أيضاً . دفنوا الجثة وظفروا بالقاتل ، فأعدم بعد الإقرار . وهكذا استدلوا على بقاء الروح بعد الموت .

* * *

كان قد دعى پروفسور (يواهم) أستاذ الرياضيات الى طعام ليلاً فى بلدة (ماربورگ) . فبينما هو جالس مع رفاقه يتجاذبون أطراف الحديث ، واذا به يرى نفسه تدفعه حثيثاً ليذهب الى بيته ويعتريه من جراء ذلك قلق شديد لا يدعه يستقر فى مكانه . يذهب الأستاذ الى بيته ، يفحص زوايا البيت ، فلا يجد شيئا يقلقه ، ولكنه يرى شخصه ما زال قلقا حتى ينتهى الى غرفة المنام . يغير مكان نومه مستعينا بخادمه فيضع سريره فى الجانب الآخر من الغرفة ويعود الى بيت صديقه لتناول طعام العشاء . وبعد تناول الطعام يرجع الأستاذ الى بيته وينام فى غرفته . واذا به يرى بعد منتصف الليل أن السقف ينهدم من ذلك الموضع الذى كان ينام تحته كل ليلة . فلو لم يكن

قد لبى القلق النفسى أو الإلهام الغيبى (الهاتف) لأصيب بضرر بالغ ولعله كان يقضى عليه .

ومن هنا استدلوا على أن وراء المادة عالما آخر ، وأن الله تبارك وتعالى يتصرف فى العوالم كلها حسبما يشاء وكيفما يشاء ، فينجى من الهلكة من من يشاء ، « كل يوم هو فى شأن » .

* * *

يكتب لنا (مسيو كومرا) أحد الصيادلة المشهورين أن دخله اليومى ما كان ليتجاوز (٤٠ — ٤٥) فرنكا فى صيدلية كان قد فتحها فى (تولوز) .

ولكنه رأى ذات ليلة فى ما يرى النائم : أنه مكتوب فى نهاية الصفحة أن مجموع دخله اليومى (٧٦) فرنكا وثلاثين سانتيما . وقد انتقش المبلغ فى ذهنه . حتى كان اليوم الثانى وذهب الى الصيدلية وقص قصته على معاونه . فقال له معاونه : لعل ما رأيته فى منامك هو دخلنا ليومين .

يقول (مسيو كومرا) مضى النهار على العادة حتى جن الليل ففوجئنا بزبائن جدد اشتروا كميات من الأدوية وعندما خرج آخر زبون من المحل كانت الساعة العاشرة والنصف . بادرنا بغلق المحل واذا بنا نجد الدخل اليومى ٧٦ فرنكا و ٣٠ سانتيما كما أخبرت فى عالم النوم !

لا أعلم كيف يفسر المادى هذا الإخبار بالغيب ، أليس هناك عالم آخر قد يفيض على هذا الانسان بأخبار عن عالم الغيب ليزداد ثقة بما وراء الطبيعة . « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد »[1] . « ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ، ألا انه بكل شىء محيط » (مرية : شك) .

• • •

(١) سورة السجدة : ٥٣ ، ٥٤

الروح باقية بعد الموت

ذكرت احدى مجلات ايطاليا أنه كان يدور حديث (بقاء الروح بعد الموت) منذ زمن غير بعيد بين (كنت گالاترى) و (موسيو ديرژينى) : أحد الضباط فى الجيش الطليانى فتعاهد كل منهما مع الآخر أن يخبر صديقه بعد موته ان كانت روحه حية ، بأن يأتى الى صديقه الحى فيحك أسفل قدمه . وقد مضت على هذه المعاهدة خمس سنوات حتى أوفد (ديرژينى) فى جيش الى افريقيا ، فودع (ديرژينى) صديقه وسافر .

وبعد مضى ٨ أشهر على هـــذه الموادعة ، صارت تشعر (زوجة (گالاترى) فى الليل بحك شديد فى رجلها وهى نائمة بجنب زوجها . فصارت تقول لزوجها (گالاترى) : ماذا المزاح ، ولمَ تؤذينى ؟

فأجابها زوجها : وهل أنت تحلمين ؟ انى لم أصنع شيئاً من هذا القبيل .

ولـكنها كانت تشعر أن هناك من يحك أسفل قدمها بصورة متـكررة .

ثم أسرجا السراج ، وفتشا فلم يعثرا على شىء . عند ذلك قالت زوجته : « أما ترى هذا الضابط ، واقفاً تحت رجلى وهو يرتدى قبعة جميلة مع أوسمة . انه طويل القامة ، ها هو ينظر اليك مبتسما ، وقد أصيب فى صدره بجرح خطير وكذلك فى ركبته . انه يحييك تحية عسكرية ، ألا تراه . ولـكنه الآن غاب عن بصرى .

فلم تمض الأيام حتى أخبرت جرائد ايطاليا أن الضـابط (ديرژينى) أصيب فى حرب مع الأحباش فى صدره وركبته ومات فى اليوم الذى جاء الى صديقه : (كنت كالاترى) يخبره أنه حى بعد الموت وأن الروح لا تفنى بموت البدن وذلك وفاءاً بالوعد .

• • •

تقع كثير من هذه الحوادث عندنا فى الشرق ولكننا قلّ ما ندونها لاعتقادنا بما غاب عنا وبالإلهام الربانى وبما وراء الطبيعة .

منها : أن امرأة مات زوجها . فكانت تريد أن تتصدق عنه ، فصارت تصنع طعاماً ليلة الجمعة وترسل به مع ولدها اليتيم الى فقير فى أحد الأكواخ القريبة .

إن الولد كان يأخذ الطعام الذى هيأته أمه الى ذلك الكوخ وهو يشعر فى الوقت نفسه بجوع شديد . يرجع الولد الى بيته جائعاً ، فينام وهو جوعان!

وهكذا صنعت الأم مرة ثانية (ليلة الجمعة) طعاما وأرسلت به مع ولدها الى نفس ذلك الفقير . قدم الولد الطعام الى الفقير ورجع الى البيت وهو يكابد ألم الجوع ، نام وهو جوعان ! .

وفى المرة الثالثة صنعت الأم ليلة الجمعة أيضا طعاما تقدمه صدقة عن زوجها المتوفى وأرسلت به مع ولدها الى نفس الفقير . أخذ الولد الطعام وصار يتقدم نحو الكوخ . إلا أن الجوع كان قد أضر به ضرراً بالغا ، فلم يستطع الصبر . فأكل ما كان فى الإناء ورجع الى البيت ، نام وهو شبعان .

رأت الأم زوجها فى المنام ، يقول لها : « لم يصل إلىّ الطعام إلا فى هذه الليلة » .

انتبهت الأم من نومها قبل طلوع الشمس ، متعجبة ، فأخذت تسأل ولدها : ـ ولدى ، الى من كنت تأخذ الطعام ليلة الجمعة الماضية وقبلها ؟ فقد رأيت والدك فى المنام ، يقول لى : لم يصل اليه الطعام إلا فى الليلة الماضية . ـ فقال الولد : قد قدمت الطعام الى الفقير مرتين مع ما كنت أشعر به من شدة الجوع . ونمت جائعا . إلا انى فى الليلة الماضية لم أطق أن أتحمل ألم الجوع ، وكان قد أضر بى كثيراً . لذلك أكلت ما فى الإناء ونمت وأنا شبعان .

فعلمت الأم أن ولدها اليتيم كان أولى بأكل هذه الصدقة من ذلك الفقير في كوخه . فقد جاء في الحديث : « لا صدقة وذو رحم محتاج » .

وفي آية أخرى : « فلا اقتحم العقبة[١] . وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة[٢] أو اطعام في يوم ذي مسغبة[٣] ، يتيما ذا مقربة[٤] . أو مسكينا ذا متربة »[٥] .

• • •

ولا بأس بذكر هذه الواقعة أيضا ، لتروا كيف أن الله تعالى يريد أن يقوى رابطة الإنسان بما غاب عنه من عوالم ، ليزداد يقينا به تعالى وبعوالم غيبية ، فيخشع قلبه ، « ألم يأنِ[٦] للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ؟ »[٧] ثم لا يركبه الغرور ، فيقسو قلبه : « ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » . (سورة الحديد : ١٦) .

فقد جاء في الحديث : « ما ضُرب ابن آدم بعقوبة أعظم من قسوة قلب » وفي حديث آخر : « شر العمى عمى القلب » وفي آخر : « أعمى العمى الضلالة بعد الهدى » وكم لهذا الحديث الأخير من مصاديق في يومنا هذا ، مع الأسف الشديد .

ثم ان الله تعالى يمدح الذين يؤمنون بالغيب ويخصهم بالهداية دون غيرهم

---

(١) الاقتحام : هو الدخول في أمر شديد . العقبة : الطريق في الجبل .
(٢) أي تحرير رقبة : رق ، أو أسير . وبهذا وأمثاله قضى الاسلام على الرق .
(٣) أي ذي مجاعة .
(٤) يتيماً ذا قرابة .
(٥) ذا متربة : أي ذا فقر . يقال : ترب أي : افتقر .
(٦) ألم يحن .
(٧) سورة الحديد : ١٦ .

بقوله : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون[١] » .

قد ذكر لى من أثق به : « أنه كان قد غادر مدينة طهران مستخدمان بالبريد يريدان زيارة الحسين عليه السلام . وبما أن حكومة الوقت كانت قد منعت السفر الى العتبات المقدسة ، لذلك سلكا طريقاً غير معبد . فأصبحا فى أرض قفراء سبخة وقد أضر بهما العطش ضرراً بالغاً ، حتى هلك أحدهما فى تلك الصحراء وتمكن الآخر بإذن الله بعد توسل وابتهال من أن يرجع الى أهله سالماً تفضلا منه تعالى . وبعد مدة رأى صديقه فى منامه وهو فى بستان فى وضع مريح ، فسأله عن حاله . فأجاب : إنى بحمد الله فى تمام الراحة ، إلا أن عقرباً تأتينى كل يوم فتلسعنى فى إبهامى هذا (وأشار الى رجله) ، فأشعر إذ ذاك بألم تكاد تخرج روحى من جرائه[٢] . وقد أخبرت أن ذلك : لأنى كنت قد سرقت سكينة جميلة صغيرة من بيت صديق (فلان) ، فى يوم كنا نأكل الخس معاً فى بيته (وقد ذكر اسمه) . وانى قد أخفيت السكينة فى بيتى فى الرف الفلانى فى الزاوية اليسرى . فأرجوك أن تذهب الى بيتى وتقرأ زوجتى منى السلام وتقول لها : إن زوجك قد قال لى فى عالم الرؤيا أن تعطينى السكينة التى وضعتها فى الرف الفلانى فى الزاوية اليسرى كى أرجعها الى صاحبها القصاب وأطلب منه أن يغفر لزوجك زلتـــه ، لعل الله يمن عليه بالعفو والغفران . يقول هذا المستخدم . ففعلت كما أخبرت بالمنام ، فكان كما أخبرت .

---

(١) سورة البقرة : ٤

(٢) ان الله تعالى يقول : « ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، وفي آية أخرى : « انما تجزون ما كنتم تعملون » . وفي الحديث : « انما أعمالكم ترد عليكم » . فاذا استغفر العبـــد وتاب وأناب وأرجع الى الناس حقوقهم من زكاة وخمس وصلة رحم الى ما هنالك ، أمن من العذاب وذهب من هذه الدنيا ولا ذنب عليه ولا حساب يؤاخذ به . فطوبى لمن طهرت نفسه في هذه الدنيا قبل أن يطهر بعد الموت بعذاب لا يطاق .

يقول : ورأيت صديقى مرة أخرى فى عالم المنام . واذا به يشكرنى وهو فى تمام الدعة والطمأنينة .

وهكذا هناك من الأطياف ما لا يعد ، تنبىء عن مغيبات تدل بصراحة أن وراء هذا العالم المنظور عوالم غير منظورة لها من الخطورة والأهمية ما لا يوصف .

* * *

ومما قيل فى الإعتقاد ببقاء الروح بعد الموت ، تفنيد آراء شتى قيلت فى سبب النوم وانتصار الرأى الأخير القائل : « إن هناك روحاً آدمية فى الإنسان قائمة بذاتها تنسحب كثيراً أو قليلا من الجسم خلال ساعات النوم » . لذلك صار يعد العلماء : (اعتبار النوم طرحاً روحياً مؤقتا) نصراً عظيما ، لأنه بذلك أمكن تفسير الأحلام التى يراها الانسان فى نومه والتى تتحقق بعد يقظته عاجلا أو آجلا . كما أمكن تعليل رؤية النائم لأمكنة غريبة أو أشخاص غرباء لم يكن قد رآهم قبلا ثم مشاهدته فى عالم الشهود واليقظة بعد سنين أو مدة يسيرة نفس الأمكنة وعين الأشخاص دون أى اختلاف . وهذا تطابق بين حالة الرؤيا فى النوم والمشاهدة فى اليقظة .

وهكذا تؤيد مكتشفات العلم الحديث ما جاء فى القرآن الكريم قبل ١٤ قرناً ان النوم طرح روحى مؤقت . تعمقوا فى معنى هذه الآية لتروا صحة ما أقول . انه تعالى يقول :

« الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[١] . ومعنى ذلك أن الله تعالى يقبض أرواح عباده اذا حان حينهم وجاء أجلهم وهكذا يقبض أرواح عباده الذين لم يموتوا فى منامهم : يقبضها بقطع علاقة تلك الأرواح بالأبدان . فالعبد الذى جاء أجله وهو

---

(١) سورة الزمر : ٤٢

نائم أى (من قضى عليها الموت) لا ترد روحه الى بدنه . بل يمسكها الله تعالى ويرسل روح العبد الذى لم يأت أجله الى بدنه ، وذلك الى أجل مسمى (معين) . لا يعلمه إلا الله . حقاً ، إن فى ذلك لآيات على قدرته تعالى لكل من تفكر فى هذا الوجود الانسانى المؤلف من روح وبدن .

يقول الدكتور (جورج لندسى جونسون) ، انه أجرى عملية جراحية فى عينى فتاة وهى فى التاسعة عشرة من عمرها . ولم تكن قد رأت شيئاً قبل ذلك ، لأنها كانت لا تبصر شيئا . ولكنها صارت تتبين كل فرد فى الغرفة وتميز بين الألوان المختلفة بعد العملية الجراحيـــة وتماثلها للشفاء . وهذا مايؤكد أن روح الفتاة كانت تنطلق فى منامها فترى أشياء ما كانت تستطيع أن تراها بعينيها قبل العملية .

وأما الرياضى المعروف : پوانكاره ، فقـــد رأى فى منامه معادلات رياضية أدت الى استكشافه قوانين رياضية هامة . وكان مؤمناً بالإلهام والحدس ووجود الروح .

وكم من أناس ضاعوا فى الصحراء ولم يجدوا ملجأ إلا الى الله تعالى ، فابتهلوا الى الله مخبتين ، فنجاهم الله بأن أراهم الطريق فى منامهم أو أرسل الله لهم من ينقذهم من الهلاك . « وربك الغفور ذو الرحمة » . « وما ظنُّ الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ، ان الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثرهم لا يشكرون » . فهو جل جلاله يرحم حتى غير الشاكرين من عباده لعلهم يهتدون ، وما أقلهم !

انه تعالى يراقب أعمـــالنا ويسمع نداءنا وتضرعنا فى البحار والقفار ، فينقذنا من الهلكة اذا انقطعنا اليه خاشعين . فلكل واحد منا شواهد من حياته على ما انعم الله عليه حين التضرع من عظيم النعم وهو القائل : « وقليل من عبادى الشكور » .

انه تعالى يقول : « وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون

من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه . وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين »[١] .

حرمة احضار الأرواح

ان الدين الإسلامى قد حرّم (احضار الأرواح) و (احضار الجن) وعدّهما من الكبائر ، لما فى ذلك من تدليس وتمويه وكذب وافتراء . وان بعض المسلمين صاروا يعتقدون بما يقام به فى الغرب من احضار بعض الأرواح ! فى الظلام باستعمال الخباء وأنواع الخداع والوسيط الكذاب وباستعمال كوب صغير أو فنجان يتنقل بين حروف قد رسمت فوق منضدة ، فتكون اجابات الأرواح المستحضرة من مجموع الحروف بحسب ترتيب تنقله بينها ! أو بمؤشر كمؤشر الساعة يدور حول محور وسط نضد دائرى رسمت الحروف الأبجدية على محيطه ، وباستعمال طريقة السلة . . . الخ .

ومن النتائج الكاذبة فى احدى الجلسات : « أن جبريل معنا » ومحاولة البعض من التقاط صورة لجبريل (ع) ، وأكاذيب على الرسل (ع) وغيرهم الى ما هنالك ! . .

وقد علم أخيراً ان أيدٍ هدامة (صهيونية) تريد أن تجعل هذه الروحية الكاذبة (Spiritualism) ديناً جديداً يهدم أسس المجتمع وينشر فيه الفوضى بالتشكيك فى كل المقررات الدينية والخلقية ، لتسود الصهيونية بالأخير فى العالم . وهذا لا يختلف عما فى (پروتوكولات حكماء يهود) وما قصده (فرويد) و (كارل ماركس) وغيرهما من اليهود .

ولا نريد أن نبرهن على فساد ما يذهبون اليه من احضار الأرواح وكيف

---

(١) سورة يونس : ٦٢

أن عوامل مختلفة تؤثر فى الموضوع ، فيخيل الى حاضر الجلسة أن روحاً حضرت وانها تتكلم الى آخر ما هنالك من خداع فى الظلام وتحت الخباء ووسائل ووسائط للتمويه . ولا أشك ان لشياطين الجن دوراً هاماً فى تلفيق الأكاذيب أو الإخبار بما غاب عن الأنظار كما سنبين ذلك فى البحث عن الجن .

ويكفى أن نقول انه قد جاء فى دعاواهم العريضة أن أحد المشتغلين بالأمراض العصبية فى جامعة من جامعات أمريكا قد استطاع : أن يجسد روح أمه وأن يقص خصلة من شعرها ، ثم يفحص بعدئذ الشعر فحصاً هستولوجيا ميكرسكوبيا !

ومن جملة ذلك : ما هو مكذوب على لسان القس (سنتون موزى) ما تلقى عن عالم الأرواح :

« نحن مرسلون من عند الله كما أرسل المرسلون قبلنا ، غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم . فإلهنا هو إلههم ، إلا أن إلهنا أظهر من إلههم وأقل صفات بشرية وأكثر صفات إلهية . لا تخضع لأية عقيدة مذهبية ولا تقبل بلا بصر ولا روية تعاليم لا تستند الى العقل ، ولا تأخذ بلا تحفظ وحياً جاء لأحوال خاصة فى عصر من العصور ! وليس هو بامتياز لأمة دون أمة ولا لشخص دون شخص ، والله يكشف نفسه للإنسان شيئاً فشيئا ! » .

ومن جملة كلمات المشتغلين بشعوذة احضار الأرواح (Spiritisme) قولهم : « ان الروحية ستكون أقدر من غيرها على تأسيس دين جديد واسع للعالم كله » .

ومن أقوالهم : « ان لب الدين هو بذل الخير لخلق الله ، ولا حرج على الناس فيما وراء ذلك . وان طقوس الأديان على اختلاف صورها ليست إلا أساليب لبلوغ هذه الغاية . وان الناس على اختلاف أديانهم بعد سواء : مسلمهم ومسيحيهم ويهوديهم وبوذيهم ، كلهم يعيشون اخوانا فيما وراء الموت ،

وان باب التوبة مفتوح أمام الكافر والفاسق والمخطىء بعد الموت . وان فرصة الترقى متاحة له دائما . وان الجنة والنار حالة عقلية أو حالة نفسية أو هما واقع يجسمه الفكر ويصنعه الخيال الذى يعكس باطن صاحبهما وحالته النفسية » .

وهذا ما يسمع كل يوم فى أوكارهم ومنظماتهم ومجلاتهم : يوهمون للناس ان الناطق بكل ذلك روح كبير[١] !

ومثل ذلك قولهم فى وصف الانسان : « انه عامل ومساعد وشريك لرب العلا وأقوى من الحكام الذين يحكمون بالعصا . أنت فى الرب ومع الرب ولأجل الرب الأمثل » ! ! . .

وهناك من المسلمين من استساغ هذه الأوهام والشرك الصريح وأراد تطبيقها على النصوص القرآنية مع الأسف الشديد ! .

وبالختام نرى أن مجلة روحية تمجد الشيوعية ، وهذا مما يدل أن هنالك ارتباطاً وثيقا بين الروحية (الكاذبة) والشيوعية الهدامة ! وليدة الصهيونية . ولا مجال لأسرد كل ما جاء من كفر وإلحاد على لسان الروحيين ووسطائهم . ويكفى أن نقول : ان الصهيونية تبنت هذه الحركة وصارت تغذيها لأغراضها الهدامة .

ومن المعروف أن الصيهونية الهدامة تكمن وراء كل الحركات السياسية والاجتماعية الكبيرة فى القرن الأخير بل منذ الثورة الفرنسية . وهى التى تخترع هذه الأباطيل وتنسبها للأرواح هدماً للأديان .

فحرى بالمسلمين أن لا ينخدعوا بأباطيل هؤلاء وأن يطبقوا أمر الشارع الأعظم فى حرمة احضار الأرواح .

* * *

(١) الروحية الحديثة ، حقيقتها وأهدافها : للدكتور محمد محمد حسين ، أستاذ الأدب العربي الحديث ، بجامعة الاسكندرية الطبعة الأولى : ١٣٨٠ هـ .

ومن جملة ما هو غير منظور هو « الجن » . فقد أنكر بعض المثقفين بثقافة العصر من رجال الغرب وجود الجن ، لعدم إمكان رؤيته بالباصرة أو لمسه باليد وذلك لتغلب مفهوم المادية على النفوس . وقد تأثر الشرق بمادية الغرب عن طريق الصحافة وغيرها ، حتى أن أحد علماء المسلمين صار يفسر الجن فى القرآن الكريم بالميكروبات التى لا تُرى بالعين . ورأيت أن البعض منهم يرى الجن وجوداً خيالياً تخيّله البشر ، وليس شيئاً إلا الخيال ولا وجود له فى الخارج .

بيد أن أوساط أوروبا قد تأثرت فى ابتداء القرن الحالى باحضار الأرواح على ما فيه من تمويه والتنويم المغناطيسى فصارت تعترف بالجن وأنه كائن حىّ ، لا يشبه الإنسان فى كيانه وقد دُوّنت فى الغرب كتب عدة فى هذا الموضوع .

وان القرآن ليصرّح بوجود الجن وأن منهم المؤمن ومنهم الكافر الجاحد. إنه تعالى يقول : « قل أوحى الى أنه استمع نفر[١] من الجن ، فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا[٢] ، يهدى الى الرشد فآمنا به و لن نشرك بربنا أحدا » . فالجن يستمعون القرآن ويؤمنون به كما نؤمن وليس الجن بجراثيم صغيرة تخفى على العين ، كما قال بعضهم .

ثم يقول الله تعالى عن لسان الجن : « وأنه تعالى جدُّ ربنا[٣] ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » أى أن الجن يعترفون بوحدانية الله تعالى وأنه ما اتخذ لنفسه زوجة ولا ولدا .

ثم يقول الله تعالى : « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون[٤] برجال

---

(١) نفر : جماعة من الجن . و(نفر) من الواحد الى العشرة .
(٢) عجباً : بديعاً .
(٣) تعالى جد ربنا : أي تعالت عظمته .
(٤) يعوذون : يستجيرون .

من الجن فزادوهم رهقا ...[١] الخ . ومعنى ذلك : أن رجالا من الإنس كانوا يلجأون الى رجال من الجن طلباً لاستخدامهم فى حاجاتهم فزادوهم ضلالا وغيا. فيعبر الله تعالى عن الجن برجال ، كما عبر عن الانس أيضا . فعلم أن الجن عالم قائم بنفسه كالإنس . إلا أن النظرية المادية : « كل ما لا يرى بالعين فهو غير موجود » قد أثرت فى بعض النفوس التى ضعف ايمانها لتساهلها فى تطبيق تعاليم الإسلام تطبيقاً شاملا ، فصارت تنكر الجن تأسيا بالماديين أو فراراً من وصمة الرجعية والخرافة أو تشهياً للقب : (العصرى) ، أو (المثقف) ! . . لئلا يُعد متأخراً عن ركب المدنية الحاضرة بما فيها من علل وويلات ! . . أو صار يظن أن الجن ميكروبات أو بهائم أو حشرات دونما تحقيق ودون ارجاع الموضوع الى صريح الآيات القرآنية والأحاديث المستفيضة والمشهورة .

ثم قال تعالى عن لسان الجن : « وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا[٢] » . فيقول الله : إن من الجن رجالا صالحين أبرارا وان منهم مقتصدين أى أقل من أولئك رتبة وهم طرائق متفرقون . كما يقول جل من قائل فى آية أخرى عن الجن « وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون[٣]، فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا[٤] ، وأما القاسطون ، فكانوا لجهنم حطبا » . فمن الجن من هو كالإنس مسلم ، ومنهم من هو ظالم لنفسه مبين ، ومأواه جهنم وبئس المصير . فلا فرق بين الجن والانس من هذه الناحية فيحرق الظالم والكافر من الجن بالنار ، ان لم يتوبا ، كما أن الانس كذلك يحرق الظالم والكافر منهم بالنار دون توبة وتطهير النفس من أوساخ الذنوب والمظالم والرذائل .

---

(١) ضلالا .

(٢) قددا : أي متفرقة ، مختلفة .

(٣) القاسطون : الظالمون .

(٤) تحروا رشدا : أي توخوا رشداً .

انه تعالى يقول : « وتمت كلمة ربك : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » .

ويقول الله تعالى فى موضع آخر من القرآن الكريم : « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ، ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون[١] » ، ومعنى ذلك : أن المشركين جعلوا بين الله وبين الجنة نسباً (ويراد بالجنة هنا الملائكة) . ولقد علمت الملائكة أن المشركين أو الكفرة لمحضرون أى مقودون الى العذاب المهين ، وفى تفسير آخر : أن المراد بالجنة هو الجن ، ذلك لأن المشركين قالوا : إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة ، فالله تعالى يقول : إن الجن علموا أنهم لمحضرون للعذاب الا عباد الله المخلصين[٢] منهم (أى من الجن) .

ويقول تعالى فى سورة السجدة : ١٣ : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » .

* * *

ثم ان الله تعالى يخبرنا فى مكان آخر من كتابه الحكيم بقوله : « واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا : يا قومنا انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يُجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين »[٣] .

وهؤلاء ، على ما جاء فى التفسير ، هم جن (نصيبين) باليمن أو جن (نينوى) وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ببطن نخلة ، يصلى بأصحابه

---

(١) سورة الصافات : ١٥٨

(٢) وذلك لقوله تعالى فى الآية ١٦٠ : « الا عباد الله المخلصين » .

(٣) سورة الأحقاف : ٢٩ — ٣٢ .

الفجر ، فصاروا ينصتون الى القرآن حتى اذا فرغ من قراءته ، رجعوا الى قومهم ينذرونهم ويخوفونهم العذاب ان لم يؤمنوا وقد كان هؤلاء الجن يهوداً فأسلموا .

فظهر مما سبق أن الجن على نوعين : مسلم ومؤمن بنبوة محمد (ص) وكافر بها ، وان الإنس قد يعوذون بالجن لأغراض سيئة فيؤدى بهم الى خسران وسوء العاقبة .

ثم ان الله تعالى يقول فى سورة (الرحمان) : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا[1] من أقطار السماوات والارض ، فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان » .

ويبين لنا سبحانه وتعالى مم خلق الجن بقوله : « وخلق الجان من مارج من نار » وهو لهبها الخالص من الدخان .

ثم ان الله تعالى يتحدى الجن كما يتحدى الانس بقوله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا[2] » .

وان الجن مدعوون الى عبادة الله تعالى كالإنس على حد قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يُطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين »[3] .

• • •

ان الله تعالى يقول : « والجانَّ خلقناه من قبل من نار السموم » ، ولا نعلم شيئا عن حقيقة هذه النار . فانها طاقات . وقد علم أن الذرة فى الأصل طاقات كهربائية تكدست بإذن الله بترتيب بديع تحت نظام رائع حتى كانت

---

(١) أن تنفذوا : أن تخرجوا .
(٢) سورة بني اسرائيل : ٩٠ .
(٣) سورة الذاريات : ٥٦ ، ٥٨ .

هذه الذرة . ثم تشكلت بأشكال شتى ، حسب اختلاف عدد الألكترونات (شحنة كهربائية سالبة) والبروتونات (شحنة كهربائية موجبة) حتى كانت هذه العناصر المختلفة : الإيدروجين ، الكالسيوم ، الحديد ، الرصاص الخ ..

فالعالم كله قوى كهربائية ومغناطيسية وجاذبية وطاقات أخرى نجهلها كجهلنا كثيراً من الأشياء ، أشياء لا تتناهى . وهكذا الجن مخلوق من نار السموم أو من (مارج من نار) والمارج : لهب النار الخالص من الدخان . فهذه طاقات خلق الله منها الجن لا نعلم حقيقتها كما لا نعلم فى الوقت الحاضر حقيقة أية طاقة من الطاقات . بل العلم الحديث انما يعمل فى كشف الآثار والاستفادة منها فى الحياة الاجتماعية .

فالجان ليس من هذه الاجسام المتعارفة التى نبصرها بأعيننا وانما هو من طاقة أخرى لا نتمكن مشاهدتها لعدم وجود قابلية فينا لرؤيتها يقول تعالى : « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » فالانسان لم يُعط ملكة يقوى بها على رؤية الجن ولكن الأنبياء والأولياء (ع) قد يتمكنون من رؤية الجن بفضله تعالى ، لما أعطاهم من ملكة خاصة نجهلها .

وهكذا ليس فى استطاعة الانسان أن يرى الملك بقابلياته الحاضرة وملكاته الطبيعية التى وهبها الله اياه ، لذلك يقول تعالى : « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا يُنظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون »[1] .

توضيح ذلك : يقول الله تعالى فى الآية المتقدمة : إنا لو جعلنا الرسول ملكا لاضطررنا لقلبه رجلا ليتمكنوا من رؤيته .

وكان الجن يعملون بين يدى سليمان (ع) : فقد قال تعالى : « ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ[2] منهم عن أمرنا نذقه من عذاب

---

(١) سورة الأنعام : ٨ — ٩

(٢) يزغ : يعدل

السعير »[١] . « يعملون له ما يشاء من محاريب[٢] وتماثيل[٣] وجفان[٤] كالجواب[٥] وقدور راسيات[٦] ، إعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور . فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته[٧] ، فلما خر[٨] تبينت[٩] الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين[١٠] »[١١] .

وقد سمعت أحدهم يقول « إن الجن هى الحيوانات أو الحشرات » وكان يقول : « إن نفي للجن لا يحتاج الى دليل ولكن على المثبت أن يأتى بالدليل » . فقلت له : على من يؤمن بالقرآن أن يعترف بالجن كمخلوق مكلف بتكاليف عبادية كالإنس ، حسب الآيات المتقدمة . ثم كيف توفق بين ما تعتقده وقوله تعالى : « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابى وقدور راسيات » . وقوله تعالى : « قال عفريت من الجن ، أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » . فهل للبهيمة أو الحشرة أو الميكروب أن تقوم بهذا العمل الجبار ؟ !

• • •

---

(١) سورة سبأ : ١٢

(٢) محارب : أبنية مرتفعة يصعد اليها بدرج .

(٣) جمع تمثال أي صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته .

(٤) جفان : جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة .

(٥) الجوابي : جمع جابية وهي حوض كبير ، فكان يجتمع على الجفنة الواحدة الف رجل يأكلون منها .

(٦) قدور راسيات : القدور : جمع قدر ، وقدور راسيات أي قدور ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها .

(٧) منسأته : أي عصاه ، المنسأة : هي العصا .

(٨) خر : سقط ميتاً .

(٩) تبينت الجن : انكشف لهم .

(١٠) في العذاب المهين : العمل الشاق المهين لهم .

(١١) سورة سبأ : ١٣ — ١٤

قلنا إن الجن قد يشاهدون من قبل الأنبياء (ع) والأوصياء (ع). وهم يتطورون ويتشكلون فى صور الإنس وغير الإنس على ما أعطاهم الله من ملكات وامكانيات. كل ذلك فى دائرة محدودة وبأمر من الله. وقد يتجسم الجن على شكل أو صورة بنى آدم. وفى امكان الجن أن يدخلوا الغرف والأبواب مغلقة. وذلك من شقوق الأبواب والمنافذ، كأمواج الراديو.

وقد سمعت محاضرة لأحد علماء مصر، كان ينكر وجود الجن، ثم سافر الى المغرب واتصل ببعض من كان يحضر الجن وشاهد ما يصدر على أيدى الجن من أعمال شتى تحير العقول. وقد رفع قبلا كل ما من شأنه الخداع والتلبيس. فآمن بالجن بعد أن كان منكراً أشد الإنكار.

وقد جاء فى تفسير الآية الآتية: أن الشيطان أتى قريشاً فى صورة (سراقة بن مالك بن جشعم الكنانى) لما أرادوا الخروج الى بدر قال الله تعالى: «وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس، وإنى جار لكم، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برئ منكم، انى أرى ما لا ترون، انى أخاف الله والله شديد العقاب». كما انه روى ان الشيطان تشكل فى صورة شيخ نجدى لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور فى أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: هل يقتلونه أو يحبسونه أو يخرجونه كما قال الله تعالى: «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»[1].

* * *

وقد رُوى أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان ذات يوم يخطب على منبر الكوفة، اذ ظهر ثعبان من جانب المنبر وجعل يرقى حتى دنا من أمير المؤمنين (ع) فارتاع الناس لذلك وهموا بدفعه، فأومأ اليهم بالكف عنه،

---

(١) سورة الأنفال: ٣٠

فلما صار على المرقاة التى عليها أمير المؤمنين ، انحنى أمير المؤمنين الى الثعبان وتطاول الثعبان اليه حتى التقم أذنه، وسكت الناس وتحيروا ، فنق نقيقا سمعه كثير منهم ، ثم زال عن مكانه وأمير المؤمنين يحرك شفتيه والثعبان كالمصغى اليه ، وانساب وكأن الأرض ابتلعته ، وعاد أمير المؤمنين الى خطبته فأتمها ، فسألوه عنه . فقال : انه حاكم من حكام الجن التبست عليه قضية ، فصار إلىّ يستفهمنى عنها ، فأفهمته اياها ودعا لى بخير وانصرف .

وينبغى أن لا يُستبعد وقوع ما ذكر لعلىّ عليه السلام ، فقد جاء فى القرآن الكريم : أن سليمان بن داود على نبينا وآله وعليهما السلام لما أرسل الى بلقيس قال لأصحابه : « يا أيها الملك أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ، قال عفريتٌ من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » أى من مجلسك الذى تجلس فيه كل يوم للقضاء ، وكان يجلس فيه الى الظهر . فالله تعالى قد أعطى العفريت من الجن قوة يستطيع بها أن يحضر عرش بلقيس من بلاد نائية . فالعفريت ليس بأعز على الله من علىّ عليه أفضل الصلاة وقد قام الإسلام بسيفه وتضحياته التى لا تعد ولا تحصى !

وقد جاء فى الأخبار أن عليا (ع) حارب أعداء الرسول (ص) من الجن وانتصر عليهم ، والقضية مشهورة فى كتب الفريقين . لم ينكرها أحد .

ثم أن الجن يحشرون ويحاسبون يوم القيامة لقوله تعالى : « ويوم يحشرهم جميعا ، يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الانس : ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ، قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ، ان ربك حكيم عليم » . وفى آية أخرى :

« يا معشر الجن والإنس : ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى

وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا : شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » .

وفى أخرى « قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار ، كلما دخلت أمة لعنت أختها ، حتى اذا ادّاركوا فيها جميعا ، قالت أخراهم لأولاهم : ربنا هؤلاء أضلونا ، فآتهم عذابا ضعفا من النار . قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون » .

وفى أخرى : « قال الذين كفروا : ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين » .

السلوك الرحمانى والسلوك الشيطانى

ذكر لى أحدهم : أن هنالك طريقين فى السلوك والتقرب الى الله . سلوك رحمانى وسلوك شيطانى . فالسلوك الرحمانى هو سلوك حسب ما أمر الله تعالى به وما أملاه علينا الرسول (ص) والأئمة من بعده عليهم السلام . من صلاة وصوم وزكاة وخمس وحج وانفاق وأعمال صالحات والقيام بحوائج الناس وأعمال عبادية مستحبة بصورة مستمرة وبكثرة دونما فتور من صلاة جوف الليل وأوراد وتضرع وتسبيح بين الطلوعين وقبل الغروب وتطهير المأكل والمشرب وذكر الله تعالى على كل حال وصمت إلا فى ما يرضى الله . فعند ذلك تتجلى له كثير من الحقائق وتخدمه قسم من مؤمنى الجن إن شاء الله تعالى .

وهذه الطريقة وأعنى بها السلوك الرحمانى من الصعوبة بمكان ، لا يقوى عليها إلا الأوحدى .

وهناك سلوك شيطانى يتلخص فى اطاعة الشيطان الغاوى أو بالاحرى اطاعة ابليس عليه اللعنة فى كل ما يريد من ترك الصلاة والصوم والحج ، بل وعبادة الشيطان نفسه ومخالفة أمر الله تعالى حيث يقول : « ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ، انه لكم عدو مبين . وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلاً[1] كثيراً أفلم تكونوا تعقلون »[2] والإهانة بالمقدسات بل وتلويثها .

وقد علم من أحد السالكين السلوك الشيطانى انه كتب الى صديق له (درويش) يقطن فى شعب من شعاب جبال (همدان) بصورة سرية : « أنه

---

(١) جبلا : خلقا .

(٢) سورة يس : ٦٠ — ٦٣ .

قد بلغ به الأمر حيث يلعن علياً (ع) ليلة الجمعة على تل فى النجف الأشرف (١٠٠) مرة . فكانت نتيجة ذلك أن خدمته أبالسة الجن فاءتمرت بأمره واطاعته فى ما يريد . وقد قال تعالى : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمان لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون » . . (سورة الزخرف : ٣٣) .

* * *

وقد سمعت ممن يوثق بكلامه : أن شابا كان قد صاحب درويشاً سلك مسلكا شيطانيا وتعلق به تعلقا وثيقا ، لما كان يرى من خوارق ظاهرية تجرى على يديه .

يقول هذا الشاب : خرجت مع هذا الدرويش ذات يوم قبيل الظهر من مدينة (تبريز) ، حتى إذا ابتعدنا عن البلدة مسافة يعتد بها ، قال لى الدرويش : ما أجمل المكان وما أطيبه ! لو كانت لنا هنا غرشة (نارجيلة). فقلت له : سيدى قد ابتعدنا كثيراً عن البلدة ، ولا يوجد بالقرب منا مقهى ... فقال الدرويش مغضبا : أو ضعف ايمانك بى ؟! ونادى بصوت رفيع . غرشة ! واذا بغرشة جاهزة توضع بين يديه ، فصار يشرب . حتى إذا فرغ ، استأنفنا الطريق . فبعدنا عن البلدة مسافة لا يستهان بها ، فبلغنا مكاناً فى غاية الجمال . . . وقف الدرويش عن السير . وقال : ما أجمل هذه المناظر ! لو تناولنا غداءنا فى هذا المكان .

فقلت له : ومن أين نجد طعاماً فى هذا المكان النائى ؟

فقال : وهل ضعف يقينك بى ؟ فنادى بصوت عالٍ : غداء ! واذا بمائدة جاهزة توضع بين يديه ، وفيها من الطعام ما لذ وطاب .

فصرت أنظر اليها وأنا متعجب ، حائر ، وألعن الشيطان ! . . واذا بالرجل ، يلطمنى على وجهى بكل ما أوتى من قوة ...

فقلت : ولماذا ؟ ما الذى صنعت حتى أغاضك ؟ إنما ألعن الشيطان ، لعنه الله ! فلطمنى ثانيا ، قائلا : أتلعن من هو ولى نعمتى ، المتفضل علىّ بعظيم النعم ، إنه هو معبودى ومقصودى ولولاه لما كانت هذه المكرمات ، ومن جملتها هذه المائدة . فتقديسى لإبليس وعبادتى له واطاعتى اياه جعلنى موضع عنايته ، فيهيء لى ما أريد وما اشتهى ، يقول الشاب : علمت اذ ذاك أن الدرويش كافر مشرك ، فتركته وسافرت الى العتبات المقدسة تائبا مما كان منى أثناء غفلتى .

فشياطين الجن يقومون بتحقيق رغبات من يوافقهم فى كفرهم وجحودهم ويخدمونهم حتى يوردوهم جهنم وبئس المصير . ان الله تعالى يقول :

« إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير »[1] .

فمن الناس من يعبد الجن ويحقر المقدسات ويقوم بإهانتها ليتميز عن الآخرين بما سيهيء له ابليس ما يدهش الألباب من أعمال يعجز عنها الانسان حسب ملكاته الخاصة به . انه تعالى يقول عندما يصف أحوال يوم القيامة : « ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون » .

* * *

وقد نقل أحد كبار العلماء انه قد كان فى أصفهان رجل تصدر منه الخوارق ويخبر عن أشياء خفية لا يعلمها إلا أصحابها .

فاذا كان موسم الحج . سافر من أصفهان فى ٧ ذى الحجة ، فيُرى فى مكة وهو يصافح الحجاج ويرجع قبلهم مع عدم وجود طيارة فى ذلك الوقت . ان الرجل كان معززاً مكرماً حتى وافته منيته .

---

(١) سورة فاطر : ٦

وبعد مضى مدة على وفاته رأى ولده ذات يوم فى موسم الحج أى فى ٧ ذى الحجة وهو جالس فى بيته : اذ دخل عليه رجل قائلا له : إنى كنت آتى أباك كل سنة فى مثل هذا اليوم ، لآخذه الى مكة ، وكان قد أحضر دابة ، فقال لى : اركب . فركبت ، وبعد مدة وجيزة جداً صرنا فى البر ، فنزل ونزلت ، فقال : أنا الشيطان ! . . أسجد لى كما سجد لى أبوك من قبل . . .

يقول الولد : فقلت له : لست بساجد لأحد غير الله تعالى ، إنما أسجد لله وحده لا شريك له . فطفق يلح ويلحف ، حتى أعيى ، فلم ألب طلبه ، فتركنى فى الصحراء وانصرف . ثم انى صرت أدعو الله جل شأنه لينجينى مما ألمّ بى ويوصلنى الى بلدتى . فمن الله علىّ بالنجاة وذلك بإلهامى الطريق المؤدى الى بلدتى .

فكان الولد بعد هذه الحادثة يلعن أباه ، لأنه كان من عباد الشيطان .

* * *

وإنما نهى الشارع عن احضار الجن والأرواح وعدّ ذلك كبيرة لما يؤدى ذلك الى اطاعة الشيطان وعبادته وسوء العاقبة ، أعاذنا الله منها .

وأن مثل هذه الواقعة التى ذكرناها وقائع كثيرة ، فمن طاوع الشيطان فى كفره وإلحاده وتوهينه المقدسات وسبه أولياء الله والولوج فى شتى المعاصى وأطاعه ، كان الشيطان عونا له فى الإخبار عما خفى عن الناس وتهيئة ما يريد من أشياء ووسائل .

وقد سمعت ممن اتصل بإمرأة كانت تحضر الجن ، أنه أراد أن يقوم باحضار الجن بطريق غير شيطانى . فعلمته الامرأة (واسمها صغرى) أن ينزل الى السرداب ويرسم دائرة ويجلس فى وسطها ويقرأ الأوراد المعينة . يقول الرجل : « امتثلت ما قالت الإمرأة وصرت أقرأ الأوراد ، فظهر أمامى أنواع الحيوانات المخيفة ، بأشكال شتى ، ثم ظهر أمامى بحر خضم

فيه تمساح كبير أراد أن يلتقمنى . ففزعت وصحت : صغرى ، صغرى ، أدركينى ، فقالت اخرج الى سطح الدار ، يا ضعيف النفس !

فخرجت الى سطح الدار ولم أنجح فى تطبيق ما أمرتنى به ، ..

قد يستغرب مما أقول من تطبع على التجارب الفيزيائية أو الكيميائية ، ولكن لا ينبغى لعالم مفكر دقيق أن ينكر ما لم يدرسه ولم يجربه ولم يتتبع فيه . بل المفكر الحقيقى هو ذلك الذى يجعل كل ما طرق سمعه فى دائرة الاحتمال ، فيسأل ويتتبع ويعقب ويجرب ويطبق ليصل الى واقع الامر والحقيقة ، من وجود أو عدم وجود ما ينكره ، حتى يكون حكمه مبنياً على الاستقصاء والتتبع والمداقة .

وما أكثر أحكام المتطفلين على العلم الحديث وأوهنها وأضعفها وأبعدها عن الحقيقة . انها هوى النفس ، وكبرها وطيشها ومروقها . انها مظهر من مظاهر النفس البهيمية ورشحات من نزواتها ومجونها تلبست بلباس العلم ، والعلم منها براء .

* * *

إن ما يشاهد ويحدث من حوادث غريبة فى الهند وغير الهند يجعل غير المعتقد بما وراء الطبيعة فى حيرة من أمره ، لا يعلم كيف يجيب وكيف يحلل الموضوع .

أنقل لكم ما حدث أخيراً عن امرأة هندية ، تجيب على أصعب العمليات الحسابية بسرعة عجيبة : فقد سئلت عن جذر عدد كبير أصم ، ووضع السؤال أيضاً فى آلة معدة لحساب جذور الاعداد . فأجابت الامرأة ارتجالا اسرع من الآلة . فلم يطابق جوابها ما استخرج من الآلة من جواب . فأعادوا عليها السؤال فأجابت نفس الجواب ، فعلم أن الخطأ إنما كان فى ما استنتج من الآلة ، وهى محقة فى جوابها .

فهناك فى الهند مرتاضون يأتون بالأعاجيب وأظنهم لا يعلمون كيف تحدث على أيديهم هذه الأعاجيب والخوارق .

فقد ذكر لى أحد أرحامى وكان يتاجر فى الهند ، أن رجلا هندياً كان يأتى بالغرائب ، فيلتقط من الفضاء موزاً وكل ما يراد منه ، وذات يوم كان راكباً فى قطار ، فطولب ببطاقة ، فقال : ليس لى بطاقة فأريد منه النزول ، فقال انزل ولكن القطار سوف لا يتحرك . وكان كما قال : فلم يتحرك القطار حتى ركب ! .

وذكر لى أحدهم ، أنه كان يريد حمل مقدار من الأفيون دون مراجعة دائرة « الكمارك » الى خارج ايران .

وسمع أن فى احدى قرى طهران رجلا يخبر عما سيقع . فذهب اليه لعله يعلم بما سيحدث من أمر الافيون حين نقله خارج الحدود . فما أن دخل عليه ، حتى رأى الرجل المرتاض ! يخاطبه قائلا : لا تحمل الافيون من الطريق الفلانى ، واحمله من طريق آخر (وذكر الطريق) ، فأنت تفوز بمرادك .

يقول الرجل ، أخذنى العجب الشديد من هذا التنبأ ، فقلت فى نفسى ، أبقى هذه الليلة فى هذه القرية بالقرب من الرجل . لأراقب حاله وما عليه من رياضات .

يقول : « ذهبت اليه ما بين الطلوعين وصرت بالقرب منه ، وهو تحت شجرة ، فأومأ إلىَّ ، فدنوت منه ، فلم أجده ، ممن يصلى أو يقوم بذكر وأوراد بل ألفيته وسخاً ذا أظافر طويلة ، لا ترتاح لرؤيته النفس .

فقلت له : كيف تخبر عما سيكون . فقال : أنا أيضاً لا أعلم ، كيف يحدث ذلك . وانما تجرى على لسانى ألفاظ ، فأرى الناس يرونها مطابقة لما يدور فى خلدهم ويتحقق كل ما يُقال على لسانى . ولست إلا آلة صماء ، لا أعلم لماذا يتحرك لسانى وماذا سيجرى عليه .

يقول . ثم رأيته : أخرج قنينة صغيرة ، فقال هذا سم ، أتناول قليلا منه . ثم أخرج ثعباناً صار يلدغه ، حتى أغمى عليه ، ثم صحا ، وأخذ يشرب فى اناء وسخ مقداراً كثيفا من الشاى مع السكر : (النبات : على ما هو المصطلح) . قال : هذه رياضتى ، وهذا قوتى ، وبعملى هذا بلغت ما بلغت ولا أعلم كيفية ذلك .

فهل للعلم الحديث أن يحلل هـــذه القضية على ضوء ما توصل اليه العلم المادى . انهما من عالمين مختلفين ، عالم الطبيعة وعالم ما وراء الطبيعة ، فلا يمكن أن تحلل قضايا غير مادية ، قضايا من ما وراء الطبيعة على ضوء مكتشفات مادية طبيعية ، لأنهما من واديين مختلفين .

إن الرجل الذى تقدم ذكره ، قد سلك طريقاً شيطانيا غير مرضى عند الله تعالى ، وآذى نفسه ، فجوزى بأمر من الله فى دنياه بهذه الميزة التى لا يعلم كيف تتجلى له على حد قوله تعالى : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون[1] » .

ولكن ، هناك سلوك رحمانى وهو سلوك الأنبياء (ع) والصالحين من عباد الله ، سلوك يطابق المنطق ويوافق العقل . فكم من آيات فى القرآن تدل على إخبار بالغيب بإلهام من الله وعظيم لطفه . ومما قاله يوسف (ع) وهو فى السجن : « قال لا يأتيكما طعام تُرزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمنى ربى . انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء . ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس . ولكن أكثر الناس لا يشكرون[2] » .

---

(١) سورة هود : ١٥ ، ١٦ .
(٢) سورة يوسف : ٣٧ ، ٣٨ .

وقال عيسى (ع) : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون فى بيوتكم . إن فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين »[١] .

وقد جاء فى الأخبار أن رجلا مرتاضاً هنديا أتى الصادق (ع) واظهر انه يعلم كل ما يُخفى الصادق سلام الله عليه فى يده ، وكان كما ادعى . ثم سأله الصادق (ع) بعد أن أخفى فى يده أشياء عدة : سأله ماذا فى يدى ؟. فقال : قد تناولت من أقصى الهند بيضة كانت قد باضتها حمامة فى أعلى الشجرة الفلانية . وتعجب مما قام به الصادق عليه السلام .

فسأله الإمام (ع) : بمَ وصلت الى ما وصلتَ اليه . فقال : بمخالفة النفس !.. ثم عرض عليه الصادق (ع) الاسلامَ . فأبى . فقال له الصادق (ع) أنت أخذت على نفسك أن تخالف هواك . فخالف هواك كما عاهدت نفسك . فقبل الرجل وأسلم .

ثم ان الصادق سلام الله عليه ، أخفى فى يده شيئاً وأراد من الرجل أن يتنبأ ، فلم يستطع . وقال ، ضاع عنى ما كنت عليه ولا ألهم بشىء .

فقال له الصادق (ع) ، ما مُؤداه : انك كنت ضالا ومتبعاً خطواتِ الشيطان ، فجازاك الله لمخالفتك هوى نفسك بهذا الإلهام وميّزك عن غيرك بهذه الميزة فى دنياك ، وكنت فى الآخرة من أصحاب النار . ولكن الآن ، بعد أن تشرفت بالإسلام عاملا بنصوصه ، ذهب عنك ما توصلت اليه بطريق شيطانى مضل . وقد هيأ الله لك آخرةً سعيدة وحياة أبدية هنيئة .

وكم قرأنا فى المجلات أن أناساً أعطوا من الإلهام بحيث يجيبون على عملية ضرب فى الحساب : عشرة أرقام فى عشرة أرقام بسرعة عجيبة ، دون أن يشعروا كيف يجرى ذلك على لسانهم .

إن عوالم ما وراء الطبيعة عوالم عميقة تستدعى التحقيق والتفكير وهى

---

(١) سورة آل عمران : ٤٩

ليست من عوالم المادة ، (سانتيمتر ، غرام ، ثانية) فى شىء ، فلا معنى لتحليل ما هو غير مادى بمقاييس مادية مقتضبة . وان الله تعالى ، وله الحجة البالغة ، يهيىء لهذا الانسان بين الفينة والفينة حوادث لتذكيره : أن وراء هذا العالم المادى عالماً آخر لا يُشبه العالم المادى فى شىء ، وليس هناك مقياس مشترك بينهما كما فى الحوادث المادية (الفيزيائية أو الكيميائية) كى يزداد هذا الانسان ايماناً بربه وخالقه ، وقدرته التى لا تحد ، وعظمته التى لا تتناهى . مع العلم أن ليس للإنسان المحدود فى جميع قابلياته أن يحيط بالله الذى لا يحده شىء . وأنى للمحدود أن يدرك غير المحدود ادراكاً تاما وأن يحيط به ، إنما يؤمن ويوقن بوجوده وهيمنته بقدر ما فى نفسه من طهارة وصفاء .

* * *

إن العلم الحديث ليعترف بالأشعة الكونية وهى لا تُرى ولها آثارها العجيبة ويعترف بالبث الألكترونى وبأمواج الراديو واللاسلكى والتلفزيون وكل أولئك قوى وطاقات لا ترى بالعين وموجودة فى الفضاء ولها آثارها . فلا يصعب على العلم الحديث وحاملى لوائه الاعتراف بموجود هو من نوع طاقات خاصة ، قد من الله عليه بعقل وارادة وكلفه بتكاليف وهو مسؤول أمام الله تعالى (وأعنى بذلك الجن) ، وهو القائل : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدونِ » . (سورة الذاريات : ٥٦) .

* * *

قلنا آنفاً إن المادية قد تغلغلت فى أوساط أوروبا وسرت الى أصقاع أخرى ، كل ذلك لتوفر وسائل الترف والفساد والإفساد وهتك الاعراض والحرمات وشيوع الربا والخمور وأنواع الظلم والفجور ، فاظلمت النفوس ، وتحجرت العقول ، حتى صارت لا تبصر الحق والواقع ، فقد جاء فى الحديث:

« إذا أذنب العبد كان نكتة سوداء على قلبه ، فإن هو تاب وأقلع واستغفر ، صفا قلبه منها ، وان هو لم يتب ولم يستغفر كان الذنب على الذنب والسوداء على السوداء حتى يغمر القلب » .

ولو تتبعت نفوس هؤلاء الماديين المنحرفين ، لوجدتهم أبعد الناس عن العطف والحنان والأخلاق الفاضلة وأقرب الناس الى الشهوات والملذات والإفساد والبغى والظلم ، تشهد بذلك حياة (كارل ماركس) فى صغره وشبابه ومع والديه وأخواته . فقد كان ينقطع عن الجامعة ويذهب الى السكر والدعارة ، يترك (بون) مقر الجامعة ويذهب الى (كولون) فى جوارها ويبتغى فيها ملاهى السمر . سيق الى الشرطة لإفراطه فى السكر والعربدة ! وقد استخدم الأسلحة النارية . كان فيه شهوة الهدم والتخريب ، كان أنانياً يختلق التهم ، حسوداً ، مغروراً . كان يعامل من يخالفه معاملة ملؤها التحقير والازدراء . ويقول لكل من يخالفه فى الرأى : (بورجوازى) . كان مغروراً بآرائه ويقول : آرائى وأفكارى ... ولا يقبل أى نقاش . كان مسلوب العاطفة . فلم يذهب الى بلده حين مات أبوه وبقى فى برلين وهو رب الأسرة بعد والده . واسترسل فى الطلب حتى نفد نصيبه من الميراث ، فمال الى نصيب أمه وأخوته . وكان قبلا قد أرهق أباه فى طلب المال . وقد انتحرت بنتاه : (لورا وأختها) . عقد مقاولة مع الجرائد وأخذ مبلغا ولم يفِ بمنطوق العقد . وعقد اتفاقية مع (ألكسى) على كتابة نظرياته الإقتصادية (هذه التى لم تنل نصيباً من التطبيق لكونها بعيدة عن واقع الحياة) ، وقبض (١٥٠٠) فرنك وعقد فى نفس الموضوع اتفاقية أخرى مع شخص آخر ولم يفِ بكليهما !

نعم ان رجلا هذا ديدنه وتلك صفاته حقيق أن تترشح منه هذه الاباطيل . بأن يقول : « ان الديانات والعقائد جميعاً إنما هى انعكاسات الضرورات الاقتصادية » . إن لم يكن قد قصد وراء ذلك الإنتصار للصهيونية

عن طريق الهدم والإفساد ، وسحق المقدسات ! « أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » . (سورة المائدة : ٤١) .

إنه تعالى يقول : « ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون »[١] . وفى آية أخرى : « وما يضل به إلا الفاسقين »[٢] . فقد أغلق الله تعالى على الفساق أبواب الهداية حتى يؤوبوا ويتوبوا . هذه هى سنة الله فى أرضه وسمائه . « ولن تجد لسنة الله تبديلا »[٣] .

حقاً لو تعمقنا فى ما سنه الله تعالى وأقره لألفينا فى ذلك كل المنطق وتمام العدل . وذلك لأنه بالتقوى والورع يعمر القلب وتتكامل النفس ، فتصبح قمينة للفيوضات الرحمانية والألطاف الربانية ، وبالفسق والفجور يتحجر القلب وتظلم النفس ، فلا تجد لمعرفة الله تعالى طريقا ولا لرفده سبيلا . « نسو الله فنسيهم » والانسان الظالم لنفسه ، هو الذى قد سد على نفسه أبواب المراحم الإلهية والنفحات القدسية الصمدانية : « وما ظلمناهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »[٤] . وفى آية أخرى : « سأريكم دار الفاسقين »[٥] .

* * *

إن أوروبا لا تزال منهمكة فى فجورها وخمورها وما دامت كذلك ، فلا تجد لهداية الله سبيلا ، إلا أفراداً قلائل ممن لم تغرهم المادة الصماء ، فتابوا وأنابوا واستضاؤا بنور الإسلام : « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا »[٦] .

---

(١) سورة البقرة : ٩٩
(٢) سورة البقرة : ٢٦
(٣) سورة الفتح : ٢٣
(٤) سورة الزخرف : ٧٦
(٥) سورة الاعراف : ١٤٤ .
(٦) سورة الأحزاب : ٤٦

فقد ذكر لى أحد الأصدقاء أنه ذهب الى ألمانيا فى الصيف الماضى ، وقد زار أخاه فى احدى المدن وكان أخوه قد سافر قبلا لتكميل تحصيله وأخذ درجة الدكتوراه . فرأى أخاه على غير ما كان عليه من قدسية مرموقة ، وصلاة مع الجماعة ودعاء وابتهال ليالى الجمعة فى الحرم الشريف . رآه قد انغمر فى ما حرم الله وأخذ الإيمان يتضاءل فى نفسه ، والجحود يأخذ طريقه الى خلده . وكان يتحدث له أخوه : أن فى الغرب ، يرحب الأخ بمن يتصل بأخته بطريق غير مشروع ويراه أمراً طبيعيا لا غرابة فيه !..

فصار يصف لى عوالم الليل ، قائلا : إن أكثر مدن المانيا مليئة بالحدائق العامة الكبيرة وتكاد تكون بعض المدن مجموعة من الحدائق . فإذا جنّ الليل ، لا تجد فى هذه الحدائق إلا بصيصا من الضوء ، بقدر ما يميز الشخص طريقه . والناس من رجال ونساء ، ينزو بعضهم على بعض حتى الصباح .

قارن . أيها القارىء الكريم ، بين هذه الحياة البهيمية وحياة قدسية أخرى فى بعض المدن الإسلامية : ترى المؤمن يقوم قبيل الفجر بساعة أو أكثر من فراشه قائلا : (كما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) ، « الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور » . فيتوضأ متوجها بكله الى الحق المتعال . قائلا بخشوع : « بسم الله وبالله ، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » ، فيأخذ طريقه الى الحرم الشريف أو الى مسجد قريب : « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد . . . الحديث » ، فيستقبل القبلة ، متهجدا [١] ، بخضوع لا مزيد عليه ، فيصلى لربه ركعات ، ثم يستغفر الله تعالى مائةمرة فى قنوت ركعة الوتر [٢] . فإذا انتهى من صلاته

---

(١) « ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا » . (سورة بني اسرائيل : ٨٢) .

(٢) « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد ، الذين =

بكى[١] نادماً على ما اجترحت يداه من ذنوب ، وناجى ربه بخشوع ، محاسباً نفسه على كل صغيرة وكبيرة : فقد جاء فى الحديث : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا ، وزِنوها قبل أن توزنوا » ، حتى اذا أعلن المؤذن دخول وقت صلاة الصبح ، قام فصلى ركعتى النافلة ، ثم يبدأ بصلاة الصبح مع الجماعة ان وُجدت ، وإلا فيصلى فرادى ، ثم ، يقوم بالتعقيبات الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام . فيخرج من المسجد ، وهو مملوء فرحا وسروراً لهذا الإتصال المعنوى القدسى، فهو تقرب الى الله جلت عظمته، وان هذا التقرب المعنوى هو غاية الغايات فى الحياة الدنيا[٢] . فالانسان يعد فائزاً فى دنياه بقدر ما ينال من هذا التقرب القدسى من نصيب . وبعد ذلك يستقبل الحياة متوكلا على الله تعالى بتقوى لا مزيد عليه ونفس زكية تتجنب الغش والخديعة ، بل جل غايتها خدمة الغير . وارضاء ربها . « من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ... الحديث » .

فأى الفريقين أقرب الى الله ؟ وأيهما أولى بولوج الفكرة المادية فى نفسه .

إنها الذنوب ، ومن ورائها الشيطان يزين لهذا الانسان الطائش فكرته المادية وما يقوم به من افساد فى الأرض ، بل يجعله أن يقول بالتأكيد أن العقائد والشرائع كلها خرافات وأوهام ، وأفكار بورجوازية ! (Boaurgeoisie) . فلا حقيقة فى الكون إلا المادة . هذه المادة التى

= يقولون ربنا اننا آمنا فأغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » . (سورة آل عمران : ١٤ ـ ١٦) .

(١) روى أبو حمزة عن أبي جعفر عليه السلام : « ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دمع في سواد الليل مخافة من الله ، لا يراد بها غيره » .

(٢) وقد جاء في ما أوحى الله الى موسى بن عمران (ع) : « يا ابن عمران ، هب لي من عينك الدموع ومن قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ، ثم ادعني في ظلم الليالي تجدني قريباً مجيباً » .

لا يقوى المادى على تعريفها وبيان حقيقتها وكشف أسرارها وقوانينها إلا اليسير منها جداً، وهل للمادة أن تضع لنفسها قوانين فتطيعها ولا تتخلف عنها. لعل هذا المادى قد أحاط بالكون، فسافر الى مسافات تبعد عنا ملايين ملايين ملايين ... ملايين من الأميال بسرعة تفوق سرعة الضوء بمقدار لا يتناهى ووقف هناك على ما تقوم به : (المادة) من خوارق ومعاجز وما تنظمه من قوانين ومعادلات فى تنظيم هذا الكون المادى ! بعقل جبار !

* * *

فطوبى لنفوس توجهت الى الحق بنفس لم تتلوث بآثامها ومظالمها، فآمنت بكل ما أنزل الله من آيات بينات وبمن أرسل من رسل وأنبياء مبشرين ومنذرين وآمنت بوحى من نفسها وعقل لم يدنسه شيطانها ولم تُزحه أجرامها بما غاب عنها : « الذين يؤمنون بالغيب »[1] وصارت تعمل على ضوء تعاليم محمد والأئمة من بعده عليهم الصلاة والسلام للسير فى مدارج الكمال البشرى حتى تكون قمينة للخلود فى « جنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين ». وقد جاء فى الحديث : « الدنيا ساعة، فلا تجعلها إلا طاعة ».

حقا : ان الوعظ والإرشاد لا يؤثران إلا فى نفوس تخشى الله فى خلواتها، نفوس تراقب الله فى السر كما تراقبه فى العلن، تعمل وفق ما تمليه عليه الفطرة ! (فطرة الله التى فطر الناس عليها). ان نفوسا كهذه قمينة بأن تسير فى معارج الكمال فتقطع مراحل التزكية وما ألذها ! انه تعالى يقول: « إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه، والى الله المصير »[2].

ونختم هذا المقال بقوله تعالى :

---

(١) سورة فاطر : ١٨

(٢) سورة فاطر : ١٨

«اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» .

«سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ، أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» (سورة الحديد : ٢٠ — ٢١) .

فالله تبارك وتعالى قد هيأ لصالحى عباده جنة عرضها كعرض أرضنا وما يتلوها من سماء أى من أنجم وكرات وما بينها من مسافات شاسعة وذلك فى فضاء لا يتناهى خارج هذا الفضاء الذى هو سماؤنا ، أو بشكل آخر. فعلم الفلك الحديث يخبرنا انه قد اكتشفت مجموعة من مجموعات الكواكب تبعد عن الأرض ٦ × ١٠^٢١ ميل . وان شعاعه لا يصل الينا إلا بعد : (الف مليون سنة ضوئية) ومعلوم ان الضوء يقطع فى الثانية (١٨٦٠٠٠) ميل . فيجب أن يسير الضوء أو الشعاع الصادر من تلك المجموعة بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل/ثانية خلال الف مليون سنة حتى يصل الى كرتنا الأرضية .

فالله الذى قد عبأ فى الشمس طاقة هائلة حتى كان الانفجار الذى قد حدث فيها قبل بضع سنين قد قدّرت طاقته (الطاقة الناجمة نتيجة ذلك الانفجار) بقدر طاقة مائة مليون قنبلة هيدروجينية دفعة واحدة ، قادر أن يخلق جنة : عرضها كعرض السماء والأرض فى ما لا يتناهى من مسافات وأبعاد خلقها بقدرته ودبرها بتدبيره .

فليس لهذا الانسان المحدود فى تفكيره وملكاته ومحاكاته أن يقيس العوالم اللانهائية بمقياسه المقتضب المحدود ، فمن درس أبحاث اللانهاية فى الرياضيات العالية ، يعلم ان من الخطأ الفاحش قياس العوالم اللانهائية بمقياس

عالمنا المحدود بجميع ما فيه من مواضيع . وان فلسفة تبنى على مقاييسنا المحدودة ، فلسفة واهية ليس لها من الواقع نصيب .

• • •

وهكذا تجعلنا العلوم الحاضرة أن نعتقد بما غاب عنا مما لا يُدرك بالحواس الخمس أو لا يرى بالعين . وكلما تقدمت هذه العلوم بماشية طهارة النفس والتقوى تحقق لهذا البشر أن المادية ليست إلا نزعة شيطانية جاءت من جراء تلوث النفوس ولا حقيقة لها فى عالم العلم والمكتشفات ، وان انسانية الانسان لا تتحقق إلا بالتجرد عن هذه المادية فى العقيدة والسلوك والتمسك بالمقدسات والإيمان بالغيب واتباع سنة الرسول الأمين وأهل بيته المعصومين سلام الله عليهم أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون »

هكذا يخاطبنا الله تعالى فى محكم كتابه . فمن شاهد هذه القوانين المحكمة الرصينة فى عالم الوجود : عالم الذرة ، وعالم الجماد وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الانسان ، فى الفيزياء والكيمياء والفلك العالى ، وفى علم الأحياء والمستحاثات (المتحجرات) ، يقطع بأن الذى رتبها ونظمها لا يلهو ولا يلعب . وهو القائل : « لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين »(٢) . وفى آية أخرى : « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون »(٣) .

فاذا تتبع الانسان حياته النفسية فى هذه الدنيا وما عليه نفسه من مساوئ أخلاقية : حسد وبغضاء وحقد ، ونميمة وغيبة ، ظلم وبغى وبطش بغير حق ، ثم ما يراه من حيف وظلم وقسوة وجفاء وبهتان وغيرها من آخرين ، وما يرى من تشاجر وتطاحن لأمور مادية سخيفة أو لجشع بين الأمم ، وما يرى من ظلم واستعمار وغمط للحقوق بين الدول ، وما يشاهد من حروب لا تبقى ولا تذر ، يقطع بأن الله الذى خلق هذا العالم

---

(١) نشر هذا البحث « فلسفة المعاد » في رسالة مستقلة من قبل « مكتب منابع الثقافة الاسلامية » بكربلاء .

وقد رأيت ، مع تقديري وشكري للمكتب المذكور ، أن أضيف شيئاً الى البحث واجعله من مواضيع الجزء الثالث لكتاب : « التكامل في الاسلام » .

(٢) سورة الأنبياء : ١٧

(٣) سورة الدخان : ٣٩ ، ٤٠

المادى من سماء وأرض ، وما خلق فيه من جماد وحيوان ، وما أودع فيه من كمال ، ما بعده كمال ، لا يريد بهذا الانسان إلا (الكمال) ...

ذلك لأنه يقطع بأن الكامل على الإطلاق وهو الله تعالى لا يصدر منه إلا الكمال ، ويقطع بأن البشر غير كامل فى هذه الدنيا من النواحى النفسية والأخلاقية والاجتماعية . وهو فى هذه الحالة ـ إلا من شذ فصار يتكامل على ما رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ أشبه بالحيوانات الضارية ، يضر بعضه البعض ، ان وجد الى ذلك سبيلا . يقطع بأن الله الذى أكمل كل شىء من مخلوقاته سوف يجعل لهذا الانسان عالما آخر كله اطمئنان وخلود وكله حبور وسرور ، عالما فيه « ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون »[١] ، عالما لا تطاحن فيه ولا تشاجر ولا تجاوز ولا اعتداء ، « ونزعنا ما فى صدورهم من غل ، تجرى من تحتهم الأنهار ، وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، ونودوا أن تلكم الجنة ، أورثتموها بما كنتم تعملون »[٢] ، عالما يقول عنه تعالى : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل ، اخوانا على سرر متقابلين »[٣] .

عالما ليس فيه ما يلوث النفس الانسانية من ميسر (قمار) ولحم خنزير وفسق وفجور وخمرة تذهب بالعقل بل « يطاف عليهم بكأس من معين [٤] ، لا فيها غول [٥] ولا هم عنها ينزفون [٦] ، وعندهم قاصرات

---

(١) سورة الزخرف : ٧١ ،
(٢) سورة الأعراف : ٤٣
(٣) سورة الحجر : ٤٦
(٤) أي من شراب معين أو نهر معين أي ظاهر للعيون أو نابع من العيون .
(٥) فساد كما في خمر الدنيا ، أي ليس فيها غائلة تغتال العقل ، واغتاله أي أخذه غيلة أو خلسة وهو غافل .
(٦) يسكرون : من أنزف الشارب أي ذهب إعقله .

الطرف[١] عين[٢] ، كأنهن بيض مكنون »[٣] .

عالماً فيه حياة اجتماعية رفيعة ، لا تشبه ما نحن فيه من هذه الحياة الملوثة بالآثام والأجرام والإحن والبغضاء والتطاحن والتشاجر .

عالماً يقول فيه الفائزون : « الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، إن ربنا لغفور شكور ، الذى أحلنا دار المقامة من فضله ، لا يمسنا فيها نصب[٤] ولا يمسنا فيها لغوب[٥] »[٦] .

فلا حزن ولا تعب ولا نصب ولا لغوب فى ذلك العالم ، بل كله طمأنينة وصفاء وراحة لا تقاس بالراحة التى ينالها الفرد بصورة مؤقتة وغير كامله فى الحياة الدنيا ، وهـــذه من صفات ذلك العالم القدسى ، المنزه من كل ما يشين النفس أو يزعجها أو ينغص راحتها : « تحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »[٧] .

هل ترى فى هذه الدنيا فرداً راضيا من حياته الدنيوية ؟ . . لا من حيث ما منَّ الله عليه من نعم ، فهى أعظم مما يستحقه هذا الانسان بمراتب لا تعد ودرجات لا تُحصى : « وان تعدوا نعمة الله لا تُحصوها ، ان الله لغفور رحيم »[٨] ، وهى بمقـــدار من الوفور والكثرة بحيث لا يقوى الانسان على أن يؤدى تجاهها ما يجب عليه من شكر مهما بلغ من مراتب الكمال . ولكن من حيث ما يشعر به من حياة ملؤها المشاكل : مشاكل

---

(١) أي قصرن نظرهن على أزواجهن ، فهن قاصرات العيون .
(٢) عين : أي واسعات العيون .
(٣) سورة الصافات : ٤٥ — ٤٩
(٤) نصب : تعب .
(٥) لغوب : اعياء من التعب أو كلال .
(٦) سورة فاطر : ٣٥
(٧) سورة يونس : ١٠
(٨) سورة النحل : ١٨

اجتماعية ، مشاكل خلقية ، مشاكل عائلية ، مشاكل مرضية ، وما هنالك من نوائب وكوارث ... فهو يشكو طوال حياته مشاكل كثيرة . يود لو كانت هنالك حياة أخرى خالية عن هذه المشاكل وهذه النواقص وهذه النوائب وهذه التأثرات !..

نعم ، كان حتماً فى استطاعة الله تبارك وتعالى أن يجعل الحياة الدنيا ، هذه التى نعيشها ، حياة كاملة لا كدرَ فيها ولا أحزان . لا تطاحنَ فيها ولا نقصان . إلا أن الله تبارك وتعالى أراد بهذا الإنسان أن يتكامل فى هذه الدنيا نفسياً ، وأن يميز الخبيث من الطيب (مع علمه بهما قبلا) اتماماً للحجة : « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى مَن حيَّ عن بينة » ، ليذهب هذا الانسان بعد هذه التصفية الحقيقية ، (بجهود يبذلها وبجدارة واقعية) الى عالم الخلود ، حيث الصفاء والسرور .

« فالناس مجزيون بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وان شراً فشر » ، « فريق فى الجنة وفريق فى السعير[1] » . انه تعالى يقول : إن الساعة أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدّنك عنها مَن لا يؤمن بها واتبع هواه ، فتردى »[2] .

* * *

ثم إن المفكر فى مخلوقات الله تعالى وما صدر عن الله من خوارق ، وأعنى بها هذه القوانين الفيزيائية التى تبهر العقول ، يقطع بأن الكامل على الاطلاق وهو الله تعالى جل أن يلهو : يخلق هذا الانسان ، بهذه الكثرة المتكاثرة ، ليفسد فى الأرض ويلوثها ويكتفى بهذا وليس وراء ذلك هدف ولا غاية . وهو القائل : « أفنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين

---

(١) سورة الشورى : ٥

(٢) سورة طه : ١٧

فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار »[١] . « ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ، وادعوه خوفاً وطمعاً ، ان رحمة الله قريب من المحسنين »[٢].

يقطع بأن هذا لهو ولعب وجل أن يلهو ربنا سبحانه مع قوله تعالى : « وذرِ الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا » .

يقطع من تفهم سنة الكمال وشاهدها بصورة جلية واضحة فى كل زاوية من زوايا هذا الكون : أن هذه الدنيا دار اختبار وامتحان : « الدنيا دار عمل ولا حساب ، والآخرة دار حساب ولا عمل » .

يقطع بأن الدنيا مدرسة يتكامل فيها حسب دساتير الأنبياء والأوصياء من بعدهم : عليهم السلام .

يقطع أن سنة الكمال توجب أن تكون هناك ، بعد هذه الحياة الملوثة ! حياةِ التهيؤ والتزود : « الدنيا مزرعة الآخرة » حياة خالدة ، لا كدر فيها ولا اختبار ولا ابتلاء . حياة فيها : « ما لا عين رأت أو أذن سمعت أو خطر على قلب بشر ! » .

يقطع هذا الانسان الذى يرى كمال الله تعالى متجلياً فى كل ما خلق من مخلوقات : أن وراء هذه الحياة الدنيا المضطربة : حياة البغى والجور : جنة « عرضها كعرض السماء والارض أُعدّت للذين آمنوا بالله ورسله » ، جنة يصفها علىٌ عليه الصلاة والسلام ، بقوله :

« فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت[٣] نفسك من بدائع ما أخرج الى الدنيا من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها ، ولذهلت بالفكر فى اصطفاق أشجار[٤] غُيبت عروقها فى كثبان[٥] المسك على

---

(١) سورة ص : ٢٨

(٢) سورة الأنعام : ٦٩

(٣) عزفت : زهدت .

(٤) تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت .

(٥) جمع كثيب وهو التل .

سواحل أنهارها . وفى تعليق كبائس اللؤلوء الرطب فى عساليجها [١] ، وأفنانها [٢] ، وطلوع تلك الثمار مختلفة فى أغلف أكمامها [٣] ، تجنى من غير تكلف ، فتأتى على مُنية مُجتنيها ، ويطاف على نزالها فى أفنية قصورها بالأعسال المصفقة [٤] والخمور المروقة [٥] ، قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلوا دار القرار وأمنوا نقلة الأسفار » .

« فلو شغلت قلبك أيها المستمع بالوصول الى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة [٦] لزهقت [٧] نفسك شوقاً اليها ، ولتحملت من مجلسى هذا الى مجاورة أهل القبور استعجالا بها . جعلنا الله وإياكم ممن سعى (بقلبه) الى منازل الأبرار برحمته » .

* * *

إن الله تعالى يقول : « لقد خلقنا الانسان فى كبد » . والكبدَ معناه التعب والشدة ، إذ يكابد الانسان الشدائدَ منذ احتباسه فى ضيق الرحم الى الموت وما بعده ، ان لم يُطهر ولم يكمل فى دنياه : عالَمِ التكامل والتزود بالتقوى فلا بد لهذا الانسان أن يجهد نفسه وأن يتغلب على شهواته وأن يخالف هوى نفسه ، كى ينال السعادة الأبدية : « فى جنات ونَهرَ ، فى مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر »[٨] .

وهو القائل أيضاً : « يا أيها الإنسان انك كادح الى ربك كدحاً

---

(١) جمع عسلاج وعسلوج وهو ما اخضر ولان من قضبان الشجر .
(٢) جمع فنن وهو الغصن .
(٣) أكمام جمع كم (بكسر الكاف) وهو وعاء الطلع وغطاء النور .
(٤) المصفاة .
(٥) المروية : المصفاة
(٦) المونقة : المعجبة .
(٧) زهقت : خرجت
(٨) سورة القمر : ٥٤ — ٥٥

فملاقيه »[١] . والكدح معناه بذل أقصى مراتب الجهد . فالدنيا دار جهد وعناء وعمل متواصل لنيل درجات رفيعة والبلوغ الى راحة أبدية سرمدية : « لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين »[٢] .

هذه هى فلسفة الحياة الحقة على وجه العموم . فلا تبديل لسنة الله وما قنن وقرر : « ولن تجد لسنة الله تبديلا »[٣] . وان ما قرره الله تعالى حق ، تعلوه رحمته ، « وسعت رحمته كل شيء » يعترف بذلك العقلُ المتكامل والنفس غير الملوثة .

نعم ، لم يخلق هذا الانسان عبثاً : « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلا . ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار . كتاب أنزلناه مبارك ليدّبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » . (سورة ص : ٢٩) .

فعدم القيام بما أمر الله تعالى من واجبات الشكر : من انفاق وبذل واهتمام باطعام المساكين « ولا تحاضون على طعام المسكين »[٤] ، وبر الوالدين وصلة الأرحام وتواضع للفقراء والبؤساء والقيام بحوائجهم وحوائج سائر الناس ، وصلاة وصوم وزكاة وخمس وحج وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر وارشاد الناس الى معالم الدين ، كل ذلك نتيجته الكفر والجحود. فإذا حل الكفر اضطربت المحاكمات المنطقية الصحيحة بشأن فلسفة الحياة وانسحب نتيجة لذلك العقل الذى يُعبدبه الرحمان ويكتسب به الجنان . وصار يقول هذا الفرد المتردى : ليست هنالك غاية من خلق هذا الكون .

---

(١) سورة الانشقاق : ٦
(٢) سورة الحجر : ٤٨
(٣) سورة الفتح : ٢٣
(٤) سورة الفجر : ١٨

ويتهم من لا يوافقه فى الرأى : بالرجعية ، أو تكون هذه الكلمة : (الرجعية) أقوى دليل ! لهرائه ، دون أن يجعل للمنطق مجالا للتحليل والتحقيق .

حتى إنى سمعت ممن كونته المدنية المادية الحاضرة ، قبل حوالى ٣٢ عاما وهو على فراش المرض ، سمعته يقول : ما هذا النظام الأهوج فى هذا الكون ؟ ماذا التبلبل ، وما هذا التسيب ؟ وكان يصم العالم بالإنحلال والتبعثر وعدم وجود حكمة تربط ما فى الكون بعضه ببعض ، أو نظام تنتظم بموجبه أجزاء الكون بعضها مع بعض .

إنها رشحات نفسه الجاحدة لأنعم الله الكثيرة ، المارقة عما حده الله وسنه فى جميع مجالات الحياة ...

انه لا يجرؤ بانهام نفسه البهيمية ولا يعتبر بما أصابه من مرض وأوجاع كى يرجع عن طيشه وغيه ، لكنه لذنوب كثيرة تلوثت بها نفسه أمسى جرثومة لا يفيد معها أى منبّه أو ارشاد أو اصلاح : « كلا ، بل وان على قلوبهم ما كانوا يكسبون »[1] . ونستجير بالله من هذه المرحلة التى مآلها النار ، لا محالة .

« ويوم يعرض الذين كفروا على النار ، أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ، فاليوم تُجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون »[2] .

انه يسلى نفسه المتسافلة بقوله : « إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » . وبقوله : « ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يظنون » . حقا ، انهم

---

(١) سورة المطففين : ١٤

(٢) سورة الأحقاف : ٢٠

« يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » .
(سورة الروم : ٧) .

* * *

وأظنك قد فكرت كثيراً : لماذا هذه الأمراض فى هذه الدنيا ؟ ولِمَ هذا الفقر فى بعض الأوساط أو لبعض الأشخاص بصورة موقتة أو دائمية ؟ . . ولماذا هذه الإبتلاءات والنوائب ؟ لماذا هذه الحروب التى لا تبقى ولا تذر ؟ لماذا هذه الحرارة فى الجو الى درجة لا يستريح معها الفقير لعدم وجود وسائط لديه ، ولماذا هذه البرودة فى الشتاء الى درجة يعجز عن مقاومتها البائس المسكين ؟ أليس الله بقادر أن يجعل هذه الارض فردوساً يتنعم فيه الانسان فيرتع فيه ويمرح بهناء ؟

فإنك بأسئلتك هذه قد شعرت أنه لابد بعد هذه الدنيا الملوثة عالم آخر كله صفاء وكمال . ولعلك تصل الى هذه النتيجة أن ليس فى هذه الحياة الدنيا من نقص من جانب الله تعالى ، وانما سخر لهذا الانسان كل شىء على حد قوله تعالى : « ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير »[1] . وما يراه هذا الانسان نقصا انما هى مواد امتحانية من صميم النفس يريد الله أن يختبر بها عباده فى النوائب والكوارث . نختبر صبرهم فى النوائب[2] فيطهرهم بها ، ويختبر كذلك درجة شكرهم تجاه النعم من انفاق وايثار كى ينال كل فرد فى الآخرة درجة تتناسب وعمله : « لهم درجات عند الله والله بما تعملون بصير » . (آل عمران : ١٥٧) . على أن هناك مسرات وأفراحاً مشروعة لا تعد ولا تحصى . لا يقوى

---

(١) سورة لقمان : ٢٠

(٢) ولا بأس بذكر هذا الحديث : « من صبر على خلق امرأة سيئة الخلق واحتسب فى ذلك الأجر ، أعطاه الله ثواب الشاكرين » .

الانسان على أن يقوم باداء شكر جزء ضئيل منها : « وقليل من عبادى الشكور » .

فإذا كنت أنت مع ما فيك من نقائص كثيرة ، ترى ضرورة حياة كاملة مستكملة للشرائط ، متوفرة فيها وسائل الراحة ، يكافأ بها المؤمن تجاه صبره وشكره واجتيازه المواد الإمتحانية بطاعة واختيار ، فكيف بالله الذى : « خلقك فسواك فعدلك ، فى أىّ صورة ما شاء ركبك » . (سورة الإنفطار : ٧) .

إن الله قد جعل تلك الحياة السعيدة وأعنى بها الحياة الآخرة المستكملة لشرائط الراحة جزاءً موفوراً لصالحى عباده ، أولئك الذين نجحوا فى امتحاناتهم الدنيوية وجاهدوا فى تزكية نفوسهم وتطهيرها من الدنس وسعوا للتكفير عن ذنوبهم لتسير نفوسهم نحو أوج الكمال .

انه تعالى يقول : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » . فيعرفنا الله تبارك وتعالى أن الغاية من ايجادنا بعد أن لم نكن شيئا ومكثنا فى الحياة الدنيا انما هى للإمتحان والاختبار ومعرفته تعالى ولكى ينال كل منا بعد الموت درجة يستحقها نتيجة عمله . وهو القائل « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » وفى آية أخرى : « سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ، أُعدّت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

فقد جاء فى الحديث : حفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات .

وفى حديث آخر : « لا يزال الهم والغم بالمؤمن حتى لا يدعَ له ذنبا » .

وفى حديث عن أبى عبدالله عليه السلام : « كلما ازداد العبد ايمانا ازداد ضيقا فى معيشته » ، وكذلك عن أبى جعفر (ع) : « إنما يبتلى المؤمن فى الدنيا على قدر دينه » . وكذلك عن أبى عبدالله عليه السلام : « المؤمن

لا يمضى عليه أربعون ليلة إلا وعرض له أمر يحزنه يُذكرُ به » .

وفى حديث آخر : « إن المؤمن لو كان فى جحر ضب لسلط الله عليه من يؤذيه » . وفى حديث آخر : « ان الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الطبيبُ المريض بالدواء » . وفى حديث آخر : « ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه ليسمع تضرُّعه » . كل ذلك ليطهر الله تعالى عبده الآثم مما علق به من دنس ورجس كى يذهب من هذه الدنيا طاهراً نقيا لا اثم عليه .

ونذكر تأييداً لهذه الحقيقة هذين الحديثين :

فعن الصادق (ع) . قال : قال رسول الله (ص) : « ان الله تعالى يقول : وعزتى وجلالى لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى استوفى منه كل خطيئة عملها : أما بسقم فى جسده ، أو بضيق فى رزقه واما بخوف فى دنياه ، فإن بقيت عليه بقية شددت عليه عند الموت ، حتى يأتى ولا ذنب عليه فأدخله الجنة » .

وعن الصادق عليه السلام أيضا : قال النبى (ص) : قال الله تعالى : « وعزتى وجلالى لا أخرج عبدا من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها ، اما بسعة فى رزقه أو بصحة فى جسمه واما بأمن فى دنياه ، فإن بقيت له بقية هونت عليه الموت حتى يأتى ولا حسنة له ، فأدخله النار » .

وهذا مصير مَن أتم الله عليه الحجة مرات ، وأغدق عليه من النعم ما لا يُحصى فلم يُفده كل ذلك وتمادى فى طيشه وغيه وظلمه وبغيه ، فأمسى جرثومة فساد لا تصلحه ولا تزكيه إلا النار !

وفى حديث آخر : « إذا أراد الله بعبد خيراً ، فأذنب ذنبا أتبعه بنقمة وذكره الاستغفار ، واذا أراد بعبد شراً فأذنب ذنبا اتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار » . وقد بينا سبب ذلك . يقول الله تعالى : « وذرنى والمكذبين أولى النعمة وأمهلهم قليلا » . (سورة المزمل : ١٠) .

وقد روى على بن ابراهيم عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن

أبي عبدالله (ع) قال : قال رسول الله يوماً لأصحابه « ملعون كل مال لا يُزكى ، ملعون كل جسد لا يُزكى ولو فى كل أربعين يوماً مرة . فقيل : يا رسول الله : أما زكاة المال فقد عرفناها ، فما زكاة الأجساد ؟ فقال لهم : أن تصاب بآفة » قال : فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه ، فلما رآهم قد تغيرت ألوانهم ، قال لهم : أتدرون ما عنيت بقولى ؟ قالوا لا ، يا رسول الله ، قال : بلى ، الرجل يخدش الخدشة وينكب النكبة ويقد القدة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما أشبه هذا ، حتى ذكر فى حديثه اختلاج العين » .

وعن أبي عبدالله (ع) قال : « فى كتاب علىّ عليه السلام : إن أشد الناس بلاءً النبيون ثم الوصيون ، ثم الأمثل فالأمثل ، وانما يبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة ، فمن صح دينه وحسن عمله اشتد بلاؤه ، وذلك أن الله عز وجل لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر . ومن سخف دينه وضعف عمله قلّ بلاؤه ، وان البلاء أسرع الى المؤمن التقى من المطر الى قرار الارض » .

وفى حديث آخر : « مَن صَفَتْ له دنياه فاتهموه فى دينه » . كل ذلك يدل أن لابد من ابتلاء ولا بدّ من اجتياز مراحل هذا الاختبار الإلهى العام ، وهذا لا يتم إلا بنقص فى العيش والصحة والهناء والأولاد والانفس والثمرات الى ما هنالك . فإنه تعالى يقول : « ولنلوّنكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » . (سورة البقرة : ١٥٧) . ولا يكون اكمال هذا النقص الامتحانى إلا بآخرة سعيدة « وجنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين » .

وهكذا يعتبر القرآن الدنيا متاع الغرور بقوله : « وما الحياة الدنيا إلا

متاع الغرور » . وبقوله : « بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى » . وفى الحديث : « الدنيا والآخرة ضرتان » .

ولا بأس بذكر الأحاديث الآتية ازدادا ايماناً ويقيناً بالآخرة : ففى حديث : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . وفى آخر : « مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، حلاوة الدنيا مرارة الآخرة » . ويراد بهذه المرارة تلك التى تطهرك من ذنوبك وتكفر بها عن سيئاتك . ويراد بالحلاوة تلك التى تأتيك من مورد غير مشروع وبشكل غير شرعى . إنه تعالى يقول : « قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة » . (سورة الأعراف : ٣١) .

فالدنيا دار التصفية ، ولا تصفية إلا باختبار ولا اختبار لهذه النفس الإنسانية إلا بالابتلاء ، على حد قوله تعالى : « و لنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » . (سورة محمد (ص) : ٣١) .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تقص علينا ما كان من اختبار الماضين وامتحانهم من جانب الله تعالى : منها قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ، ليعلم الله من يخافه بالغيب ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » . (سورة المائدة : ٩٧) . ومعنى ذلك ان الله يمتحن عباده بأن يهيىء لهم ما يتمكنون من اصطياده فى وقت يحرم عليهم الصيد ، أى فى حالة الاحرام . ذلك لأن الصيد حرام مع الإحرام . فالله تعالى يريد أن يعلم (وهو العالم بما سيكون) ، بل يريد أن يعلم الانسان شخصه درجة نجاحه فى هذا الإختبار الدنيوى أو الاختبار العالمى العام ، كى يوقن بدرجة فضل الله عليه عندما يُغدق عليه من عميم نعمه وعظيم رِفده فيوفقه الى توبة خالصة ، ليدخله بها الجنة برحمته ، فسبحانه من رحمان رحيم « غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذى الطول ، لا إله إلا هو اليه المصير » . (سورة المؤمن : ٣) .

وعن السجاد زين العابدين (ع) : (بكل ذلك يصلح شأنهم ويبلو أخبارهم وينظر كيف هم فى أوقات طاعته ومنازل فروضه ومواقع أحكامه . « ليجزى الذين أساؤوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » .

وقد يبلغ ضعف النفس فى بعض الأفراد مرتبة يهرب بسببها عن مواجهة مشاكله الحياتية بكأس من الخمرة ، ظنا منه أنه يستريح بذلك من مشاكل الحياة وما يكابده من عناء ، فتتسافل نفسه ويقع فى مهالك لا تقاس بمشاكله من قبل ، ويمسى بهيمة من البهائم ، بعيداً عن رحمة ربه ، آثماً ، ملوثا نفسه بلوث الطيش والغرور .

وقد فاته أن الاسلام يكره الهروب من الواقع . انه دين مواجهة وجلادة ، دين غلبة وجلد وجهاد . وأعظم الجهاد هو جهاد هذه النفس الأمارة بالسوء . انه تعالى يقول : « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر . ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » . ويقول الرسول (ص) : « اجتنبوا الخمر ، فهى أم الكبائر » . وفى حديث آخر عن النبى (ص) : « والذى بعثنى بالحق نبياً : ان شارب الخمر يموت عطشانا وينادى وا عطشاه ألف سنة ، فيؤتى بماء كالمهل يشوى الوجوه ، بئس الشراب ، فينضج به وجهه وتتناثر أسنانه وعيناه فى ذلك الإناء » .

وقد يفر هذا الانسان من ضعف ايمانه بالله تعالى ـ وان رحمته وسعت كل شىء ـ فيعمد عند تراكم المصائب عليه الى الإنتحار . والمؤمن لا ينتحر ، معتقداً أن ما يصيبه من كوارث إنما هو لتزكيته وتطهيره . انه يقول ، كلما أصيب بمصيبة : « انا لله وانا اليه راجعون » ، ويعلم أن مآله ومآل كل أمر الى الله تعالى . ولا يعبأ براحة هذه الدنيا الموقتة ان سلبت منه برهة من الزمن بغية الاختبار والتطهير . ولذلك يقع فى كل سنة فى أوساط الغرب

(من شرقية وغربية) حوادث الإنتحار . بعشرات الآلاف ، رغم ما يتشدق به الغربى من تربية الإرادة : (Volonté) ودراسات عميقه فى التربية . تحدث فى أمريكا فى كل دقيقتين حادثة انتحار ويبتلى فى كل ٣٠ ثانية شخص بمرض عقلى ، ولا تسل عن عدد الجرائم التى تحدث فى كل ثانية . والمجرمون جلّهم من حملة الشهادات !؟ كل ذلك ، لضعف الإيمان بالله وعدم الاعتقاد بنعيم الآخرة بعد تحمل شدائد الدنيا . كل ذلك لإخفاق هذا التوجيه المادى فى التربية . تربية لا تعمل لربط الفرد بعوالم الآخرة .

لقد خُلقنا للإختبار والإمتحان ، ولابد من اجتياز هذه المراحل الامتحانية بصبر وأناة ، وليس لأحد أن يفر من هذا الامتحان الالهى وهو القائل « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » . (سورة الملك : ٢٠) .

فالإنسان لم يخلق سُدى ، يُفسد فى الأرض فلا حساب ولا كتاب ، بل لابد له من أن يقطع مراحل التكامل النفسى ، كما تقطع بقية الموجودات مراحلها التكاملية ، كل بحسبه ، وعلى ما أقره الله تعالى تفضلا منه ورحمة . وهو القائل : « أيحسب الانسان أن يُترك سُدى . ألم يك نطفة من منىّ يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيىَ الموتى »[1] .

يقول على (ع) . « وأعلموا انه ما من طاعة لله شىء إلا ويأتى فى كره ، وما من معصية لله شىء إلا ويأتى فى شهوة ، فرحم الله رجلا نزع شهوته ، وقمع هوى نفسه . لأن هذه النفس أبعد شىء منزعاً . لا تزال تنزع الى معصية فى هوى ، واعلموا أن المؤمن لا يُمسى ولا يصبح إلا ونفسه ظنون عنده ، لا يزال زاريا عليها ومستريباً بها ، فكونوا كالسابقين

---

(١) سورة القيامة : ٣٦ — ٤٠

أمامكم والماضين من قبلكم ، قوضوا الدنيا تقويض الراحل وطووها طيّ المنازل » .

وهكذا يؤدّبنا الإمام الرابع على بن الحسين عليهما السلام ، بقوله فى دعاء له : « الهى لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد . ولا بأمرك مستخف ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولا بوعيدك متهاون ، ولكن خطيئة عرضت وسوّلت لى نفسى وغلبنى هواى ، وأعاننى عليها شقوتى . فالآن من عذابك مَن يستنقذنى ، وبحبل مَن أتصل إن أنت قطعت حبلك عنى . ولولا ما أرجو من كرمك وسعة رحمتك ومنعك اياى عن القنوط لقنطت ، فهب لى من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب . فوعزتك لو انتهرتنى ما برحت من بابك ولا كففت عن تملقك . الى مَن يذهب العبد إلا الى مولاه ، والى من يلتجىء المخلوق إلا الى خالقه » .

* * *

أوَ ترى أن الله ، وهو أرحم الراحمين ، وهو الغفور الودود ، أوَ ترى أن الله القائل : « ان الله بالناس لرؤوف رحيم » والقائل : « قل لمن ما فى السماوات والأرض ، قل لله ، كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه » . لا يريد لهذا الانسان حياة سعيدة وادعة تجاه مجاهدته فى الدنيا ؟ فان عظيم رحمته وكمال لطفه يوجبان أن يوجد عالماً آخر : عالما سرمدياً أبدياً فى غاية الكمال . يخلد فيه هذا الإنسان جزاء لصبره وشكره وأعماله الصالحات ، وعبادته لربه فى هذه الدنيا ولو بعد عقوبة وتطهير . ويظهر من الآية المتقدمة : أن الله تعالى بقوله : « كتب على نفسه الرحمة » قد أوجب على نفسه ايجاد عالم آخر كله هناء ودعة وخلود ما بعده موت : « يا عبادِ ، لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ، أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ،

يُطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون »[١] .

* * *

ان الانسان ليعتقد بصورة فطرية : « إن كان ممن لم يلوّث نفسه بالموبقات والمدنسات ، أن وراء هذا العالم الدنيوى عالماً آخر ، يقتص الله تعالى فيه من الظالمين ، ويثيب الصالحين ، لذلك يقول سُقراط لتلاميذه حين يقدم اليه السم : « انى ذاهب حيث يوجهنى الله ، وانى ذاهب الى عالم سرمدى آخر ، لا تحزنوا علىّ » . فيتناول السم بكل ارتياح لشدة يقينه . كيف لا يكون كذلك ؟ وهو الذى كان يقول بوحدانية الله تعالى وعظيم لطفه . كان يقول : « ان الله أزلى أبدى غير متناهٍ ، سميع ، رقيب ، بصير ، مدبر حكيم » .

ولكن ان تلوثت هذه النفس الانسانية وأظلمت أمسى الفرد قليل الاعتقاد بالمعاد وما سيكون بعد الموت من سؤال وجواب وثواب وعقاب . فبمقدار ظلمات النفس يزول هذا الاعتقاد وقد ينعدم ، فيعزو هذا المتسافل الاعتقاد بالمعاد والإيمان بالعوالم التى ستكون بعد الموت لا محالة ، الى ضعف النفس وعدم تمكنها من المكافحة والمقاومة ، وقد يصف ذلك بـ (أفيون الشعوب) ، ويعتبر ذلك تسلية للعاجز المسكين ، هذا ما يسوله له شيطانه ، حتى يجعله لا يفكر فى آخرته ، فيرتكب ما شاء كيفما شاء : « ومن يَعشُ عن ذكر الرحمان نقيض له شيطاناً فهو له قرين ، وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون » . (سورة الزخرف : ٣٦) .

وقد تقوى هذه النظرية الخاطئة : أى عدم الاعتقاد بما بعد الموت ،

---

(١) سورة الزخرف : ٧١

عند الماديين العوام[١] الى درجة أنهم يسندونها الى العلم والعلم كله منه براء .

كيف ومتى تمكن العلم : هذا العلم المادى الذى يدرس فى جامعات العالم أن يتوصل الى ما وراء الطبيعة وعوالم لا تُبصر بالآلات والأدوات ولا تُستقصى بمعادلات وقوانين حتى يحق له أن يقول : بأزلية المادة ونفى الخالق ؟ !

فالإنسان الذى قد انفتحت بصائره لصفاء نفسه ولأعمال صالحة قد قام بها وعلى رأسها : البر بالوالدين وصلة الرحم ، حتى من حملة شهادة الدكتوراه ، ليوقن : أن الله الذى أودع الكمال فى كل جزء من أجزاء هذا العالم ، من الذرة الى الملائكة ، فى عالم المادة وفى عالم القوى والأرواح وقد ربط بعضها ببعض ربطاً دقيقاً متقنا بخواص ودساتير متقنة وقوانين رياضية رصينة : « ما ترى فى خلق الرحمان من تفاوت » . سوف يكمل هذه الحياة الدنيوية : الناقصة من جهات شتى : نقصان فى الكمال النفسى نقصان فى النواحى الأخلاقية ، (من حيث التطبيق) ، نقصان فى النواحى الاقتصادية ، (من حيث التطبيق أيضاً) ، نقصان فى النواحى السياسية (ذلك لأن الاسلام دين ودولة) ، نقصان فى الروابط الدولية والانسانية : « فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه . وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين[٢] ، نقصان فى النواحى الصحية ، نقصان فى الطمأنينة والراحة الفكرية ، (حتى بين بعض

---

(١) انما قلت : الماديين العوام : ذلك لأن المادي (في عقيدته !) ان لم يكن قد درس الرياضيات العالية والفيزياء العالية ، ولم يربط عصارات العلوم الحاضرة بعضها ببعض ربطاً فلسفياً فهو مادي عامي ، لا يستند في هذيانه الى ركن وثيق أو الى برهان عميق . ولكن ، لو تضلع هذا المادي (في العقيدة) في شتى العلوم ونبغ فيها وترك شيئاً من خموره وفجوره فهو موحد لا محالة ، « ومن يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به ، فانما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكافرون » .

(٢) سورة البقرة : ٣٦

المتدينين) ، نقصان فى النواحى العلمية لجهل الانسان كثيراً من حقائق الكون ، وفوق كل ذلك قلق فى نواحى شتى ، سوف يكمل هذه الحياة الناقصة بحياة سعيدة أخرى ، كاملة من جميع الجهات ، ألا وهى الحياة الآخرة : حياة ملؤها رفاهية وسرور وحبور ، حياة كلها كمال : « وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ، يتنازعون فيها كأساً ، لا لغو فيها ولا تأثيم » . وفى مكان آخر : « كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ، متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين » . (سورة الطور : ٢٠)[١] . كمال فى النفس وتكامل للتطلع والوقوف على حقائق وأسرار الأكوان والعوالم المتنوعة بصورة سرمدية ، كمال فى الصحة ، كمال فى الحياة الفردية ، كمال فى الحياة الإجتماعية ، كمال فى الحياة الاقتصادية (ان قلنا بحياة اقتصادية هناك) ، وفوق كل ذلك خلود ما بعده فناء ولا زوال . « وأما الذين سُعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك ، عطاء غير مجذوذ »[٢] . (سورة هود : ١٠٩) .

« يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم وأيمانهم ، يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ، انك على كل شىء قدير » . (سورة التحريم : ٨)

فإتمام النور للمؤمنين ، هو الكمال الموعود ، ذلك الكمال الذى به تزول نواقص هذا العالم الفانى ، عالم العمل والاختبار . « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »[٣] .

فالكامل وهو الله تعالى حاشا أن يخلق شيئاً تافصاً الا ويريد لهذا الناقص

---

(١) لابد من زواج وازدواج حتى فى عوالم الآخرة ، تحقيقاً للزوجية فى الكون ولتبقى الوحدانية خاصة بالله تعالى ، لا يشاركه فيها أحد

(٢) غير مجذوذ : غير مقطوع .

(٣) سورة النور : ٤٠

(بسنن قد سنها) الكمالَ . وقد سنّ طرق الكمال وسنن التكامل لهذا الانسان على لسان أنبيائه عليهم السلام ، فما أوحى الله تعالى الى أنبيائه كله سنن ودساتير تؤدى بصورة تدريجية الى تكميل النفس الانسانية ، كى تكون قمينة للانتقال الى عالم آخر كله كمال .

ولا مراءَ أن الله إنما أرسل الأنبياء عليهم السلام لتكميل البشر ، لعلمه تعالى بما هنالك من نقائص شتى فى هذا العالم الدنيوى وفى النفس الانسانية والحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الى ما هنالك . ذلك لأن هذه الحياة حياة تهيؤ واستعداد ، وما فيها من نقائص هى ، فى الحقيقة ، مواد امتحانية يجتازها الانسان لبلوغ الكمال والانتقال الى عالم آخر ، عالم سرمدى خالد كله كمال فى كمال . فما نسميه فى هذه الحياة الدنيا نقائص هى ليست ، فى الحقيقة ، نقائص ، رغم تسميتنا اياها نقائصَ ، وإنما هى مراحل يتقدم فيها الانسان كما يتقدم الطالب فى مدرسة ما من صف الى صف .

فالإنسان مريض فى هذه الدنيا بأمراض معنوية ، لنقائص كثيرة فى نفسه ، ولذلك يقول علىٌ (ع) : « أرسلَ اليكم رسولاً ليُزيلَ به عِلّتكم » .

وعن الرضا (ع) : خاطب رسول الله يوماً أصحابه ، قائلاً : « ألا أخبركم داءكم عن دوائكم ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : داؤكم الذنوب ودواؤكم الإستغفار ! » .

فالأنبياء عليهم السلام هم معدّلو هذه النقائص بصورة تدريجية ، لو أطيعوا ، فطبّقت دساتيرهم واتبعت تعاليمهم .

وأما المواد الامتحانية التى تظهر للإنسان أنها نواقص أو نقائص فتبقى ثابتة تميز بين الفرد الصالح والفرد الطالح . ومن لم يتبع دساتير الأنبياء (ع) ومن بعدهم الأوصياء (ع) يذهب من هذه الدنيا وهو متسافل النفس ،

أعمى ... « ومن كان فى هذه أعمى ، فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا » . (سورة الإسراء : ٧٢) .

ولما كان الكامل على الاطلاق وهو الله تعالى لا يصدر منه إلا الكمال ، وجب أن يكون ، بعد الموت ، عالمٌ آخر كله كمال ، خاص بعباد الله الصالحين . « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، خالصة[١] يوم القيامة » . (سورة الأعراف: ٣١).

« والذين كفروا لهم نارُ جهنم ، لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها » .

وأن الله يجازى الكافرين بعد أن أتم عليهم الحجة بعقل فطرى : « ونفس وما سوّاها ، فألهمها فجورها وتقواها » ، وبإرساله الرسل : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسول » ، وذلك بقوله : « كذلك نجزى كل كفور ، وهم يصطرخون فيها : ربّنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ، أولم نعمّركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ، فذوقوا فما للظالمين من نصير »[٢] .

فطوبى لنفوس تطهرت فى هذه الفترة القصيرة الإمتحانية وتكاملت فى هذا العالم الدنيوى ، فذهبت الى رَوح وريحان بنفس مطمئنة ، « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

فما علينا إلا أن نستجيب لربنا[٣] ونعمل ، كى لا نكون مصداق

---

(١) أي خالصة المؤمنين يوم القيامة ، فلا يشاركهم فيها أحد . لا كما في الدنيا حيث يشارك المؤمنين غيرهم من غير المؤمنين .

(٢) سورة فاطر : ٣٧

(٣) يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون . (الأنفال : ٢٤) .

هذه الآية : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ، فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » . (سورة الكهف : ١٠٦) . ولنتذكر هذه الآية دوماً ، « استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ، ما لكم من ملجأ يومئذٍ وما لكم من نكير » . (سورة الشورى : ٤٧) .

« وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل » . (سورة الشورى : ٤٤) .

* * *

فليجرب المجربون وليختبر المختبرون ليروا صحة ما أقول . فكلما كان الانسان أقرب الى التقوى والأعمال الصالحات ، نقىّ الثوب ، طاهر الضمير ، كان اعتقاده بما بعد الموت وبالمعاد أقوى وأمتن . حتى وان لم يكن قد بلغته دعوة الإسلام . وكلما تردّى وتسافل كان اعتقاده بالمعاد أوهى وأضعف . « ولا تُطع كل حلاّف مهين ، همّاز مشاءٍ بنميم ، مناع للخير مُعتدٍ أثيم ، عُتلّ بعد ذلك زنيم ، أن كان ذا مال وبنين ، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين »[1] . (همّاز أى كثير الطعن . عُتلّ : جافّ غليظ . زنيم : دَعىّ ، منسوب لغير قومه ـ أساطير : ما سطروه من خرافاتهم) .

لذلك يبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بعد نزول سورة النصر ، فيقال له : يا رسول الله ، أوَ تبكى ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . فيقول : « أين هولُ المطّلع وأين ضيقة القبر ، وظلمة اللحد وأين القيامة والأهوال » . وهو القائل : « معاشرَ الناس : انه ليس

---

(١) سورة القلم : ٨ — ١٦

بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيرا أو يصرف عنه به شرا إلا العمل . أيها الناس لا يدع مدع ولا يَتَمَنَّ مُتَمَنٍّ ، والذى بعثنى بالحق نبياً ، لا ينجى إلا عمل صالح مع رحمة ، ولو عصيتُ لهويتُ » .

فقضية ايمان الفرد بما بعد الموت من عوالم الآخرة والإيمان بسؤال الملكين : (منكر ونكير) فى القبر عن ربه وعن دينه ونبيه وإمامه وصلاته و... الخ . وكذلك الإيمان بالصراط[١] والميزان[٢] وتكلم الجوارح[٣] وتطاير الكتب[٤] والحساب يوم البعث[٥] والجنة والنار والشفاعة

---

(١) الصراط : هو جسر جهنم ، يمر عليه جميع الخلائق ، فالمطيع يجوزه الى الجنة ، والعاصي يهوى به في النار .

(٢) الميزان هو ما يقابل فيه بين الحسنات والسيئات ، وليس هو بميزان مجسم . قال الله تعالى : « والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » . (سورة الأعراف : ٨) .

(٣) تكلم الجوارح : أي أن أعضاء الانسان تتكلم يوم القيامة بأمر الله واذنه ، وتشهد على صاحبها بما فعله في الدنيا من الذنوب ، وهو على كل شيء قدير » ، قال تعالى : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » . (سورة يس : ٦٥) .

(٤) ومعنى تطاير الكتب : هو أن الله تعالى بعد أن يحاسب العباد يوم القيامة يخرج لكل واحد منهم كتاباً يلقاه منشوراً . فيطير كل كتاب الى صاحبه ، فيجد فيه كل ما عمل في دار الدنيا ، « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها » . فيقال له : اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » . (سورة الاسراء : ١٤) . . . « وأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا ، وينقلب الى أهله مسرورا . وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا » . (سورة الانشقاق : ١١) . (والثبور معناه : الهلاك ، أي يدعو الله أن ينزل عليه الثبور) .

(٥) معناه : ان الله تعالى يحاسب العباد بعد بعثهم من قبورهم واحيائهم بعد موتهم على أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا . ثم يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . (سورة الزلزال : ٧-٨) .

والحوض[١] وهكذا الإيمان بكتابة الأعمال[٢] إنما هى قضية طهارة النفس وتزكيتها . فكلما كانت النفس طاهرة ، زكية صالحة نقية ، زاد اعتقادها بالآخرة وعوالمها وتمنت الموت . وكلما كانت النفس ظالمة حالكة مظلمة ، كانت جاحدة عوالم الآخرة ، فلا تتمنى الموت . « ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » . (سورة الجمعة : ٧) . ومنهم من ينسب جحوده هذا الى العلم الحديث تبريراً لموقفه . والعلم قديمه وحديثه من كل ذلك براء .

نعم آفة العلم الحديث أنه لا يرافق التقوى والإيمان بالله . وإنما تلقى مواضيعه على الطلاب مع نزعة إلحادية مجردة عن عزو ذلك الى قدرة الله تعالى وجليل صنعه . عدا ما هنالك من مجالات وحريات ! تفسد الشاب وتذهب بحيائه الطبيعى ، فإذا ذهب الحياء ذهب الإيمان معه ، وقد جاء فى الحديث : « لا ايمان لمن لا حياء له » .

* * *

أرأيت رجلاً عليه سيماء الخشوع والخضوع ، ترتاح نفسك عند النظر اليه ، يُلهمك التقوى ويجعلك تفكر فى مصيرك وعاقبتك ، يذكّرك الله

---

(١) هو حوض النبي (ص) يوم القيامة . عرضه ما بين أيلة (بلد بين مصر والشام) وصنعاء . فيه من الأباريق عدد نجوم السماء . والساقي عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً .

(٢) ومعنى ذلك : أن الله تعالى وكل بكل مكلف من عباده ملكين بالنهار وملكين بالليل ، أحدهما على اليمين ، يكتب الحسنات ، والآخر عن الشمال ، يكتب السيئات ، فيكتبان جميع أعمال العبد . قال تعالى : « وان عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » . ومن هم بحسنة كتبت له حسنة ، فاذا فعلها كتبت له عشر حسنات . ومن هم بسيئة لم تكتب عليه ، فان فعلها أمهل سبع ساعات ، فان تاب منها لم تكتب عليه ، وان لم يتب منها كتبت عليه سيئة واحدة . قال الله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ، وهم لا يظلمون » . (سورة الأنعام : ١٦٠) .

وتطمئن اليه نفسك . أرأيت كيف يأخذ بمجامع قلبك ، فلا يحتلج فى صدرك عند النظر اليه ما يفسد القلب ويلوّث النفس !

أرأيت رجلاً يخشع قلبه عند سماع ذكر الله تعالى وتدمع عيناه ، أرأيت رجلاً غزير الدمعة جوف الليل من خوفه تعالى كيف يؤمن بالآخرة ويراها واضحة لا غبار عليها . إنه أحد أولئك الذين يصفهم علىّ (ع) بقوله : « وهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون ، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون » . لذلك ورد فى دعاء يقرأ بعد نافلة المغرب : « اللهم إنى أعوذ بك من نفس لا تقنع وبطن لا تشبع وعين لا تدمع وقلب لا يخشع وصلاة لا تُرفع وعمل لا ينفع ودعاء لا يُسمع ... الخ » .

كان يأتى بعض الأعراب محمداً صلى الله عليه وآله . فيقولون حين وقوع أبصارهم على محيّاه : « والله ما هذا الوجه بوجه كذاب » . ولقد جربت ذلك فى بعض من مَنّ الله عليهم بتوفيق الهداية . فبعد أن كان وجه أحدهم مكفهرا ذا تقاطيع خاصة لا ترتاح اليها النفوس أصبح بعد التوبة والإنابة وضاء يستلهم الناظر منه الخير والطمأنينة .

ولكن نفساً يتطاير منها الشر والشرر والطيش والجور والبغى ، نفساً متكبرة متحجرة ، تشمئز منها نفسك ، إن كانت قد بلغت مرتبة من التقوى . فلو نظرت الى وجه هذا الشخص لألفيته وجهاً مكفهراً ، حالكا لا ترتاح النفوس عند النظر اليه . إن نفساً كهذه لا تؤمن بالآخرة ولا تصدق بالبعث ، بل ديدنها الإستهزاء بالمقدسات وشعارها التكذيب بآيات الله تعالى .

« إلهكم إله واحد ، فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ، لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين » . (سورة النحل : ٢٢ ، ٢٣) .

وهكذا لا تؤمن بالآخرة نفوسٌ ديدنها الخديعة والمكر والغدر .

نفوس تنتهز الفرص لإيقاع الآخرين فى المهالك . إن نفوساً كهذه لتفرح عندما تنجح فى مكرها وخداعها وتظن أنها قد فتحت جبهة من الجبهات أو جاءت بأمر خطير . وقد فاتها أنها خانت نفسها وأبعدتها عن ساحة القدس . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ليس منا من ماكر مسلماً » . وقال أمير المؤمنين علىّ (ع) : « لولا أن المكر والخديعة فى النار لكنت أمكر الناس » .

أوَ ترى نفساً هذا دِينها تؤمن بالحساب والجزاء وتوقن باليوم الآخر . « كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » . « قُتل الخراصون[١] الذين هم فى غمرة[٢] ساهون . يسألون أيانَ يوم الدين ؟ يوم هم على النار يُفتنون[٣] ذوقوا فتنتكم ، هذا الذى كنتم به تستعجلون » . (سورة الذاريات : ١٠ — ١٤) .

فقضية التصديق بالبعث ليست قضية عقل ومنطق فحسب ، وإنما العقل يحجب بالذنوب ، فتنكر النفس الملوثة كل ما كان التصديق به أمراً طبيعيا فطريا . « ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون »[٤] .

والمنطق الإنسانى قد يصدق بالله واليوم الآخر ويعترف بالمقدسات برهة ضئيلة من الزمن عندما تُملى عليه البراهين . إلا أنه سرعان ما يغلب على النفس المتسافلة شيطانها فيأتى دور الإنكار والجحود بقوة وشدة لا مزيد عليها : « ثم نكسوا على رؤوسهم »[٥] .

---

(١) الكذابون .
(٢) غمرة : جهل يغمرهم .
(٣) يفتنون : يعذبون .
(٤) سورة الروم : ١٠
(٥) سورة الأنبياء : ٦٥

« وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ، فانظر كيف كان عاقبة المفسدين »[١] .

فقضية التصديق بالبعث هى قضية تقوى ونفس زكية قبل كل شىء على حد قوله تعالى : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدىً للمتقين : الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

وقد أخذ بعض علماء النفس المحدثين يعترف للنفس الانسانية ببعد رابع : وهو الاعتقاد بالله واليوم الآخر بصورة فطرية . وهذا يشبه (الزمان) الذى جعله (آينشتاين) بعداً رابعا لقياس المسافات الشاسعة ومقدار الكتلة والحجوم فى تلك المسافات النائية ، عدا الأبعاد الثلاثة . وأن العلم الحديث أخذ يقترب مما أملاه الأنبياء عليهم السلام على البشر وبما أخبرونا به عما وراء الطبيعة .

* * *

وإنى لأتذكر جيداً ، أنى قرأت ذات يوم خطاب رسول الله (ص) حين دعا عشيرته الأقربين :

« إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناسَ ما كذبتكم ، ولو غررت الناس ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو : إنى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة ، والله لتموتُنَّ كما تنامون ، ولتُبعثُنَّ كما تستيقظون . ولتُحاسبُنَّ بما تعملون ، ولتجزَوُنَّ بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً ، وانها للجنة أبداً أو النار أبدا » . على مدرس فى إحدى الثانويات ، فوضع اصبعه على هذا السطر : (ولتبعثن كما تستيقظون) قائلا : « إن فى قلبى شيئاً من صحة هذا الكلام » ! وأظهر أنه غير موقن بالمعاد . فسألت عن عمله ، فعلمت أنه اندمج أخيراً فى زمرة مَن بَعّدهم الله عن رحمته . ولكن الله شاء له أن يموت على الايمان . فضاقت أموره

---

(١) سورة النمل : ١٤

وتردّت صحته ، فرجع شيئاً فشيئاً عن غيّه وطيشه ، فصار يؤمن بالبعث : « وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون »[١] .

وكم فى النكبات من فوائد وعبر ورجوع الى اصلاح النفس ومعالجتها وأوبها الى التوبة والانابة . فعن الرسول (ص) : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل همّ فرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

وفى حديث آخر : « من تاب قبل أن يغرغر[٢] تاب الله عليه » . وهذا خير دليل على عظيم لطفه تعالى وفتحه باب التوبة الى آخر لحظة من حياة الفرد . إلا أن الفرد سوف لا يوفق الى التوبة إن رانت الذنوب على قلبه وغلبت وطبعت عليه . « وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » (٩/٨٨). والرين أو الدنس ان استولى على القلب فلا يدع مجالا لرؤية الحق والواقع ومعالجة النقص المتأصل فى النفس . فيرى الفرد إذ ذاك الحقائق أساطير وخرافات على حد قوله تعالى : « وإذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ، كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (٨٣/١٤) .

وقال تعالى : « بل قالوا مثلَ ما قال الاولون ، قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون ، لقد وُعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ، إن هذا إلا أساطير الأولين قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ، قل مَن رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون »[٣] .

فبالتقوى يعمر القلب ويزول عنه الصدأ ويرتفع حجاب الظلمات ، فلا يعتبر بآيات الله وما أنزل على رسله إلا المتقون ، « إلا من خشى الرحمان

---

(١) سورة الاعراف : ١٦٧ .
(٢) غرغر : جاد بنفسه عند الموت .
(٣) سورة المؤمنون : ٨٢ — ٨٨

بالغيب ، وجاء بقلب منيب » . وهو القائل : « وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمان بالغيب ، فبشره بمغفرة وأجر كريم » ، (سورة يس : ١٠ — ١١) .

ولا بأس بذكر هذا الحديث لأهميته ، يستفيد منه من مَنَّ الله عليه بتوفيق الطاعة ، فأدرك فلسفة الدين ، فلسفة قد لا تتفق فى جوهرها مع ما عليه كثير من الناس ، اليومَ ، من معانى الدين . ولكنها تفسير لما ذكر الله تعالى فى كتابه المنزل :

قال أبو عبدالله عليه السلام : « كان فى ما وعظ به لقمان ابنه : يا بُنى ، إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم ، فلم يبق ما جمعوا ، ولم يبقَ من جمعوا له . وانما أنت عبد مستأجر . قد أُمرت بعمل وُعدت عليه أجرا . فأوف عملك واستوف أجلك . ولا تكن فى هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت فى زرع أخضر ، فأكلت حتى سمنت ، فكان حتفها[1] عند سمنها . ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جُزتَ عليها وتركتها ولم ترجع اليها آخر الدهر . إخربها ولا تعمرها ، فإنك لم تؤمر بعمارتها ، واعلم أنك ستسأل غداً اذا وقفت بين يدى الله عز وجل عن أربع : شبابك فى مَ (فيمَ) أبليته[2] وعمرك فيمَ أفنيته ، ومالك مِمَّ اكتسبته وفيمَ أنفقته ، فتأهب لذلك وأعدّ له جواباً . ولا تأس على ما فاتك من الدنيا ، فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاؤها . وكثيرها لا يؤمن بلاؤها ، فخذ حذرك وجدّ فى أمرك ، واكشف الغطاء عن وجهك ، وتعرض لمعروف ربك ، وجدد التوبة فى قلبك ، واكمش[3] فى فراغك ، قبل أن يقصد قصدك[4] »

---

(١) حتفها : هلاكها .

(٢) الثوب البالي هو الذي استعمل حتى أشرف على الاندراس . أبلى الثوب : صيره بالياً .

(٣) الكمش : السعي ، أي أسرع وعجل .

(٤) قصدك : نحوك ، كناية عن توجه ملك الموت اليه ليقبض روحه أو توجه أمراض وبلايا من الله اليه .

ويُقضى قضاؤك ويُحال بينك وبين ما تريده » .

ولقد عرفت شخصاً ذرّف على الستين ، كان فى ريب من وجود الإمام الثانى عشر : الحجة المهدى عجل الله تعالى فرجـــه ، وانه حى يُرزق ، وسيظهر حين يأمره الله تعالى ، فيملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا . وكان يخالجه شك عندما يفكر فى كيفية المعاد . وعندما رجعت الى ما أعلمه من معاملاته السابقة ، علمت أن ضعف عقيدته ناتج عما قام به من أعمال غير مرضية عند الله تعالى . إلا أنه ، والحمد لله ، قام بإصلاح نفسه أخيراً للتكفير عما اجترحت يداه من ذنوب بعزم رصين . ويوشك ان يرجع الى ما كان عليه فى صغره من عقيدة راسخة بحياة الحجة (ع) وبالمعاد . وذلك بعد تطهير نفسه وجعلها غير مشوبة بالذنوب ، فقد جاء فى الحديث : « التائب عن الذنب كمن لا ذنبَ له » .

* * *

يرى هذا الانسان من الكمال الذى أودعه الله تعالى فى خلقه : أن جعل تردّد[1] صوت الرجل (١١٠) فى الثانية وتردد صوت المرأة : (٢٢٠) فى الثانية ، ليكون صوت المرأة أجمل وألطف من صوت الرجل . فينجذب الرجل اليها وتكون بينهما مودة ورحمة ، فيسكن اليها وتسكن اليه[2] . فلا يتصدى الرجل الى ما حرم الله ودنّسه من فسوق وفجور وشذوذ جنسى يدل على ضعة النفس وتدنسها وتلوثها وبُعدها عن الكمال كل البعد ، فيتسافل الى أسفل سافلين وبئس المصير . فكل ما حرم الله إنما هو فى ذاته ملوّث ، دنس يضاد الكمال وطهارة النفس ، فقد جاء فى الحديث :

---

(١) التردد في الثانية : هو عدد اهتزازات الجسم الصائت أو (المهتز) ، أو عدد ذبذباته الكاملة في ثانية واحدة . كما نشاهد ذلك في الشوكة الرنانة .

(٢) ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ . (سورة الروم : ٢٠) .

« من قبّل غلاماً بشهوة ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » . ولذلك يقول الله تعالى لردع الناس عن الشذوذ ومنعهم عما يضاد طهارة النفس ويؤدى الى التسافل والى شذوذ جنسى :

« وأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . فمنع الله تعالى بكلمة (المتطهرين) عن كل شذوذ وكل ما يخالف الذوق السليم الطاهر ويخالف سنة الكمال الذى يريده الله لعباده ولجميع ما خلق . وأيد ذلك تحقيقاً للكمال الانسانى وتوضيحاً لقوله : « من حيث أمركم الله » بقوله : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم ، واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين » . فنهى الله بقوله : « نساؤكم حرث لكم » عن كل شذوذ يخالف تحقيق مفهوم (الحرث) ، وحذر الأزواج عن هذا الشذوذ المقيت ، المحرم مع أزواجهم بقوله : « واعلموا انكم ملاقوه » . وبقوله : « وقدموا لأنفسكم » كى لا يتسافل هذا الانسان بتدنيس نفسه وتلويث فراشه ، فيتعدى حدود التكامل الذى أراده الله لعباده فى هذه الدنيا . وكذا الحال فى كل ما نهى عنه الله تعالى فى محكم كتابه الكريم . فروح الاسلام هى التكامل والكمال فى جميع مرافق الحياة : من اجتماعية وفردية وغيرهما . هذا ما نلاحظه فى كتابنا المقدس : القرآن العظيم الذى « فيه تبيان لكل شىء » وهو القائل : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء »[1] . (سورة الأنعام : ٣٩) .

* * *

إن التكامل غاية الغايات فى هذا الكون[2] . فمن ايقن به علم انه لابد وأن تكون وراء هذه الحياة القلقة (المضطربة) حياةٌ طمأنينة ودِعة

---

(١) ما فرطنا : ما تركنا من شىء .

(٢) قال رسول الله (ص) مخاطباً عليا (ع) : يا علي ، أربع من يكن فيه فقد كمل اسلامه : الصدق والشكر والحياء وحسن الخلق .

وهدوء وسرور ، وأن وراء هذه الحياة الناقصة حياة كاملة ، بكل ما فى الكمال من معنى ، ليس لهذا الانسان أن يتصور مداه ما دام فى هذه الدنيا .

لذلك يخبرنا الله تعالى عن حتمية يوم البعث فى هذه الآية التى تدل على ما أودع الله من تكامل تدريجى عجيب فى كل جزء من أجزاء هذا الكون ، لاسيما تشكلات الجنين الذى هو معجزة الله فى أرضه من معاجز لا تتناهى .

إنه تعالى يقول : « يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة (١) وغير مخلقة ، لنبين لكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يُتوفى ومنكم من يُرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق ، وانه يُحيي الموتى وانه على كل شىء قدير . وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث مَن فى القبور »(٢) .

فطوبى لنفوس تُدرك الكمالَ المودع فى هذا الكون وكيف ان الله احاط الجنين بظلمات ثلاث ، أى بثلاثة أغشية صماء لا ينفذ منها الماء والضوء والحرارة (٣) وذلك بقوله : « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث »(٤) . ان نفوساً كهذه تنزه الله تعالى عن كل نقص وتسبّحه ليلَ نهارَ ، لاسيما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب :

« وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . ومن الليل

---

(١) مصورة تامة الخلق .

(٢) سورة الحج : ٤

(٣) وهذا ما توصل اليه أخيراً العلم الحديث : وتسمى الأغشية المذكورة باسم : المنبارية والآمنيونيه والخوربونية .

(٤) سورة الزمر : ٦

فسبحه وأدبار السجود »[١] . « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن أناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى »[٢] .

وذلك لأن التسبيح يوحى ان الله تعالى منزه عن كل نقص وعن كل عيب وانه فى غاية الكمال وما يصدر عنه أيضاً فى غاية الكمال ، فمعنى (سبحان الله) أى أن الله منزه عن كل نقص وعيب وهو فى غاية الكمال ، وما يصدر عنه كامل لا نقص فيه . فتكامل هذه الحياة الدنيوية بالحياة الأخروية الدائمة السعيدة . ولذلك كانت التسبيحات الأربعة : (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) فى الركعتين الأخيرتين من صلاتى الظهر والعصر وصلاة العشاء أفضل من تلاوة سورة الفاتحة .

* * *

ثم إن البعض يستبعدون امكان البعث ، بعد أن تبلى الأجساد من الناحية المادية . حين أن الله تعالى قد خلق فى هذا الكون مقادير هائلة من الايدروجين والأوكسيجين والكاربون والكلس والحديد الى ما هنالك من عناصر لتكوين القسم المادى من البدن الانسانى وخلق طاقات بمقادير لا تحد . فباستطاعة الله تعالى أن يُرجع لكل انسان بدنه المكون من نفس العناصر فلا فرق بين عنصر وعنصر وبين ايدروجين وايدروجين آخر . وبين حديد وحديد آخر . فيكوّن الله تعالى مما خلق أو ما يريد خلقه بمقدار لا يتناهى من حديد وايدروجين وعناصر أخرى الأجسامَ أو الأبدان التى كانت الأرواح تحل فيها وتسيطر عليها لمحاسبتها يوم البعث . ولا يُحاسب إلا الروح . أما البدن فيعذّب ان كانت الروح التى تحل فيه عاصية لله . فتشعر الروح بهذا العذاب . ومما لا مراء فيه أن عمليات الهدم والبناء فى

---

(١) سورة ق : ٣٩

(٢) سورة طه : ١٣١

الكيان العضوى لا تدع مجالا لبقاء عضو محافظاً على نفس الخلايا والأنسجة ، ذلك لأن الخلايا والانسجة تتجدد وتتبدل من حين الى آخر فلا يبقى البدن الانسانى على ما هو عليه من حيث العناصر أو الخلايا والانسجة . أى أن الخلايا والانسجة بما فيها من عناصر تتبدل من حين الى آخر .

يقول الله تعالى فى (سورة المؤمنون : ١٢) : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » . أى من خلاصة سُلّت من بين الكدر ومن خلاصة أخذت من الطين . ومعنى ذلك ان الانسان انما خلق من مجموعة عناصر شتى : (كاربون ، أوكسيجين ، ايدروجين ، فوسفور ، كبريت ، آزوت ، كالسيوم ، پوتاسيوم ، صوديوم ، كلور ، مغنيسيوم ، حديد ، مانغانيز (منگانز) ، نحاس ، يود (ايود) ، فلورين ، كوبالت ، التوتيا : (Zinc) ، سلكون ، ألمنيوم . وان هذه العناصر هى العناصر المكونة للتراب .

ويقول تعالى فى آية أخرى : « خلق الانسان من صَلصال كالفخار » . والصلصال هو الطين اليابس . والطين هو التراب الذى أضيف اليه الماء . وفى آية أخرى : « من صلصال من حمإ مسنون » .

ولا شك أن اتحاد الحيوان المنوى ، الذى يفرزه الذكر ، بالبويضة ، التى تفرزه الأنثى ، هو الذى يكوّن نطفة الانسان . أى أن نُطفة الانسان تنشأ من اتحاد الحيوان المنوى (من الذكر) بالبويضة (من الأنثى) . والحيون المنوى والبويضة كلاهما يتولدان من الدم ، والدم يتولد من الغذاء الذى يتناوله الانسان ، وهذا الغذاء اما نبات أو حيوان أو ماء . وكلها متكونة من عناصر التراب . أى من (ايدروجين ، فوسفور ، كبريت ، سلكون ... الخ) . إذن قد خُلق الانسان من تراب . ذلك لأن ما فى بدن الانسان من عناصر شتى (تلك التى ذكرناها) كلها موجودة فى التراب . وهكذا أثبت العلم الحديث ان الانسان مخلوق من تراب على ما جاء فى كتاب

« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » . وهذه احدى معجزات القرآن الكريم .

وهو القائل : « ومن آياته أن خلقكم من تراب ، ثم اذا أنتم بشر تنتشرون »[١] . وفي آية أخرى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن ، فيكون » . وليس للعلم الحديث أن يتوصل الى أن قول الله تعالى (كن) كيف يؤدى الى وجود موجودات شتى وكيف قوله : (كُن) أوجد التراب بعد مراحل شتى ، أرادها الله تعالى عند قوله : (كن) : أى أراد الله تعالى أن تتحقق كل هذه المراحل فيتكون إذ ذاك هذا التراب . ثم كيف قول الله تعالى للتراب أو للطين : (كُن) ، أوجد هذا الانسان بروحه وعقله الجبار : « ما أشهدتهم خلقَ السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم »[٢] . (سورة الكهف : ٥٠) .

ذلك لأن العلم الحديث ، لا يتجاوز حدود المحسوسات ، وأنى له أن يتعرف الى ما وراء الطبيعة والى حقيقة الروح وكيفية خلقها من جانب

---

(١) سورة الروم : ١٩

(٢) يرى العلم الحديث أن الكون بدأ من سديم : بدأ من ضباب رقيق ، من غاز وتراب وعفر . وتجاذبت جزيئاته وتجاذبت حباته بحكم قانون الجاذبية العام ، فتقاربت وهي من بعد تقارب تكتلت والتكتل انضغاط والانضغاط حرارة . وحسب رأي العالم الفلكي السويدي : (هانس) أن المجالات المغناطيسية لعبت دوراً هاماً في تكتل السدم . وقد تأينت العناصر في هذه السدم وتحركت في المجالات المغناطيسية ، فنجم عنها الحركة الميكانيكية التي هي أساس التكتل والتشكل وصياغة المجاميع الشمسية . وقد انتهى في تحقيقه وبحثه أن : تكون الكواكب لأغلب الشموس هو الحال السوي الطبيعي لها . وقال : « ان الحساب يشير الى أن نجماً بحجم شمسنا يكون له كواكب ، ثالثها يكون بمثل حجم الأرض ، ومكوناً من مثل عناصرها ، وعلى حال كحالها » . ومعلوم أن الأرض ثالث كواكب الشمس ، « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » . (سورة الملك : ٣) والكواكب كلها تدور حول نفسها وكذا الشمس ، وكلها تدور حول نفسها في اتجاه واحد من الغرب الى الشرق !.

الله تعالى وكذلك العقل . وما معنى التحليل العلمى فى أمور تتعلق بما وراء المادة والطبيعة ، ذلك لأن العلم الذى يُستند اليه فى التحليلات العلمية إنما هو علم مادى ناقص ، فلا يمكن تحليل القضايا غير المادية على ضوء العلم المادى الناقص ! كما أن ما وصل اليه العلم الحديث فى بعض الأمور النفسية انما هو مظاهر وآثار لا ربط لها بحقيقة النفس وعوالم الأرواح وما وراء الطبيعة ، وهو مع ذلك فى آخر درجة من النقص ! فلا معنى إذن لاستعمال كلمة : (التحليل العلمى) بالنسبة الى ما هو مما وراء الطبيعة ، إن كان يراد بهذا العلم : العلم المادى ، أو العلم بظواهر المادة وظواهر الحوادث المادية من فيزيائية وكيميائية .

وزيادة فى التوضيح نقول : إن العلم الحديث لا يزال عاجزاً عن التعرف الى حقيقة الجاذبية وهى ظاهرة يعترف بها وبقوانينها ودساتيرها : (دستور اسحاق نيوتون ، دساتير آينشتاين المعدلة لدستور نيوتون ... الخ).. وهكذا نرى ليس للعلم الحديث أن يمد يداً الى ما وراء الطبيعة ويعطى رأياً صحيحاً عنه ، وهو يعترف بالعجز عن التعرف الى ما هو غير مادى وحتى الى حقيقة المادة أو حقيقة العناصر : كالآزوت والايدروجين ...

فالحديد مثلاً مؤلف من ذرات وكل ذرة مكوّنة من الكترونات وبروتونات ونيوترونات ، والعلم الحديث يعترف بعجزه عن بيان حقيقة الالكترون وماهيته وكذا عن حقيقة البروتون وحقيقة النيوترون وكلها قوى وليست من المادة فى شىء .

فإذن : العلم الحديث عاجز من أن يُبدى رأياً صحيحاً عن حقيقة المادة !؟

فالماديون يتمسكون بشىء هم عاجزون عن التعرف اليه وتفهم حقيقته : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » . (سورة النجم : ٢١) .

• • •

ثم ان الله تعالى يُنطق يومَ القيامة هذه الأعضاء من : لسان ويد ورجل ! وهى هى دونما فرق . لأن الكاربون الذى يشكل البدن هو نفس الكاربون الذى كان يشكل بدن هذا الانسان وهو فى عالم الدنيا . وهكذا بالنسبة الى بقية العناصر التى كان يتكون منها البدن الانسانى : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » . (سورة النور : ٢٥) .

« ويوم يُحشر أعداءُ الله الى النار فهم يوزعون ، حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء . وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون » . (سورة فُصلت : ١٩ — ٢١) .

والدليل على عدم بقاء نفس هذه العناصر المؤلفة للبدن الانسانى قوله تعالى : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ، ليذوقوا العذاب ، ان الله كان عزيزاً حكيما » . (سورة النساء : ٦٠) .

ويقول الله تعالى رداً على أولئك الفلاسفة ! الجهلاء الذين كانوا يرون اعادة الأبدان مستحيلاً يومَ البعث بعد البلى والإندثار : « أفعينا بالخلق الأول[1] بل هم فى لَبس من خلق جديد »[2] . (سورة ق : ١٥) .

* * *

وأرى من المناسب أن أذكر هنا فضيلة صلاة علّمها رسول الله (ص)

---

(١) أي : أعزنا من أن نخلق الأشياء من العدم ، ذلك لأن المخلوقات كلها انما خلقت من جانب الله تعالى لا من شيء سابق بل من العدم وبقوله تعالى : كن . وقد قال علي (ع) عند وصفه كيفية خلق الله الخلق : « الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه » . وقال أيضاً : « أنشأ الخلق انشاء وابتدأه ابتداء بلا روية أجالها ولا تجربة استفادها » . وقال عليه السلام في صفة خلق آدم (ع) : « ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت ... الخ » .

(٢) أي بل هم في شك من أن نخلق من جديد ما بلى واندثر وهذا دليل على أن البدن يخلق عند البعث من جديد .

جعفراً الطيار (رض) . فهي صلاة لها تأثيراتها العجيبة في النفوس من حيث الاعتقاد بالمعاد وبكل ما يؤدي الى تكامل هذا الانسان . وأوصى كل من يشك في عوالم الآخرة : من سؤال منكر ونكير والبعث وتطاير الكتب والميزان والصراط ... الخ أن يواظب عليها ، لاسيما يومَ الجمعة قبل الزوال . فإنها العلاج الوحيد لقمع الشكوك والأوهام أو بالأحرى : لطرد الشيطان ووساوسه وشركه وحبائله ، ولحصول اليقين بيوم الجزاء وبكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فليجرب من شاء . فإن التجربة سند العلوم الحديثة والاساس الذي تبتني عليه المكتشفات . فليجرب من شاء وليُعلن نتيجة تجربته كي يقتفي به الآخرون ، فيكونوا من الناجين[١] ، «يومَ لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم» . يومَ «تشخص[٢] فيه الأبصار . مهطعين[٣] مقنعي[٤] رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم[٥] وأفئدتهم هواء»[٦] .

تسمى صلاة جعفر الطيار (رض) بصلاة التسبيح . وهي من المستحبات المؤكدة . فعن أبي بصير ، عن الصادق عليه السلام : أنه قال : قال رسول الله (ص) لجعفر : ألا أمنحك ، ألا أعطيك ، ألا أحبوك . فقال جعفر : بلى ، يا رسول الله . قال : فظن الناس أنه يعطيه ذهباً

---

(١) في ما أوصى النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام : يا علي ، ثلاث موبقات ، وثلاث منجيات . فأما الموبقات : فهوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه . وأما المنجيات : فالعدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخوف الله في السر والعلانية كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك» . (القصد : نقيض الافراط : أي الاعتدال) .

(٢) لهول ما ترى . يقال : شخص بصر فلان ، أي فتحه فلم يغمضه .

(٣) مهطعين : مسرعين .

(٤) مقنعي : أي رافعي .

(٥) طرفهم : بصرهم .

(٦) سورة الحجر : ٤٥

وفضة . فتشوف الناس لذلك . فقال له : « إنى أعطيك شيئاً إن أنت صنعته كل يوم كان خيراً لك من الدنيا وما فيها . فإن صنعته بين يومين غفر لك ما بينهما أو كل جمعة أو كل شهر أو كل ستة أشهر غفر لك ما بينهما » .

وهى أربع ركعات بتسليمتين . أى كأنه يصلى صلاة الصبح مرتين : كل ركعتين بسلام .

ينوى قائلا فى خلده : أصلى ركعتين قربة الى الله تعالى . يقرء فى الركعة الأولى سورة الفاتحة : (الحمد) وسورة أخرى والأفضل أن يقرأ فى الركعة الاولى بعد الحمد ، سورة (إذا زلزلت الارض زلزالها) ، وبعد الإنتهاء من السورة يقول : ١٥ مرة : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » .

ثم يركع ويقول هذه التسبيحات : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » عشر مرات .

ثم يرفع رأسه من الركوع ويقول نفس التسبيحات وهو واقف : ١٠ مرات .

ثم يسجد السجدة الأولى ويقولها ١٠ مرات .

ثم يجلس بين السجدتين ويقول التسبيحات نفسها : ١٠ مرات .

ثم يسجد للسجدة الثانية ويقولها ١٠ مرات .

ثم يرفع رأسه من السجدة الثانية ويقولها وهو جالس : ١٠ مرات .

فيكون مجموع التسبيحات فى الركعة الأولى : ٧٥ مرة وهكذا فى الركعة الثانية ، وهكذا فى الركعة الاولى من الصلاة الثانية ، وهكذا فى الركعة الثانية من الصلاة الثانية . فيكون مجموع التسبيحات فى الركعات الأربع : ٤ × ٧٥ = ٣٠٠ تسبيحة .

ويفضل أن يقرأ فى الركعة الثانية (من الصلاة الاولى) بعد الحمد سورة : (العاديات) .

وبعد الانتهاء من الصلاة الأولى يقوم وينوى كما نوى أولاً للصلاة الثانية : (اصلى ركعتين قربة الى الله تعالى) . ويعمل كما عمل فى الصلاة الاولى . إلا أن هاهنا يفضل أن يقرأ فى الركعة الاولى ، بعد الحمد ، سورة النصر : (إذا جاء نصر الله والفتح) . وفى الركعة الثانية ، بعد الحمد ، سورة الإخلاص : (قل هو الله أحد) .

ويستحب أن يقول فى السجدة الاخيرة (أى فى السجدة الثانية من الركعة الاخيرة (أى الركعة الرابعة) :

« سبحان مَن لبس العزّ والوقار ، سبحان من تعطّف بالمجد وتكرّم به ، سبحانَ من لا ينبغى التسبيحُ إلا له ، سبحان مَن أحصى كل شىء علمه . سبحانَ ذى المنّ والنعم ، سبحان ذى القدرة والكرم . اللهم إنى أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وكلماتك التامة التى تمت صدقا وعدلا أن تصلى على محمد وأهل بيته وأن تفعل بى كذا وكذا ... ويذكر حاجاته » . فإذا انتهى من صلاته يستحب أن يقرأ هذا الدعاء :

« اللهم إنى أسألك توفيقَ أهل الهدى ، وأعمالَ أهل التقى ، ومناصحة أهل التوبة ، وعزمَ أهل الصبر ، وحذرَ أهل الخشية ، وطلبَ أهل الرغبة ، وعرفانَ أهل العلم ، وفقه أهل الورع ، حتى أخافك اللهمّ مخافةً تحجزنى عن معاصيك ، وحتى أعمل بطاعتك عملاً استحق به كرامتك ، وحتى أناصحك فى التوبة خوفاً منك ، وحتى أخلص لك فى النصيحة حباً لك ، وحتى اتوكل عليك فى الامور كلها بحسن ظنى بك .

سبحان خالق النور . سبحان الله وبحمده .

اللهم صلّ على محمد وأهله وتفضل علىّ فى أمورى كلها بما لا يملكه غيرك ولا يقف عليه سواك . واسمع ندائى وأجب دعائى واجعله من شأنك . فإنه عليك يسير وهو عندى عظيم ، يا أرحم الراحمين » .

وروى لنا مفضل بن عمر أنه رأى ذات يوم الإمام الصادق عليه السلام

يصلى هذه الصلاة ، فبعد أن أتم صلاته رفع يديه فقال : (يا ربّ ، يا ربّ) حتى انقطع نفسه . ثم قال : (يا رباه ، يا رباه) حتى انقطع نفسه . وهكذا : (ربّ ، ربّ) ، (يا الله ، يا الله) ، (يا حيُّ ، يا حيُّ) ، (يا رحيم ، يا رحيم) حتى انقطع نفسه ، ثم قال : (يا رحمان) سبع مرات ، ثم قال (يا أرحم الراحمين) سبع مرات . ثم قال : « اللهم إني أفتتح القول بحمدك ، وانطق بالثناء عليك وامجدك ولا غاية لمدحك . واثنى عليك ، ومَن يبلغ غاية ثنائك وأمد مجدك ، وأنى لخليقتك كنه معرفة مجدك ، وأى زمن لم تكن ممدوحاً بفضلك ، موصوفاً بمجدك ، عواداً على المذنبين بحلمك . تخالف سكان أرضك عن طاعتك ، فكنت عليهم عطوفا بجودك ، جواداً بفضلك ، عوّاداً بكرمك ، يا لا آله إلا أنت المنان ، ذو الجلال والاكرام » .

يروى لنا المفضل : أن الصادق (ع) بعد أن انتهى من الدعاء ، قال لى يا مفضل ، إن كانت لك حاجة ، صلّ صلاة جعفر وادعُ الله بهذا الدعاء وسَلْ منه قضاء حاجتك ، فإنها تُقضى ان شاء الله .

ويجوز الفصل بين الصلاتين إذا أعسرته حاجة ، فانه يصلى ركعتين ويقضى حاجته ، ثم يصلى ركعتين أخريين .

ويجوز تأخير التسبيحات الى ما بعد الصلاة مع الاستعجال . أى يصلى الأربع ركعات ثم يسبحّ .

ولو سَها عن بعض التسبيحات أو كلها ولم يأت بها فى محلها أتى بها فى محل آخر مضافاً الى وظيفته ، وان ذكر بعد الصلاة قضاها بعدها .

* * *

إن الأنبياء عليهم السلام كلهم أخبرونا عن الله تعالى : أن هناك عالما آخر بعد الموت . وأن الناس يحشرون جميعاً يوم القيامة ، فيؤخذ بالمحسن

الى الجنة وبالمسيء الى النار . وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد ذلك . منها : « وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا »[١] . ومنها : « أوَ ليس الذى خلق السماوات والارض بقادر أن يخلق مثلهم ، بلى ، وهو الخلاّق العليم »[٢] . ومنها : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الاعلى فى السماوات والارض وهو العزيز الحكيم »[٣] .

فإذا ثبتت نبوة الانبياء بمعاجزهم وصحة دساتيرهم وتعاليمهم ومطابقتها مع العقل السليم . ثبتت صحة ما أخبرونا به ومنه المعاد .

* * *

وفى الآيات ما يدل دلالة واضحة على وقوع المعاد الجسمانى ، أى أن الناس يُحشرون بأجسادهم وبأرواحهم . منها قوله تعالى : « أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ، بلى ، قادرين على أن نسوّى بنانه » . وإنما خص البنان دون سائر الأعضاء لدقة هناك ولاختلاف ما على البنان من خطوط ونقوش على عدد الناس : « سبحانه وتعالى عما يشركون » .

ومنها قوله تعالى : « وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا » . ومنها : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » .

وأما ما قاله بعض القدماء من الفلاسفة من أن المعاد لا يقع جسمانيا وإنما هو روحانى بحت ، فذلك لمحدودية ما كان لديهم من معلومات عن الكون المادى والقوى المسيطرة بإذن الله على هذا الكون ، وقياس الامور على ما كانوا يرونه فى حياتهم من ممكنات . ولو كانوا أحياءً فى مثل هذا العصر ، عصر الذرّة والمعادلات التفاضلية ، عصر النظرية النسبية والنظائر المشعة ، لعلموا أن آفاق العلم لا تحد وما يراه الانسان فى عالم الممكنات مستحيلاً فى

---

(١) سورة الكهف : ٤٦

(٢) سورة يس : ٨١ .

(٣) سورة الروم : ٢٧

وقت ، يراه ممكناً بعد تقدم البشر فى التعرف الى بعض مظاهر الكون وما أودع الله فيه من نظم وخواص وقوانين تبهر العقول .

« وإن تعجب فعجب قولهم ، أإذا كنا ترابا أإنا لفى خلق جديد ، أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »[١] .

* * *

ثم ان الانسان ليرى أن هناك ثلة من الناس بالغوا فى الظلم والطغيان حتى أنهم أنكروا وجود الله جل جلاله ، وان الله لم ينتقم منهم فى دنياهم ولم يقتصّ للمظلوم من الظالم ، فيحكم ، لعلمه بعدالة الله تعالى : أن هناك عالماً آخر يُكافأ فيه المحسن ويُعاقب فيه الظالم .

* * *

إن للكبر أثراً عجيباً فى ردع الانسان عن الاعتقاد بالبعث واليوم الآخر . إن الله تعالى يقول : « إلهكم إله واحد ، فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ، لا جرم أن الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون ، انه لا يحب المستكبرين . وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين . ليحملوا أوزارهم[٢] كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ، ألاساء ما يزرون »[٣] .

فالنفس المتحجرة المتكبرة لا تخشع ولا تخاف عقاب الله تعالى ، فتعصى الله تبارك وتعالى فى أرضه . فيقسو القلب نتيجة ذلك الإنكار والاستهزاء بما أنزل الله من آيات وتتصورها أسطورة وخرافة : « قالوا أساطير الأولين » . وإن هؤلاء بفعالياتهم السلبية يضلّون كثيراً من الناس دون

---

(١) سورة الرعد : ٥

(٢) الوزر : الاثم ، الحمل الثقيل . يزرون : يحملون .

(٣) سورة النحل : ٢٥

سند علمي : « بغير علم » . فيحملون أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم .

لذلك يسأل أبو عبدالله (ع) عن أدنى الإلحاد ؟ فيجيب (ع) : « إن الكبر أدناه » .

وعنه سلام الله عليه : « إن المتكبرين يجعلون في صور الذر ، يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب » .

إن المتكبر يعزو جميع المواهب والقابليات الى نفسه ، وهكذا كل ما يتفضل الله عليه من نعم لا تعد ولا تحصى . وهذا جحود وكفر . والكافر مطرود عن ساحة القدس . مُبعَد الى حيث يستحق من الدرك الأسفل من النار .

إن الظلم وما يتبعه من كبرياء يسدان على البشر أبواب الهداية على حد قوله تعالى : « فآمن واستكبرتم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين »[1] .

وهكذا أثر الغش في ابعاد البشر عن الإيمان بيوم المعاد . « ويومَ يُعرض الذين كفروا على النار ، أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون » . (سورة الاحقاف : ٢٠) .

إن هؤلاء المتكبرين[2] يصمون معطيات العقل السليم بالخرافة . والمنطق بالقدم . ويزعمون أن المنطق البشري قابل للتغيير : فالشيء يكون صحيحا وخطأ في وقت واحد ، ويجتمع الضدان في وقت واحد وفي صُقع واحد الى ماهنالك من خرافات بل جنون ما أنزل الله بها من سلطان . ويعدون هذا منطقاً جديداً ! وأما المنطق الفطري : هذا المنطق الذي كان الاساس في ما اكتشفه البشر من مكتشفات منذ تدوينه علوماً شتى ، أي منذ ٢٥٠٠ سنة حتى اليوم ، فهو في نظرهم منطق شكلي ! يا لها من مغالطة خادعة ! تخدع السُذَّج

---

(١) سورة الأحقاف : ١٠ (٢) وأعني بهم : الشيوعيين .

والقلوب المريضة وذوى العاهات . انهم يخدعون السُذَّج بكلمة : جديد !... تقدّم ! . . وكلمة : قديم ! . . بالٍ ، خرافة ، رجعية ! . . تأخر ! . .

ولولا ما دوّنه اليونانيون ومن بعدهم المسلمون من رياضيات وطبيعيات وطب وعلوم أخرى ، استناداً على المنطق الطبيعى . (هذا المنطق الذى يموّه فيه الشيوعى الواقع والحق فيسميه منطقاً شكلياً) ، لما وجد هذا الصاروخ الذى يتشدق به خطيب من خطبائهم حُرم موهبـــة التفكير الرياضى والتحقيق العلمى ، لما فى نفسه من كبر وغرور .

« وقال موسى : « إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب » . (سورة المؤمن : ٢٩) . وفى آية أخرى : « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » . (سورة المؤمن : ٣٨) .

أسفاً لنفوس تلوّثت بشتى الجرائم . فوجدت الشيوعية وَكراً تستتر تحتها مما حل بها من نقص وضعة فى النفس . أسفاً لنفوسٍ أمست محجوبة عن رؤية الحق والواقع ومطرودة عن مقامات القدس لما اجترحت من موبقات ومنكرات ، فصارت تتشدق مستكبرة ، مترنمة بكلمة : تقدم ، ثقافة . كأن من لوازم الثقافة والتقدم : الإنحلال الخلقى ، والتسافل ، والتفكك عن كل مقياس وانكار الفضائل وبالتالى : انكار المعاد !

لم تفد هؤلاء ما منّ الله عليهم من سمع وبصر وقلب ، لأنها أمست لجرائم لا تعدّ محجوبة عن التطلع الى ما وراء المادة الصماء . فهم ومع الأسف مصداق هذه الآية المباركة : « ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ، وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء ، إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون »[1] .

---

(١) سورة الأحقاف : ٢٦

إن الله تعالى جلّ أن يظلم أحداً . وانما يصل الفرد الى نتيجة عمله : إن خيرا فخير وان شرا فشر . وفى الحديث : « إنما أعمالكم تَرِدُ عليكم » . وقد قال الله تعالى : « فهل يهلك إلا القوم الفاسقون »[1] .

وقد جاء فى الحديث أيضاً : « من لقى الناس بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسان من قفاه وآخر من قدامه يلتهبان ناراً » . وفى حديث آخر : « من خاف الناسُ لسانه فهو من أهل النار » . وفى آخر أيضاً : « إن فى الجنة غرفاً يسكنها من أطاب الكلام وأطعم الطعام وأفشى السلام » .

إذن ، فطريق الجنة : العمل الصالح مع عبادة مقبولة . وطريق النار هو الفسق والكذب والنميمة والغيبة وترك العبادة وما الى ذلك .

* * *

إن العوالم القدسية ثابتة منذ الأزل ، ولا تتبدل حسب الاهواء : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض » . « وان تطع أكثر مَن فى الأرض يضلّوك عن سبيل الله » . « الحق من ربك فلا تكونَنّ من الممترين » . نعم جل ما عند هؤلاء : كلمات فارغة لا يستطيعون تحديدها تحديداً علميا ، لا شائبة فيه : الرجعية ، أساطير ، خرافة ، قديم ، بالٍ ، أفيون الشعوب ، الى ما هنالك من كلمات مسلّية !

فالصدق عند هؤلاء أسطورة . والفضيلة خرافة والاعتقاد بما وراء الطبيعة رجعية ، والصلاة تناقض المادية ! الى ما هنالك مما يخالف المنطق السليم الذى نجده فى قلب سليم . نجده فى نفس فيها شىء من الحياء والتواضع والإذعان للحق وفيها شىء من الفضيلة ومرتبة من السمو . انه تعالى يقول : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » .

ولقد تتبعت هؤلاء المهوّسين ، الذين لا يركنون فى أهوائهم الى ركن

---

(١) سورة الأحقاف : ٣٥

ركين ، تتبعتهم فألفيتهم منفلتين عن الفضائل ، منغمرين فى أنواع الرذائل ، فأمسوا لا يرون ما هم عليه من كثرة النقائص والمفاسد ، فهم حقاً من ذوى العاهات ! « نسو الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون »[١] .

انهم عما قريب مصداق هذه الآية الكريمة : « قد مكر الذين من قبلهم ، فأتى الله بنيانهم من القواعد ، فخرّ عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » .

فلكل نفس رشحات تتناسب مع درجة كمالها ، ومرتبة تسافلها ، فتكون فلسفتها فى الحياة وفيما بعد الممات تابعة لهذه الدرجة وتلك المرتبة : « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى واضل سبيلا » . هذه حقيقة الحقائق ، حقيقة ما بعدها حقيقة ، تنكرها النفس المتسافلة وتسلم بها النفس المتكاملة .

فالذى كان دأبه الإفك والإثم وسوء الخلق وجرح الخواطر وايذاء الناس والكذب ، تكون عاقبة أمره : انكار آيات الله تعالى والاستهزاء بما أمر الله ، على حد قوله تعالى : « ويل لكل أفاك أثيم ، يسمع آيات الله تتلى عليه ، ثم يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها ، فبشره بعذاب أليم ، واذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً ، أولئك لهم عذاب مهين ، ومن ورائهم جهنم ، ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم »[٢] . (أفاك ـ كذاب) .

* * *

إن الشيطان ليعقب أولئك الذين لم يطهروا أنفسهم تطهيراً كاملاً قبل نفاد عمرهم الى آخر ساعة من حياتهم فهو لهم بالمرصاد . فقد قال

---

(١) سورة الحشر : ١٩

(٢) سورة الجاثية : ٧ — ١٠

أبو عبدالله (ع) : « ما من أحد يحضره الموت إلا وكل به ابليسُ من شياطينه مَن يأمره بالكفر ويشككه فى دينه حتى تخرج نفسه . فمن كان مؤمنا لا يقدر عليه . فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، حتى يموتوا » .

ومما يؤثر كثيراً فى أن يوفق الشخص للأقرار بالشهادتين : المواظبة على الصلوات الخمس بإخلاص عند مواقيتها كما جاء فى مفاد حديث . فـ « الناس هَلكى إلا العالمين ، والعالمون هلكى إلا العاملين ، والعاملون هَلكى إلا المخلصين ، والمخلصون على خطر عظيم ... الحديث » .

قد ذكر لى أحدهم : أنه كان عند صديق له عندما حضرته الوفاة ، وكان صديقه هذا ممن يصلى ويصوم ويؤدى ما فى ماله من حقوق ، ويتقى الله فى أموره ، وكان عنده ساعة موته أصدقاؤه الآخرون . فيُلقن شهادة : أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وأن عليا ولى الله ؛ فلم ينطق بها وأبى ، وأخذ يبصق . ولكن الله تعالى لم يشأ أن يموت الرجل على هذه الحالة ، فعادت ، بإذن الله ، اليه روحه ، فصحته . وسئل بعد ذلك عن عدم اقراره بالشهادة ، فأجاب : « انى كنت أسمع ما ألقَن به من شهادة ... ولكنى أمسيتُ فى تلك الآونة عطشانا الى حدّ لا يُطاق . فقُرب إلى شخص قدحاً مملوءاً ماءً ، وأخذ يقول لى : لا تقرّ بالشهادة ، كى أرويك من هذا الماء . فصرت أبصق فى القدح كى لا استسيغه . وأشكر الله على انجائه اياى من ذلك الموقف الحرج » .

وهكذا حدث لرجل آخر حينما حضرته الوفاة . فأبى الأقرار بالشهادتين وصار يرمق ببصره الى رفّ فى غرفته فيه اناء مرصع . ثم رُدّت بإذن الله اليه روحه ، وسئل عن عدم اقراره بالشهادتين ، فقال : « انى كنت شديد العلاقة بالإناء المرصّع ، ورأيت شخصاً (١) رافعا الإناء وهو يقول لى :

---

(١) انه الشيطان ، يرافق الانسان الى آخر لحظة من حياته .

اياك أن تقر بالشهادتين . فإنى سأرمى به على الأرض إن أنت أقررت بهما . ولذلك ترددت فى الإقرار رغبة فى ذلك الإناء المرصع ، وأشكر الله على إنقاذه اياى » .

وفى الحديث : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » . فطوبى لنفوس تهيأت ليوم : « يجعل الولدان شيبا ، السماء منفطر به ، كان وعده مفعولا »[1] ، فلم يقوَ الشيطان على اغوائها حين خروج الروح .

وقد جاء فى أخبار آل محمد عليهم السلام : « كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين : عين غضّت عن محارم الله وعين سهرت فى طاعة الله وعين بكت فى جوف الليل من خشية الله » . وفى خبر آخر ، فى ما أوصى به النبى (ص) عليا (ع) : يا على ، كل عين باكية يوم القيامة ، إلا ثلاث أعين : عين سهرت فى سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين فاضت من خشية الله » .

وفى الكافى : « إذا قبضت الروح فهى مُظلة على الجسد » .

* * *

ولا بأس بذكر هذه الحادثة ، فهى مفاد الحديث المتقدم . يقال : ان أحد العظماء صاحب المؤلفات العظيمة والخدمات المشكورة تعاهد مع أحد أصدقائه : أن يأتى كل من مات قبلا الى حلم (طيف) صديقه ، ليخبره عما شاهده حين موته وبعد الموت . وقد مات هذا العالم الكبير قبلاً ، فلم يَرَه صديقه فى منامه حتى مضت سنة كاملة . عند ذلك رآه فى حلمه . فعاتبه على تأخره هذه المدة . فأجاب قائلاً : « علامَ تعاتبنى يا أخى ، كنت مشغولاً بالحساب ، أحاسب حساباً دقيقاً عسيراً » . فأجابه صديقه :

---

(١) سورة المزمل : ١٧ ، (يوم يجعل الولدان شيباً : أي كيف تدفعون شر يوم تشيب لهوله الولدان ، تنشق فيه السماء ، ويتحقق وعد الله) .

« أوَ تُحاسبَ أنت ، مع مالك من خدمات جمة » . فأجاب قائلاً : « كلها لم تفدنى » .

ثم قال : « عندما حضرتنى الوفاة ، جاءنى ملك الموت ، فمسح على رجلىَّ فذهب ما بهما من وجع ، وهكذا بقية أعضاء بدنى ، فخرجت روحى وصارت تُشرف وتُظل على البدن . وأهلى يبكون . فصرت أقول لهم : ما لكم تبكون ، وقد ذهب عنى ما كان بى من ألم . ثم أمرت بتعقيب البدن ، فصرت اتبع بدنى حتى وارَوْنى فى رمسى . فبدأ السؤال ، وصار الملكان يستنطقاننى . فأجبت بلطفه تعالى عما سألا . ثم بدأ الحساب ، وأىَّ حساب !

فصرت أشرح ما قمت به من أعمال ، قلت : ألفت كتابا ضخما ، وموسوعة اسلامية . فقيل لى : إنك فرحت وسُررت عندما مدحوك لأجل ذلك المؤلَّف الضخم ومؤلفاتك الاخرى ، فذاك جزاؤك ... الى ما هنالك . فأوشكت أن أقنط . فقيل لى ، قد ادخرنا لك عملين كانا لوجه الله تعالى لا شائبة فيهما :

إنك عندما ذهبت لمقابلة الملك ، استقبلك رجال الملك ، وأخذت الشرطة تنحى الناس بعُنف ، فقلت : إذ ذاك ، ان كان هذا لى ، فإنى لا أرضى بذلك ، ورفضت الإستقبال .

ثم ان الملك قدم لك تفاحة فى غير موسمها . خرجت من عند الملك ، فبينما أنت سائر فى طريقك واذا بولد يتيم صار ينظر الى تلك التفاحة ، فدفعتها اليه لوجه الله[1] . فهذان عملان لك ، لم تقم بهما إلا لوجه الله ، قد أدَّخرناهما لك ، تدخل بهما الجنة » .

* * *

(١) « وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » . (سورة الليل : ٢٠ — ٢٢) .

يقول عدد من الفيزياويين المحدثين : « إن هنالك عالماً آخر وراء العالم الذى تنحصر فيه الفيزياء ، ان العالم الآخر وحدة روحية أو عقلية وما المادة سوى مظهر من مظاهرها ، ان العقل وحده هو الشيء الحقيقى ، وان المادة هى من مخلوقات العقل ! ؟ » . وصاروا يعلنون هذا الرأى بنفس القوة التى أعلن فيها اسلافهم الماديون قبل ٥٠ سنة ، وذلك : أن المادة وحدها هى الشيء الحقيقى ، وان العقل ما هو إلا انبعاث طفيف من انبعاثات المادة !! » .

ويظهر بعد هذا الإعتراف من علماء الفيزياء مع ما فيه من جوانب ضعيفة وخاطئة، أنهم سوف يؤمنون يوما ما بالبعث والمعاد ، كما اعترف الكثير منهم بخلود الروح وأنها لا تفنى بعد تفسخ المادة . ولقد أصبحت دراسة الروح والنفس موضوعا هاما مرموقا فى جامعات العالم . وأخذ العالم يلفظ رويدا رويدا الفكرة المادية الخاطئة معترفا بالروح وخلودها ، وأن المادة مسخرة من قبل النفس والنفس تستخدمها لأغراضها .

لقد ثبت فى الفيزياء أن المادة تتحول الى قوى وطاقات بنتيجة الإشعاع . أى أن المادة تشع فتتحول الى طاقات . كما أن الطاقات (القوى) تتكدس بإذن الله تعالى فتكون مادة (عنصراً من العناصر) أو جسماً من الأجسام . وهكذا النفس الإنسانية هى من أجل مظاهر الطاقة . طاقة تختلف عن الطاقات الناشئة عن اشعاع المادة وتحولها الى قوى . فإن النفس تبقى خالدة الى ما شاء الله ، ولا تتلاشى بتلاشى الجسد . لأنها ليست مادة حتى تتحول الى طاقات بالإشعاع ، ولأنها هى التى تدير الجسد وتؤثر فيه .

ولا تناسبَ بين الروح والجسد تناسبا يؤدى الى اختلاف كمال النفس بإختلاف الجسد من حيث قوة العضلات وجسامة الأعضاء . والنفس فى غنىً عن الجسد فى حالات شتى تبرهن ذلك الأحلام (الأطياف) وحوادث جمة .

* * *

وقد ذكر لى صديق لى وهو ممن يوثق بكلامه : أنه كان لأحد أرحامه خادمة من أسرة فقيرة عمرها ١١ سنة ، اسمها : أنور ، كانت تصدر منهـا الأعاجيب : كانت تأخذ من الفضاء ما يطلب منها من فواكه نادرة فى غير موسمها ، وتأخذ من الفضاء دراهم كثيرة بصورة سريعة دون أن يكون مما تأخذ من الفضاء أثر فى البيت . وهكذا تلبى طلب من يطلب اليها احضار شىء من الخارج بصورة سريعة جداً الى حد يدهش الألباب .

وفى يوم من الايام حبسها سيدها فى الغرفة كى لا تقوم بما تقوم به من العجب العجاب ، واذا بها تُرى وسط البيت ، فتسأل عن كيفية خروجها من الغرفة والباب مغلق ، فتجيب قائلة : لمنها قد خرجت من بين شقوق الباب !

كان يصدر من (أنور) أنواع الأعاجيب والخوارق ، حتى اذا تزوجت وأصبحت امرأة كغيرها من النساء ذهبت عنها هذه الميزة والملكة الموهوبة وتلك الخوارق العجيبة .

هل للعلم الحديث أن يفسر لنا ما كانت عليه هذه الخادمة من ملكات محيرة للعقول وما كانت تأتى به من أعمال خارقة . وكم من حوادث كهذه الحادثة وأعجب منها تحدث من نساء ورجال فى الهند وفى غير الهند وليس للعلم الحديث أن يتكلم فيها بكلمة واحدة .

نحن نعيش فى أودية من المجاهيل لاسيما فى عوالم النفس وما يتعلق بما وراء الطبيعة ، ولكن الغرور لا يدع مجالاً لهؤلاء الماديين للإعتراف بالله وخالق الاشياء ومرتبها ومنظمها الى أقصى حد من التنظيم ، تنظيماً يحير الألباب ، وللإعتراف بالآخرة وعوالم ما بعد الموت ...

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أوَ لم

يكف بربك أنه على كل شيء شهيد »[١] .

* * *

إن العلم الحديث يوضح لنا بقدر ما اطلع على العالم المادى (وهو ضئيل وضئيل جداً بالنسبة الى ما أودع الله من حقائق ودساتير لا تتناهى فى هذا الكون)[٢] ما سيقع قبل يوم المعاد ، ويفسر لنا الى حدٍ ما قوله تعالى : « إذا الشمس كُوِّرت » .

ذلك ، لأن الذرة على ما هو معروف مؤلفة من نواة فى الوسط (وهى مجموعة نيوترونات وبروتونات) والكترونات فى المحيط أو الأطراف ، تدور حول النواة .

ومعدل قطر الذرة = $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠٠}$ من الميليمتر ، أى = $\frac{١}{١٠^{٧}}$ مم

ومعنى ذلك : لو وضعت عشرة ملايين ذرة بعضها جنب بعض (شريطة أن تكون كروية كلها) كان طول هذه الذرات الموضوعة بهذا الشكل ميليمتراً واحداً .

وان قطر نواة الذرة : (أى مجموعة البروتونات والنيوترونات)

= $\frac{١}{١٠٠\ ٠٠٠}$ من قطر الذرة . ومعنى ذلك أن

قطر النواة = $\frac{١}{١٠^{١٢}}$ مم (من الميليمتر) .

ولا يمكن أن ترى الذرة وهذه النواة مع أقوى الميكروسكوبات الحديثة. وقد عبأ الله تعالى قوة هائلة فى جوف النواة ، تعرف بالطاقة

---

(١) سورة السجدة : ٥٣

(٢) « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » .

النووية . فإذا حُرّرت هذه الطاقة بوسيلة ما ، هدمت ما حواليها ، فلا تبقى ولا تذر .

إن ذرة (أورانيوم) مثلاً تنشق ، فتتفرق أجزاؤها ، فتنتج مع هذا الإنشقاق الحرارة والطاقة الهائلة ، أما الأجزاء التى انقسمت اليها الذرة فهى عناصر دون الاورانيوم وزناً ، واذا فرضنا أننا جمعنا هذه الاجزاء ووزناها لكانت أقل مما استخدم من (أورانيوم) وزناً . فأين ذهب الشيء الناقص ؟ انه تحول الى (طاقة) ، الى (حـــرارة) والى (نور) والى (إشعاعات أخرى) . أى أن المادة تحولت الى طاقة وقوى . إن الغرام الواحد من المادة يتحول الى طاقة ، فينتج منها ما يعادل ٢٢ مليون مليون سعرة [١] من السعرات الحرارية .

فذرة (الأورانيوم) تعطى من مادتها ، فتنتج الطاقة بالتقسيم والتجزؤ والتفرق . وذرة (الإيدروجين) تعطى من مادتها لا بالتشقق والتفرق ، ولكن بالتجمع ، وهكذا تتحول بعض المادة أو كلها (مع تقدم العلم الحديث) الى طاقات هائلة جداً .

وقد ثبت أن المادة إنما وجدت من تكدس طاقات هائلة أوجدها الله تعالى بقوله : (كُن) . فترتبت بأمره عناصر تحت نظام بديع وقانون ثابت ، وان هذه العناصر تختلف بعضها عن بعض من حيث عدد البروتونات والألكترونات . أى تختلف من حيث بنية النواة وما يدور حولها من ألكترونات . فكانت ، بإذن الله وأمره ، هذه العناصر المختلفة كالايدروجين والاكسيجين والحديد والراديوم والاورانيوم الى ما هنالك ، فقد عبّأ الله تعالى فى ملعقة واحدة من الزئبق : طاقة تكفى لتسيير قطار كبير حول الكرة الارضية سبع مرات .

---

(١) السعرة : مقدار الحرارة اللازم لرفع درجة حرارة (غرام واحد من الماء) درجة واحدة مئوية ، أي من درجة ١٤ مئوية مثلا الى درجة ١٥ مئوية .

وقد جعل الله فضاءً واسعاً بين النواة والألكترونات التى تدور حولها . ومعنى ذلك أن الالكترونات فى الذرة تبعد عن النواة مسافة شاسعة (مع حفظ النسبة بين صغر الالكترون والنواة والمسافة التى بينهما وقطر الذرة). وهذه المسافة (مع مراعاة النسبة) بين النواة والالكترونات هى كالمسافة بين الشمس وبين أبعد كوكب سيار يدور حولها .

فإذا انفصلت الالكترونات فى يوم من الايام عن الذرات فى الكرة الأرضية ، وذلك بأمر الله تعالى ، واندمجت البروتونات بعضها ببعض ، ستصبح أرضنا هذه كبرتقالة ثقيلة جداً ، وزنها بقدر وزن أرضنا هذه التى نعيش عليها ولكن حجمها بحجم البرتقالة .

وأن علماء الفلك المحدثين يخبروننا أن الشمس سيكون مصيرها التلاشى وذلك باندماج نواة ذراتها بعضها ببعض . فيتحقق قوله تعالى : « وإذا الشمس كورت[1] ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت »[2] . وذلك من مقدمات يوم المعاد . « يومَ تبدَّل الارض غير الارض والسماوات ، وبرزوا لله الواحد القهار » . (سورة ابراهيم ١٥ : ٤٨) .

وان قوانين (ديناميكا الحرارية) ، أو علم الحرارة الحركية من أبحاث الفيزياء تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً ، وانها سائرة حتماً الى يوم تصير فيه جميع الاجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الإنخفاض هى الصفر المطلق ! ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة . وهكذا تدلُّ الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة على أن لها بداية ... وقد أثبت العلم فوق ذلك أن لهذا الكون بداية وأنه بدأ دفعة واحدة منذ نحو خمسة بلايين سنة .

• • •

---

(١) سورة التكوير : ١ . ومعنى كورت هنا أي رفعت .
(٢ انكدرت : أظلمت . سيرت : أي ذهبت .

وهكذا سيكون مصير (القمر) ، على ما استنبط ذلك بعض علماء العصر الحاضر . فإنهم يقولون : يأتى يوم فيتجزأ القمر بالتأكيد ، فيصبح قمرين فأكثر . ثم تنفجر هذه الأجزاء انفجاراً هائلاً وتستحيل الى ألف شظية أو أكثر ، فإذا قربت هذه الشظايا من الارض تستحيل الى آلاف من الشهب الصغيرة . وقد قال تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » . فتبدأ فى الارض سلسلة من الزلازل ويشتد نشاط البراكين وتقذف ما فيها الى الخارج وتعمل الهزات فى القشرة الارضية عملها ، فتسوى أعالى الجبال وقممها الى سوية قاع البحار . « ويسألونك عن الجبال ، فقل ينسفها ربى نسفاً ، فيذرها قاعا صفصفاً ، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا ، يومئذ يتبعون الداعىَ لا عوج له ، وخشعت الاصوات للرحمان ، فلا تسمع إلا همساً ، يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمان ورضى له قولا » .

* * *

ولقد توصل ثمانية من العلماء ، من رجال الفلك بمرصد : (مولارد) نتيجة بحث استغرق ٨ سنوات : أن هذه الأرض إنما هى شظية من احدى الشظايا التى تطايرت نتيجة لانفجار هائل حدث قبل عشرة آلاف مليون سنة على حد قوله تعالى فى (سورة الأنبياء : ٣٠) ، « أولم يَرَ الذين كفروا أن السماوات والارض كانتا رتقاً (أى كانتا مرتوقتين : مضمومتين ملتحمتين ، أى أن السماوات والارض كانتا جميعاً كتلة واحدة) ففَتَقناهما (أى ففصلنا بعضها عن بعض وجعلناها شموساً وكواكب ونجوما وأقمارا ، توابع للنجوم ، ومجرات الى ما هنالك) .

وقد استعمل هؤلاء فى استكشاف الفضاء عدة أجهزة جبارة من بينها تلسكوب (مرقب) وجهاز التقاط للإشارات ، وحكموا أن الكون سوف

ينتهى فى يوم من الايام . « يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات » . (سورة ابراهيم (ع) : ٤٩) .

واعترفوا أن فى الكون مسافات هائلة يعجز الذهن عن تخيلها : « والسماء بنيناها بأيدٍ وانا لموسعون »[١] .

كما أثبتوا أن هناك أجساماً شمسية ميتة فوق حافة الكون ، وهذا ما يؤكد أن الكون يقترب من نهايته . وهذا هو عين ما درسته عندما كنت طالباً فى الجامعة فى فرع (الفيزياء الرياضية العالية) : من أن الشمس آخذة بالأفول والتضاؤل والإندثار .

« إن الله عنده علم الساعة ! وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير » . (سورة لقمان : ٣٤) .

وان هؤلاء العلماء الثمانية توصلوا أيضاً الى أن كل الأجسام الموجودة فى الكون من كواكب ونجوم وشموس وغير ذلك تنطلق فى الفضاء بسرعة خيالية تاركة ثغرة فى الوسط .

وانه قد كانت لهذا الكون بداية قطعاً ، كما جاء فى القرآن الكريم : « أولم يروا كيف يُبدئ الله الخلق ثم يعيده ، ان ذلك على الله يسير . قل سيروا فى الارض ، فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ، ان الله على كل شئ قدير »[٢] . وان الكون لن يدوم الى الأبد وانه يتغير مع الزمن حتى تقترب النهاية ، لشروع عالم آخر تتحقق فيه عوالمُ يوم القيامة .

وهكذا ذهب هؤلاء العلماء يعتقدون أن الإنفجار الهائل الذى وقع منذ ألوف الملايين من السنين فى عدة كتل من المادة أسفر عن انتشار شظايا

---

(١) سورة الذاريات : ٤٧

(٢) سورة العنكبوت : ١٨ — ١٩

مادية فى مختلف الاتجاهات ، ثم تطورت هذه الشظايا الى الكواكب والنجوم التى نراها اليوم .

فنرى أن العلم الحديث يقترب من الاعتراف بما جاء فى القرآن الكريم عن البداية والنهاية كلما أتيح له من آلات دقيقة ومعلومات رياضية عميقة . وان مُعطيات العلم لم تكن لتخالف ما جاء فى كتاب الله المجيد الا لضآلة ما وصل اليه العلم وعجز الآلات المكتشفة عن الاستقصاء .

* * *

يعترف العلم الحديث : أن الذرات قد استحدثت منذ زمان لا يتجاوز جملة قليلة من بلايين السنين ، وأن عمر أكثر النجوم ٣ بلايين من السنين ، كما أن عمر المحيطات عدد قليل من بلايين السنين وأن النظام النجمى كان موجوداً قبل زمن يتراوح بين بليونين وخمسة بلايين من السنين وأن عمر الصخور المختلفة ـ ونعنى بذلك الزمان الذى انقضى منذ أن تصلّبت بعد أن كانت مائعة ـ (١٩٨٠) مليون سنة . وقد قدر ذلك بكل دقة بواسطة « الطريقة الزمنية للنشاط الإشعاعى » (Radioactive - Clock method) .

كما عُلم بنفس الطريقة أن عمر قشرة الأرض لا يقل عن بليونين من السنين . ومن هنا نرى أن البحث عن عمر أية ناحية من نواحى الكون ينتهى الى جواب تقريبى واحد : هو بضعة بلايين من السنين قدما .

وقد رفض العلم الحديث « فرضية الكون الثابت غير المتغير » ، ويعتقد اليوم جازما أن الكون لم يكن فكان ، وأخذ يتطور تحت نظام وحساب دقيق وتدبير عميق منذ بضعة بلايين من السنين ، وأن الكون كان فى الماضى السحيق أقل تعقداً مما هو الآن. كما يعترف العلم أن صورة مجموع الفضاء الكونى وما يأهل به من بلايين (المجرّات) هو فى حالة انتشار سريع وأن كل أعضائه يبتعد بعضها عن بعض بسرعة مرهقة . « والسماء

بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون »[1] .

كما أن العلم الحديث يقدر أنه : عند بلوغ سنة ... ... ٤٧ بعد الميلاد سوف تتلقى شمسنا وثيقة إعدامها .

ومن الامور المعروفة عند علماء الطبيعة والفلك أن مادة الكون الصلدة آخذة فى الإنحلال والتلاشى أثناء تحولها الى اشعاع . وأن وزن الشمس يقل كل يوم ٣٦٠ ألف مليون طن . أى أن هذا القدر من مادتها يتلاشى لكى تشع كل ما تشعه يومياً . وهذه الأشعة التى تنطلق منها تسير فى الكون ، وستظل سائرة فيه الى نهاية الدنيا . وتحول المادة الى إشعاع عمل جارٍ الآن فى كل النجوم . وان الارض تخسر من وزنها يوميا بالإشعاع تسعين رطلا !

والله تعالى يقول : « أوَلم يَرَوا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقّب لحكمه ، وهو سريع الحساب » . (سورة الرعد : ٤٢). وفى آية أخرى : « بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر . أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها ، أفهم الغالبون ؟ » . (سورة الأنبياء : ٤٦) . فتشير الآيتان الكريمتان أن الارض منذ أن خلقها الله تتناقص من أطرافها وهى ظاهرة كونية لم يلتفت اليها العلماء إلا فى السنوات الأخيرة إذ أثبتت الأبحاث العلمية عن شكل الارض : أن قطرها الواصل بين القطبين يتناقص بكمية ضئيلة جداً ، إلا أن عملية التناقص هذه مستمرة مذ أن خلق الله الارض ، حتى أن شكلها تطور بمرور الزمن من الشكل الكروى الى الشكل البيضاوى تطوراً مستمراً لا انقطاع فيه .

وقد علم أنه ليس لهذا التحول الذى ذكرناه ما يقابله من تحول الإشعاع الى مادة حسب قواعد الفيزياء . أى ليس ما تفقده الارض والشمس والنجوم فى ناحية من نواحى الكون يعوض فى ناحية أخرى : بتحول

---

(١) سورة الذاريات : ٤٧

الإشعاع (الطاقة) الى مادة . أى ليست القضية كتحول المياه الى بخار ثم تحوّل البخار الى مياه وهكذا دواليك . ذلك لأن المادة حين الإشعاع تتحول من قوة ذات موجة قصيرة الى قوة أخرى ذات موجة أطول منها . ويتعذر تحول قوة ذات موجة أطول الى قوة ذات موجة قصيرة حسب قواعد الفيزياء . وان هذا الإنحطاط ـ أو التحول ـ فى القوة لا يمكن أن يمضى كذلك الى الابد ، إذ لابد أن يجىء وقت تتحول فيه آخر وحدة من القوة الصالحه للعمل الى قوة غير صالحة للعمل وعندئذ تجىء نهاية الكون ! ويخبرنا الله تعالى عن ذلك بقوله : « إذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت »[1] . وبقوله : « إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحُقت »[2] .

ويعترف العلم الحديث ان الطاقات (الإشعاعات) التى حدثت نتيجة تحول المادة (كل ما فى الكون) الى طاقات لا يمكن أن ترجع الى مادة من جديد إلا بقوة خارجة عن الكون . ذلك لأن الكون ، حسب قواعد علم الفيزياء ، خاسر يوما ما كل القوة الصالحة للإستعمال التى كانت فيه والكون الذى لا توجد فيه قوة صالحة للإستعمال ، كون ميت . فنهاية الكون تحين متى انحل كل جوهر من جواهر المادة وانطلق فى الفضاء إشعاعاً قوياً قصير الامواج . ولابدّ من قوة خارجية هى : ارادة الله تعالى لإرجاع هذه الطاقات الى عوالم أخرى من جنات عدن « عرضها السماوات والارض » وغيرها من عوالم لا يعلمها إلا الله « يوم تبدّل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار » . (سورة ابراهيم (ع) : ٤٨) . ويقول الله تعالى فى سورة التكوير « واذا السماء كشطت » : أى أزيلت . فكل شىء آئل الى زوال وفناء ، حتى يبدأ بعد ذلك بإذن الله وإرادته

---

(١) سورة الانفطار : ١ — ٣

(٢) سورة الانشقاق : ١ — ٢

عالم من جديد : « كل مَن عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ».

* * *

إن الله تعالى يقول « فارتقب يومَ تأتى السماء بدخان مبين »[١] ، وفى هذه الآية اشارة الى يوم القيامة ، وتخبرنا بعلامة من علاماتها . فالمعروف علمياً أن كل نجم أو شمس كشمسنا لابد وأن تطرأ عليه حالة يتمدد فيها سطحه قبل أن يصل الى حالة الاستقرار . وشمسنا بالذات لم تمرّ بعد بهذا الدور وهى لا تزال فى مقتبل عمرها . وعندما تتمدد يصل لهبها وغازات جوها المستعرة الى الارض حسب قوله تعالى : « وجمع الشمس والقمر . يقول الانسان يومئذ أين المفر ؟ ، كلا لا وزرَ ، الى ربك يومئذ المستقر »[٢] . « فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير »[٣] .

إن الله يصف حالة هؤلاء الكافرين بعد أن أدخلوا نار جهنم ، يصفهم بقوله : « وهم يصطرخون فيها : ربَّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل »[٤] ، فيجيبهم الله تعالى بقوله : « أوَ لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكرَ وجاءكم النذير ، فذوقوا فما للظالمين من نصير » . نستجير بالله من سوء العاقبة ! من « لظى ، نزاعة للشوى ، تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى »[٥] : جمع الأموال ، فلم ينفقها فى سبيل الله .

* * *

إن الله يصف حالة الأرض بعد أن يبلغ أهلها ذروة الطيش والغرور وكيف أنها تكون هباءً منثورا فى طرفة عين بقوله جلّ من قائل : « حتى اذا

---

(١) سورة الدخان : ١٠
(٢) سورة القيامة : ٩ — ١١
(٣) سورة المدثر : ٩ — ١٠
(٤) سورة فاطر : ٣٧
(٥) سورة المعارج

أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أتاها أمرنا ليلاً أو نهارا ، فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون ! »[1] .

العلم الحديث يخبرنا بالمارد الذرى السابح فى الفضاء وهو (البروتون : Proton) السالب الذى إذا اصطدم بشىء من الأشياء أرجعه فى طرفة عين الى إشعاعات وطاقات ! بل جعله نسياً منسيا . وقالوا : إن هذا المارد يفنى مايصطدم به من مادة ، فيتحقق « افناء المادة »[2] بهذا الاصطدام ، فلا يبقى شىء .

ثم ان الله تعالى بقوله فى الآية المتقدمة : « أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً » يشير الى حركة الارض حول نفسها ، وذلك : لأن الليل والنهار يكونان على الكرة الأرضية فى وقت واحد . والله تعالى لا يتردد فى علمه ولا يتردد فى وقت يريد فيه إفناء الارض : هل يكون ذلك ليلاً أم نهاراً ؟ وهو خالق كل شىء والعالم بما سيكون . فيشير قوله تعالى : « ليلا أو نهارا » الى أن قسماً من الارض يتلقى أمر الإفناء من جانب الله تعالى ، ليلا ، والقسم الآخر فى نفس اللحظة ، يتلقى هذا الامر : نهاراً . وهذا لا يتمّ إلا بحركة الارض حول نفسها وحدوث الليل والنهار فى نفس الوقت نتيجة هذا الدوران ! . .

* * *

إن الله تعالى يقول : « يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم ، يوم ترونها تذهل كلُّ مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » . (سورة الحج : ٣) .

---

(١) سورة يونس : ٢٤

(2) Annihilatian de la Matière.

وقال تعالى : « واذا البحار سُجِّرت » ، وقد ثبت أنه عندما تنطلق ذرة الإيدروجين المتحدة مع الأوكسجين نتيجة للإنفجار الذرى يجعل كافة البحار ناراً فى أقل من لمح البصر .

واذا انضمت ذرتان من ذرات الإيدروجين نتج عنهما (الهليوم) ونتج عن ذلك أتون مشتعل يشمل الكون وما فيه ، فتصبح السماء ناراً : « فإذا انشقّت السماء ، فكانت وردة كالدهان »[١] .

يقول الله تبارك وتعالى : « وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب » . وقد أخبرنا الفلكيون أن نجمة (سيريوس) التى تشاهد كل ليلة باستخدام التلسكوب قد استحالت فى طرفة عين أو أقل الى نجمة صغيرة جداً ، مظلمة ، وان نواة ذراتها قد اندكّت بعضها ببعض .

وهكذا سيكون مصير منظومتنا الشمسية ويتحقق كل ما أخبرنا الله تعالى فى كتابه الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد »[٢] . يوم نطوى السماء كطى السجلّ للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين »[٣] .

* * *

وهكذا يخبرنا الله تعالى فى سورة زمر : ٦٧) :

« وما قدروا الله حق قدره ، والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » . ومعنى ذلك : أنه إذا كان يوم القيامة تكون الارض جميعاً مقبوض عليها فى يده تعالى (أى تكون تحت قدرته وطوع إرادته) . ذلك : لأن الله ليس بجسم حتى

---

(١) سورة الرحمان : ٣٧ . (أي أن السماء صارت حمراء مذابة كالدهن) .
(٢) سورة فصلت : ٤٢ .
(٣) سورة الأنبياء : ١٠٤

تكون له يد ، وتكون السماوات على أبعادها غير المتناهية مطويات بيمينه ، فسبحانه أي فتنزيها له عما يشركون . وهذا يدل أن هناك تبديلاً هائلاً في الكون عند حلول يوم القيامة ؛ يخبر عنه ربُّنا جلَّ جلاله في آيات عدة ، كي نتزوَّد بالتقوى ، ونتهيأ في دنيانا هذه لـ « جنة عرضها السماوات والارض أعدَّت للمتقين » .

إن الله تبارك وتعالى يبين لنا أيضاً بوضوح ما سيقع في الارض أولاً ثم ما سيقع ثانيا حين تتبدل هذه الارض بأرض أخرى وكذا السماء بسماء أخرى أيضاً وذلك بقوله تعالى في (سورة زمر : ٦٨) . « ونفخ في الصور، فصعق مَن في السماوات ومَن في الارض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون ، وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ، وقضى بينهم بالحق وهم لا يُظلمون ، ووُفِّيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون »[1] . ومعنى ذلك : أن (إسرافيل) ينفخ في بوق يوم القيامة ، فيموت كل حيّ ، ثم ينفخ مرة أخرى ، فيقومون للبعث . وان النفخ في البوق لا يشبه ما نفهمه نحن اليوم من كلمتي النفخ والبوق ، وانما علم ذلك عند الله . وهذا إيذان بمجيء يوم القيامة ثم إيذان بالبعث. (ومعنى صعق : أي خرَّ ميتاً أو مغشيّاً عليه) .

* * *

فلا سبيل لهذا الانسان إذا أراد تصحيح معتقداته إلا التمسك بالعمل الصالح[2]

---

(١) سورة الزمر : ٦٨ — ٧٠

(٢) قال رسول الله (ص) : « ان على كل مسلم في كل يوم صدقة ، قالوا ومن يطيق هذا ؟ قال (ص) : اماطتك الأذى عن الطريق صدقة ، وارشادك الطريق صدقة ، وعيادتك المريض صدقة ، واتباعك الجنازة صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وردك السلام صدقة » . (الأذى في الطريق كالشوك والحجارة) .

وبر الوالدين[١] وصلة الرحم[٢] وصدقات ، وإحسان وقضاء حوائج الناس[٣] والتفانى (إن أمكن) فى هذا المضمار . وتطهير المأكل والمشرب مما حرم الله ، وارجاع حقوق الناس اليهم ، وتجنب الحسد والبخل والكبر وهى ، أصول الكفر كما جاء فى الحديث . وتجنّب الغيبة[٤] والنميمة والخداع والكذب وكل ما يلوث هذه النفس من خمر وميسر (قمار) وفسق وفجور وغمط حقوق الناس واعتباره مكسبا . والقيام بصلاة[٥] فيها خشوع وخضوع ، « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون »[٦] . وصوم لوجه الله (لا ارضاء للوالدين أو حياءً من الناس) وحج اداءً للواجب الدينى[٧] وأداء خمس الأرباح[٨] وأداء الزكاة الواجبة[٩] والزكاة

---

(١) وعن النبي (ص) : « وأبويك فبرهما وأطعمهما حيين وميتين ، فان أمرك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل ، فان ذلك من الايمان » .

(٢) في الحديث : « صلة الأرحام تطيل الأعمار وتعمر الديار وان كانوا كفارا » . وفي خبر : « اتقوا الحالقة ، فانها ثميت الرجال ، قيل وما الحالقة يا ابن رسول الله ؟ قال : قطيعة الرحم . وفي حديث آخر : « لا صدقة وذو رحم محتاج » . وفي حديث آخر : « ان الله خلق الجنة وطيبها وطيب ريحها ولا يجد ريحها عاق أو قاطع رحم » .

(٣) عن أبي عبدالله (ع) : « لقضاء حاجة امرىء مؤمن أحب الى الله من عشرين حجة كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة ألف » .

(٤) قال رسول الله (ص) : اجتنبوا الغيبة ، فانها أدام كلاب النار . وقد سئل النبي (ص) : ما كفارة الاغتياب ؟ فقال : « تستغفر الله لمن اغتبته كلما ذكرته » .

(٥) عن النبي (ص) : « من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ملة الاسلام » .

(٦) سورة المؤمنون : ١ — ٢

(٧) عن النبي (ص) : من وجد الى الحج سبيلا ، فلم يحج ، فليمت ان شاء يهودياً أو نصرانيا .

(٨) عن النبي (ص) : ان مانع الخمس يحشر مع الظالمين لآل محمد حقهم .

(٩) عن النبي (ص) : من ضيع قيراطاً من الزكاة فليمت ان شاء يهودياً وان شاء نصرانيا .

الباطنة ، وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »[١] ، والقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٢] ، الى ما هنالك من واجبات ومستحبات أخرى ، كى يرى كيف تذهب عنه الشكوك رويداً رويداً وتتقشع عن نفسه الشبهات شيئاً فشيئاً ، بل يدخل فى عوالم القدس ، حيث اليقين والطمأنينة ، « ألا بذكر الله تطمئن القلوب »[٣] ، فيكون إذ ذاك مصداق هذه الآية المباركة : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »[٤] .

وهذا غاية التكامل لهذا الإنسان .

* * *

ولكن إذا تمادى الشخص فى طيشه واجرامه ومكره وظلمه[٥] ونكرانه ما عليه من حقوق الناس وواجب الشكر تجاه خالقه ، وارتدى رداء الكبرياء وثابر على فسوقه وفجوره ، كان من المبطلين الذين خسروا أنفسهم على حد قوله تعالى : حيث يقول : « يوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون . وترى كل أمة جاثية[٦] ، كل أمة تُدعى الى كتابها ،

---

(١) سورة الذاريات : ١٩

(٢) قال رسول الله (ص) : ان الله ليبغض المؤمن الضعيف ، قيل يا رسول الله ، من المؤمن الضعيف ؟. قال : الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر . وفي حديث آخر : « ويل لقوم لا يدينون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

(٣) سورة الرعد : ٢٨

(٤) سورة الفجر : ٢٨ — ٣٠

(٥) قال رسول الله (ص) : « اجتنبوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً . فانه ليس دونها حجاب » . وفي حديث آخر : « من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم ، فقد خرج من الاسلام » ، وفي حديث آخر أيضاً : « من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله » . وفي حديث آخر : « من أرضى سلطاناً بما اسخط الله خرج من دين الاسلام » .

(٦) سورة الجاثية : ٢٦ — ٣٣ . (جاثية : باركة على ركبها) .

اليوم تجزون ما كنتم تعملون ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ، ذلك هو الفوز المبين ، واما الذين كفروا ، أفلم تكن آياتى تُتلى عليكم ، واستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين ، وإذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها ، قلتم ما ندرى ما الساعة ، إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين . وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين »[1] .

• • •

نسأل الله تعالى تطهير نفوسنا وتكفير ذنوبنا ، لنخرج من الظلمات الى النور بإذنه ، فنتذكر يوم المعاد : « يومَ يقوم الناس لرب العالمين » عند كل عمل نقوم به ، فلا يصدر منا إلا ما يُرضى الله تعالى ، كى نذهب من هذه الدنيا ، طاهرين ، مطهرين ، زكيين ، نقيين ، الى رَوح وريحان وخلود فى جنان ، دونما قلق واضطراب وذلك هو الفوز المبين .

« استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مردّ له من الله ، ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير[2] »[3] .

---

(١) لا بأس بذكر هذين الحديثين عن رسول الله (ص) : لأهميتهما ، لاسيما في مثل هذه الظروف . فان عاقبة الانسان منوطة بعمله ودرجة تطهير نفسه . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من زوج كريمته بفاسق نزل عليه كل يوم ألف لعنة ولا يصعد له عمل الى السماء ولا يستجاب له دعاء ولا يقبل منه صرف ولا عدل » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أي أمرأة رضيت بتزويج فاسق فهي منافقة وجلست في النار . واذا ماتت فتح في قبرها سبعون باباً من العذاب . وان قالت : لا اله الا الله ، لعنها كل ملك بين السماء والارض وغضب الله عليها في الدنيا والآخرة وكتب الله عليها في كل يوم وليلة سبعين خطيئة » .

(٢) نكير : أي ما تستطيعون من انكار لما اقترفتموه من الذنوب .

(٣) سورة الشورى : ٤٧ .

من آثار الايمان باليوم الآخر

للإيمان باليوم الآخر آثار ثمينة جداً . منها :

(١) أن الإنسان يراقب نفسه فى كل عمل يقوم به خوفاً من العقاب الأخروى ، فلا يتصدى الى ما حرم الله من ظلم وفسق واجحاف بحقوق الاخرين . وان أغواه الشيطان يوماً ، فهو يتوب حالاً ويعالج بصورة فعلية وعملية ما كان منه من اجحاف بحقوق الغير أو جرج الخواطر الى ما هنالك .

(٢) أنه يرى أن الحياة ليست بالشيء الذى ينقطع مع الموت ، بل هى خالدة مستمرة الى ما بعد الموت بصورة دائمة ، وأن « الدنيا مزرعة الآخرة » ، كما جاء فى الحديث ، فيقوم فى هذه الدنيا بأعمال صالحات وما يقربه الى الله من عبادات كى يجنى ثمرها الجنىّ فى الحياة الآخرة ، ان هذه العقيدة نفسها خير مؤدّب للفرد وعامل قوى لإيجاد حياة اجتماعية سعيدة يعلوها الهدوء والإطمئنان . فمن تجرّد عن عقيدة المعاد لا يردعه شيء عن ارتكاب ما تهواه نفسه الطائشة إلا هذه القوانين الوضعية . وان هذه القوانين البشرية ! لا أثر لها فى تعـــديل الأمور الشخصية الفردية وأمور أخلاقية عائلية واجتماعية ، لأنها أبعد من أن تستوعب كل ذلك . فالعقيدة بالمعاد خير حافز لإصلاح النفس الانسانية وقطعها مراحل الكمال الانسانى .

(٣) إن المعتقد بالمعاد يقوم بما أوجب عليه الإسلام بالنسبة الى الوالدين والأرحام والاصدقاء وبقية المؤمنين من برّ واحسان وخدمات اجتماعية « من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » وهذا مما يؤدى الى تساند اجتماعى وتكوين مجتمع متكافل هو مصداق هذا الحديث : « مثل

المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

* * *

وقد قال بعضهم : إن الاعتقاد بالآخرة يعوق الفرد عن السير فى أمور الدنيا قُدُماً بجدّ ونشاط . ولكنا نرى أن المسلمين الأوائل قد قاموا بأعمال جبارة فى حقول شتى من تجارية وصناعية وزراعية وعمرانية وان أكثر من ربع المعمورة كانت للمسلمين ، وما كان ليُعيقهم الاعتقاد بالآخرة للعمل فى عمارة الدنيا بشكل لا يؤدى الى فساد فى الأرض وتسافل النفوس ونسيان الآخرة . فقد قال رسول الله لأصحابه : « إن أخوف ما أخافه عليكم اثنان : اتباع الهوى وطول الأمل . فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الأمل فيُنسى الآخرة » .

على أن الانسان بطبيعته ميال الى الدنيا ، يحرص على عمرانها والتزود منها كلما وجد الى ذلك سبيلا . لذلك يحث الدين الاسلامى الانسان على التفكير فى حياة أخروية خالدة والتهيؤ لها كى لا تميل النفس الى المادة فحسب ، فتتسافل . وفى الخبر : « تذكروا هادمَ اللذات » .

وان للاعتقاد بالمعاد أثراً بالغاً فى تهدئة النفوس إذا ما حُرموا (لحكمةٍ ما) من بعض زخارف الدنيا أو أصيبوا ببعض النكبات . فالله تبارك وتعالى سوف يعوّضهم عن ذلك جزاءً موفوراً فى نعيم خالد لا يُقاس بنعيم الدنيا بحال . يقدر ذلك علماء النفس .

وصفوةُ القول : إن الاعتقاد بالمعاد خير رقيب لهذا الانسان يصده عما يؤدى الى فساد أو إفساد . ويحثه على ما هو خير وصلاح . فتكون الحياة الإجتماعية قد بلغت شأواً قاصياً من تحابب وتوادٍ وتراحم ... « إنما المؤمنون اخوة » .

فما على المسلمين فى أرجاء البسيطة إلا أن يقوموا بتطبيق تعاليم الإسلام

لتحقيق حياة اجتماعية سعيدة على وجه الأرض وجعل الإسلام دينا عالميا خالداً كما تنبأ بذلك كثير من العلماء .

* * *

« ربنا لا تُزِغ قلوبَنا بعد إذ هديتنا وهَبْ لنا من لدنك رحمةً ، إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامعُ الناس ليومٍ لا ريبَ فيه ، إن الله لا يُخلف الميعاد »[1] .

﴿ إنتهى الجزء الثالث ، والحمد لله . وسيليه الجزء الرابع إن شاء الله تعالى ﴾ .

(١) سورة آل عمران : ٨ . (الزيغ : العدول عن الحق) .

جدول بأسماء العناصر المكتشفة لحد الآن

مع العلم أن كل ما عرفناه من موادّ يتكون من واحد أو أكثر من العناصر الآتية :

العنصر	العدد الذرى	الوزن الذرى المتوسط	العنصر	العدد الذرى	الوزن الذرى المتوسط
أيدروجين	١	١ر٠٠٨	هيليوم	٢	٤ر٠٠
ليثيوم	٣	٦ر٩٤٠	بيريليوم	٤	٩ر٠٢
بورون	٥	١٠ر٨٢	كربون	٦	١٢ر٠١
نيتروجين	٧	١٤ر٠٠٨	أكسجين	٨	١٦ر٠٠٠
فلور	٩	١٩ر٠٠	نيون	١٠	٢٠ر١٨
صوديوم	١١	٢٢ر٩٩٧	ماغنيسيوم	١٢	٣٤ر٣٢
ألومنيوم	١٣	٢٦ر٩٧	سليكون	١٤	٢٨ر٠٦
فوسفور	١٥	٣٠ر٩٨	كبريت	١٦	٣٢ر٠٦٤
كلور	١٧	٣٥ر٤٥٧	أرجون	١٨	٣٩ر٩١
پوتاسيوم	١٩	٣٩ر٠٩٦	كالسيوم	٢٠	٤٠ر٠٧
سكانديوم	٢١	٤٥ر١٠	تيتانيوم	٢٢	٤٧ر٩٠
فاناديوم	٢٣	٥٠ر٩٦	كروم	٢٤	٥٢ر٠١
منجنيز	٢٥	٥٤ر٩٣	حديد	٢٦	٥٥ر٨٤
كوبلت	٢٧	٥٨ر٩٤	نيكل	٢٨	٦٨ر٦٩
نحاس	٢٩	٣٦ر٥٧	خارصين	٣٠	٦٥ر٣٨
جاليوم	٣١	٦٩ر٧٢	جرمانيوم	٣٢	٧٢ر٦٠
زرنيخ	٣٣	٧٤ر٩٦	سيلينيوم	٣٤	٧٨ر٩٦

العنصر	العدد الذرى	الوزن الذرى المتوسط	العنصر	العدد الذرى	الوزن الذرى المتوسط
بروم	٣٥	٧٩٫٩١٦	كربيتون	٣٦	٨٣٫٨
روبيديوم	٣٧	٨٥٫٤٤	سترنشيوم	٣٨	٨٧٫٦٣
بتريوم	٣٩	٨٨٫٩٢	زركونيوم	٤٠	٩١٫٢٢٠
نيوبيوم	٤١	٩٢٫٩١	مولبدنوم	٤٢	٩٥٫٩٥
تكنيتيوم	٤٣	٩٩٫٠٠	روتينيوم	٤٤	١٠١٫٧
روديوم	٤٥	١٠١٫٩١	بلاديوم	٤٦	١٠٦٫٧
فضة	٤٧	١٠٧٫٨٨٠	كدميوم	٤٨	١١٢٫٤١
إنديوم	٤٩	١١٤٫٨	قصدير	٥٠	١١٨٫٧٠
أنتيمون	٥١	١٢١٫٧٧	تليريوم	٥٢	١٢٧٫٥٩
يود	٥٣	١٢٦٫٩٣	زينون	٥٤	١٣١٫٣
سيزيوم	٥٥	١٣٢٫٩١	باريوم	٥٦	١٣٧٫٣٧
لانتانوم	٥٧	١٣٨٫٩٠	سيريوم	٥٨	١٤٠٫٢٥
براسيوديميوم	٥٩	١٤٠٫٩٢	نيوديميوم	٦٠	١٤٤٫٢٧
أليثيوم	٦١	١٤٦٫٠	سماريوم	٦٢	١٥٠٫٤٣
أوربيوم	٦٣	١٥٢٫٠	جادولينيوم	٦٤	١٥٧٫٢٦
تيربيوم	٦٥	١٥٩٫٢	ديسبروزيوم	٦٦	١٦٢٫٥٢
هولميوم	٦٧	١٦٤٫٩٤	أربيوم	٦٨	١٦٧٫٧
ثوليوم	٦٩	١٦٩٫٤	يتربيوم	٧٠	١٧٣٫٦
لوتيسيوم	٧١	١٧٥٫٠	هفنيوم	٧٢	١٧٨٫٦
تانتالوم	٧٣	١٨٠٫٨٨	تنجستون	٧٤	١٨٣٫٩٢
رينيوم	٧٥	١٨٦٫٣١	أوزميوم	٧٦	١٩٠٫٢

العنصر	العدد الذرى	الوزن الذرى المتوسط	العنصر	العدد الذرى	الوزن الذرى المتوسط
إيريديوم	٧٧	١٩٣ر١	بلاتين	٧٨	١٩٥ر٢٣
ذهب	٧٩	١٩٧ر٢	زئبق	٨٠	٢٠٠ر٦١
ثاليوم	٨١	٢٠٤ر٣٩	رصاص	٨٢	٢٠٧ر٢١
بزموت	٨٣	٢٠٩ر٠٠	بولونيوم	٨٤	٢١٠ر٠٠
استاتين	٨٥	٢١٨ر٠٠	رادون	٨٦	٢٢٢ر٠٠
فرانسيوم	٨٧	٢٢٣ر٠٠	راديوم	٨٨	٢٢٦ر٠٥
اكتينيوم	٨٩	٢٢٧ر٠٠	ثوريوم	٩٠	٢٢٣ر١٢
بروتاكتينيوم	٩١	٢٣١ر٠٠	يورانيوم	٩٢	٢٣٨ر٠٧
نيبتونيوم	٩٣	٢٣٧ر٠٠	بلوتونيوم	٩٤	٢٣٩ر٠٠
أمريسيوم	٩٥	٢٤١ر٠٠	كيوريوم	٩٦	٢٤٢ر٠٠
بركليوم	٩٧	٢٤٣ر٠٠	كالفرنيوم	٩٨	٢٤٤ر٠٠
أينشتنيوم	٩٩	٢٥٣ر٠٠	فرميوم	١٠٠	٢٥٤ر٠٠
مندلفيوم	١٠١	٢٥٦ر٠٠	نوبليوم	١٠٢	٢٥٧ر—

ـ الفهرس ـ

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمـــة
١٠	العلم والإيمـان
٦٥	والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون
٧٤	فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون : ١
٧٨	» » » » : ٢
١١٣	الروح
١٣٠	حرمة إحضار الأرواح
١٣٣	ومن جملة ما لا تبصرون : الجن
١٤٢	السلوك الرحمانى والسلوك الشيطانى
١٥٨	فلسفة المعاد .
٢٢٥	من آثار الإيمان باليوم الآخر
٢٢٨	جدول بأسماء العناصر المكتشفة لحد الآن .

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	١٤	العلم	هذا العلم
٢٣	١٧	عيسى	لعيسى
٣٠	١٤	انى	الى
٨٤	١٣	وزنه	وزن الألكترون =
٨٦	١	الوزن	الترتيب
٩٦	٣	...	لاتحاد
٩٦	١٦	ط	ط =
١٤٠	٩	الملك	الملأ
١٥١	٢١	بكليهما	بكلتيهما
١٦٥	١٣	وان	ران
١٦٦	١٧	نختبر	يختبر
١٩٤	١٤	أفعينيا	أفعينا
١٩٤	١٧	أعزنا	أعجزنا
١٩٤	٢٣	لى	بلى
١٩٥	٢٠	براك	يراك
١٩٨	٧	ثائك	ثنائك
١٩٩	٣	أن	على أن
٢٠١	٢٠	كان	كان هو
٢١٥	٢١	محجرات	مجرات

يطلب الكتاب من :

مكتبة الرضا

سوق السراي — بغداد

نفدت الطبعة الثانية للجزء الأول من كتاب :

« التكامل في الاسلام »

وبوشر بطبعه للمرة الثالثة .

[سعر النسخة : مائة وسبعون فلساً]

التكامل في الإسلام

بقلم :

أحمد أمين

الجزء الرابع

الطبعة الاولى

الثمن (١٧٠) فلساً

دار النعمان فى النجف
للطباعة والنشر
صاحبها حسن الشيخ ابراهيم الكتبي

التكامل في الإسلام

الجزء الرابع

***

بقلم :

أحمد أمين

طبع على نفقة دار النعمان ـ للطبع والنشر
١٣٨٣ هجـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انحسرت الأوصافُ عن كُنه معرفته [1] ورَدَعَت عظمته العقول فلم تجد مساغاً الى بلوغ غاية ملكوته . هو اللهُ الملك الحقُّ المبين . أحقُّ وأبينُ مما تراه العيون . لم تبلغْهُ العقول بتحديدٍ فيكونَ مشبَّهاً ، ولم تقع عيه الاوهام بتقدير فيكون مُمثَّلاً . خلقَ الخلقَ على غير تمثيل ولا مشورةِ مُشير ، ولا معونة معين . فتمَّ خَلقُه بأمره . وأذعن لطاعته فأجاب ولم يدفع وانقاد ولم ينازع .

---

(١) من كلام لعلي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام . انحسرت : انقطعت وكلّت وأعيت .

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين أمر فطري

منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض كان يدين بما يمليه عليه عقله من أن لهذا الكون موجداً وخالقاً مدبراً ، خلق الانسان بهذا الشكل الخارق العجيب . وخلق قبلاً الهواءَ والماء والنبات لاستقرار حياته . فكما أن الله تعالى ألهم الانسان أن يستفيد من تجاربه لإدامة حياته ، فيأوى الى الكهف لاتقاء البرد أو يلبس من جلود الحيوانات ويجرب الأمور البسيطة من الزراعة والصناعة ، كذلك ألهمه أن يفكر في تلك القدرة العظيمة ، قدرة الله التي لا تتناهى وعظمته التي لا تحد . وقد قال تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » (١) .

وقد أثبتت الحفريات والآثار أن الدين قد رافق الانسانَ منذ بدء الخليقة . يقول الأثري الدكتور سليم حسن : « دلت البحوث العلمية البحتة حتى الآن على أن لكل قوم من أقوام العالم عامة مهما كانت ثقافتهم منحطة ديناً يسيرون على هديه ويخضعون لتعاليمه » .

يقول الفيلسوف اليوناني الكبير : سوقراط : « يشعر الانسان بحاجته الماسّة الى الهواء والماء والطعام وكذلك تشعر روحه أنها في حاجة مبرمة أيضاً

(١) سورة الروم آ ٣٠

الى غذاء روحي • وهذا الشعور هو في عرفنا : الدين الذي اهتدى اليه أول إنسان • يدلك على ذلك : أننا اذا تتبعنا حياة طفل أتينا به من أقاصي البلاد المتوحشة وتركناه يترعرع بدون أن نلقنه عقيدةً دينية مهما كان نوعها ، فإنك لتجده عندما يصبح رجلاً كاملَ الشعور يتحرى في أعماق تفكيره عن شيء مجهول • ويظل باحثاً منقباً تحت تأثير عامل نفسي وغريزي حتى يعثر على بادرة تكون في أول أمرها مائعة اللون تتمركز في دماغه ، ثم لا تلبث حتى تتجسَّم وتتخذ شكلاً صوفياً بارزاً يأخذ في التطور رويداً رويداً الى الشيء الذي نسميه (عقيدة) أو (ديناً) لأن هنالك ضرورة خفية وقوية تدفعه الى هذا التدرج ، حتى يصل الى النوع الذي يحلو له للعبادة » •

يقول المؤرخ الاغريقي الشهير (بلوتارك) منذ نحو ٢٠٠٠ سنة : « من الممكن أن نجد مُدناً بلا أسوار ولا ملوك ولا ثروة ولا آداب ولا مسارح ولكن لم يرَ الانسان قط مدينة بلا معبد أو لا يمارس أهلها عبادة »

فنحن نقرأ في أسفار الهند المعروفة بالكتب الفيدية : إن الإله الأكبر قد خلق الأرض بكلمة ساحرة ، فأمرها بأن توجد ، فبرزت على الفور الى حيِّز الوجود » •

ونقرأ في كتب الصين واليابان القديمة جداً : « أن إله السماء هو الذي يصرف الأكوان ويدبر أمور الإنسان » •

ونقرأ في كتب الفرس القديمة ما نصه : « هو أقوى القوى في عالم الملكوت وهو واهب الانعام المكين ، الكامل القدس ، الحكيم الخبير ، الغني المُغني ، السيد المنعم ، القهار ، محِق الحق ، البصير ، الشافي ، الخلاق ، العليم بكل شيء » •

ونجد عند الفراعنة من النصوص التي تدل على الابتهال الى الله العلي القدير والتي تثير في النفس شعوراً فياضاً بالإيمان والتوحيد • منها :

« أيها الإله الأوحـد الذي ليس لغيره سلطان كسلطانه . يا خالق الجرثومة في المرأة ، ويا صانع النطفة في الرجل ، ويا واهب الحياة للابن في جسم أمه ، ويا من يهدئه فلا يبكي ، ويا من يغذيه حتى وهو في الرحم ، ... يا من خلقت الأرض كما يهوى قلبك حين كنت وحيداً .. ألا ما أعظم تدبيرك ، يا ربّ الأبدية » .

اقرأوا وصية الملك (آنى) من ملوك مصر القدماء لابنه (خنسو حوتب) : « لا تأثم ، خفِ الله واتقِ غضبه ، واذا صلّيت لله فمن العبث ان تجهر أو تصيح ، صلِّ بقلب مؤمن يخاطب الله في غير إعـلان يقضِ الله حاجتك ويستجب دعاءَك » .

ولسائل أن يسأل : كيف عبد الناس الأوثان والهوام والبقر والشمس وتسافلوا حتى صاروا يتبركون ببول البقر !

انه تعالى يقول : « أفمَن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » [١] . فجعل الله تعالى تقابلاً بين الإيمان والفسق . ومعنى ذلك أن الفسق يضادّ الايمان ويعاكسه . فلو تلوثت النفس الانسانية بالفسق فرّ الإيمان من وجهه ، فلا يعود حتى تطهر النفس من فسوقها واجرامها .

انه تعالى يقول : «أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون» [٢] وفي آية اخرى : « ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ، وربك أعلم بالمفسدين » [٣] . ومعنى ذلك أن طريق الإيمان قد سُدّ على المفسدين . وفي آية اخرى : « ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار » . فالكذب يزيل الايمان . وفي آية اخرى : « ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون » . فالفاسق يكفر بآيات الله بصورة طبيعية .

---

(١) سورة السجدة : ١٨ .
(٢) سورة القلم : ٣٥ ، ٣٦ .
(٣) سورة يونس : ٤٠ .

كان الناس بالفطرة يؤمنون بالله ويوحدونه ، حتى غلبت عليهم شياطينهم ، ففسقوا وفجروا وظلموا وأساؤوا ، فانسحب الايمان وسوّل لهم الأبالسة عبادة الأصنام والحيوان على حد قوله تعالى : « ثم كان عاقبةَ الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » .

فالإلحاد أو الوثنية أمر عارض يناقض الفطرة ويعاكسها . إنه تعالى يقول: « واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألستُ بربكم ، قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يومَ القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذريةً من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون » .

فالله تبارك وتعالى قد غرس أصول التوحيد والإيمان في النفس الانسانية في عالم الذر ، في عالم الأرواح إتماماً للحجة « قل فلله الحجة البالغة » (٤) .

فهناك رسولان : رسول باطني ، وهو العقل ، جعل الله الانسان مسؤولاً تجاهه : فـ « العقل ما عُبد به الرحمان واكتسب به الجنان » ورسول ظاهري : وهم الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين .

فالناس كانوا في قديم الزمان ، في وقت لا يحدده التاريخ مؤمنين بالله ، يوحدونه ويقدسونه ، ولكن الشيطان قد سول لهم فأطاعوه بتلويث نفوسهم بالفسق والظلم ، فاظلمّت النفوس وزاغت عن الصراط : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » (١) ، فصاروا يشركون بالله ويعبدون غير الله تعالى أو أمسوا ماديين ... وقد قال تعالى :

« كان الناس أمةً واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه

---

(٤) سورة الانعام : ١٤٩ .

(١) سورة الصف : ٥ .

إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيـــه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » .

وإتماماً للفائدة نذكر هذا الحديث :

عن زرارة عن أبي جعفر (ع) قال : سألته عن قول الله عز وجل : « حنفاء لله غير مشركين به» ؟ قال: «الحنيفية من الفطرة التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ثم قال : فطرهم على المعرفة به ...

نرى ان من (٢٩٠) فيلسوفاً ٩٢٪ منهم مؤمنون و ٥٪ منهم لا أدريون (لا يعلمون) و ٤٪ منهم ملاحدة . ذلك لأن العلم وما أودع الله من دقيق الصنع وشتى المعادلات في تكوين هذا الكون يجرئ الانسانَ الباحث الى الاعتقاد بالله العلي القدير . كان يقول (پاستور) : لا تنافي بين العلم والايمان بالله ، وكلما زاد علم الانسان زاد إيمانه بالله » . ويقول الكيميائي الشهير الدكتور (وتز) : « واذا أحسستُ في حين من الأحيان أن عقيدتي بالله تزعزت وجّهتُ وجهي الى أكاديمية العلوم لتثبيتها » .

فلا يلوث النفس الانسانية ولا يزيل هذا الاتجاه الطبيعي وأعنى به : التوجه نحو الخالق المتعال ، الا متابعة هوى النفس على حد قوله تعالى : « كذلك حقّت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون » .

وقد جاء في الحديث : « أغلب الناس من تغلب على هواه » .

ويقول الله تعالى بالنسبة الى المنحرفين من الناس : « إن يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس . ولقد جاءهم من ربهم الهدى » .

واما قول (روبرت هتشنس) : ولقد بلغ العالم في آن واحد الى الأوج في المعرفة والتكنولوجيا والتحكم في الطبيعة والى الحضيض في حياته الأخلاقية والسياسية » فذلك لتركهم التعاليم الدينية والأخلاقية التي هي من الدين

وانغماسهم في الشهوات وأنواع الترف .

فالعلم المادي يقوى الاعتقاد بالله ان لم تتلوث النفس بفسوقها واجرامها والا فتتخذ النفس الملوثة هذا العلم على سبيل التمويه آلة لإثبات صحة ما سلكت من مسالك معوجة ، وهيهات !

فيجدر بدعاة الاسلام أينما كانوا ان يستفيدوا من هذه الغريزة التي أودعها الله النفوس البشرية وهي توجهها بصورة فطرية الى الخالق المتعال لنشر الاسلام والتوحيد في أرجاء الأرض وإبعاد الناس عما يلوث نفوسهم من معاصي وآثام ، كي تكون قمينة لحلول معرفة الله فيها ، فتقبل الاسلام كدين عالمي خالد : فيه سعادة الدنيا ونعيم الآخرة . فقد قال علي (ع) معظّماً أمر الدعوة الى الاسلام والارشاد الديني أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : « وما أعمال البرّ كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة [1] في بحر لجي » [2] ...

---

(١) نفثة : (المرة من نفث) . وهي ما تلقيه من فيك من بصاق .

(٢) بحر لجي : واسع اللّج . واللج معظم الماء .

علة بعث الرسل (ع)

ان نظرة واحدة الى هذا الكون الرحيب تجعلنا ان نجزم ان هناك دقة متناهية وانتظاماً رائعاً وقوانين رصينة ودساتير متقنة لا يمكن أن تستقصى : في كل جزء من أجزاء هذا العالم ، دقة يحار فيها أكبر رياضي وأعظم فيزاوي وأفطن كيماوي وأذكى عالم بالطبيعيات .

كيف لا ، وهو يرى ان الكواكب تسير حول الشمس على شكل اهليلجي (قطع ناقص) بحيث تقع الشمس في احدى بؤرتي هذا المنحني المغلق . ومعلوم ان رسم الشكل الاهليلجي من الصعوبة بمكان . ذلك لأنك يجب أن تعين نقاطاً تبعد عن البؤرتين بحيث يكون مجموع البعدين مساوياً للقطر الطويل لهذا الشكل : أي عليك أن ترسم منحنياً يكون محلا هندسياً لنقاط يكون بعد كل منها من البؤرتين مساوياً الى بعد معلوم : (أي الى قطر الشكل) . ومن المعلوم أن موضوع المحل الهندسي من المواضيع الهامة التي يفهمها الطلاب بعد جهد جهيد في موضوع المنحنيات . ففي الرياضيات العالية في أبحاث الهندسة التحليلية يصعب على الطالب الجامعي حل مسائل تتعلق بالمحل الهندسي إلا اذا كان من الاذكياء . فأي عقل جبار رسم هذا المحل الهندسي وأعني به مدار الارض حول الشمس بهذا النمط البديع عن حكمة فائقة . ومَن الذي وضع هذه الدساتير الرياضية الثابتة في حركات الأرض حول الشمس وحركات القمر حول الأرض ، وفي الوقت نفسه حول الشمس ، حتى تمكن العالم الفلكي الرياضي من أن يحصل على معادلة الكسوف (وما أصعبها) بعد عناء شديد .

وأصعب من رسم المنحنى الاهليلجي ، رسم المنحني اللولبي ، وهو مسار الشمس في الفضاء مع كواكبها بسرعة سبعين ألف كيلو متر في الساعة متجهةً نحو نجمة في الفضاء تعد لبعدها الشاسع من الثوابت ! وهي النسر الواقع هذا ما اكتشفه العلم الحديث قبل خمسين عاماً • ليبرهن مرة اخرى على الاعجاز القرآني : وهو قوله تعالى قبل أربعة عشر قرناً : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » •

كيف لا يحار الانسان ولا يندهش عندما يشاهد هذا الاتقان الذي أودعه الله في ما خلق من مخلوقات ، حتى جعل سطح ذرات الثلج المتساقط من السماء مشكلاً من مخمسات منتظمة أو مثلثات متساوية الاضلاع ، بحيث لو وضعت ذرة من هذا الثلج تحت المجهر (الميكروسكوب) لرأي عالماً عجيباً وشكلاً في غاية الانتظام !

ومعلوم أن رسم المخمس المنتظم من الصعوبة بمكان • ذلك ، لأن على من يحاول رسم ذلك ان يرسم اولاً معشراً منتظماً ثم يصل بين رأسين غير متجاورين من هذا المعشر للحصول على مخمس منتظم • واما رسم المعشر فأمر عسير وما أعسره ! عليه ان يقسم نصف قطر الدائرة الى قسمين تكون نسبة الكل (نصف القطر) الى القسم الأكبر كنسبة القسم الأكبر الى القسم الاصغر أي عليه أن يجعل القسم الأكبر وسطاً هندسياً بين الكل والقسم الأصغر وهذا التقسيم أيضاً من الصعوبة بمكان • وهكذا دواليك •

فسبحان الذي رسم هذه المخمسات المنتظمة على سطح اجزاء الثلج بحيث كانت الاضلاع متساوية والزوايا كذلك متساوية ، ومقدار كل منها ١٠٨° (درجة) •

نرى هذا الكمال المحير للعقول متجلياً في الذرة وفي المعادن وفي شبه المعادن أي في (١٠٢) عنصر حسبما اكتشف لحد الآن وفي النبات والحيوان

على كثرة تنوعهما وتصانيفهما المختلفة ، وفي الانسان . نراه متجلياً كذلك في هذا العقل الانساني الذي منح هذا المنطق الجبار : التعميم ، التجريد ، الاستقراء ، الاستنتاج ، وهذا التقدم في العلوم الرياضية العالية دون استناد الى تجربة مادية سابقة على حد قول (اينشتاين) أعلم علماء القرن العشرين .

كيف لا يحار الانسان في عظمة خالقه حينما يرى أنه توجد في المادة السنجابية التي في تلافيف الدماغ ٦٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ خلية وتتألف كل خلية من ألوف الدقائق الظاهرة وكل دقيقة تتألف من ملايين الجواهر .

كيف لا يحار الانسان عندما يرى أن دقة الصنع قد بلغت منتهاها في حركة عضو من أعضاء البدن الانساني . فهي تفوق دقة الصنع في القنبلة الذرية التي هي نتاج العقل الانساني بلطف من الله خلال ٢٥٠٠ سنة .

***

ان العقل الانساني . هذا العقل الموهوب من جانب الله تعالى ، هذا العقل الذي لا يعلم هذا الانسان كيف من الله به عليه وكيف ركب فيه على حد تعبير دكارت ، يرشد الانسان بصورة فطرية : أن منظم هذا الكون لا يلهو ولا يلعب [1] . ذلك لأن التنظيم يخالف اللهو وينافي اللعب . فلا يخلق هذا المنظم العظيم شيئاً عبثاً وان غايته في الخلق تتناسب مع عظمته وان هدفه في الصنع ليتناسب مع كماله المطلق .

يرشد هذا الانسان ان يقول جازماً : لابد لخلقه من غاية ولابد لإيجاده من هدف سام رفيع . فانه بعد تفكر بسيط يجزم قائلاً : بما أن كل ما في هذا الكون المادي قد بلغ الحد الأقصى من الكمال ، إذن وجب ان لا يشذ هذا الانسان ، وهو من مخلوقات الله تعالى — على حد تعبير : دكارت — عن سنّة الكمال ، فعليه أن يتكامل .

---

(١) « لو اردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين » .

ذلك لأن الكامل على الاطلاق وهو الله تعالى لا يريد أن يرى في ما خلق شيئاً ناقصاً (٢) فهو يريد الكمال لكل ما خلق ولو بصورة تدريجية ، يرى ذلك أمراً طبيعياً .

يرى أن الطفل يولد وأن تشكيلات أعضائه من الكمال بحيث لو كتبت آلاف الصفحات في وصف خواصها وقوانينها ودساتيرها لاحتيج أيضاً الى آلاف الصفحات وأكثر لاستيعاب هذا الكمال المودع في النواحي المادية من بدنه وقد لا ينتهي الى نهاية البحث : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » .

لكنه يرى أن هذا الطفل فيه صفة البطش والغش والكذب والخيانة والحرص والبخل وصفات كثيرة اخرى تضاد الكمال . وفيه في الوقت نفسه بعض الصفات الطيبة ، فهو أشبه شيء بخليطة من المعادن : فيها معادن خسيسة كـ (السيليسيوم) والكالسيوم والحديد والنحاس .. الى ما هنالك ، وفيها الذهب الخالص . فيقول في نفسه : إن هذه الصفات الذميمة تخالف الكمال الذي يريده الله لمخلوقاته . فيجب أن تزول وأن يدخل في دور الكمال .. كما يعمل الكيماوي في تلك الخليطة من المعادن : يضعها في محاليل مختلفة لإزالة المعادن الخسيسة والظفر بالذهب الخالص . فإذن يجب أن تزول هذه الصفات الذميمة في الطفل وفي كل انسان كي يظهر الذهب الخالص فيه .

فما هو هذا الذهب الخالص يا ترى ؟ ومَن هو ذلك الكيماوي الذي يعرف هـذا الانسان المخلوط من صفات خسيسة وقابليات طيبة معرفةً حقيقية ، فعرّفه الحق والواقع ، يعرفه الى خالقه وبارئه ، يقربه اليه تعالى بدساتيره القيمة وتعاليمه الإلهية ويبلغ بهذا الانسان مراتب الكمال الانساني ، يوصله الى درجات من عوالم القدس حتى يصبح أعلى مرتبة من الملائكة .

(٢) « ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » سورة طه : ٥٢ .

مَن هو هذا الكيماوي الذي يتفضل على هذا الانسان بدساتير الكمال دونما أجرٍ (إلا المودة في القربى) ومن أين يجب أن يستقي سنن الكمال التي يتحقق بها الكمال الانساني .

إن الكيماوي (دونما تشبيه) هو النبي المرسل والذي يوحى سنن الكمال انما هو الله جلّت عظمته . ذلك لأن الله هو خالق الأرواح ومنشئها وهو العالم بخواصها وصفاتها وقابلياتها وطرق تكاملها .

فليس لهذا الانسان الناقص — مهما سمى نفسه فيلسوفاً — أن يأتى بسنن تكامل النفس ، إلا اذا كان مغروراً بعيداً عن إلهام الفطرة جاهلاً غرا ، ملوثاً بما اجترحت يداه . كـ (كارل ماركس) وأضرابه . فقد كان يقول : مغروراً برأيه : « آرائي .. أفكاري » . ويقول لمن يخالفه في الرأي : برجوازي .. كان أنانياً يختلق التهم ، حسوداً يعامل من يخالفه في الرأي معاملة ملؤها التحقير والازدراء ، كان فيه شهوة الهدم والتخريب وقد استخدم الأسلحة النارية وسيق الى الشرطة لإفراطه في السكر والعربدة ! كان ينقطع عن الجامعة ويذهب الى السكر والدعارة ، يترك (بون) مقر الجامعة ويذهب الى (كولون) في جوارها ويبتغي فيها ملاهي السمر .

كان (كارل ماركس) مسلوب العاطفة فلم يذهب الى بلده حين مات أبوه وبقى في برلين وهو عميد الأسرة بعد والده . واسترسل في الطلب حتى نفد نصيبه من الميراث فمال الى نصيب أمه واخوته . وكان قبلا قد أرهق أباه في طلب المال . وقد اتحرت بنتاه (لورا واختها) .

عقد (كارل ماركس) مقاولة مع الجرائد وأخذ مبلغاً ولم يفِ بمنطوق العقد . وعقد اتفاقية مع (ألكسي) على كتابة نظرياته الاقتصادية هذه التي لم تنل نصيباً من التطبيق لكونها بعيدة عن واقع (الحياة) وقبض (١٥٠٠) فرنك وعقد في نفس الموضوع اتفاقية أخرى مع شخص آخر ولم يف بكلتيهما .

نعم ، إن رجلاً هذا ديدنه وتلك صفاته حقيق أن تترشح منه هذه الأباطيل بأن يقول : « إن الديانات والعقائد جميعاً إنما هي انعكاسات الضرورات الاقتصادية . ان لم يكن قد قصد وراء ذلك الانتصار للصهيونية عن طريق الهدم والافساد !

وكم رأينا من الفلاسفة جاؤا بنظريات مضلة تبعد البشر عن جادة الصواب فكان بعضهم يقول في مقتبل العمر شيئاً ثم اذا بلغ الخمسين قال شيئاً يناقض ما قاله أولاً حتى اذا ناهز السبعين خالف ما قاله اولاً وثانياً مع ما هنالك من اختلاف في الآراء فيما بينهم !

(اوگوست كنت) فيلسوف فرنسي ، كان قد بلغ من الذكاء مرتبة مرموقة ، كان اذا طالع كتاباً مرة واحدة استوعب ما فيه . كان يحضر في مجلس درسه (في بيته) علماء من الدرجة الأولى لاستماع محاضراته . وألّف كتاباً ضخماً في ٦ مجلدات في تحقيق الفلسفة . إلا انه مع ذلك كان ناقصاً من نواحيَ شتى ، كان سيِّء العشرة لا يأتلف بالناس . ثم إنه عشق فتاة في أواخر أيام حياته وماتت هذه الفتاة قبل الوصال فتأثر وبنى معبداً ورتب له عبادات وأسس ديناً جديداً أسماه : دين الانسانية وتفرق عنه تابعوه وأخذ الناس يسخرون منه .

وكان الفيلسوف الدكتور (جود) ملحداً فأصبح موحداً وكان يقول : إني كنت لا أفهم شيئاً عن الكون عند تخرجي في الجامعة بل كنت حيواناً على شكل انسان .

كما كان الفيلسوف الانكليزي (جيمس چانيس) ملحداً فغدا موحداً .

وكم من فلاسفة تبنوا النظرية المادية ! لظلمات في نفوسهم وقالوا بأزلية المادة (دون دليل وبرهان) قالوا : إن المادة هي التي تخلق العقل وتنظم العالم أيما تنظيم وتضع قوانين فيزياوية وكيمياوية ودساتير فلكية ومعادلات

رياضية دقيقة الى ما هنالك ؟ وقالوا إن المادة هي العقل الجبار المنظم لهذه العوالم المختلفة بهذه الدقة المتناهية التي لم يصل الى حقائقها العقل البشري ولا يزال يعترف أنه « لا يعلم شيئاً » • من هؤلاء الماديين أبيكور ، كارل ماركس ، بوخنر ، فورباخ • إنهم خالفوا الفطرة وتجليات العقل البشري ودنسوا العالم بترويجهم نبذ الفضائل وسحقها والانحلال الخلقي والإباحية والشذوذ الجنسي كفرويد وغيره •

حتى قال بعضهم : إن الفيلسوف اذا كان فقيراً فإن فقره وعجزه يجعلانه أن يعتقد بإله خلاق • ولكن لو كان ثرياً فإنه لا يؤمن بذلك ويكون مادياً • ذلك لأن فكرة الإله انما أتت من النواحي الاقتصادية من الفقر والاضطرار ؟!

انهم كذبوا في ما قالوا • فإن « دكارت » الفيلسوف الفرنسي كان موحداً وكانت له أملاك في فرنسا وعاش طيلة حياته عيشة هنيئة وكذلك أفلاطون •

أبيقور كان فيلسوفاً مادياً وقد تربى في بيت فقر وبؤس وعاش كذلك ومثله : روسو •

فليس الفقر والغناء والبيئة عوامل تؤثر في توجيه الفرد نحو المادية أو التوحيد كما يدعي الماديون وانما العامل الحقيقي : عمل الانسان وما يترشح منه من حسنات وسيئات : « ثم كان عاقبةَ الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » •

***

فالله تبارك وتعالى وهو معطي الكمال لا يترك هذا الانسان سدى « أيحسب الانسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من مني يمنى • ثم كان علقة فخلق فسوى • فجعل منه الزوجين الذكر والانثى • أليس ذلك بقادر

على أن يحيي الموتى » .

فالله يهيىء لهذا الانسان مَن يتصدى الى تكميله وتقريبه الى ربه ومعرفة خالقه وتلك غاية الغايات . فقد جاء في حديث قدسي ، انه تعالى يقول : « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف » .

وان باب المعرفة هو العبادة . فبالعبادة بما فيها من اعمال صالحات وتجنب المحرمات وتطهير النفوس ، تصبح النفس قمينة لمعرفة خالقها ، كي تنال الحب الآلهي وذلك أسمى الغايات . لذلك حصر الله تعالى علة خلق الجن والانس في العبادة ، ذلك لأن العبادة هي سبيل معرفة الخالق ووسيلة التكامل الانساني في الحياة الدنيا ، بقوله جل من قائل : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » .

الانسان مريض نفسياً في هذه الدنيا لما يحمل من صفات ذميمة وخصال مذمومة وبطش وطيش فالأنبياء (ع) هم معدلو هذا الانسان ومانعوه عن طيشه وغوايته لذلك يقول علي (ع) : « ارسل رسولاً ليزيل به علتهم » ويقول (ع) في مقام آخر : أرسل أنبياء ليثيروا في الناس دفائن عقولهم ، ويهدوهم الى معايش تحييهم » .

فالأنبياء لم يمنعوا الناس عن تعلم العلوم ! بل أثاروا فيهم دفائن العقول حتى كانت هذه المكتشفات في شتى النواحي العلمية من فلك ورياضيات وطبيعيات وطب وكيمياء الى ما هنالك في الحضارة الاسلامية ، واصبحت أروبا مدينة في مكتشفاتها للحضارة الاسلامية الزاهرة في القرون الوسطى . وبقوله عليه السلام : « ويهدوهم الى معايش تحييهم » أراد أن الانبياء (ع) هم منظمو الحياة الاقتصادية بدساتيرهم العادلة وتعاليمهم الخالدة .

فالأنبياء هم مطهرو هذا الانسان مما ألم به من دنس ورجس وموصلوه الى أقصى مراتب الكمال . لذلك يقول الله تعالى :

« هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

وبقوله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .

وبقوله : « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » .

وبقوله : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

وبقوله : «ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون » .

وبقوله : « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .

وبقوله : « لمسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين » .

وهكذا سنّ الله تعالى وهو العارف بحقيقة هذه النفوس التي خلقها وصفاتها وطرق تكاملها ، سنن التزكية والتطهير لهذا الانسان وأوصى بها أنبياءه (ع) ، وأمرهم أن يبلغوا رسالاته حتى جعل الحجر المغصوب في الدار مسبب خرابها . فقد جاء في الحديث : (الحجر المغصوب في الدار رهن خرابها) .

وكل ما جاء في الدين الاسلامي من واجبات ومحرمات ومستحبات ومكروهات كلها ترمي الى تطهير النفوس وتزكيتها وابلاغها أسمى مراتب الكمال لتزداد معرفةً بالله . ذلك لأن الله قد سخر كل شيء من شمس وقمر وغيرهما لهذا الانسان « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر » « ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره . ويمسك السماءَ ان تقع على الأرض الا بإذنه . ان الله بالناس لرؤوف رحيم » .

وخلق الانسان لمعرفته تعالى كما جاء في حديث قدسي : « خلقت الاشياءَ لأجلك ، وقد خلقتك لأجلي » .

ولذلك جعل الله أول من خلق من الأناسي — وهو آدم (ع) — نبياً ، اهتماماً بأمر التكامل الانساني وتحقيقاً لسنة الكمال في الكون .

فطوبى لنفوس عرفت أسرار الخلق فتقربت الى ربها بعبادات يتخللها خشوع وخضوع [١] واعمال صالحات وإيثار وتفانٍ في هداية الناس الى الدين الاسلامي الحنيف .

فقد قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سبلَنا وان الله لمع المحسنين » .

---

(١) لا بأس بذكر هذا الحديث . فالعمل به مزيل للأدران النفسية والهواجس الشيطانية فى مثل هذه الظروف الحالكة :

« اذا جمع الله الأولين والآخرين : نادى مناد : ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً . فيقومون وهم قليل . ثم يحاسب مَن بعدهم » .

هل الاسلام سير تقدمي أم رجعي ؟

تدور كثيراً على الألسن كلمة (الرجعية) بمناسبة ودون مناسبة . فلو أن رجلاً حمد الله تعالى وشكره تجاه نعمه التي لا تعد ولا تحصى بصلاة يصليها لربه باخلاص ، قيل إنه رجعي ، يجترُّ ما أنتجته العصور الأولى ! حين أن شكر المنعم أمر ضروري يحكم به الفطرة والعقل ، ذلك العقل الذي لم يلوث بالذنوب والآثام . فقد جاء في الحديث : « العقل ما عُبِدَ به الرحمن واكتُسِبَ به الجنان » .

حتى إني لأتذكر جيداً عندما كنت أدرس في النجف الأشرف قبل حوالي ٣١ عاماً أبى قسمٌ كبير من الطلاب المصلين من أداء صلاتهم عند الظهر في سفرة مدرسية الى الكوفة ، خوفاً من أن يوصموا بالرجعية والخرافة . وكم رأيت من مدرسين ومدراء معارف كانوا يخفون صلاتهم عمن يصمونهم بالرجعية حفظاً لمراكزهم وابتعاداً عن هذه الوصمة : وهي عدم مواكبة مفاهيم التقدم في القرن العشرين .

وإني لأتذكر أيضاً أن شاباً من أسرة مرموقة كان قد رجع قبل حوالي ٢٧ عاماً من الجامعة الأمريكية ببيروت ، (وهي جامعة أسسها قسٌّ من القسيسين بعد أن جمع مالاً كثيراً في أمريكا) كان يصم جميع الأعمال الدينية من صلاة وصوم وزكاة ... بالخرافة والرجعية ، وكان يقول بضرس قاطع : «إن بلاءَ الشرق دينه ، فلو أزيح هذا الدين فهناك التقدم وهناك الازدهار !» .

ولكن يقول بعض الشباب لمن يحضر مجالس البالو ويرقص مع الفتيات ويحتك بهنَّ من طريق غير مشروع إنه تقدمي قد واكب الحضارة الراهنة ،

واذا قبّل فتاة أجنبية في الترام أو في الشارع العام قيل له انه عصري خرج عن المفاهيم البالية • وهذا ما نشاهده في الغرب •

***

علينا أن نحلل مفهوم الرجعية تحليلاً دقيقاً على ضوء العقل والعلم الصحيح •

للانسان جنبتان : جنبة مادية بحتة : الأكل والشرب ووسائل النقل والاستضاءة ووسائل النسج والحياكة ووسائل التكلم من بعيد الى ما هنالك ، ومنها الجنبة العلمية وهي العلم بالعلوم المادية التي تدعمها التجارب والعلوم الرياضية • فهي أيضاً مادية •

وهناك جنبة روحية ، نفسية بعيدة عن عوالم المادة سوف نأتي عليها بعد قليل •

ومما لا مِراء فيه أن الانسان بفضلٍ من الله تعالى والهامه صار يتقدم منذ آلاف بل ملايين السنين ، (على ما اكتشفه علم الإشعاع) في العلم المادي أي في تطوير وسائل الزراعة ونوع الزراعة وتطوير وسائل النسج والحياكة والاضاءة ••• الخ حتى بلغ مرتبة صار يستفيد من تحطيم الذرة وما عبأ الله تعالى فيها من طاقات هائلة والاشعاع الذري ••• الى ما هنالك •

فلو أن رجلاً آثر أن يستضيء بنور المصباح الزيتي (دون ضرورة طبية) في وقت يتوفر فيه الكهرباء فهو رجعي في تطبيق هذه الوسيلة المادية •

ولو أن رجلاً أراد أن يسافر في عصرنا هذا الى بلدٍ ما ، في عصر تتوفر فيه السيارات والطائرات وآثر أن يركب البغال والحمير فهو رجعي في استعمال وسائطَ أكل عليها الدهر وشرب دون مبرر عقلي •

وهكذا في النواحي العلمية وأعني بها (العلم المادي) • فلو أن رجلاً بقي يعتقد بعد إطلاق الصواريخ والأقمار الصناعية وسير رجال الفضاء حول

الكرة الأرضية مرات ومرات ، صار يعتقد : أن الأرض لا تزال تستند على قرن ثور والثور على بطن حوت : هذه الخرافة التي جاءتنا من بين الأساطير اليونانية فهو رجعي في اتجاهه العلمي في النواحي المادية من هذا الكون الرحيب .

ذلك لأن العلم الحديث في النواحي المادية قد خرج عن طريقة الحدس والتخمين والظن الى الطرق التجريبية والمشاهدة والاستنتاج .

كان العالم اليوناني أو الفيلسوف الاغريقي يعتقد أن أكمل الأشكال دائرة ، ولذلك صار يقول ، (دون أي حساب أو مشاهدة) إن الافلاك دائرية، أي : أن الشمس مثلاً تدور حول الأرض على شكل دائري . وصار يقول : إن أكمل الاشكال المجسمة هو : الكرة ، ولذلك يجب أن تكون الكرة الأرضية على شكل كرة ! حين أن الأرض (على ما ثبت ، بعد اكتشاف التلسكوب وتقدم الرياضيات) ، تدور حول الشمس على شكل اهليليجي (قطع ناقص) وإن الشمس هي احدى بؤرتي هذا المنحنى المقفل . وان شكل الأرض ليس بكروي تماماً ، وانما يقرب من الكرة وبحث ذلك يطول .

واما في عوالم تكامل النفس وأعني بها الناحية النفسية ، فهل اتباع ما أمر الله تعالى به ورسولُه من الرجعية في شيء . وهل اتباع ما أمر الله من دساتير أخلاقية في دائرة العفاف وصيانة شرف الأسرة وصيانة المجتمع من الفساد والانحلال الخلقي سير رجعي ، يجب أن ننبذه ونفكر في شيء جديد .؟

فاذا كان ينهانا رسول الله (ص) عن النظرة الشهوانية الخبيثة الى المرأة الأجنبية ، هذه النظرة التي تجلب معها الفساد في الأرض ، فتؤدي الى تلويث النفس ومن ثَمَّ الى تلويث العقل ، فتلويث العقيدة على حد قوله تعالى : « كذلك حقَّت كلمة ربك على الذين فَسقوا أنهم لا يؤمنون » اذا كان ينهانا صلوات الله عليه من نظرات السوء بقوله : « الأولى لك والثانية عليك »

فهل اتباع هذا الأمر سير" رجعي ، يجب أن تقوم مقامه مراقص راقية تكون المرأة فيها نصف عارية ، يحتضنها رجل أجنبي عنها ، وتحتك جميع أجزاء جسمه بجميع أجزاء جسمها ويضمها الى صدره ويراقصها ، وقد تطفأ الأنوار عمداً من حين لآخر ليتمكن الراقصان مما لا تسمح به الأضواء . وقد تجد زوجها قابعاً في ناحية من المرقص وكله إعجاب بما تؤديه زوجته ويؤديه زميلها من حركات رشيقة ، ولا يفوته أن يهنئهما بعد فراغهما تهنئة حارة لنجاحهما في رقصتهما .

هذا في المراقص الراقية . واما في المراقص الشعبية ، في مراقص العاملات والخادمات والعمال والمسيطرين على النساء ، المتاجرين بأعراضهن ، فحدث عنها ولا حرج . فانه لا يكاد يكون فيه شيء محظوراً [1] .

وقد يعلم الزوج أن هناك لزوجته خدناً أو أخداناً وقد تعلم الزوجة أن لزوجها خليلة أو خليلات ، ولكن يسمح كل منهما للآخر بما يرتكبه من فسق وفجور ، وقد يخرج الرجل من بيته ويدع ضيفه الكريم يفعل ما يشاء !

وقد يكون للزوجة زوج وعشيق ويعيش الثلاثة في بيت واحد دونما اكتراث . وهذا ما يُدعى بالتعايش الثلاثي (Le ménage à trois) ، والكاتب الإفرنسي الكبير « أناتول فرانس » كان عشيقاً من هذا النوع .

وقد بلغ الاستهتار بالأعراض في أمريكا حتى أنك لا تجد فتاة بلغت سن الرابعة عشرة الا ولها خدن يظل يعاشرها معاشرة الزوج لزوجته . حتى بلغ التسافل الى درجة : أن الفتاة إن لم تكن قد اتخذت قبل الزواج خدناً يذهب بعرضها لا تُعد فتاةً اجتماعية قد عركت الحياة !!..

فلا رجعية عندما ترتكب الفاحشة علناً على الأرصفة في بعض أزقة باريس أو أزقة لندن ، وترتكب أيضاً في حدائق الجزيرة في القاهرة على

(١) من مجلة حضارة الاسلام ، السنة الثالثة .

الحشائش وخلف الأشجار كما تفعل البهائم ! ولا رجعية في لبس المرأة (المايوه) وأخذ تصويرها من قبل المصورين بشكل مخزٍ منافٍ للآداب والفضيلة على مرأى من العابرين ! ولا رجعية حين يرتكب وكيل الوزارة الخارجية الانكليزية الفاحشة علناً مع جندي من جنود الحرس الملكي في أثناء تأدية هذا الجندي لوظيفته في منتزه عام وعلى قارعة الطريق !

كل ما هو من هذا النوع يمثل الرجعية أجلى تمثيل ، لأنه رجوع الى الحالة البدائية الأولى قبل بعث الرسل (ع) كما يحدثنا التاريخ وهو رجوع الى ما يقوم به بعض القبائل المتوحشة في يومنا هذا في آلاسكا وأواسط أفريقيا . مع العلم أن ما نراه في بعض الأمم المتحضرة في هذا اليوم من تقدم مرموق في صقع هتك الأعراض هو تقدم لم تبلغ الأمم البدائية الأولى ولا الأمم المتوحشة في هذا العصر شأوَه .

ان اختراع السينما من مفاخر العصر وكذا الراديو والتلفزيون . كل ذلك من النواحي العلمية : (العلوم المادية) . ولكن لو استعمل كل أولئك في تعليم الشاب طرقَ المغازلة وهتك الأعراض والانغماس في الشهوات ، فقد استعملت في ارجاع البشر الى رجعية مُهلكة أو (ارتجاع مميت) والى حيوانية بدائية . نعم تتجلى التقدمية في هذه الآلات وغيرها من الناحية العلمية : (العلم المادي) ، الا ان الرجعية كذلك تتجلى فيها بأعمق مظاهرها حين تستعمل للافساد في الأرض : « والله لا يحب الفساد » .

انه تعالى يقول : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار [1] » .

« وإن الفجار لفي جحيم ! » [2] . « وجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها

(١) سورة : ص : ٢٨ .
(٢) سورة الانفطار : ١٤ .

قترة ، أولئك هم الكفرة الفجرة » [٣] .

***

فكل ما يؤدي الى الافساد في الأرض وتلويث النفوس وازالة العقائد التي يدعمها العقل والمنطق الصحيح عمل رجعي يأخذ بهذا الانسان المسكين الى أسفل السافلين وإن سماه البعض تقدماً !..

وإن الدساتير الأخلاقية الاسلامية التي بها تتكامل النفس الانسانية هي دساتير ثابتة لا تقبل التجديد والتحريف . حتى تكون في زمن ما من النوع التقدمي وفي زمن آخر من النوع الرجعي . ذلك لأن الله تبارك وتعالى أعرف بحقيقة النفس الانسانية وطرق تكاملها : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » [١] . ذلك لأن النفس من صقع ما وراءالطبيعة ، وليست من المادة في شيء ، والله الذي خلق الأرواح يعلم طرق تكاملها والدساتير التي تؤدي الى تطهيرها وتزكيتها « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

والفيلسوف بصفته فرداً من الأفراد مملوء بالنقائص . فمهما وضع من دساتير في النواحي الأخلاقية والتكاملية لا يأتي بشيء كامل لا نقص فيه ، لنقائص في نفسه ولتأثره ببيئته ومحيطه ، وإن تاريخ الفلسفة يؤيد ما أقول . فقد تضاربت آراء الفلاسفة ومشاربهم ونوازعهم وكلها بشرية بعيدة عن معالجة الأرواح المريضة . فبعد أن كانت نفس الفيلسوف مريضة بأنواع المرض وشتى النقائص ، فأنّى له أن يصلح نفوساً اخرى مريضة ، وقد قالوا : « فاقد الشيء لا يُعطيه » .

فالإسلام يشجع كل جديد في مجالات العلوم المادية على اختلاف أنواعها

---

(٣) سورة عبس : ٤٢ .

(١) سورة الملك : ١٤ .

سواء في العلوم الرياضية أو الفيزيائية أو الكيميائية أو الفلكية أو الطبيعية أو الطبية أو غيرها . فقد كانت مكتبة (دار الحكمة) ببغداد في العهد العباسي تحوي ٤٠٠٠٠٠٠ كتاب وان مكتبة أحد الخلفاء الفاطميين بمصر : (العزيز بالله) كانت تحوي مليونا ونصف مليون كتاب . وقد اكتشف المسلمون الفوسفور وطريقة استحضار الأوكسيجين والهيدروجين وحامض الآزوت وحامض الكبريت . وهم مؤسسو اول مرصد فلكي في اشبيلية باسپانيا وهم واضعوا نظام الامتحانات في كليات الطب .

وما نراه من عدم اعتناء بعض المسلمين اليوم بالنظافة لا يدل على أن الاسلام سير رجعي . فقد جاء في الحديث : النظافة من الايمان .

وقد قال الطبيب المؤرخ الامريكي (ويكتور روبنسن) : « إن أروبا كانت في ظلام حالك بعد غروب الشمس ، بينما كانت (قرطبة) تضيئها المصابيح العامة ، كانت أوروبا قذرة ، بينما شيدت في قرطبة ألف حمام . كانت أروبا تغطيها الهوام ، بينما كان أهل قرطبة مثال النظافة . كانت أروبا غارقة في الوحل ، بينما كانت قرطبة مرصوفة بالشوارع . كانت سقوف القصور في أروبا مملوءة بثقوب المداخن ، بينما كانت قصور قرطبة (في الاندلس) تزينها الزخرفة العربية العجيبة . كان أشراف أروبا لا يستطيعون كتابة أسمائهم ، بينما كان أطفال قرطبة يذهبون الى المدارس . وكان رهبان أروبا يلحنون في تلاوة سِفر الكنيسة ، بينما كان مسلمو قرطبة قد اسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الاسكندرية العظيمة » .

ومن عجائب الرهبان في القرون الوسطى ان البعض منهم كان يعذب جسمه كمثل كامل في الدين والأخلاق ! فالراهب (ماكاريوس) نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص جسمه العاري ذباب سام . وكان يحمل دائماً قنطاراً من حديد وصاحبه الراهب (يوسيبيس) كان يحمل نحو قنطارين من حديد ،

وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر .

وقد عبدالراهب (يوحنا) ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة . وكان بعض الرهبان لا يكتسون دائماً وإنما يستترون بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر . ويأكل كثير منهم الكلأ والحشيش . وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون عن غسل الأعضاء . وأزهد الناس وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس .

يقول الراهب (اتهينس) : إن الراهب (انتوني) لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره . وكان الراهب (ابراهرام) لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة . وقد قال الراهب الاسكندري بعد زمن متلهفاً : وا أسفاه ! لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً ، فاذا بنا الآن ندخل الحمامات !

وكان الرهبان يتجولون في البلاد ويختطفون الاطفال ويهربونهم الى الصحراء والأديار وينتزعون الصبيان من حجور أمهاتهم ويربونهم تربيـة رهبانية والحكومة لا تملك من الأمر شيئاً [1] .

يقول العلامة (سديو) : « كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلّت أقدامهم ، وتسربت عنهم الى أروبا ، فكانوا هم سبباً لنهضتها وارتقائها » .

يقول الاستاذ (بيري) : « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أروبا عدة قرون » .

***

فلابد لهذه النفس الإنسانية بصفتها من عالم المجردات من غذاء يتناسب وواقعها . وغذاؤها الروحي هو توجهها الى الحق المتعال بعبادة وأخلاق

---

(١) من كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .

ملكوتية وأعمال صالحات . وهذا الغذاء سبب لاحيائها ، على حد قوله تعالى :

« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زُيِّن للكافرين ما كانوا يعملون »[1] .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يُحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تُحشرون »[2] .

إن الاسلام بصفته دين العقل والمنطق الصحيح يعطينا هذا الغذاء الروحي الذي عليه يتوقف حياة النفوس وإحياؤها . وان هذا الغذاء لا يتنافى مع الغذاء المادي الذي تحققه المكتشفات الحديثة . بل إن هذه المكتشفات تؤيد عظمة الله في أرضه وسمائه وكلها على ما فيها من دقة نوع تسبيح لله تعالى . إذ أن التسبيح إنما هو تنزيه الله تبارك وتعالى عن كل نقص وكل عيب واسناد كل كمال اليه .

ففي المخترعات تتجلى ما أودع الله من عظيم الصنع وهندسة دقيقة رائعة في هذا الكون الواسع الأرجاء . ولولا ذلك لما تمكن المخترع من جمع هذه الشتات وتركيبها بفكر وتدبُّر وحسابات رياضية . وما الفكر الا موهبة ربانية لا دخل لجسامة المادة وصغرها في تقويته وتضعيفه .

كان يقول (پاستور) الموحِّد : « لا تنافي بين العلم والايمان ، وكلما زاد علم الانسان زاد إيمانه » .

واني اضيف على كلام (پاستور) قائلاً : شريطة أن لا تتلوث النفس الانسانية بفسوقها وآثامها . فان الفسوق والآثام تحجب العقل الفطري من أن يعمل عمله : وهو توجيه الفرد الى الله المتعال . إنه تعالى يقول : « ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون »[1] .

فالشاب الذي يريد تلويث نفسه إنما يتخذ كلمة (الرجعية) وسيلة

---

(١) سورة الانعام : ١٢٢ .
(٢) سورة الانفال : ٢٤ .
(١) سورة الروم : ١٠ .

للانفلات عن كل فضيلة ، ولكي يُدخل نفسه في زمرة المثقفين ، فيبرر موقفه مما هو فيه من انحلال خلقي ! حين أن الفضيلة هي هي لا تتبدل بصياغة كلمات فارغة تأبى الانطباق مع واقع الاسلام وما جاء به الدين الاسلامي من قوانين ودساتير تكاملية للنفوس البشرية التائهة في شتى الحقول .

فلو رجعنا الى ديننا وما أمرنا بالمتسك به من أخلاق وفضائل وأعمال صالحات ومن تجدد في العلوم المادية ومواكبة الحضارة الحاضرة وفي المخترعات والمكتشفات ولفظنا ما جاء به الغرب المادي في حقول الفلسفة والأخلاق والاجتماع لعلمنا إذ ذاك أننا تقدميون بأسلوب ايجابي ، غير رجعيين الى جاهلية جهلاء .

ولو كان سير التدريس سيراً يقرب الفرد الى الله المتعال ويذكره عظمة الله ويخوفه من عذاب الله ، لرجع العالم الاسلامي الى ما كان عليه من حضارة زاهرة ، لا في عوالم النفس فحسب بل في عالم المادة أيضاً .

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »[١] .

ولا بأس بذكر هذه الأحاديث ، ليُعلم أن الاسلام سير تقدمي لا في حقل المادة فحسب بل في حقل تكامل النفس أيضاً وذلك لابلاغها اسمى مراتب الكمال والى الهدف الذي أوجدها الله في أرضه .

فقد جاء في الحديث : « ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه »[٢] .. وجاء أيضا : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم » .

وورد عنه (ص) : أنه قبّل يداً ورمت من كثرة العمل وقال : « إن هذه يد يحبُّها الله ورسوله » .

وعن النبي (ص) : « اتجروا في مال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة » .

---

(١) سورة التحريم : ٦ (٢) من لا يحضره الفقيه ٣/٩٤ .

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام [1] : « إزرعوا واغرسوا ، فلا والله ما عمل الناسُ عملاً أحب ولا أطيب منه » . وأيضا عنه (ع) : « لا تكسل عن معيشتك فتكون كلاً على غيرك » .

وفي خبر آخر : « ملعون من ألقى كلّه على الناس » .

في الوسائل في الجزء الثاني : ص : ٥٧٤ في حديث عن على (ع) : « يا معشر التجار ، اتقوا الله ... الى ان قال : « تناهوا عن اليمين وجانبوا الكذب وتجافَوا عن الظلم وأنصفوا المظلومين ولا تقربوا الربا وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءَهم ولا تَعثَوا في الأرض مفسدين » .

وقد قال علي (ع) كما في نهج البلاغة في كتابه (ع) للأشتر النخعي : « فامنع من الاحتكار ، فان رسول الله (ص) منع منه . وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع » .

وعن علي (ع) : «اعلموا ان أبواب الرزق مقفلة ، فافتحوها بالحركات . فان في الحركات البركات » .

وعن رسول الله (ص) : « من وَلِيَ لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً ، أو ليست له زوجة فليتخذ زوجة ، أو ليس له خادم فليتخذ خادماً ، أو ليست له دابة فليتخذ دابة » .

« مَن كان معه فضلُ ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومَن كان له فضلُ زاد فليعد به على من لا زاد له » .

ولا بأسَ بذكر ما قاله : (أرثر هاملتون) عن الاسلام . إنه يقول : « لو توخّى الناس الحق ، لعلموا أن الدين الاسلامي هو الحل الوحيد لمشاكل الاشتراكية . فهو الذي يتسع للغني والفقير والقوي والضعيف جنباً الى جنب » .

---

(١) فى الكافى ص : ٤٠٤ .

لا رجعية فى الاسلام

الرجعية هي الرجوع الى الوراء في الوسائل المادية للحضارة والبقاء على النمط القديم في فن الزراعة والصناعة ووسائل النقل والتنوير الى ما هنالك من الوسائل المادية . اما ما يتعلق بتكميل الروح الانسانية وتهذيبها أو توجيهها الى خالقها وصانعها فذلك ما ليس للبشر أن تناله يده ، ذلك لأن اليد البشرية مهما كانت سليمة ونظيفة ، فهي في واقع الأمر ملوثة بميول شتى وشهوات ونزوات وغرائز لا مفر منها . ولقد شاهدنا ذلك فيما كتبه الفلاسفة في الأخلاق والمثل العليا وما تبنوا من فلسفات زائفة ، متضاربة ، إن كانت قد أصلحت جانباً فقد أفسدت من جوانب شتى لا تعد .

فوجب بحصر عقلي ان تأتي السنن والنواميس الكمالية والخلقية من من منبع فياض نمير ، من خالق هذه النفوس ، من الله العلي القدير ، لتهدي الناس الى سبل السلام .

يقول آينشتاين : « العلم يخبرنا بما هو كائن ، ولكن الوحي وحده هو الذي يخبرنا بما ينبغي أن يكون » ، ويريد آينشتاين هنا بالعلم : العلم المادي ...

فلا رجعية في الرجوع الى ما سنّ الله تعالى من قوانين ونظم في شتى الحقول التكاملية لهذا البشر الذي دأب أن يفسد في الأرض « والله لا يحب الفساد » (١) . وهو القائل : « ولا تُفسدوا في الأرض بعد اصلاحها ، وادعوه خوفاً وطمعاً ، إن رحمة الله قريب من المحسنين » (٢) . فسنّ قوانين في حقل الكمال البشري ، في الأخلاق والشؤون الاجتماعية والعائلية من قبل الفلاسفة وغيرهم انما هو مخالفة لما أراده الله من كمال للناس في هذه الأرض ، انما هو إفساد وعثو في الأرض : والله تعالى يقول : « ولا تعثوا في الارض مفسدين » (٣) . « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ، اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » (٤) . « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » (٥) .

نعم ، لعلماء الدين أن يسنوا بعض القوانين على ضوء القرآن والسنة النبوية مستخدمين في ذلك علم الاصول فيما يستجد من حوادث ، شريطة أن لا تعارض النصوص السماوية الصريحة في شيء .

وللبشر أهواء ، تتغير من حين لآخر ، فيرى ما أمر الله به ، في يوم ، صحيحاً ، وفي يوم آخر ، غير صحيح ، فيتبادر له أن لكل زمان قانوناً خاصاً به ويجب أن تتبدل القوانين حسب الأزمنة .

ليت شعري ، هل الفضيلة ، في يوم من الأيام ، يجب أن تنقلب الى

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٥ .
(٣) سورة البقرة : ٦٠ .
(٤) سورة الرعد : ٢٧ .
(٥) سورة البقرة : ٢٠٥ .

رذيلة ؟ حتى يقوم مقـام الزواج الشرعي الزواجُ الحر [١] ، كل ذلك لأن هناك تطوراً يجب اتباعه ، والجمود هو الموت بعينه !

أو يقوم مقام الزواج الشرعي ، الزواج الثلاثي :

وهو أن يعيش زوج مع زوجه في بيت ورجل ثالث معهما كما بينا سابقاً . أي تكون الزوجـة خليلة لرجل آخر غير الزوج ، وهم يعيشون معاً في دار واحدة .

وهل من التقدم تعاطي الخمور وقد نهى عن ذلك الدين الاسلامي والطب الحديث ، فقد جاء في الحديث : « شارب الخمر كعابد وثن » .

وهل أكل الربا من التقدم في شيء وان درهماً منه يعادل (من حيث الاثم) سبعين زنيةً مع المحارم في بيت الله الحرام ،كما هو مؤدى حديث نبوي

وهل ترك الصلاة من التقدم في شيء ، وهي مناجاة بين العبد والمعبود وشكر تجاه نعم المنعم جل جلاله ، تلك النعم التي لا تعد ولا تحصى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار » [٢] ، وهي خير وسيلة لإزالة القلق والاضطراب النفسي ومنع الانتحار [٣] !.

وهل الصوم يعارض التقدم ، وهو اذابة المادية في نفس الانسان كي يشعر بجوع البائس المسكين ، وهو نوع اقتصاد للتوفر على قوت الفقير ، لو طُبق تطبيقاً صحيحاً .

وهل الحج رجوع الى الوراء ، وهو مؤتمر اسلامي رفيع لو استفيد

---

(١) الزواج الحر : هو الزواج دون اي عقد او ميثاق . ويقول المتطرفون : الحب افضل دافع للزواج ، فموته سبب الطلاق . وقد اخذ يتفشى ، ومع الاسف ، هذا النوع من الزواج فى المجتمعات الغربية لا سيما فى الولايات المتحدة .

(٢) سورة ابراهيم (ع) : ٣٤ .

(٣) فى كل ثانية تقع حادثة انتحار فى اميركا . فالغرب مصاب بقلق نفسي وامراض عصبية وجنون من جراء فقدان الايمان او ضعفه .

منه وعروج الى مقامات القدس في تلك المواقف القدسية الرهيبة في بيت الله الحرام .

وهل الوضوء أو الغسل خرافة من الخرافات وهي طهارة معنوية يستقبل بها العبدُ مولاه ، يستقبله بهذه النظافة الظاهرية التي تؤثر في طهارة النفس ، ذلك ، لأن العبد لا يأتي بهما إلا تقرباً الى الله المتعال .

وهل الذهاب الى المساجد يناقض التقدم ؟ وهو كسب إفاضات ربانية ينشط بها العبد كي يستقبل امور الدنيا استقبالاً لا جشَع فيه ولا بغيَ ولا فساد .

وهل قطيعة الرحم من التقدم في شيء ، حين أن صلة الرحم خير وسيلة للتساند الاجتماعي وهل تحقير الأبناء آباءهم ، لأنهم لا يعلمون شيئاً عن العلم الحديث ، أمر" تقدمي ، أم دليل على الخبث ونكران الحق وعدم الوفاء وتكبر وتجبر على من أولاه أنواع العطف من نفسه وماله ؟

وهكذا نرى . ليس في الاسلام ما يؤدي الى التأخر الخلقي والتسافل النفسي ، بل كل ما فيه تقدم في حقول شتى ، في حقل النفس والأخلاق والتقرب الى الله المتعال وفي حقل الاجتماع والقضاء والسياسة والاقتصاد وفي حقل العلوم المادية .

***

الاسلام دين التقدم والازدهار ، فقد كان للمسلمين الأوائل الفضل الأكبر في التقدم العلمي في مختلف مجالاته ، سواء في ذلك : المجال العقلي والفلسفي والمجال الأدبي والاجتماعي ومجال العلوم الكونية كالطب والكيمياء والفيزياء والعلوم الطبيعية والرياضية ، الى ما هنالك .

فقد ظلّ العالم العربي المحصور ضمن حدود شبه الجزيرة العربية عالماً غفلاً لم يبدِ أي ازدهار ثقافي أو ما يدل على ذلك الى ان تمّ انتشار الاسلام . تشهد بذلك الجامعات في بغداد و (سالرنو) و (القاهرة) بل وفي (قرطبة) من بلاد الأندلس .

فقد أشاد رسول الله (ص) بنيان العلم أيما اشادة ، وهو القائل : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب » . وقد سئل علي (ع) عن مواضيع شتى في شتى العلوم فأجاب بالبديهة وهو المكتشف لقانون (أرخميدس) وقانون الأجسام الطافية . يظهر ذلك مما حل من مسائل [1] ، لذلك كله ، يحق لمؤرخ غير متعصب من مؤرخي فرنسا أن يقول :

« لو لم يكن حادث اغتيال علي لكان العالم الاسلامي قد شهد تحقق تعاليم محمد في المزاوجة بين العقل والشرع وفي تجسيد المبادىء الأولى للفلسفة الحقة والعمل الايجابي الخلاق » .

لاحظوا الروح التقدمية في كلمات الصادق (ع) [2] ، فقد قال ما مؤداه : « إن استنارة القلب هي روح العلم » ، ثم يقول بالنسبة الى العلم نفسه : « الصدق هدفه ، والالهام دليله ، والعقل مستقره ، والله موجهه » .

حقاً ، إن المكتشفات الحديثة قد تجلت فيها ما أبانه الصادق سلام الله عليه في بيانه : فإن تاريخ العلوم يذكر لنا انه قد كان للالهام أثر بالغ في الاكتشافات والمخترعات .

ومما لا مراءَ فيه : أنه قد كان لأهل بيت الرسول (ع) الفضل الأكبر في تدعيم قواعد الفلسفة الحقة وتفهيم الناس حقائقَ القرآن كما يريده الله تعالى .

نعم ، إن الفلاسفة كـ (غالينوس) و (ديموقراطيس) و (ثمستيوس) و (ارسطوطاليس) و (افـلاطون) و (اقليدس) و (بطلميوس) و

---

(١) راجع كتاب : التكامل فى الاسلام ، الجزء الثاني ص ٢١٤ — ٢١٧ .

(٢) هو الامام السادس : الامام جعفر بن محمد (ع) .

(ابولونيوس) قد بُعثوا بفضل علماء الاسلام من جديد . وان علماء الاسلام قد صححوا أخطاء هؤلاء الفلاسفة بالنسبة الى المبدأ والمعاد على ضوء فلسفة القرآن الحقة وعلم الكلام ، كي لا يتسرب الإلحاد والفلسفة البشرية الحالكة الى معالم الاسلام .

كان المسيحيون يؤمون الكليات الاسلامية من أقاصي أوروبا ويرجعون الى بلادهم حاملين مشاعل العلم والمعارف . وكانت المدارس والأكاديميات زهرات زكية الرائحة تنتشر في أكثر المدن الاسلامية ، فتؤتي أكلها كل حين ، وقد كانت مزودة بمكتبات عامرة تضم عدداً كبيراً من الكتب .

كانت في مكتبة القاهرة أكثر من مليون مجلد ، ستة آلاف منها تبحث في الرياضيات والفلك .

نعم ، قد سبق المسلمون (روكر بيكون) في الطريقة التجريبية عدة قرون . فقد قال علي (ع) : « في التجارب علم مستأنف » . وقد قال رسول الله (ص) مخاطباً علياً (ع) : « لا فقرَ أشد من الجهل ، ولا مال أعود من العقل ولا وحدة أوحش من العُجب ، ولا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف عن محارم الله ولا حسب كحسن الخلق ولا عبادة مثل التفكير » . وكانت الطريقة التحليلية والاستقرائية والاستنتاجية معروفة في التحقيقات العلمية لدى المسلمين .

اما في أوروبا ، في القرون الوسطى ، فقد اغلقت معاهد الدراسة الى الأبد من قبل قسطنطين وأحرقت المكتبات العامة التي أسسها الأباطرة الوثنيون ، وكانت العلوم تعتبر نوعاً من السحر ويُعاقَب من يتعاطاها بتهمة الخيانة . كانت النزعة الدينية تعارض العلم ، في أوروبا ، كل المعارضة ، وكانت هذه النزعة تتمثل في قولهم : « الجهل أبو الاخلاص لله » . حين

أن علياً (ع) كان يقول منذ قرون : « بالعلم يُعرف الله ويوحد » .

لقد نفت الكنيسة من روما جميع المشتغلين بالدراسات العلمية وأحرقت مكتبة (بلاتين) وأعدمت عشرات الآلاف من العلماء الكونيين .

ولقد سبق أبو الحسن (گاليلة) في اختراعه التلسكوب أو المرقب واستعمل كل من مرصد القاهرة ومرصد مراغة التلسكوب بنجاح .

إن المسلمين قد نبغوا نبوغاً مرموقاً في الفلك وجاؤوا بجداول هامة وان نصف أسماء الأنجم لا تزال عربية ، وقد أدخل المسلمون (علم المثلثات) في الفلك وأخذ علم الفلك طوراً رياضياً دقيقاً .

وقد تمكن المسلمون من حساب حجم الأرض وتصحيح أخطاء (بطليموس) في الفلك .

وللمسلمين اكتشافات" هامة في انكسار الضوء وتعيين موقع النجم الصحيح ، وكذلك في علم الميكانيك .

لقد بنى العرب المسلمون أول مرصد في أوروبا ، وها هو جابر بن عافية العالم الرياضي الكبير يضع تصميماً ، فيبني برج اشبيلية ليراقب منه أفلاك السماء . فيحوله الاسبان بعد طرد المسلمين الى حظيرة العجول !

وكذلك كانت حواضر غرب أفريقيا : طنجة ، فاس ومراكش تنافس قرطبة واشبيلية وغرناطة في كلياتها وتخريج علماء متضلعين .

لقد أقامت أوروبا المسيحية الدنيا وأقعدتها لمجرد اتهام باطل : ذلك أن المسلمين هم الذين أحرقوا مكتبة الاسكندرية أيام الفتح ، حين أن حرق هذه المكتبة قد تم زمن (بوليوس القيصر) . الا أن الكتّاب الأوروبيين لا يتلفظون بشيء عما قام به الصليبيون بعد خمسة قرون !

لقد اكتشف المسلمون المثلثات الكروية وطريقة حل المعادلات من الدرجة الرابعة (في الجبر) وعلم تخطيط البلدان وطريقة تسطيح الأرض . وقد

طبقوا علم الجبر على الهندسة ، وهو فتح جديد للهندسة التحليلية .

وكانت أوروبا تعتقد أن الأرض منبسطة . بينما كان العلماء المسلمون يعتقدون بكروية الأرض وكروية المدارات الفلكية وعلى هذا الأساس بنوا علم الفلك .

واما العلوم الطبيعية فقد بُذل في ترقيتها جهد كبير وطبقت الطريقة التجريبية . وكانوا يستعملون حدائق تجريبية (مستنبتات) في كليات الزراعة وكليات العلوم الطبيعية (فرع النبات) ، فكان الاساتذة يستعينون بها .

اما الكيمياء ، فالمسلمون هم المخترعون لها ، ذلك لأن تلميذ الصادق عليه السلام وأعني بـــه جابر بن حيان ، هو الأب الأصيل لعلم الكيمياء الحديثة ولا يزال اسمه خالداً في حقل الكيمياء في دائرة معارف العلوم في لغات مختلفة ولا تقل أهميته عن (برسلي) و (لاووازية) ، وقد صنف جابر ألفي صفحة في الكيمياء من املاء الصادق (ع) على ما ذكره ابن خلكان في تاريخه .

اما اشتهار المسلمين في علم الطب وعلم الجراحة فحدث ولا حرج ، فقد بلغوا شأواً قاصياً في هذين الفرعين .

لقد ظل المسلمون طوال قرون عـــديدة يتدارسون الجسم البشري بموضوعية مثالية وانكباب عظيم . وكانت دراسة المواد الطبية ، تلك الفكرة التي ارتاع لها (ايوكريدس) في مدرسة الاسكندرية ابداعاً اسلامياً محضاً .

ان المسلمين هم الذين اخترعوا علم الصيدلة وهم أول من أسسوا مخازن لتوزيع الأدوية ، فكانت توزع الأدوية مجاناً دونما عوض والموزعون يتقاضون رواتبهم من الدولة الاسلامية . وان أسعار الأدوية وأصنافها كانت محدودة من قبل الدولة الاسلامية . وكان على من يروم أن يعمل في حقل الصيدلة

أن ينال اجازة رسمية ، تقابل الشهادة الجامعية في يومنا هذا .

كما أن المسلمين أسسوا مستشفيات عامة (دور الشفاء) وكان المرضى يُعالجون فيها مجاناً .

وها هو أبو جعفر : (أحمد بن محمد الطالب) يؤلف كتاباً في الماء الأزرق في العين .

واما ابن سينا فكان أبرع أطباء عصره ، كان ذا عقل موسوعي ، فهو فيلسوف ورياضي وفلكي وشاعر وطبيب . فليس بمستغرب أن يسميه رجال الفكر في أوروبا (ارسطو طاليس) الشرق .

وكتاب (حياة الحيوان) للدميري مشهور . فهو تاريخ الحيوانات ، سبق مؤلفه (بوفون) بسبعة قرون .

وكان (الجيولوجيا) [1] : علم طبقات الأرض يدرس باسم : (علم تشريح الأرض) .

وقد نبغ المسلمون في الفن المعماري وان آثارهم تتجلى فيما بنوا من مساجد وقصور وجسور وما هنالك من زخرفة ونحت جميل في حدود الشرع الشريف .

وللمسلمين اليد الطولى في البحث والتنقيب التاريخي والجغرافية وكذلك في الزراعة والتجارة وكثير من الصنائع .

أما العمل فمقدس في الاسلام أيما تقديس . انه تعالى يقول : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » وفي آية أخرى : « ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم معايشَ ، قليلاً ما تشكرون » وفي آية اخرى : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » . وهو القائل جل جلاله : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم

---

(١) Géologie

تشكرون » [١] .

واقرأ معي أحاديث أهل البيت (ع) في الحث على العمل :

فعن الصادق : جعفر بن محمد (ع) كما في اصول الكافي ص ٣٥١ : « إن الله عز وجل يبغض كثرة النوم وكثرة الفراغ » . وعن موسى بن جعفر عليه السلام : « إياك والكسل والضجر ، فانهما يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة » . وفي الوسائل في الجزء الثاني ص ٥٣٤ عن جعفر بن محمد (ع) : « لا تكسلوا في طلب معايشكم . فإن آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها ». وعن النبي (ص) : « ملعون من ألقى كلّه على الناس » .

وفي الكافي ص ٣٥٠ عن جعفر بن محمد (ع) : « اقرؤوا من لقيتم من أصحابكم السلام ، وقولوا عليكم بتقوى الله عز وجل وبما يُنال به عند الله . اني والله ما آمركم الا بما نأمر به أنفسنا . فعليكم بالجد والاجتهاد . واذا صليتم الصبح فانصرفتم فبكروا في طلب الرزق واطلبوا الحلال ، فان الله عز وجل سيرزقكم ويعينكم عليه » .

وفي الكافي الجزء الثاني ص ٤١٥ عن جعفر بن محمد (ع) : « لا تدع طلب الرزق من حلّه واعقل راحلتك وتوكل » .

وفي الوسائل ج٢ ص ٥٣١ . عن فضل بن أبي قرة : قال : دخلنا على أبي عبدالله (ع) وهو يعمل في حائط له . فقلنا : جعلنا الله فداك ، دعنا نعمله لك أو تعمله الغلمان . قال : « لا ، دعوني ، فإني اشتهي أن يراني الله عز وجل أعمل بيدي وأطلب الحلال في أذى نفسي » .

وعن علي بن أبي حمزة [٢] . قال : « رأيت أبا الحسن (ع) يعمل في أرض له ، قد استنقعت قدماه في العرق . فقلت : جعلت فداك : أين الرجال ؟. فقال : « يا علي ، قد عمل باليد من هو خير مني ومن أبي في أرضه . فقلت :

---

(١) سورة القصص : ٧٣ .

(٢) الكافي ، ج ٢ — ص — ٥٣١ .

ومن هو ؟ فقال : رسول الله وأمير المؤمنين وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين » .

بمثل هذه الأحاديث ، وجد نشاط عديم النظير في العالم الاسلامي في حقل التجارة والزراعة . وإن الحكام والقواد ما كانوا ليأنفوا من أن يلقبوا أنفسهم بأسماء المهن التي كان يتعاطاها أجدادهم . كيف لا ، وان الرسول الأمين (ص) يقول : « إن الله يحب عبداً يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس . وإن الله يحب العبد المحترف » .

وفي الوقت الذي يحث الدين الاسلامي الناس على العمل المثمر يريد بهم أن لا يشذوا عن طريق الحق والصواب . وان تكون الفضيلة هي الحاكمة في المعاملات .

فعن النبي (ص) : « ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ماكره » . وعن أبي عبدالله (ع) : « غبن المؤمن حرام » .

وفي حديث عن جعفر بن محمد (ع) : عليك بصدق اللسان في حديثك ولا تكتم عيباً يكون في تجارتك ولا تغبن المسترسل فإن غبنه لا يحل ، ولا ترضَ للناس الا ما ترضى لنفسك وأعطِ وخذه ولا تحِف ... الى أن قال : « التاجر فاجر الا من أعطى الحق وأخذه » ...

وفي الوسائل ج ٢ ص ٥٦٢ : عن النبي (ص) : «من غش مسلماً في شراء أو بيع فليس منـا ، ويحشر يوم القيامة مع اليهود ، لأنهم أغش الخلق للمسلمين » .

وقد حث الاسلام الناس على تشغيل أموالهم وعدم تجميدها . ففي الوسائل ، عن زرارة عن أبي عبدالله (ع) ... قال : « ما يخلف الرجل بعده شيئاً أشد عليه من المال الصامت . قال . قلت له عليه السلام . كيف يصنع به ؟. قال : يجعله في الحائط والبستان والدار .

يقول الراوي سمعت أبا عبدالله يقول : « لا خير في مَن لا يحب جمع المال من حلال : يكف به وجهه ويقضي به دينه ويصل به رحمه » .

واسمع ماذا يقول معلّى بن خنيس عن أبيه . قال ، سأل أبو عبدالله عليه السلام عن رجل وإنا عنده . فقيل له : أصابته الحاجة . قال : فما يصنع اليوم ؟ قيل : في البيت يعبد ربه . قال . فمن أين قوته ؟ قيل : من عند بعض إخوانه . فقال أبو عبدالله عليه السلام : « والله ، الذي يقوته أشد منه عبادة » . وعن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام : قال : « من طلب الرزق في الدنيا استعفافاً من الناس وتوسيعاً على أهله وتعطفاً على جاره لقي الله عز وجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر » .

وعن جعفر الصادق (ع) : مكتوب في التوراة : « انه من باع أرضاً أو ماءً ولم يضعه في أرض أو ماء ذهب ثمنه محقاً : (أي بطل ثمنه وذهبت بركته) » . وعنه (ع) : «مشترى العقدة مرزوق ، وبائعها ممحوق» : (العقدة أي العقار) .

لقد انشأ المسلمون كثيراً من قنوات الري في البلاد التي فتحوها ، وخير دليل على ذلك : آثار القنوات في أسبانيا .

لقد حفَر المسلمون مناجم النحاس والحديد والزئبق والكبريت في أسبانيا ، كما نشروا هنالك صناعة نسج الحرير واستخلاص الورق وشي الخزف والفخار ودبغ الجلود .

ولا تزال الأواني الصينية التي عرفت بها (قرطبة) والمنسوجات الصوفية التي اشتهرت بها (مرسية) وحرائر (غرناطة) و (المرية) و (اشبيلية) [1] والحلى الذهبية من (طليطلة) والكاغذ في (سالبة) مضرب المثل حتى في أوروبا الحديثة .

وقد كان لحكام أسبانيا اسطول تجاري ينوف على ألف سفينة كما كان

(١) روح الاسلام : للسيد امير علي

لهم وكلاء ومصانع أقاموها على ضفاف الدانوب .

نعم ، كان للمسلمين منجزات هامة في حقل الفكر ، ذلك لأن تعاليم نبينا محمد (ص) كانت تعاليم تدعو الناس الى التفكر والتدبر في أسرار الكون ، كيف لا وان القرآن الكريم ينادي منذ أربعة عشر قرناً : « قل سيروا في الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ، إن الله على كل شيء قدير » (١) . « فلينظر الانسان مم خلق » (٢) ، « قل انظروا ماذا في السماوات والارض ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » (٣) ، « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نُصبت والى الارض كيف سُطحت » (٤) . « أولم يَروا الى ما خلق الله من شيء » (٥) .

نعم ، خلال قرون الجدب الأدبي والفكري في أوروبا كان الاسلام يحمل مشعل المدنية ويتقدم الى الأمام ، فهل الاسلام إذن دين رجعي أم تقدمي؟

ومنذ القرن الرابع حتى القرن السابع عشر الميلادي ظلت سحب الضباب تنعقد في سماء أوروبا بعضها فوق بعض ، وقد سادت طوال هذه العصور العصبية الدينية المقيتة في أوروبا ، وكان الاسلام بثقافته الحرة ينفذ الى مجاهيل العالم ليثير فيها حب الخالق والمخلوق وليدفع الانسانية الى عتبة مرحلة جديدة في مضمار التقدم والارتقاء . وهكذا كانت تظهر معالم التقدم في آكاديميات سالرنو وبغداد ودمشق وقرطبة وغرناطة .

كان الحكام يساعدون على نمو الفكر الحر في الحقل العلمي ولم يتعرضوا الى بقية الأديان ، بل كان التسامح شعارهم ، فازدهرت العلوم

---

(١) سورة العنكبوت : ٢٠ .
(٢) سورة الطارق : ٥ .
(٣) سورة يونس : ١٠١
(٤) سورة الغاشية : ١٧ — ٢٠ .
(٥) سورة النحل : ٤٨ .

الطبيعية كنتيجة حتمية لحرية الفكر في الاسلام . ولكن الضغط على حرية الفكر في أوروبا كان قد بلغ أقصاه . وبعد أن كان المسلمون قد حولوا أسبانيا الى حديقة غنـاء للعلوم والمعارف جاءت المسيحية فجعلتها صحراء مقفرة ، فخلت الحواضر من الكليات والمدارس وحولت الى كنائس واحرقت الكنوز الأدبية والعلمية هناك .

***

لقد أخطأ (ارنست رنان) في كتابه : « الاسلام والعلم » حيث قال : « إن الاسلام قد حارب العلم والفلسفة » لعله في كلامه هذا أراد أن يقرن الاسلام بالمسيحية التي حاربت العلم في القرون الوسطى وأبادت كثيراً من العلماء الكونيين ، حتى أنك ترى أن (لاروس) يستهزىء في قاموسه بالدين حين يريد أن يفسر كلمة Religion [1] ، ويقول : « الدين انما هو مجموعة مقررات تنافي العقل والفكر الحر ! » . حين أن الاسلام يقول : « لا دين لمن لا عقل له » . « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » [2] . « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » [3] .

يقول علي (ع) : « إنه أرسل أنبياء ليثيروا في الناس دفائن عقولهم ويهدوهم الى معايش تحييهم » . وهذا دستور يحقق سعادة الدنيا في حقل الفكر والعلم والمخترعات وفي حقل الاقتصاد والاجتماع ويحقق سعادة الآخرة في حقل التوجه الى الله وتزكية النفوس والفلسفة الحقة .

ان القرآن الكريم قد عظّم أمر العلماء في جملة آيات بقوله : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب » .

---

(١) الدين .
(٢) سورة اسرى : ٣٦ .
(٣) سورة الفرقان : ٤٤ .

« يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات » . « شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط » وندب الى البرهان وأراد بالناس أن لا يتقبلوا مبدءاً أو عقيدة أو مسلكاً من المسالك دونما دليل بقوله : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » وبقوله : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنـا ، إن تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » (سورة الأنعام : ١٤٨) .

وحظر عن الظن والعمل به في العقائد والمسالك : بقوله : « وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون الا الظن وإن هم الا يخرصون » ، وأراد بالناس اتباع العلم الصحيح لا الظنون والأهواء . فقال رداً على الدهريين : « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ، إن هم الا يظنون » . وبقوله : « وما لهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغني من الحق شيئاً » (سورة النجم : ٢٨) .

***

كان العلم في القرون الوسطى منحصراً فيما كان قد قاله ارسطو أو افلاطون أو أحد الفلاسفة القدماء دون تمحيص أو تحقيق في أقوالهم . وإن أكبر برهان عندهم أن يقال : قال ما جستر [1] كذا وكذا .. يقصد بذلك افلاطون او أرسطو أو غيرهما من الفلاسفة القدماء . حين ان نظريات فلاسفة اليونان عن الكون كانت تخيلية بحتة ، ومن جملة أقوالهم : ان حركة الشمس حول الأرض يجب أن تكون دائرية ، لأن الدائرة أكمل الاشكال ! وهكذا ...

ولكن القرآن كان ينادي قبل ذلك بعدم قبول شيء دونما دليل أو برهان . واسس للناس أسس الفلسفة الوضعية (Positivisme) التي لم

(١) ماجستر . Magister

تعرف في أوروبا الا في القرن التاسع عشر الميلادي ، فلسفة تبتني على الحقائق العلمية الثابتة لا الظنون والتخيلات الواهية . لذلك كان يقول (پوانكاره) العالم الرياضي : « نحن الرياضيين انما نعمل لأجل الفيزياء والفسلفة » . كل ذلك لأن الفلسفة في القرن التاسع عشر صارت تستفيد من المكتشفات الحديثة لتقول كلمتها عن الكون والوجود .

وها هو (برگسون) صار من كبار الموحدين ، وكان يستدل في توحيده تعالى بما أودع الله تعالى من نظام خارق دقيق في بطن الذرة ، نظام محيّر للعقول لا يتأتى الا عن حكيم خبير . نظام دقيق الصنع ذو دساتير ثابتة وسرع معينة ومنحنيات عجيبة بعيد عن الصدفة كل البعد ، نظام يذيب الشك ويفني كل تردد . انه تعالى دعا الى التوحيد بطريق برهاني بقوله : « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكافرون » [1] . « أم اتخذوا من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » [2] . « وفي آية أخرى : « ونزعنا من كل أمةٍ شهيداً ، فقلنا هاتوا برهانكم ، فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون » [3] .

وكفى الاسلام فخرا أنه دعا الى حرية الفكر وتقبل أصح الآراء وأسدها وذلك بقوله : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » [4] ومنع من التقليد الأعمى بقوله : « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » [5] .

---

(١) سورة المؤمنون : ١١٨ .
(٢) سورة الانبياء : ٢٤ .
(٣) سورة القصص : ٧٥ .
(٤) سورة الزمر : ١٨ .
(٥) سورة المائدة : ١٠٤ .

وكم من آيات في القرآن الكريم تحث الناس على التفكر والتعقل : « أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها » [٣] ، « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودةً ورحمة ، ان في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون » [٤] . « إن في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابةٍ وتصريف الرياح والسحاب المسخَّر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » [٥] . « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَراً ورزقاً حسناً ، إن في ذلك لآيةً لقوم يعقلون » [٦] .

ولنذكر ما قاله بعض كبار الغربيين عن الاسلام : يقول (لواندركوذرد): « ليس في الاسلام كهنوت ولا سلطة كنيسة ، لكنه يضع للحكومات دستوراً » ويقول : (جيبون) : « الدستور الاسلامي دستور شامل موحد بين الجميع من الرأس المتوج الى أبسط الاشخاص ، لأنه يقوم على حكمة أنتجها أوسع العقول معرفةً وعلماً بهذه الحياة » .

ويقول (دافيد يوو) : « القرآن دستور اجتماعي ، مدني ، تجاري ، حربي ، قضائي . وهو فوق ذلك كله قانون سماوي عظيم » .

ويقول (كارليل) : « من المسلم به أن محمداً لم يكتب ولم يقرأ ، ولم يتلق تعليماً مدرسيا ، لكنه عُرفَ منذ نشأته بالرجولة وسموا التفكير والأمانة وإصالة الرأي في كل ما يقول وما يعمل . وتاريخ حياته يثبت أنه كان دائماً رجلاً اجتماعياً وصديقاً صدوقاً ومخلصا ودوداً » .

ويقول (وليم موير) : « جميع حجج القرآن طبيعية ودالة على عناية

---

(٣) سورة محمد (ص) : ٢٤ .
(٤) سورة الروم : ٢١ .
(٥) سورة البقرة : ١٦٤
(٦) سورة النحل : ٦٧ .

الله بالبشر » .

ويقول (برناردشو) : « لابد ان تعتنق الامبراطورية البريطانية النظم الاسلامية قبل نهاية هذا القرن ، ولو أن محمداً بُعث في هذا العصر وكانت له ديكتاتورية على هذا العالم الحديث لنجح تماماً في حل جميع المشكلات العالمية وقاد العالم الى السعادة والسلام » .

فاذا كانت الرجعية معناها : كل عائق عن التقدم أو الرجوع الى الاصول البالية المانعة عن الارتقـاء والازدهار فأي أمر من أوامر الاسلام أو أي نهي من نواهيه وأي تعليم من تعاليم القرآن أو السنة النبوية يقف حجر عثرة دون التقدم في تفهم الانسان الحياة والكون والوجود تفهماً يعوقه عن الارتقاء في حقول التكامل النفسي والاجتماعي . أو حقول المكتشفات والمخترعات ؟

إذن : القضية ليست قضية الرجعية أو التقدمية بالمعنى الصحيح . وانما مرض في النفس ، يريد صاحبها أن ينفلت من دساتير وآيات بينات أرسلها الله تعالى لتكميل البشر على ألسنة أنبيائه (ع) . إن الله تعالى يصف هؤلاء بمرض في القلب أو النفس . بقوله : « في قلوبهم مرض » [١] .

والمرض النفسي لابد من معالجته ، معالجة روحية . وليس هـذا المرض الروحي من النوع الذي يعالجه علماء النفس أو الأطباء النفسانيون . وانما هو مرض روحي عقائدي جاء من جراء الذنوب والآثام : « كذلك حقّت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » [٢] . نعم ، الاجرام هو الذي سد عليهم أبواب الايمان وجعلهم مرضى في النواحي النفسية . « ومن أظلم ممن ذُكّر بآيات ربه فأعرض عنها ، إنا من المجرمين منتقمون » [٣] .

---

(١) سورة البقرة : ١٠ .
(٢) سورة يونس : ٣٣ .
(٣) سورة الم ـ السجدة : ٢٢ .

والفسق هو السبب الرئيس للضلال : بقوله تعالى : « فهل يُهلك الا القوم الفاسقون » (٤) . وبقوله : « واما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ، يُضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يُضل به الا الفاسقين » (٥) . وبقوله : « ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون » (٦) .

إن أطباء هذا المرض النفسي هم الأنبياء (ع) وخاتمهم نبينا محمد (ص) فما لم يعالج هذا النوع من المرض بوصفات أو علاجات قد عينها نبينا محمد صلى الله عليه وآله لا يمكن أن يرجع المريض عن غيه ، فيرى الحق حقاً والباطل باطلاً ، يرى ما هو رجعي حقاً رجعياً وما هو تقدمي حقاً تقدمياً . « فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور » (١) .

فطوبى لأولئك الشبان الذين لم تخدعهم بهرجة الغرب بروائها وجمالها الخداع ، فميّزوا بين الباطل والحق ، بين نظام يدعو الى الشهوات ونظام يدعو الى تساند اجتماعي فيه الكمال الانساني والفوز بسعادة النشأتين : ألا وهو نظام الاسلام ... فتمسكوا به تمسكاً ملؤه الاخلاص ، وصاروا يضحون من نفوسهم ونفائسهم لاعلاء كلمة الله في الارض ، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم ، محققين مصداق هذه الآية الشريفة : « والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبلنا وإن الله لمع المحسنين » (٢) . راجين في عملهم رحمة الله ومرضاته تعالى : جاعلين هذه الآية الشريفة هدفاً لهم : « ومن الناس مَن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رؤوف بالعباد » (٣) .

---

(٤) سورة الاحقاق : ٣٥ (٥) سورة البقرة : ٢٦ .
(٦) سورة البقرة : ٩٩ .
(١) سورة الحج : ٤٦ . (٢) سورة العنكبوت : ٦٩ .
(٣) سورة البقرة : ٢٠٧ .

الزوجية فى الكون

يقول الله تبارك وتعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » [1] ...

إن هذه الآية تتحقق أكثر من ذي قبل كلما تقدمت العلوم الحديثة وتعرف العلماء الى باطن الذرة وما فيها من عالم عجيب : عالم قائم بذاته من حيث الأنظمة والقوانين ، لا يعتريها أي تغير وانثلام .

فترى أن الله تعالى قد أودع في الذرة ، (وهي ما لا ترى بالعين المجردة ولا بالمكبرات : المجاهر : ميكروسكوب) ، ألكترونات في الأطراف وهي كهربائية سالبة : (—) تدور بصورة اهليليجية حول المركز بسرعة فائقة ، بسرعة ألفي كيلو متر في الثانية ، وهذه أعظم سرعة عرفت لحد الآن على وجه الأرض ، وترى في مركز الذرة : (النواة) قد تكدست البروتونات وهي كهربائية موجبة (+) .

وقد جعل الله في هذه الذرة خلاءً يحير العقول وذلك بين الالكترون والبروتون ، بحيث لو رفع هذا الخلأ لكانت الأرض بحجم البرتقالة ولكن وزنها وزن الأرض تماماً .

فالبعد بين الألكترون الذي يدور في أطراف الذرة والبروتون المستقر في مركز الذرة كالبعد بين الأرض والشمس في منظومتنا الشمسية تقريباً . فكأن كل ذرة من حيث التشكيلات والأبعاد والمسافات كالمنظومة الشمسية مع حفظ النسبة . ذلك لأن نواة الذرة تحتوي على ٩٩٫٩ في المائة من الوزن

(١) سورة حم ـ السجدة : ٥٣ .

الذري ، كما أن الشمس تحوي ٩٩ر٩ في المائة من وزن المجموعة الشمسية : « الذي خلق سبع سماوات طباقاً ، ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت » [١] . فأبسط الذرات ، انما هي ذرة (الإيدروجين) .

(الايدروجين) غاز مشتعل (قابل للاشتعال) يشغل قسماً عظيماً من هذا الكون الرحيب !. ولذلك سمي : بالغاز الكوني . وهو أهم عنصر في الماء الذي نشربه . اذ أن دستور الماء في علم الكيمياء : H_2O . أي يوجد في كل جزيء من الماء حجمان من الإيدروجين وحجم واحد من الأوكسيجين ، وهو غاز تتنفسه ، ولولاه لاستحالت الحياة ...

يوجد في ذرة (الإيدروجين) الكترون واحد (—) يدور حول بروتون واحد (+) في المركز . وهو أبسط العناصر .

ويأتي في ترتيب العناصر ، بعد الايدروجين ، العنصر المسمى بـ (هليوم) وهو غاز غير محترق تملأ به المناطيد (البالون) .

يوجد في أطراف ذرة (الهليوم) الكترونان (—) ، (—) يدوران حول المركز . اما في مركز الهليوم فيوجد بروتونان : (+) ، (+) وبجنبهما : نيوترونان : $(\overline{+})$ ، $(\overline{+})$ ، .

النيوترون ، جسيم صغير جداً مؤلف من شحنة كهربائية موجبة وشحنة كهربائية سالبة وهما متعادلتان . فالنيوترونات متعادلة من حيث الكهربائية .

واما العنصر الثالث من حيث (العدد الذري) أو ترتيب العناصر . فهو : (ليثيوم) . ففي نواته : أي في مركزه يوجد ٣ بروتونات (+) ، (+) ، (+) وبجنبها ٤ نيوترونات : $(\overline{+})$ ، $(\overline{+})$ ، $(\overline{+})$ ، $(\overline{+})$ ، وتدور في الأطراف (أي في أطراف عنصر الليثيوم) ٣ الكترونات : (—) ، (—) ، (—) .

---

(١) سورة الملك : ٣ .

وأما ذرة الكالسيوم ففيها ٢٠ الكترونا تدور في الأطراف في مدارات مختلفة وبسرع معينة وبنظام دقيق حول النواة : (المركز) وفي المركز : ٢٠ بروتوناً وبجنبها ٢٠ نيوتروناً .

ثم ، نحن اذا جمعنا عدد النيوترونات مع عدد البروتونات في كل ذرة ، يعطينا هذا المجموع : الوزن الذري (mass number) .

ان ذرة الإيدروجين يختلف بعضها عن بعض حسب عدد النيوترونات الموجودة في المركز .

فاذا كان في المركز : (نيوترون واحد) ، سمي هذا الايدروجين بـ (الإيدروجين الثقيل) . ففي نواة الايدروجين الثقيل يوجد نيوترون واحد . وان المعادلة الآتية توضح الوزن الذري للايدروجين الثقيل : ١ بروتون + ١ نيوترون = ٢ . فيقال : الوزن الذري للايدروجين الثقيل = ٢

وعند اتحاد الايدروجين الثقيل بالأوكسيجين نحصل على ما يعرف الآن باسم : (الماء الثقيل) .

فدستور الماء الخفيف الكيماوي هو : H_2O حين أن دستور الماء الثقيل : H_2O_2 .

فالإيدروجين تختلف طبيعة ذراته ، منها ما هي خفيفة تبلغ كثافتها نصف كثافة الذرات الثقيلة . فاذا اتحدت الذرات الثقيلة من الايدروجين مع الأوكسيجين كوّنت ماءاً يختلف عن الماء العادي . ولهذا الماء تأثير سام على الكائنات الحية ، ويوقف نمو البذور ويميت أجنة الأحياء وهي في مهدها . هذه هي صفات الماء الثقيل .

ثم هناك نوع ثالث من الإيدروجين . فيوجد في مركز هذا النوع من الايدروجين : نيوترونان بجنب البروتون . ويسمى بالإيدروجين الثلاثي . ووزنه الذري : ٣ ذلك لأن : ١ بروتون + ٢ نيوترون = ٣ .

إذن هنالك ثلاثة أنواع من الايدروجين • وتسمى هذه بالنظائر العادية •

وقد تكون للعنصر الواحد عدة نظائر لاختلاف عدد النيوترونات في النواة لنفس العنصر • ومعنى ذلك : انه قد يكون لعنصر واحد : (مثلا : كاربون) عدة أوزان ذرية ، لاختلاف عدد النيوترونات في النواة في نفس العنصر •

وقد وجدوا (للأورانيوم) ١٢ نظيراً • واما عدد النظائر التي وجدوها لمختلف العناصر فتتجاوز الألف • وان العلم يعمل اليوم لأجل كشف هذه النظائر لمختلف العناصر • ويظفر العلم يوماً بعد يوم بما أودع الله تعالى في بطن الذرة ، (هذه التي لو جمعت عشرة ملايين منها لما تجاوزت رأس الابرة) من خصائص ونظام • نظام محيِّر للألباب ، نظام يجعل الفيلسوف الافرنسي : (برگسون : Bergson) يؤمن بالله تعالى حينما يرى عالماً عجيباً في شيء بالغ في الصغر ، بحيث لا يرى بأدق الآلات • عالماً يستدعي التفكير والبحث أبد الآبدين : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، ان الله عزيز حكيم » (١) •

واما النشاط الإشعاعي فهو نشاط ينتج من اضطراب نواة الذرة بسبب اختلال النسبة التي أرادها الله تعالى أن تكون بين عدد النيوترونات وعدد البروتونات حال الاستقرار •

وان هذا الاضطراب إنما ينتج بادخال بعض البروتونات أو النيوترونات في النواة • وذلك : بأن تواجه النواة بإدخال بروتونات جديدة أو نيوترونات جديدة فيها • فتختل النسبة التي كانت موجودة في النواة حالة الاستقرار بين البروتونات ، ولهذا السبب تضطرب النواة وتضطر الى محاولة لاصدار نوع خاص من الاشعاعات المختلفة حتى تصل الى حالة الاستقرار •

---

(١) سورة لقمان : ٢٧ •

هذا هو أساس تحطيم الذرة وتفتيتها . وهذا هو الأساس لتبديل العناصر بعضها الى بعض ، وهذا هو أساس تحول المادة الى الطاقة .

فان الطاقة المتحررة من كتلة : ك تساوي مربع سرعة الضوء في الكتلة أي أن الطاقة أو ط ط = ك س٢

وبما أن سرعة الضوء = ٣٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ كيلومتر في الثانية أي : ٣٠٠ ٠٠٠ كم/ثانية إذن : الطاقة المتحررة عند تحطيم ذرة كتلتها ك من الغرامات ، أي :

ط = ك × ٣٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ × ٣٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ = ك × ٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

= ٩ × ١٠٢٠ ك

فالمادة إذن صورة من صور الطاقة . وان الغرام الواحد من المادة يتحول الى ألف مليون مليون مليون وحدة من وحدات الطاقة . ووحدة الطاقة تسمى بـ (أرگ : Erg) . أو أن الغرام الواحد من المادة يتحول الى ٢٥ مليون كيلووات/ساعة من القوة الكهربائية . أي ما ثمنه نحو (٥٥٠) الف دينار .

***

وقد علم مما سبق أن النظرية المادية قد فندت من أساسها بعد تحول المادة الى طاقات هائلة . فيحكم العقل بصورة فطرية : أن الله تبارك وتعالى قد خلق طاقات هائلة في بادىء ذي بدء بقوله : (كُن) ، ثم أمرها أن تتكدس تحت ترتيب خاص ونظام دقيق فتكون بإذنه تعالى سُدما (جمع سديم) ، فهذه العناصر ، فالأجسام ، فالمجرّات ، فالأجرام ، فالشموس ، فالكواكب ، فالأقمار ... الخ ..

يلاحظ أن العالم كله مشكل من نوعين من الكهربائية ، كهربائية موجبة : (+) ، وكهربائية سالبة : (—) . واما النيوترون الذي هو بجنب البروتون في نواة الذرة فهو خليط من كهربائية موجبة وسالبة

متعادلة : (∓) ، إذن العالم مشكل من نوعين من الطاقات : كهربائية موجبة : (+) وكهربائية سالبة : (—) وواضح أن السالب غير الموجب ، كما أن الانثى غير الذكر . وهكذا نرى أن الزوجية متأصلة بأمر الله تعالى في أدق الأشياء . فالغاز الكوني : (الإيدروجين) وهو من أبسط العناصر مشكل من الكترون واحد (—) وبروتون واحد (+) . وهذا يفسر قوله تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » [1] .

ونرى أن القوى أو الطاقات التي تتألف منها العوالم هي بالمآل اما كهربائية أو مغناطيسية . فبالكهربائية أيضا نحصل على مغناطيسية وذلك بلف سلك حول قطعة من حديد وإمرار تيار كهربائي في هذا السلك . فتتمغنط قطعة الحديد ويحدث فيها قطبان : القطب الشمالي والقطب الجنوبي كقطعة من مغناطيس طبيعي . وبتدوير ملف من الأسلاك في مجال مغناطيسي (كما في الدينامو) نحصل على الكهرباء . (التيار الكهربائي) . لذلك كان يقول : (آينشتاين) : انما العالم مجموعة قوى (كهربائية ــ مغناطيسية) أو (كهرطيسية) . فأين المادة التي كان يتشدق بها لينين ؟!

نحن نشاهد الزوجية حتى في القوى والطاقات ، وفي الجن أيضاً ، كل ذلك ، لتبقى الوحدانية خاصة بالله تعالى لا يشاركه فيها أحد .

وإن الزوجية معروفة في النباتات ، ذلك لأن في الزهرة عضو التذكير (الأعضاء الذكرية) وعضو التأنيث (العضو الأنثوي) . وبعد أن تنضج الأعضاء الذكرية والانثوية في الزهرة ، يحصل التلقيح وتبدأ الثمرة بالتكوّن من الجزء الانثوي .

وان الزوجية متجلية في الحيوانات وكذلك في الانسان : انه تعالى يقول : « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما

---

(١) سورة الذاريات : ٤٩ .

لا يعمون » (سورة يس : ٣٦) . فالله تبارك وتعالى أخبرنا قبل ١٤ قرناً أن هناك زوجيةً في ما لا نعلم من أشياء . وقد اكتشف حديثاً ان الزوجية متأصلة بأمر من الله تعالى حتى في الذرة التي لا ترى بالعين .

ويقول تعالى أيضا : « فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم » (سورة الشورى : ١١) . (يذرؤكم أي : يكثركم) .

لذلك يقول : (مونتني) الفيلسوف الفرنسي : إن أعظم دليل على وجود الله هو وجود المرأة (الأنثى) للرجل . فهل يعقل ان الرجل خلق لنفسه أنثى لإدامة النسل البشري ؟» .

وان الله تعالى تحقيقاً للزوجية وهذا الانجذاب الجنسي جعل تردد صوت المرأة : (٢٢٠) في الثانية كما هو معروف في الفيزياء وجعل تردد صوت الرجل (١١٠) في الثانيـــة ، ليكون صوت المرأة أرقَّ وأجمل من صوت الرجل . فيتحقق الانجذاب الجنسي ادامةً للنسل البشري .

وبصورة عامة لا يكون التوالد وتوليد المثل الا باختلاط وانضمام خليتين احداهما ذكر وتسمى (اسپرماتوزوئيد) والأخرى أنثى وتسمى : (اوول) .

***

ان دراسة الطائر المسمى بـ (اكسپكلوپ) وما يقوم به من عمل دقيق لإدامة نسله خير دليل على وجود الصانع وايحاء الله تعالى الطائر الطريقة الناجحة لابقاء النسل . ذلك لأن هـــذا الطائر لا يرى نسله ويموت فور إلقائه البيض . كما أن الأفراخ لا ترى وجه الأم . ذلك لأن الأفراخ هي كالديدان بعد الخروج من البيض ، لا تقوى على تهيئة غذائها والدفاع عن نفسها ودفع الطوارىء التي تهدد حياتها . وعليها أن تقضي سنة كاملة في

مكان وادع رصين وأن يكون الغذاء بجنبها وفي متناولها . ولذلك ، فإن الأم حين شعورها بأنه قد قرب أوان بيضها تحصل حالاً على قطعة من خشب وتحدث فيها ثقباً عميقاً . ثم تقوم فتفتش عن غذاء (لأفراخها التي لا تراها بعد موتها) من الأوراق والأوراد ما يكفي لسنة كاملة وتضع هذا الغذاء في منتهى الثقب وتضع فوق هذا الغذاء بيضةً واحدة وتبني عليها سقفاً محكماً من عجين الأخشاب ثم تذهب لتجمع غذاء لسنة كاملة أيضا ، فتأتي به وتضعه في الثقب على ذلك السقف وتضع عليها بيضة وتبني عليها سقفاً ثانياً ، وهكذا تصنع عدة طبقات وكل طبقة فيها غذاء لسنة كاملة وفوقه بيضة وهي تموت بعد اتمام العمل فوراً ولا ترى أفراخها . لا تقع للأم هذه الحادثة إلا مرة واحدة طوال عمرها وفي فصل الربيع فقط .

حقاً ، لولا الإلهام الالهي لما قامت الأم التي تموت حالاً بعد البيض ، (الأم التي لا ترى أفراخها) بهذه العملة لادامة نسلها ، فإن قلنا انها تعلمت ، فكيف حدث هذا الحادث لأول مرة ، دون تجربة سابقة .

ثم إن الله تعالى جعل شريكاً للانسان وهو الجن ، فالانسان لا يُحشر وحده يوم القيامة وانما يُحشر معه الجن أيضا . يقول تعالى : «ويوم يحشرهم جميعاً ، يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس » . وفي آية أخرى : « يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل" منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا شهدنا على أنفسنا » وقوله تعالى : « قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار ، كلما دخلت أمّة لعنت أختها » . وفي آية أخرى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس » .. الى ما هنالك من آيات اخرى، كلها تدل على ان الجن محاسبون يوم القيامة كالانس، وكلاهما مكلفان في هذه الدنيا بتكاليف وبأوامر ونواهي . وان محمداً (ص) قد بُعث للانس والجن كافة : « واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون

القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضي ولّوا الى قومهم مُنذرين » وفي سورة الرحمان : « فبأي آلاء ربكما تكذبان » ، فهنا يخاطب الله تعالى الانس والجن معاً .

***

وقد عُلم أن الزوجية تتحكم حتى في النجوم . فهناك تزاوج ظاهري في النجوم .

ومع كثرة النجوم في هذه السماء الواسعة غاية الوسع فإن الفواصل بين النجوم فواصل هائلة وابعاد شاسعة جداً . وان أقرب نجم الى شمسنا هذه يبعد عنها ٢٦ مليون مليون ميل . إذن يحق لنا أن نقول : ما أفرغ هذه السماء ، وما أشد وحشة النجم الواحد في هذا الفراغ الهائل ! ولكن شاء الله تعالى ، أن يجعل الأشياء كلها حتى النجوم مزدوجة ! تتحكم فيها الزوجية ليكون التفرد والوحدانية خاصة به تعالى « ليس كمثله شيء » .

فاذا نظرت الى السماء بالمنظار لرأيت نقطتين مضيئتين مقتربتين في السماء أشدّ الاقتراب . واحدة زرقاء والأخرى برتقالية أو حمراء . انهما نجمان يشد بعضهما بعضا ويدور أحدهما على الآخر . أي ينجذب أحدهما من قبل الآخر تحقيقاً للتزاوج . ونحن حيثما وجهنا المنظار (التلسكوپ) الى السماء وجدنا أزواجاً من النجوم . انها ألوف ألوف . انها الثنائيات النجمية ، مداراتها اهليليجية ذات تفرطح عظيم . هذه هي هندسة الكون : مدارات اهليليجية وكم من الصعب رسم منحنٍ اهليليجي في الفضاء ثم جعل النجوم تدور بموجبه دونما حَيد . انها هندسة دقيقة تدل على عظمة واضعها وهو الله الواحد القهار .

ومن أشهر هذه الأزواج (الشعرى اليمانية) وصاحبتها بل صاحبها . فإذا نظرت الي الشعرى اليمانية في فصل الشتاء في أوسط السماء ، قرب

كوكبة الجبار ، لا ترى منها الا نجماً واحداً لامعاً أشد اللمعان ، وهكذا نرى الأزواج من الكواكب رأيَ العين شيئاً واحداً . حتى اذا وجهنا نحوها المناظير (التلسكوبات) القوية رأيناها نجمين أو عدة نجوم . وقد نظر الى (الشعرى اليمانية) صانع مناظير ، يجرب منظاراً قد صنعه : قطره (١٨) إنجاً ، فرأى صاحبها أول مرة وقد كان ذلك عام ١٨٦٢ م .

ويدرس العلماء (الشِعرىَ) وصاحبها ، فيكشفان عن مدار اهليليجي لهما ، شديد التفرطح ، وهما يقطعانه في خمسين عاماً . والفرق بين حجميهما هائل . الشعرى أكبر من الشمس ، وصاحبها قزم من أقزام النجوم أبيض أكبر من الارض ٣ مرات أو أكثر ، ولكنه شديد الكثافة ، فإن كثافته تبلغ ٣٠٠٠٠ مرة مثل كثافة النجوم . فالوزن النوعي (للشعرى) يساوي عدة آلاف من الوزن النوعي للذهب الأبيض وهو من أثقل العناصر .

إن الله تعالى يعظم شأن نجمة (الشعرى) بقوله جل من قائل : « وإنه هو أغنى وأقنى [1] ، وانه هو رب الشعرى ، وانه أهلك عاداً الاولى ، وثمود فما أبقى » (سورة النجم ..) .

وقد علم بأن نجمة (الشعرى) تبعد عنا ١٠ سنوات ضوئية ، أي حوالي : مائة مليون مليون كيلومتر . على أن هناك ملايين المجرات في كل منها بلايين من النجوم تبعد عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية . فما أعظم ما خلق الله من عوالم وما أكثرها وأوسعها .

فيحق للمسلم وكل عبد لم يذهب بعقله الفطري ما اجترحت يداه من آثام أن يستقبل القبلة بأذان أو اقامة قائلاً ، ليل نهار : الله أكبر ، الله أكبر .

والجاذبية قد تجمع بين أكثر من نجمين . فالنجمة القطبية هي في الحقيقة ثلاثة نجوم ، زوجان يدوران بعض حول بعض في نحو من ٤ أيام . وهما معاً

---

(١) اقناه : اغناه واعطاه ما يقتني والقنية ما يؤثل من الاموال .

يدوران حول نجم ثالث في أكثر من ٢٠ عاماً . ونحن لا نرى منهما في السماء إلا شيئاً واحداً .

ومجموعة أخرى تتشكل من أربعة نجوم وهي ترى كنجمة واحدة ، إنها (رأس التوأم المؤخر) . وقد عرف انه يتألف من زوج وزوج ، ثنائيان اثنان في كل منهما . ككل ثنائي يدور أحد نجميه حول صاحبه ، ودورة الثنائي الأول ٣ أيام ، ودورة الثنائي الثاني ٩ أيام ، الا أن الزوج الثاني يدور كذلك حول أخيه الزوج الثنائي مرة في حدود ٣٠٠ عام .

وهكذا نرى ان قوله تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » متجلية حتى في النجوم على بعدها وكثرتها ... ف « سبحان الله بارىء النسم [٢] ، سبحان الله المصوِّر ، سبحان الله خالق الأزواج كلها ، سبحان الله جاعل الظلمات والنور ، سبحان الله فالق الحب والنوى ، سبحان الله خالق كل شيء ، سبحان الله خالق ما يُرى وما لا يُرى ، سبحان الله مداد كلماته ، سبحان الله رب العالمين » ...

***

ونرى أن الله تعالى قد أودع الزوجية في (العناصر) أيضا . فهناك نوعان من العناصر . النوع الأول هو هذه العناصر التي نراها في أرضنا هذه : كالايدروجين والحديد والأورانيوم ... الخ . فكل ذرة منها مؤلفة من الكترونات سالبة تدور حول بروتونات موجبة في النواة .

ولكن عُلم أخيراً ان هنالك : (بروتوناً سالباً) منطلقاً في الفضاء حول الكرة الأرضية ومن شأنه إفناء جميع أنواع المادة التي تصطدم بها . كما اكتشف أخيراً : (الألكترون الموجَب) وهو الكترون يضاد الالكترون الذي نعرفه في أرضنا . ففي الوجود نوعان مختلفان من العناصر تُبنى منهما النجوم

(٢) النسم : جمع النسمة : الإنسان أو كل دابة فيها روح .

والشموس والكواكب وسائر الأجسام . واذا حدث أن التقى نوع منهما بالآخر أو تصادم معه تحدث عمليات إفناء ذرية تختفي معها معالم المادة من الوجود ، بينما تنطلق طاقات هائلة منها تلك التي هي الاصل في ربط جسميات نويات وذرات تلك المواد .

وان تحطيم بعض الذرات يؤدي الى تحرير نيوترونات ذات سرعة كبيرة وان النيوترونات المتحررة حين التحطيم النووي تستطيع تحطيم ذرات أخرى . فينتج من هذا تفاعل متسلسل مستمر .

ولنرمز للنوع الأول من المادة ذات البروتونات الموجبة والألكترونات السالبة بالحرف (م) مثلا ، ولنرمز للنوع الثاني من المادة المضادة للأولى : أي ذات البروتونات السالبة والألكترونات الموجبة بالحرف (س) . فعندما يتصادم (بروتون موجب) مع (بوتون سالب) ، أو عندما يتصادم (الكترون سالب) مع (الكترون موجب) يعدم أحدهما الآخر من عالم الوجود . بينما تنطلق الطاقة الكلية حسب الدستور الآتي :

الطاقة المنطلقة = الكتلة المادية المختفية × مربع سرعة الضوء . وهكذا نرى عندما تدخل ذرة من نوع المادة (م) الى عالم المادة (س) أو بالعكس تفنى الألكترونات أولا ، ثم تفنى البروتونات .

فاتضح مما ذكر ان الزوجية متأصلة بأمر الله تعالى في أصغر موجود في هذا الكون الرحيب وهو الذرة . ففيها الكترون (كهربائية سالبة) وبروتون (كهربائية موجبة) . حتى ان المادة نفسها على نوعين أي أن الزوجية متأصلة فيها ، فالبعض منها الكترونها سالب وبروتونها موجب كما في العناصر المكتشفة لحد الآن وعددها (١٠٢) تبدأ بالإيدروجين وتنتهي بـ (نوبليوم) . (Nobelium) وفي (نوبليوم) ١٠٢ ألكترون (سالب) تدور حول ١٠٢ بروتون (موجب) وبجنب البروتونات توجد (١٥٥)

نيوترونا ويرمز اليه هكذا : $\overset{257}{\underset{102}{No}}$ ... (٢٥٧ — ١٠٢ = ١٥٥

نيوترونا) .

والبعض الآخر : الكترونها موجب وبروتونها سالب .

فسبحان من لا تبيد معالمه ، سبحان من لا تنقص خزائنه ، سبحان من لا اضمحلال لفخره ، سبحان من لا ينفد ما عنده ، سبحان من لا انقطاع لمدته ، سبحان من لا يشارك أحداً في أمره ، سبحان من لا إله غيره .

فيرى المتتبع أحوال الكون : أن الله قد أودع الزوجية في كل شيء ، كي يعتبر الانسان بهذه الزوجية ويعلم ان الله لا يُشبه ما خلق من جماد ونبات وحيوان وانسان وقوى وطاقات في شيء ، هو الله الذي لا إله الا هو .

ولنختم هذا المقال بهذه الآيات البينات ، ليعلم أن لا متصرّف في الكون الا الله تعالى ، وأن ليس هنالك الا خالق ومخلوق ، والاعتقاد بوحدة الوجود أو وحدة الموجود بضاعة يونانية مُضلة جاءت من فلسفة بشرية حالكة تتنافى مع عظمة الله وقدسيته .

« أفرأيتم ما تُمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » (١) . « أفرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » (٢) . « أفرأيتم الماء الذي تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » (٣) . « أفرأيتم النار التي تورون ، أأنتم أنشأتم شجرها أم نحن المنشئون » (٤) . صدق الله العظيم ...

---

(١) سورة الواقعة : ٥٨ ، ٥٨ (٢) سورة الواقعة : ٦٣ ، ٦٤ .
(٣) سورة الواقعة : ٦٨ ، ٦٩ ـ المزن : السحاب .
(٤) سورة الواقعة : ٧١ ، ٧٢ ـ تورون : تقدحون .

الكون الرحيب

ان الله تعالى يأمرنا بأن نتتبَّع السماء والأرض وأن ننظر الى ما خلق من عوالم شتى : من كواكب وشموس ومجرات وسُدم ، وكيف تتكون الأنجم وكيف تبيد . وذلك بقوله جل من قائل : « أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض » .. (سورة سبأ) .

« ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار » . (سورة آل عمران ..) .

« أفلا ينظرون الى الإبل كيف خُلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نُصبت ، والى الارض كيف سُطحت » . (سورة الغاشية) .

ان الله تبارك وتعالى يريد منا أن نتوغل في عوالم السماء وما خلق من عوالم أخرى ، لكي نزداد يقيناً به تعالى : « الله الذي رفع السماء بغير عمدٍ ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخَّر الشمس والقمر ، كلٌّ يجري الى أجل مسمى ، يدبر الأمر ، يفصِّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » [1] .

حقاً : إن علم الفلك اللاسلكي والمكانيك الرياضي فتحا على الانسان أبواب المعرفة بالنسبة الى ما لا يتناهى من شموس ومجرات وسُدم ونيازك .. الى ما هنالك من عوالم تدهش الألباب .

فان التلسكوب اللاسلكي يلتقط إشارات عن مسافة قدرها ثمانية آلاف مليون سنة ضوئية . والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء (بسرعة ... ٣٠٠ كيلومتر في الثانية) خلال سنة كاملة ، أي هي المسافة التي طولها

---

(١) سورة الرعد : ٣ .

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٤٦٠ ٩ كيلومتر ، أو ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٧٩ ٥ ميل .

فإن القمر لا يبعد عنا الا بقدر ثانية وثلث الثانية من السنة الضوئية ، والشمس تبعد عنا ٨ دقائق و ٢٠ ثانية من السنة الضوئية . والشمس خلال هذه المدة : (أي ٨ دقائق و ٢٠ ثانية) وهي المدة التي يجب أن تنقضى لوصول شعاعها الينا تقطع في الفضاء في سيرها الطبيعي المقرر من جانب الله تعالى : خمسة ملايين كيلومتر ، مع العلم أن الضوء يسير من أقصى الأرض الى أقصاها خلال ١/١٤ من الثانية .

وإن أقرب نجمة منا وهي (پروكسيما) الواقعة تقريباً بحذاء القطب الجنوبي من أرضنا تبعد عنا ٤ سنوات من السنين الضوئية .

ونجمة (جدي) وهي التي تحاذي القطب الشمالي من أرضنا على وجه التقريب تبعد عنا (٥٠) سنة ضوئية ونجمة (عيوق) تبعد عنا تسعين سنة ضوئية ونجمة (ثريا) تبعد عنا ١٤٠ سنة ضوئية .

وان قطر المجرة التي تعلونا عندما ننظر الى السماء (وكأنها سحابة) يعادل ما يقطعه الضوء بسرعته الفائقة خلال (٠٠ ٨٠٠) سنة ضوئية . واذا أردنا أن نسير من رأس هذه المجرة التي هي فوق رؤوسنا (تقريباً) الى منتهاها علينا أن نقطع مسافة يقطعها الضوء بسرعتها الهائلة خلال (٠٠٠ ٢٠٠) سنة ضوئية .

انه تعالى يقسم بـ (الطارق) بقوله : « والسماء والطارق » ، ويُراد بها نجمة زحل .

ويقول تعالى في آية أخرى : « وأنه هو رب الشعرى » ٠٠٠ وهي نجمة مضيئة تبعد عنا ١٠ سنوات من السنين الضوئية على وجه التقريب . والوزن النوعي لهذه النجمة : (الشعرى) أكبر من الوزن النوعي للذهب الأبيض عدة آلاف مرة ومعلوم ان الذهب الأبيض عنصر ثقيل جداً . ولنجمة

(الشعرى) قمر خاص بها يدور حولها خلال خمسين سنة .

***

تختلف النجوم حسب درجات الحرارة ، فمنها الأحمر الداكن ومنها الأحمر القاني ومنها البنفسجي والأصفر والأبيض وتتدرج من الداكن الى الضعيف وتتراوح درجاتها الحرارية من ١٤٠٠° م (درجة مئوية) الى ٣٩٠٠٠م .

وقد قيس وزن النجوم بالنسبة لشمسنا هذه ولم يعثر على نجمة وزنها أقل من ١/١٠ من وزن الشمس . وهناك نجوم وزنها ١٤٠ مرة بقدر وزن الشمس ولها حركاتها وقوانينها ومعادلاتها .

وقد علم ان سرعة الأمواج اللاسلكية تعادل سرعة الضوء تماما . ولأجل أن نعلم مقدار معدل أقرب نجمة من هذه النجوم نقول : ان سارت الطائرة النفاثة دونما توقف مدة (٦) ملايين من السنين لها أن تصل الى أقرب نجمة من كرتنا الارضية .

واذا نظرنا الى السماء وتأملنا احدى هذه النجوم القريبة ، يجب أن نعلم ان الذي نراه في الواقع ليس الا صورة متخلفة لما كان عليه هذا النجم منذ أربع سنوات . واذا أردت أن تشاهد حفلة زواج والدك قبل ثلاثين سنة (مثلاً) عليك أن تركب صاروخاً يسبق سرعة الضوء [1] فينقلك الى نجمة (النسر الواقع) لتشاهد هنالك حفلة زواج والدك وبعد سنة كيفية ولادتك أنت .

***

إن شمسنا هذه ما هي الا نجم متوسط الحجم من نجوم مجرة : (درب التبانة) التي يبلغ عددها مائة الف مليون نجم تقريباً . وشمسنا هذه غير

(١) وهذا محال ، اذ ليس هناك شيء أسرع من الضوء حسب النظرية النسبية لـ (البرت آينشتاين) .

واقعة في منتصف المجرة وليست بمركز ، ولكنها واقعة قرب الطرف في موقع مدحور ليس من العظمة في شيء .

ويوجد في هذا الكون الواسع الرحيب من المجرات بعدد النجوم الموجودة في مجرتنا : (درب التبانة) . فإذن ما هي قيمة هذا الانسان بالنسبة لما خلق الله من عوالم لا تتناهى ولا تحد ؟ لا سيما بعد أن عرفنا أن أرضنا هي هباءة بسيطة في حافة احدى المجرات الكثيرة العدد التي لا تعد ولا تحصى . فليدع الانسان عنه هذا الغرور وليتوجه الى عبادة ربه وتقديسه وتسبيحه : إنه تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرةً وأصيلا » (١) . « وسبِّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبحه وأدبار السجود » (٢) .

يقول أحد الماديين : « اني طفت بالصاروخ حول الأرض سبع مرات فلم أرَ الله !

فأجابه الموحد قائلاً : ليس الله من الصغر بحيث تراه أنت ...

حقاً ، أنى للمتناهي والمحدود أن يحيط بالله الذي لا يحده شيء ولا يحيط به شيء .

يقول علي (ع) في وصف الله تعالى : « الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله ، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده ، والرادع أناسيَّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه » .

وإن أعلم علماء القرن العشرين في الفيزياء وأعني به : (آينشتاين) يقول : « يجب أن تتعرف الى ألفباء عالم الوجود ! » .

ويقول في مقام آخر : « ليس من المعقول أن يقال : يمكن التعرف الى العالم كله » .

---

(١) سورة الاحزاب : ٤١ ، ٤٢ (٢) سورة ق : ٣٩ ، ٤٠ .

وكان يقول پاسكال : (Blaise Pascal) قبل حوالي ٣٤٠ سنة : « ما هو هذا الانسان في هذه الطبيعة ؟ انه عدم" تجاه اللا نهاية » . قد قال هذا القول في يوم لم يكن قد اتسعت آفاق العلم هذا الاتساع الذي نلمسه اليوم ، انه اتساع علمي موضوعي محيِّر العقول ، فمـا الذي يجب أن نقوله اليوم ؟

ان ما عثر عليه العلم الحديث من النجوم هو بمقدار من الكثرة بحيث يفوق عدد حروف نصف مليون كتاب في مكتبة ما . ولو كنا نعد النجوم كلها بسرعة ١٥٠٠ نجم في الدقيقة لاستغرق عدُّنا ٧٠٠ سنة . اما الارض فهي أقل كثيراً جداً من نقطة على حرف في مكتبة تضم نصف مليون من الكتب من الحجم المتوسط . أو على الأصح يجب أن نشبهها بهباءة من التراب بين صفحتين في أي كتاب من كتب هذه المكتبة .

***

يبلغ حجم الواحدة من معظم الكواكب التي اكتشفت لحد الآن قدر حجم الأرض آلاف المرات في بعضها وملايين المرات في البعض الآخر وملايين الملايين في أكثرها . وان من النجوم أكثرية مطلقة يبلغ حجم الواحدة منها حجم عدة ملايين من الأرض وما يزال يتسع لملايين .

***

ان هذه النجوم على كثرتها لا تصطدم بعضها بالآخر وهي سائرة في أفلاكها ومنحنياتها . واذا شبهنا النجوم بالسفن في المحيطات (كالمحيط الهادي) فإن بعضها يبعد عن البعض الآخر ما يزيد على مليون من الأميال .

وفي سنة ١٠٠٠ الميلادية اقتربت نجمة من المذنبات من الأرض وأيقن الناس أنها ستصطدم بالأرض لا محالة ، وتكون نهاية العالم ويحل اليوم الموعود : يوم القيامة . فاتجه الناس الى الكنائس تائبةً من ذنوبها وآثامها .

ولكن مرت النجمة ذات الذنب بالقرب من الأرض دون أي اصطدام !

ومجرة (درب التبانة) التي شمسنا هذه احدى نجومها منطلقة في الفضاء كباقي المجرات وتتباعد عن أخواتها • وتختلف سرعة تباعد المجرات عنا ما بين (٦٠٠ ــ ٤٠٠٠) ميل في الثانية • واذا وصلنا الى هذه المرحلة فمن الصعب أن نقول : فيما اذا كانت المجرات الاخرى هي تهرب منا وتتباعد بهذه السرعة أو نحن نتباعد ونهرب منها بالسرعة نفسها أو أن كلا منا هارب من الآخر بنصف السرعة المذكورة • إننا هنا لا نستطيع أن نتكلم عن سرعات كهذه الا بمفاهيم (النسبية) • وهكذا نرى أن هذا الكون آخذ في الاتساع اتساعاً هائلاً حسب قوله تعالى :

« والسماءَ بنيناها بأيدٍ وانا لموسِعون » •

***

ليس هناك شيء ثابت أو ساكن في هذا الكون ، فكل ما في الكون متحرك اما بحركة واحدة أو حركات متعددة • وهذا ما حدا بـ (آينشتاين) أن يؤسس معادلات النظرية النسبية •

فإن الانسان يتحرك مع سطح الأرض حين تدور الأرض حول نفسها • وسرعة الانسان وهو على سطح الأرض باتجاه دوران الأرض : ربع الميل في الثانية ، أو (٩٠٠) ميــل في الساعة اذا كان هذا الانسان على خط الاستواء • وسرعته تكون أقل كلما قارب القطبين •

والانسان يتحرك مع هذه الأرض نفسها في دورتها السنوية حول الشمس • والأرض تسير في حركتها هذه بسرعة ١٨ر٥ ميلاً في الثانية أو ٣٠ كم/ثانية • والشمس وكواكبها سائرة بالنسبة الى جاراتها من النجوم نحو نقطة ما بين مجموعة (هرقل : Hercules) ومجموعة القيثار : Lyra بسرعة ١٢ ميلاً في الثانية ، ويراد بالجارات هنا : النجوم التي تبعد عنا بضع

مئات من السنين الضوئية .

واما الشمس فهي احدى نجوم مجرة (درب التبانة) ، وهذه المجرة كالمجرات الاخرى تدور حول نفسها بسرعة هائلة ، وشمسنا تدور معها طبعاً وسرعتها في هذا الاتجاه ١٢٠ ميلاً في الثانية ، أي (٤٣٢٠٠٠ ميل/ساعة) .

وهكذا نشاهد هذه الحركات المنظمة وفق دساتير معينة ومعادلات رصينة في الأجرام السماوية بحكمة إلهية عالية لذلك يقول الفلكي الكبير : (فاى) : « من الخطـأ أن نقول : بأن العلم يفضي بصاحبه الى نكران وجود الله » .

ذلك لأن نكران وجود الله تعالى انما هو نتيجة الفسوق والفجور على حد قوله تعالى : « كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » . (سورة يونس : ٣٣) . وفي آية أخرى : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو كذب بآياته ، إنه لا يفلح المجرمون » . (سورة يونس : ١٧) .

فالاسلام يضاد الإجرام وهو القائل : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، مالكم كيف تحكمون » .

يقول (پاستور) : « لا تنافي بين العلم والايمان ، وكلما زاد علم الانسان زاد ايمانه بالله » . واني اضيف إلى كلمة (پاستور) قائلاً : شريطة أن لا تتلوث النفس بفسوقها ومجونها وآثامها وبغيها وظلمها .

يقول الدكتور (وتز Wetz) الكيميائي وهو عضو أكاديمية العلوم وعميد كليـة الطب : « اذا أحسست في حين من الأحيـان أن عقيدتي بالله تزعزعت وجهت وجهي الى أكاديمية العلوم لتثبيتها » .

وكذلك يقول الجيولوجي الذائع الصيت : (ادموند هربرت) المدرس بجامعة (صوربون) : « العلم لا يمكن أن يؤدي الى الكفر ولا الى المادية ولا يفضي الى التشكيك » .

وقد قال العلامة في التاريخ الطبيعي (فاير) : « كل عهد له أهواء جنونية ، فإني اعتبر الكفر بالله من الأهواء الجنونية وهو مرض العهد الحالي . وأيسر عندي أن ينزعوا جلدي من أن ينزعوا مني عقيدتي بالله » .

لذلك جاء في احصاءٍ : أن بين (٢٩٠) فيلسوفاً : ٩٢٪ منهم مؤمنون و ٥٪ منهم لا أدريون و ٤٪ منهم ملاحدة !؟

انظروا الى كلمة نابغة القرن العشرين : آينشتاين حين يقول معترفاً بالوحي انه يقول : « العلم يخبرنا عما هو كائن الا أن الوحي وحده هو الذي يخبرنا بما ينبغي أن يكون » .

فالعلم لا ينافي الايمان بحالٍ وانما يؤيده ويقويه ما لم تتلوث النفس بما حرم الله وما دامت هذه النفس قائمة بالتزكية والتطهير والانابة والاستغفار .

وقد يصل الرجل الأمي بمشاهدة سطحية لما أودع الله من عظيم الصنع في هذا الكون الرحيب الى ايمان رصين قل ما يصل اليه عالم بالحشرات أو الجراثيم وذلك لقيامه بتزكية نفسه وتصفيتها عن الأدران ورده الى الناس ما لهم عليه من حقوق ولتخلقه بالاخلاق الفاضلة وصلته رحمه وقيامه بقضاء حوائج الناس . يقول الله تبارك وتعالى في وصفهم : « كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ، وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون » [1] .

فدين الاسلام دين إحياء القلوب بتعاليمه ودساتيره التي جاءت من قبل خالق النفوس وموجدها : « أومَن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون » [2] .

---

(١) سورة الذاريات : ١٧ — ٢١ . (٢) سورة الانعام : ١٢٢ .

حالات النفس مع الله تعالى

حقاً ، إن للنفس الانسانية غذاءاً خاصاً بها تتناسب مع تجردها وبعدها عن المادية الحالكة . وهذا الغذاء روحي بحت ليس من نوع المآكل والمشارب ، وليس من متع الدنيا في شيء . انه غذاء فيه تكامل النفس وبلوغها أسمى مراتب القرب الى الله تعالى ، وهو غاية الغايات من وجودنا في هذه الدنيا الموقتة الناقصة في جميع مراحلها الفردية والاجتماعية ، وذلك لنيل حياة أبدية كاملة في جميع مراحلها الاجتماعية والفردية ، ألا وهي الخلود في « جنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين » .

إن هذا الغذاء روحي بحت لا مجال فيه للشهوات والنزوات وكل ما يفسد النفس مما حرم الله تعالى على لسان نبيه محمد (ص) . فلا تضاهيه أنواع الموسيقى ومجالس الأنس ، وليس من نوعه أوركسترا وما يترنم فيه من مزمار وعود وطنبور . إنه عروج الى السماوات العلى ، الى عوالم القدس إنه ارتقاء نفسيٌ عن حضيض المادة العمياء الى حيث الصفاء المحض ، الى حيث الطمأنينة الكاملة : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

فطوبى لنفوس وفقت أن تخلو بخالقها ، وتناجي بكل خشوع وخضوع ربها ، معترفةً بذنوبها ، مستغفرة من آثامها ، نادمة على ما كان منها من بغي وظلم ، باكيةً على خطاياها ، راجية رحمة بارئها : « ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » . تاليةً لأجزاء القرآن : « اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيّاً » .

وقد قال علي (ع) في وصفهم : « أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن ، يرتلونه ترتيلا ، يحزنون به أنفسهم ، ويستثيرون دواء دائهم ، فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً ، وتطلعت نفوسهم اليها شوقاً ، وظنوا أنها نصب أعينهم ، واذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا اليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم ، فهم حانون على أوساطهم ، مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، يطلبون الى الله في فكاك رقابهم ، وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء ... » .

فإنك لو قمت جوف الليل ، والناس نيام ، وقلت كما كان يقول رسول الله (ص) : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور » واستقبلت القبلة وصليت ركعات ، محاسباً نفسك محاسبةً دقيقة : « زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وحاسبوها قبل أن تُحاسبوا » [1] وعددت ذنوبك وخطاياك وتوجهت بكلك الى الله الرحيم المتعال ، لشعرت إذ ذاك بروحانية فائقة ، تفوق أعظم ما في الحياة المادية من ملاذ وشهوات ولأحسست بعروج نفسك هذه الى عوالم القدس ، حيث الراحة المطلقة والدعة المتناهية والفرح الكثير وارتياح لا يضاهي ما نحن فيه من ارتياح مادي بحال ، وصرت ترى أنك تخف ساعةً بعد ساعة عما أثقل كاهلك من ذنوب ذهبت لذاتها وأقامت تبعاتها . وإنك لترى جلياً في ذلك الوقت : حيث يسود العالم صمت وهدوء ، كيف يُقذف في قلبك من أنوار المعارف الإلهيـة ما يزيل عنك الشكوك ووساوس الشيطان ، أنوار توصلك الى اليقين بل الى حق اليقين : فـ (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء) كما جاء في حديث مشهور .

وإنك لو تلوت القرآن في وقت كهذا ، في وقت هجعت فيه العيون ، في وقت فتح الله على العباد أبواب رحمته ، لألهِمت معاني سامية رفيعة ،

---

(١) من كلام لعلي عليه السلام .

ما كنت لتتوصل اليها في غير هذا الوقت ولأحطت بفلسفة الكون والحياة ، فلسفة لا يصل اليها فيلسوف عاش في أحضان المادية الهوجاء ، فلسفة نيِّرة شرحها الله تعالى في كتاب « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » . بقوله جل من قائل : « أمَّن هو قانت آناءَ الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب » .

فهذا العلم هو علم يترشح بإذن الله من نفس قد خضعت لربها وتجردت عن أدرانها ، هذا العلم علم اليقين بالله وملائكته وكتبه ورسله ، انه العلم بالحقيقة التي يبحث عنها الانسان منذ آلاف السنين ، هذا العلم هو معرفة النفس ، ومعرفة النفس طريق الى معرفة الله تعالى . فقد سألوا رسول الله(ص) كيف الطريق الى معرفة الرب . فقال (ص) : « معرفة النفس » وعن الصادق عليه السلام : « لو علم الناس ما في فضل معرفة الله ما مدوا أعينهم الى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم عنده أقل مما يطأونه بأرجلهم . فليتنعموا بمعرفة الله تعالى وليتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنات مع أولياء الله . ان معرفة الله آنس من كل وحشة وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء من كل سقم » .

ان موضوع معرفة الله تبارك وتعالى وحالات النفس مع الله جل جلاله لموضوع هام خطير لا يمكن أن يعبر عنه تعبيراً يجلو غوره وحقيقته ما لم يُدخل الانسان نفسه في هذه الحياة الروحية الرفيعة . ولعله يشبه من يريد أن يتصور للاشياء المادية بعداً رابعاً وهو الزمان ، وهو بَعد لم يقطع شوطاً في الرياضيات العالية والنظرية النسبية ، فإن لغة الكلام لا تصلح أبداً لأن تجول في مثل هذه الأمور . وان موضوعاً عميقا كهذا فوق متناولها ، ولا

يمكن للكلمات المشحونة بالصور الحسية أن تعبر عما يعنو على الحس ويسمو الى التجريد المحض .

***

«ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق» [١] .

وكفى بما في القيام جوف الليل والمثول بين يدي رب العباد من تأثير قوي في سير الانسان التكاملي أمر الله تبارك وتعالى نبيه الكريم (ص) بقوله : « يا أيها المزمّل [٢] ، قم الليل الا قليلاً ، نصفه أو انقص منه قليلاً ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلا ، إن ناشئة الليل هي أشد وطأً (و ط ء ا) وأقوم قيلا » .

وقوله جل من قائل الى الرسول الأمين (ص) : وتهجد من الليل نافلةً لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » . فمن توخى مقاماً محموداً فليتأس بنبي الرحمة محمد (ص) . وهكذا يمتدح الله تعالى المستغفرين بالأسحار بقوله : « إن المتقين في جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » [٣] .

وبقوله : « تتجافى [٤] جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون » [٥] وبقوله : « الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » [٦] .

***

وقد يستغرب البعض من ذكرى صلاة الليل في ظرف لا يصلى فيه الفرائض كثير من الشبان المثقفين . ولكن هذا الشاب المصلي لو لم يكن له

---

(١) سورة الحديد : ١٦ .
(٢) سورة المزمل .
(٣) سورة الذاريات : ١٥ — ١٩ .
(٤) تتجافى : ترتفع .
(٥) سورة الم — السجدة : ١٦ .
(٦) سورة آل عمران : ١٧

رادع في أوساط أوروبا وأمريكا عن الولوج في الشهوات لترك الصلاة شيئاً فشيئاً وضعف ايمانه بصورة تدريجية ولعله يصبح بعد قليل من المستهزئين بالمقدسات . ولكن لو تسلح بسلاح يمنعه عن الولوج في المحرمات وهو القيام جوف الليل بتضرع بين يدي رب العباد لا تؤثر فيه الخلاعة وفسوق الفاسقين ، فيرجع الى وطنه ثابت العقيدة ، متمسكاً بالمبدأ الاسلامي القويم . ذلك لأن قوة (الايمان) تتناسب مع درجة ضبط النفس عن المحارم . وقال علي عليه السلام « واغلب الناس من تغلّب على هواه » . وان الايمان ليزول وترد على الانسان الشبهات بقدر ولوجه في المحارم . « كذلك حقّت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » [1] . يقول علي (ع) : « من قارف ذنباً فارقه عقل لم يَعُد اليه أبداً » . وعن رسول الله (ص) : « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء ، فان أول فتنة بني اسرائيل كانت من قبل النساء » .

وروى ان الشيطان قال لموسى (ع) : « لا تخلُ بامرأة لا تحل لك ، فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها » .

وعن رسول الله (ص) : « لكل عضو من أعضاء بني آدم حظ من الزنا . فالعينان تزنيان وزناهما النظر » . وقال أيضا : « لا تدخلوا على المغيبات التي غاب عنها زوجها ، فان الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم » . وقال عيسى (ع) : « إياكم والنظرة ، فانها تزرع في القلب شهوة ، وكفى بها فتنة » . وفي حديث نبوي : « المقيم على الزنا كعابد وثن » . وفي حديث آخر : « اذا زنى الرجل خرج منه الايمان ، فكان عليه كالظلة . فاذا أقلع رجع اليه الايمان » .

---

(١) سورة يونس : ٣٤ .

نعم قد أصبحنا في زمان لا يستطيع الشاب أن يبقى محتفظاً بتقواه إلا بعصمة من الله تعالى • وما من شيء يعصم الشابَّ من الانزلاق في بيئات يكثر فيها الفحشاء صباحَ مساء وفي كل حين في شوارعها وأسواقهـا وغاباتها وعلى ضفاف الأنهر وسواحل البحار ويشجع المنكر في كثير من كتبها ومجلاتها وجرائدها ومناظرها وحدائقها العامة إلا المواظبة على صلاة الليل • ففي حياة الحيوان للدميري : عن الرسول (ص): « يأتي على أمتي زمان يردون المساجد على الميائر [1] • نساؤهم كاسيات عاريات • رؤسهن كأسنمة الإبل البُخت العنونهن فإنهن ملعونات » •

وفي حديث آخر عن علي (ع) : « يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة وهو شر الأزمنة نسوة كاشفات عاريات متبرجات ، من الدين خارجات ، داخلات في الفتن • مائلات الى الشهوات ، مسرعات الى اللذات ، مستحلات للمحرمات ، في جهنم داخلات » •

وقد شكا لي شاب جامعي قبل حوالي أربعين عاما ، أنه ابتلى بكبيرة من الكبائر ، ولا يقوى على التخلي منها وقد أثرت في صحته كثيراً • فقلت له عليك بصلاة الليل • فسألني عن كيفيتها • فقلت له : انها بسيطة جداً • انما هي ١١ ركعة ، تصلي بعد منتصف الليل • وكلما كان قريباً من السحر كان أفضل • وللشاب أن يصليها قبل المنام اذا علم انه لا يقوى على النهوض قبيل الفجر • وله أن يقضيها في النهار اذا لم يوفق لأدائها في الليل • ففي ذلك الأجر الكثير • وهذه الصلاة تؤثر كثيراً في كفِّ النفس عن المحرمات وفي جلب الرزق • وكان رسول الله (ص) مأموراً بأدائها طوال حياته •

ينوي : أصلي ركعتي النافلة قربة الى الله تعالى • يصليها كصلاة الصبح وهكذا أربع مرات • فيكون قد صلى ٨ ركعات (وله أن لا يقرأ السورة

---

(١) جمع الميثرة : شيء كالمرفقة أو المخدة يجعل على السرج •

اذا شاء) .

ثم ينوي ، فيقول : أصلي ركعتي الشفع قربة الى الله تعالى .

ثم ينوي ، فيقول : أصلي ركعة الوتر قربة الى الله تعالى . فاذا رفع يده للقنوت قال في قنوته : ٧٠ مرة : استغفر الله ربي وأتوب اليه . ويستحب أن يقول ٧ مرات : هذا مقام العائذ بك من النار وأن يستغفر لأربعين مؤمناً . وأن يقول بعد ذلك ٣٠٠ مرة العفو العفو . وان يقول بعد ذلك : ربِّ اغفر لي وارحمني وتب عليَّ ، انك أنت التواب الغفور الرحيم . ويستحب أن يقول في قنوته أيضا : « رب أسأت وظلمت نفسي وبئس ما صنعت ، وهذه يداي يا رب جزاءاً بما كسبت وهذه رقبتي خاضعة لما أتيت ، وها أنا ذا بين يديك ، فخذ لنفسك من نفسي الرضا حتى ترضى ، لك العقبى ، لا أعود » .

فجاءني الشاب الجامعي بعد أسبوع قائلا : رأيت شيئاً عجيباً ، فقلت له : وما الذي رأيت ؟

— قال: رأيت كأن قوة سحرية عجيبة تمنعني عن ارتكاب المحرم . فلم أرتكبه !

ثم جاءني بعد شهر وشكرني على تعليمي إياه صلاة الليل . وهكذا صلحت سريرته وتقدمت صحته ونجح في الامتحانات الجامعية .

***

فصلاة الليل ينير القلب ويبعد الشيطان ويقوي الايمان . فقد سئل علي بن الحسين (ع) : ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجهاً . قال : « إنهم خلوا بربهم ، فكساهم من نوره » .

وعن أبي عبدالله (ع) : « صلاة الليل تحسّن الوجه وتحسّن الخلق وتطيب الريح وتدر الرزق وتقضي الدين وتذهب الهم وتجلو البصر » . وفي مجمع البيان عن النبي (ص) : قال : « اذا أيقظ الرجل أهله وصليّا من الليل

كتبا من الذاكرين الله والذاكرات » .

وعن علي (ع) : « صلاة الليل مصحة للبدن ومرضاة للرب عز وجل وتعرض للرحمة وتمسك باخلاق النبيين » .

وقد قال رسول الله (ص) : « ما اتخذ الله ابراهيم (ع) خليلا إلا بإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام » .

وعن الصادق (ع) : « إن العبد اذا تخلى بسيده في جوف الليل المظلم وناجاه أثبت الله النور في قلبه ، فاذا قال : يا رب يا رب . ناداه الجليل جل جلاله : لبيك عبدي ، سلني ، أعطك ، توكل علي أكفك ... ثم يقول جل جلاله لملائكته : « انظروا الى عبدي ، فقد تخلى بي في جوف هذا الليل المظلم والبطالون لاهون والغافلون نيام ، اشهدوا أني قد غفرت له » .

وعن الصادق (ع) : « إن من روح الله ثلاثة : التهجد بالليل وإفطار الصائم ولقاء الاخوان » .

وقد ورد أدعية عدة عن الأئمة عليهم السلام يناجي بها العبد ربه ، مسطورة في كتب الأدعية . منها مناجاة التائبين لمولانا وامامنا علي بن الحسين عليهما السلام وكذلك مناجاة الشاكين ومناجاة الخائفين ومناجاة الراجين ومناجاة الراغبين ومناجاة الشاكرين ومناجاة المطيعين ومناجاة العارفين [1]

---

(١) « إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك وانحسرت الأبصار دون النظر الى سبحات وجهك ولم تجعل للخلق طريقاً الى معرفتك الا بالعجز عن معرفتك . إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق اليك في حدائق صدورهم ، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم ... » .

ومناجاة الذاكرين ومناجاة المعتصمين ومناجاة الزاهدين ومناجاة المريدين ومناجاة المتوسلين ومناجاة المفتقرين . فطوبى لمن وفق أن يناجي بها ربه ليرى كيف يتقرب الى الله تعالى وذلك الفرح النفسي وتلك الحالات القدسية التي تجل عن الوصف والتعريف .

يقول علي بن الحسين (ع) في مناجاة المخبتين : « إلهي مَن ذالذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولا » . الى أن يقول : « اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح اليك والحنين ودهرهم الزفرة والأنين ، جباههم ساجدة لعظمتك وعيونهم ساهرة في خدمتك ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم متعلقة بمحبتك ...

وانظروا كيف يخاطب علي (ع) ربه : « إلهي ، كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً ، أنت كما أحب ، فاجعلني كما تحب» .

ومن مناجاة علي [1] :

لك الحمد ياذا الجود والمجد والعلى ... تباركت تعطي مَن تشاء وتمنعُ
إلهي وخلاقي وحرزي وموئلي ... اليك لدى الأعسار واليسر أفزع
إلهي لئن أعطيت نفسي سؤلَها ... فها أنا في روض الندامة أرتع
إلهي أذقني بردَ عفوك يوم لا ... بنون ولا مال هنالك ينفع
إلهي اذا لم تعفُ عن غيرَ محسن ... فمن لمسيء بالهوى يتمتع
إلهي ينحّى ذكر طولك لوعتي ... وذكر الخطايا العينَ منى يدمع
إلهي حليف الحب في الليل ساهر ... يناجي ويدعو والمغفَّل يهجعُ

ان هذه المناجاة بصوت رخيم خافت ، بصوت ملؤه الحزن والفرح ، حزن على ما فرط العبدُ في جنب الله وقدم من ذنوب ، وفرح لهذا التوفيق

العظيم وهو المثول بين يدي رب العباد والاستغفار ، لتضفى على النفس الانسانية من الحبور والشعف والارتياح ما لا يمكن وصفه بهذه المقاييس المادية الحالكة في عالم الناسوت ، انه سرور لا يقاس بما يصيب الانسان المسكين من سرور تسافلي في مجالس الأنس والطرب بما فيها من موسيقى واوركسترا ، مهما كان هذا الموسيقى ساحرا أخاذاً للنفوس ، ذلك لأن النفس مهما كانت متسافلة تؤنب الفرد بعد الفراغ من هذه المجالس وتوبخه . فإن الله تعالى قد أودع فيها شعوراً يدرك معه أصول المحرمات واصول الحسنات على حد قوله جل من قائل :

« ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها » [١] . وفي آية أخرى : « وهديناه النجدين » [٢] .

إنها مناجاة يشعر الانسان معها كأنه يتطهر ثانية بعد ثانية ويتقرب الى مقامات القدس آناً بعد آن . لا سيما اذا تخللها شيء من الدموع فقد جاء في الحديث عن النبي (ص) :

« من بكى من ذنب غفر له ، ومن بكى من خوف النار أعاذه الله منها ومن بكى شوقاً الى الجنة أسكنه الله فيها وكتب له أمان من الفزع الأكبر ، ومن بكى من خشية الله حشره الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » .

وعن كتاب الغايات عن أبي عبدالله (ع) : قال : قلت له : أخبرني جعلت فداك ، أي ساعة يكون العبد أقرب الى الله والله منه قريب . قال : « اذا قام في آخر الليل والعيون هادئة فيمشي الى وضوئه حتى يتوضأ بأسبغ وضوء . ثم يجيء حتى يقوم في مسجده ، فيوجه وجهه الى الله . ويصف قدميه ويرفع

---

(١) سورة الشمس : ٧ ـ ٨ . (٢) سورة البلد : ١٠ .

صوته ويكبر ، ويفتتح الصلاة ، فيقرأ أجزاءً ، ويصلي ركعتين ، ويقوم ليعيد صلاته ، ناداه منادٍ من عنان السماء ، عن يمين العرش : « أيها العبد المنادي ربه ، إن البر لينشر على رأسك من عنان السماء . والملائكة لمحيطة بك من لدن قدميك الى عنان السماء . والله ينادي عبدي لو تعلم مَن تناجي إذن ما انفتلت » .

وقد روي : « أن البيوت التي يصلى فيها بالليل ويتلى فيها القرآن ، تضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدري لأهل الأرض » .

وقال رسول الله (ص) : « إن لله تعالى منادياً ينادي في السحر : هل من داعٍ فأجيبه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من طالب فأعطيه » .

فطوبى لنفوس انقطعت الى الله تعالى جوف الليل فنالت من الزلفى والقربى ما يتحقق به العبودية والتخلق بالأخلاق التي يرتضيها الله تعالى لعباده ، فأصبحت أنواراً يستضاء بها ، ونبراساً للحق والواقع . وطوبى لنفوس وفقت الى المناجاة خاضعة امام عظمة الله التي لا تتناهى ونالت من الفيوضات الإلهية ما لا يمكن وصفه . ففي المناجاة انجذاب نحو المبدأ الاعلى وخروج عن حضيض المادة الى عوالم القدس .

فقد ذكر لي شاب جامعي انه كان قد ترك صلاته وتسبيحه ، وتأثر بالحضارة المادية البحتة ، حتى اتفق انه بات في ذات ليلة في قرية نائية ، فسمع قبيل الفجر صوتاً رخيماً من أعلى منارةٍ لجامع قريب يناجي به عبد من عباد الله ربه ، ويعدد ما هو فيه من خطايا وذنوب ويرجو رحمة ربه ، تأثر بهذا الصوت الملكوتي ، فرجع الى صلاته وتسبيحه ، وأعمال صالحات .

***

ومن المستحب أن يجهد من يصلي صلاة الليل نفسه لتخرج من عينيه دمعة هي امارة الحب والخشية والانجذاب الى عوالم القدس . فقد جاء في

الحديث : « البكاء من خشية الله مفتاح الرحمة وعلامة القبول وباب الإجابة » . وقد قال الصادق (ع) : « اذا اقشعر جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك فدونك دونك . فقد قصد قصدك » .

وقد روى « ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا البكاؤون من خشية الله » .

وقال الصادق (ع) : « كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاث أعين : عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في طاعة الله وعين بكت في جوف الليل من خشية الله » .

ليس هذا النوع من البكاء بكاءاً يورث الذل والمسكنة ، انه سرور محض وعروج الى ساحات القدس وتطهير للنفس من كل رجس وخبث ومن ذمائم الأخلاق . انه تزكية للنفوس وخروج عن الادران ، فإن أقرب ما يكون العبد الى الله المتعال حال كونه ساجداً يبكي . كما جاء في مؤدى حديث .

وقد روى أبو حمزة عن أبي جعفر (ع) : ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دمع في سواد الليل مخافةً من الله لا يراد بها غيره .

وقد اوحى الله الى موسى على نبينا وآله وعليه السلام : « إن عبادي لم يتقربوا اليَّ بشيء أحب الي من ثلاث خصال : قال موسى ، يا رب وما هن ؟.. قال يا موسى : « الزهد في الدنيا والورع عن المعاصي والبكاء من خشيتي . . قال موسى : « يا رب ، فما لمن صنع ذا ؟ فأوحى الله عز وجل اليه : « يا موسى ، أما الزاهدون في الدنيا ففي الجنة ، واما البكاؤون من خشيتي ففي الرفيع الأعلى لا يشاركهم فيه أحد وأما الورعون عن معاصيَّ فإني أفتش الناس ولا أفتشهم » .

وان البكاء من خوف الله يؤدي الى معرفة الله وكسب مرضاته . فقد خاطب ابراهيم (ع) ربه قائلاً : « إلهي ما لعبد بلَّ وجهه من الدموع من

مخافتك ؟ قال : تعالى : جزاؤه معرفتي ورضواني يوم القيامة » .

كما ان البكاء مكفّر للذنوب ، فقد قال الباقر (ع) : « ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله الا حرم الله وجه صاحبها على النار فإن سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة ، وما من شيء الا وله جزاء الا الدمعة ، فإن الله تعالى يكفّر بها بحور الخطايا ... » . الى آخر الحديث .

***

واني إذ أختم هذا المقال اسأله تعالى أن يوفق شبابنا الجامعيين وغيرهم أينما كانوا في البلاد الاسلامية وغيرها أن يواظبوا على صلاة الليل ولو قبل منامهم أو بقضائها في النهار وأن يناجوا ربهم فإن دمعة تنسكب على وجوههم تدفع عنهم مضلات الفتن وتعصمهم عن الانزلاق في أحضان المادية الهوجاء وتنجيهم عن الانجراف في هذا السيل الجارف من النزعات المضلة وتنقذهم من الويل والثبور في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . فقد ثبت انه لا يحفظ ايمان الفرد شيء في هـذا الجو المدلهم بالشهوات : الجو الجامعي وغير الجامعي الا المواظبة على بعض المستحبات : كصلاة الليل ، وصلاة جعفر الطيار في يوم الجمعة وبعض الزيارات والأدعية فليجرب المجربون .

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » .

« والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعمَ أجر العاملين » [1] .

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٣ — ١٣٦ .

المدرسة الاسلامية

المدرسة الاسلامية هي مدرسة تجعل هدفها الوحيد توجيه طلابها الى توحيد الله تعالى وتطبيق تعاليم الاسلام والتربية الاسلامية الحقة .

فالطالب عندما يدخل هذه المدرسة يرى قطعاً قد كتب عليها : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . « إن الدين عند الله الاسلام » . « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » . يرى طلاباً متخلقين بأخلاق اسلامية ، فلا كذب ولا خديعة ولا غش ، بل يجدهم متآخين ، متراحمين فيما بينهم ، عملاً بهذا الحديث : « الخلق كلهم عيال الله ، فأقربهم الى الله أحبهم لعياله » . وهم مصداق هذه الآية : « انما المؤمنون اخوة » .

يرى المدرسة في غاية النظافة والجمال : عملاً بالحديث النبوي القائل : « النظافة من الايمان » . والطلاب متعاونون فيما بينهم ، يعلّم بعضهم البعض وكل يحب التقدم لصديقه ، عملاً بالحديث النبوي : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه » . فلا حسد ولا تباغض ولا تطاحن ، بل حياة كلها دعة وطمأنينة وهناء . « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

يرى الطلاب جادين في دروسهم مجتهدين ، ذلك لأن الله تعالى يقول : « وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى » .

ثم يرى أبدان الطلاب سالمة وهم يعملون في تقوية أبدانهم برياضات خاصة ، عملاً بهذا الحديث : « إن لبدنك عليك حقاً » وتحقيقاً لأمر الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

ماذا ذهبوا الى بيوتهم ، سلموا على آبائهم وأمهاتهم ، وقبّلوا أيديهم ، وقاموا بمساعدتهم وخدمتهم في شؤون البيت وما يأمرونهم به ، فهم يطيعون آباءهم وأمهاتهم اطاعةً تامة لعلمهم أن : « الجنة تحت أقدام الامهات » .

يرى أن المعلم كلما شرح موضوعاً عن الحيوان أو النبات أو الكيمياء أو الفيزياء عزا ذلك الى عظمة الله تعالى ودقيق صنعه ، وجعل الطلاب يتوجهون بكلهم الى الله العلي القـدير ، وتسبيحه تعالى وتقديسه ، فهم يشاهدون عظمة الخالق في العلوم الطبيعية وما أودع الله تعالى من دقيق الصنع في هذا الكون الرحيب . وهكذا في علم الجغرافية وعلم الهيأة (وحركات النجوم) ...

يرى الطلاب يتهيأون بكل جد ونشاط لحياة سعيدة حرة ويتسلحون بسلاح العصر ويتزودون من علوم مادية مفيدة لكي يستغنوا بها عن الناس أجمعين عاملين بهذا الحديث : « ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه » ...

يرى أن الطلاب بعد رجوعهم من تناول طعام الظهر ، يتهيأون للصلاة ، لأداء واجب الشكر تجاه الله تعالى . يراهم يتوضأون ويصطفون ، واذا بأحدهم ، يؤذن بصوت عال رخيم ، قائلاً : الله أكبر .. الله أكبر ... والطلاب كلهم يعلوهم خشوع وخضوع . فيركعون لربهم ويسجدون ، منجذبين بكلهم الى الخلاق العظيم الذي لا تحصى نعمه . «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» .

وبعد الانتهاء من هذه الصلاة المقبولة عند الله من أطفال معصومين يذهبون الى الصفوف للتزود من علوم تجعلهم مسلحين بسلاح العصر للحصول على معيشة هنيئة وللتمكن من نصرة هذا الدين ، دين الله القويم ، تجاه تيارات الكفر والالحاد وللقيام لبث الدعوة الاسلامية في أرجاء هذا العالم . فما أحوج هذا العالم الى دين الفطرة : « الاسلام » . إنهم يستعدون ليكونوا

دعاةً حقاً لدين الله في أرضه ، عملاً بقوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون » .

ان طلاب هذه المدرسة يترحمون على الطيور وأنواع الحيوانات ، ديدنهم الرفق والعطف الى كل ما خلق الله تعالى عملاً بالحديث النبوي : فقد قال صلى الله عليه وآله : « إتقوا الله في ما خولكم وفي العُجم من أموالكم . قيل وما العُجم ؟ قال (ص) : الشاة والبقر والحمام وأشباه ذلك » .

ان طلاب هذه المدرسة يعملون دوماً في مساعدة الآخرين عملاً بهذا الحديث : « الله في عون المؤمن ما دام المؤمن في عون أخيه » ويقومون في قضاء حوائج الجيران لأنه قد جاء في الحديث : « ما زال يوصي رسول الله بالجار حتى ظننا أنه سيورثه » .

وقد بلغهم هذا الحديث عن رسول الله (ص) : « من أصبح ولم يهتم بامور المسلمين فليس منهم » . وقد بلغهم قول رسول الله (ص) : « مَن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم » . انهم يعطون من فضول أموالهم الى الفقراء والمساكين بصورة سرية ومع احترام وتوقير . لأن الصادق (ع) يقول : « ان الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء ما يسعهم . ولو علم أن ذلك لا يسعهم لزادهم » .

وهكذا نرى أن هذه المدرسة الاسلامية تبدأ في مفتتح أعمالها (عند الاصطفاف) ، بتلاوة أي من الذكر الحكيم وهكذا عند الانتهاء من الدروس : عند الانصراف . وهم يمتازون عن غيرهم باستظهارهم القرآن الكريم ومعاني الكلمات وكثيراً من الاحاديث . وفي أناشيدهم تحريض لخدمة الغير والتضحية لأجل رفع لواء الاسلام عالياً في أرجاء العالم . حتى يكون الاسلام ديناً عالمياً ، فلا تسمع في أرجاء العالم كله الا من ينادي أوقات الصلاة بصوت رفيع : الله أكبر ... أشهد ان لا إله الا الله . أشهد أن محمداً رسول الله ...

وفي المدرسة لجان شتى ، لجنة الارشاد الديني ولجنة العلوم الاجتماعية ولجنة الرياضة البـدنية ولجنة النظافة ولجنة تنظيم الحدائق ولجنة البر والاحسان ، الى ما هنالك من لجانٍ مفيدة أخرى .

اما لجنة الارشاد الديني فلها اجتماعاتها الخاصة ، وبرامج معينة ووظائف موزعة على الأعضاء .. فكلما اجتمعت اللجنة تقرأ المقررات السابقة ويقدم كل عضو تقريراً عما قام به من أعمال ارشادية داخل المدرسة وخارجها وتوزع الأعمال على الأعضاء من جديد .

واما لجنة البر والاحسان فتقوم كل خميس بعد الظهر بتوزيع ما تمكنت من جمعه من نقود وثياب وأحذية وأفرشة وأواني الى ما هنالك وذلك بالذهاب الى بيوت الأرامل والايتام والفقراء والمساكين ، فتقدم ما جمعت اليهم بكل توقير واحترام وذلك بعد أداء التحية الاسلامية : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

فهنيئاً لطلاب مؤمنين يتربون في هذه المدرسة الاسلامية تربية اسلامية حقة ، فيكونون قد جمعوا بين سعادة النشأتين . سعادة الدنيا ونعيم الآخرة . طوبى لهم وحسن مآب ...

اعتراف ماركسية بعجزها

يقول علماء الذرة وكبار العلماء في العلوم الطبيعية وغيرها : انه لا يوجد في كل ما اكتشف من قوانين وخواص في عالم الطبيعة شيء يدل على عدم وجود الخالق جل جلاله ، بل كلما نزداد بحثاً وكشفاً للحقائق الكونية والمعادلات والدساتير والخواص المودعة في أجزاء هذا الكون وارتباط هذه الدساتير والخواص بعضها ببعض نزداد يقيناً بالخالق جل جلاله ، بإله متناه في إتقانه الخلق بدقة وحكمة فائقتين . وقد قيل قبلاً :

وفي كل شيء لـه آية تدل على أنـه واحـد

وهكذا يخاطبنا الله تعالى بقوله : « أمَّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أإله مع الله ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين» . إنه تعالى يقول : «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق» .

إن الماديين ، اليوم ، قد اتخذوا : (المادة) إلهاً من دون الله وقالوا بقدم المادة وانها تعمل بحكمة فائقة لأجل تنظيم هذا العالم وتكوينه بدساتير متقنة ومعادلات رصينة وخواص مناسبة وتدرج وتسلسل وتوالد في أوقات معينة وايجاد ظروف ملائمة الى ما هنالك ! وقالوا إن المادة هي التي تخلق الروح والنفس والعقل وهي فعالة لما تشاء ولكنها لا تحيد عن حكمة فائقة ومنطق رصين ! وهي التي تودع في مخ الانسان أسس التفكير : من تعميم وتجريد واستنتاج واستقراء وحدس وإلهام ...

فما أعظمها من مادة خلاقة بعقل جبار يفوق عقول مَن كانوا على وجه البسيطة من حكماء ومكتشفين ، كآينشتاين ونيوتون وأفلاطون ودالامبر

وبون كاره ، وبرگسون وغيرهم ...

لذلك يخاطب الله تعالى هؤلاء الذين اتخذوا إلههم من مادة وأصنام وحيوان وشمس الى ما هنالك ، دون الله تعالى ، يخاطبهم قائلا : « أم اتخذوا من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر مَن معي وذكر مَن قبلي ، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ، وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدونِ » (١) .

فالمؤمنون بالفلسفة المادية يطلبون من أتباعهم أن يكفروا بكل شيء غير المادة ، وان يعتقدوا ان الأكوان تنشأ من هذه المادة ، في دورات متسلسلة تنحل كل دورة منها في نهايتها لتعود الى التركيب في دورة جديدة ، وهكذا دواليك ، ثم دواليك الى غير انتهاء ...

ويطلبون منهم أن ينتظروا النعيم المقيم على هذه الأرض ، متى صحت نبوءتهم عن زوال الطبقات الاجتماعية . فإن زالت الطبقات الاجتماعية في هذه السنة أو بعدها ببضع سنوات فتلك بداية الفردوس الأبدي ، الذي يدوم ما دامت الأرض والسماوات وتنتهي اليه أطوار التاريخ .

ولكن لم تتحقق كل ما أرادوا ، فسرعان ما رجعوا عن طيشهم بعد قليل وغيروا وبدلوا ، رجعوا الى الديانة يستجدونها ويتمسحون بها واجتمع رؤساء القساوسة في حضرة زعماء المذهب الشيوعي ، ليعلنوا العودة بمجلس الكنيسة الى نظامه القديم .

***

رأيت من المناسب أن أنقل صورة كتاب أرسله شاب مسلم عامل بنصوص الدين من المانيا الشرقية ، كان يحضر مع إخوانه الشباب المتدينين في مجلس ديني في الكاظمية تلقى فيه محاضرات دينية ، وكان يعمل مجاهداً لبث حقائق

(١) سورة الأنبياء : ٢٤ ، ٢٥ .

الاسلام بين الطلاب في مدرسته وخارجها ، لكي نقف على الجهود التي تبذل لغرس المبادىء المادية في تلك البلاد وكيف أن هذا الشاب لتشبعه بالروح الاسلامية الطاهرة ومطالعته بعض الكتب الدينية والفلسفية يجيب ويدافع عن الحق ويعمل لأجل خدمة الدين في تشكيل جمعية اسلامية وهو في أحضان المادية الصماء .

فجدير بشبابنا وهم في بلد اسلامي أن ينهجوا نهجاً يتناسب ومسؤولياتهم تجاه دينهم ومقدساتهم وأن يعملوا مجاهدين مخلصين لأجل تشكيل جمعيات ولجان ، لتثقيف الشباب تثقيفاً اسلامياً على ضوء القرآن والسنة النبوية وتعاليم أهل بيت العصمة عليهم الصلاة والسلام .

فلا يمكن أن نغرس تعاليم الاسلام في النفوس وتبرهن للعالم ، على أن الاسلام هو دين العصر ودين يستجيب لكل ما يحتاجه البشر من دساتير تؤدي به الى سعادة الدارين في جميع الحقول ، من اعتقادية وعبادية وقضائية اقتصادية وادارية وسياسية وعمرانية وأخلاقية الى ما هنالك الا بتشيكل لجان وجمعيات طلابية تقوم بتوزيع نشرات دينية والقاء خطب وترتيب دعوات خاصة ودعوات عامة وترتيب نوادي اسلامية للشباب ، فيها مسجد صغير ، تقام فيه الصلاة . ويا حبذا لو بنيت هذه النوادي بجنب الحسينيات التي قد بنيت وتبنى من وقت الى آخر . تؤثث هذه النوادي الاسلامية بالأثاث المناسب وما يحقق راحة الشباب وتؤسس فيها مكتبات اسلامية يقضي الشاب المسلم فيها اوقات فراغه باستماع آيٍ من الذكر الحكيم ومحاضرات دينية ومطالعة كتب ومجلات اسلامية واقامة الصلاة والاشتراك في اجتماعات اللجان والمذاكرة في ما يجب ان يقام به لبث الدعوة الاسلامية ونجاحها بين الشباب في العراق وخارجه وارسال وفود من الشباب وغيرهم الى القرى والأرياف لتعليم الاسلام وتطبيقه في تلك الربوع بصورة عملية وتقديم تقارير عما قاموا

به خلال اسبوع واحد أو شهر واحد ، ثم الاتصال بالمدارس لالقاء محاضرات على الطلاب والعمل لأجل اقامة الصلاة بين جدران المدرسة الى ما هنالك . انه تعالى يقول : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» .

***

ان هذا الشاب المسلم الغيور على دينه يقول :

« اننا شكلنا جمعية اسلامية في المانيا الشرقية وسنعمل إن شاء الله على دمجها بالجمعية الاسلامية في المانيا الغربية ، ثم تتصل بالجمعيتين الاسلاميتين في انكلترا والنمسا ، لنكوّن من جميع ذلك اتحاداً عاماً . ولا يخفى ما في ذلك من أثر في اطلاع الرأي الأوروبي العام على التعاليم الاسلامية القويمة ونظرته الى الكون والحياة خاصة ، لا سيما وان الأوروبيين شديدوا الرغبة في حب الاستطلاع على الاسلام ، ذلك لأن الاسلام يمثل ديناً رئيسياً في العالم أجمع » .

« أدرس كما تعلمون هنا : (التخطيط الاقتصادي) . إلا أن ذلك لا يعني سوى : (الماركسية ـ اللينينية) ، و (المادية الديالكتيكية) ، والاقتصاد السياسي ، ولا يخرج ذلك أبداً عن نطاق : قال : لينين ، وقال : ماركس ، وانگلز .... واذا ناقشت أو طرحت رأياً آخر ، أو سألت سؤالاً يدل على أنك لا تصدق بذلك ، فإن ذلك يعني أنك تحتاج (الى مراقبة أشد) والى اجتماعات معك أكثر » [1] .

---

(١) ان الله تعالى يقول : « لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي » ويقول أيضا : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » وفي آية أخرى : « إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولا » .

فالاسلام لا يفرض تعاليمه على البشر فرضاً ولا يجبرهم على القبول جبراً ، وانما يخاطب العقل الفطري على ضوء المنطق الصحيح ويجعل العقل

« المقدمة : إن لدنيا أربعة طرق للدراسة » :

« ١ ــ المحاضرات التي يلقيها البروفسور أو الدكتور في قاعات كبيرة تحوي ما لا يقل عن مائتي طالب . وهنا تلقى المحاضرة دون مناقشة أو سؤال أو اعتراض أو شيء آخر . إلا أننا نكتب عن ذلك ملاحظات في دفتر خاص وهذا ما يسمى : بـ (فورليزونك : Vorlessung) ، تستغرق هذه عادة ساعتين ، تتخللها فرصة واحدة أمدها ١٥ دقيقة » .

« ٢ ــ ما يسمى باجتماع الزمنار : Seminar وفيه ينبغي أن يسأل الطلبة عن مدى فهمهم للمادة وعن آرائهم بها ، وعما اذا كان لديهم رأي آخر مناقض لذلك . إلا أن هذا لا يحدث بصورة عملية . اذ أن الطلبة الألمان قد اعتادوا على تقبّل المادة دون مناقشة أو تمحيص . ثم إنهم يخافون : إن ناقشوا ، أن يؤثر ذلك على درجاتهم وعلى نظرات الأساتذة اليهم ، وأنا حسب التنظيم الدراسي ، مع گروپ (جماعة) يتكوّن فقط من طلبة الألمان ، بينما أنا الوحيد أجنبي بينهم » .

« وفي أول اجتماع لنا قدمت الأستاذة مقدمة ، قائلة : إنهم يرومون تربية الطلبة اشتراكياً كيما يتكوّن لهم كادر (ملاك) [1] في المستقبل يخدم

معياراً للقبول ويفسح المجال للنقاش والجدل بالتي هي أحسن . وكم من نقاش حدث بين الزنادقة والامام الصادق عليه أفضل الصلاة والسلام وكذا بين الملاحدة والامام علي بن موسى الرضا عليهما السلام .

ليس الاسلام بدين يقول : كن أعمى حتى تبصر الحق وكن أصم حتى تسمع الواقع . كما يصنع الماركسيون ومن يدعي النبوة زوراً وبهتاناً . وهذا ديدن من تعوزه الحجة وينقصه الدليل ، ضغط ومراقبة شديدة وتجسس وسجن وتبعيد وتشريد وقتل وإبادة !..

(١) أي دخولهم في ملاك الدولة في عداد الموظفين .

الحكومة عن وعي . وانهم سوف لا ، ولن يدرسونا أي نظام أو مبدأ آخر لئلا تشوب الفكرة الاشتراكية من ذلك شائبة » .

« أما عن الرأسمالية ، فسوف لا ندرس الا نقاط النقد التي ضرب ماركس على وترها ... ثم استمرت في شرح الموضوع في المانيا وفي المقارنات بين الدولتين الألمانيتين » .

« وملاحظتي على ذلك ، أنني أتمكن من أن أقول : أن معظم بل جل دراستنا عن ذلك : كيف أن المانيا الغربية رأسمالية وأن الشرقية اشتراكية وتستند الى المعسكر الاشتراكي الجبار وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي ، وانها لا تخاف المانيا الغربيـــة التي سلحها حلف شمالي الاطلسي والرأسمالي الامريكي » .

« ان كان هذا صحيحاً أو لا ، فأمر لا يهمني كما تهمني الدراسة ، ان هذا لا يعطينا تجارب ومعارف الا في حقل ضيق جداً ، حين انه يشغل أكثر من نصف دراستنا » .

« وهكذا بدأ (السزمنار :) الأول ، وبدأنا نناقش المادية الديالكتيكية . فشرحت الاستاذة كيف ان العالم ينقسم الى معسكرين من المفكرين : ماديين وخياليين : Matérialistes Idéalistes ثم هاجمت الكنيسة [1] لأكثر من ربع ساعة وكيف ان كل فكرة غير مادية تستخدمها

(١) قد تكون الاستاذة محقة في مهاجمتها الكنيسة ، فإن الدكتور : (وولتر أوسكار لندبرج) استاذ الفسلجة والكيمياء يقول : « ان جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله هو على صورة انسان ! بدلا من الاعتقاد بأن الانسان قد خلق خليفة لله على الأرض على حد قوله تعالى : « وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض

ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم ، إن ربك سريع الحساب وانه لغفور رحيم » ... (سورة الأنعام : ١٦٥) . وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية ، فان تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير أو أي منطق مقبول ، وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين المقتضيات المنطق والتفكير العلمي ، نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية ، وعندما يصلون الى هذه المرحلة ويظنون أنهم قد تلخصوا من أوهام الدين وما ترتب عليها من نتائج نفسية ، لا يحبون العودة الى التفكير في هذه الموضوعات ، بل يقاومون قبول أية فكرة جديدة تتصل بهذا الموضوع وتدور حول وجود الله » .

ولكن الدكتور (وولتر) ، قد فاته أن النفس الزكية التي لم تلج في الموبقات وبقيت نقية طاهرة أو وفقت الى توبة واستغفار بعد التلوث : « إن الحسنات يذهبن السيئات » تصل بالفطرة الى معرفة صحيحة عن الله تعالى فتصحح انطباعاته الخرافية بإلهام من الله تعالى وترجع الى الفطرة من تقديس الله تعالى وتعظيمه واطاعته ، ولا تنبذ الدين . انما ينبذ الدين من ربته المراقص ودور الخمور وتعاطي الربا ولحم الخنزير . وهم الأكثرية الساحقة في الغرب والشرق .

نعم ، علينا أن نقول ، ليس في الاسلام من (الأسرار) كما في المسيحية . تلك الأسرار التي لا يصل احد من رجال المسيحية أنفسهم أن يدركها ادراكاً عقلياً صحيحاً ، ولهذا يطلبون من أتباعهم الايمان بها دون محاولة فهمها .

كما أن فكرة (الحجاب) في المسيحية بين الله وعباده فكرة لا يستسيغها العقل . فلا حجاب بين الله وبين أحد من خلقه حتى يتحتم توسيط رجل بينه

وبين خلقه . فالاسلام يرى أن لكل أحد الحق في أن يتجه الى الله ويتوسل به ويرفع حاجته اليه . « واذا سألك عبادي عني ، فاني قريب أجيب دعوة الداعِ اذا دعانِ » .

واما الشفاعة ، فلا يراد منها سد الطريق بين الله وعباده ، بل العبد يدعو ربه ويخلو به جاعلاً أعز خلقه اليه شفيعاً لديه . على أنه تعالى يقول : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » ، « مَن ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه » .

إن الاسلام يمنع أن يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله : « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا ، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . ويقول عن الكتابيين : « إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو ، سبحانه وتعالى عما يشركون » .

فالمؤمن حينما يجعل أحد الأئمة شفيعاً عند الله تعالى في قضاء حاجته إنما يريد أن تقضى حاجته من جانب الله وحده دون غيره وهو يوحد الله في دعائه توحيداً ما بعده توحيد .

ثم لا يعلم معنى التثليث وسره في المسيحية وكذا القربان وتحوله الى لحم المسيح ودمه ولا يعلم سبب اعتقادهم أن الانسان ولد وجاء الى هذه الحياة مثقلاً بـ (الخطيئة الأصلية) التي لا يستطيع منها فكاكاً . ويعنون بها أن الانسان يولد وعليه وزر خطيئة آدم عليه السلام حين خالف أمر ربه وأكل من الشجرة التي حرمها الله عليه . حين انه تعالى يقول : « ولا تزر وازرة

العاملة » (٢) .

وزر أخرى » . ومن ثم تطلب المسيحية من الانسان أن يؤمن (بالصلب والفداء) ، أي صلب (المسيح ـ الإله) تفدية للبشر مما لحقهم من هذه الخطيئة الأصلية .

هذه الخرافات وأمثالها التي ما أنزل الله بها من سلطان ، لم تكن في الكتب المقدسة حين أوحى الله تعالى ما فيها الى أنبيائه (ع) ، الا أن الكنيسة لابتعادها عن النصوص وانحرافها عما أنزل الله أوجدتها بهذا الشكل . فيأبى الشاب الذي مارس المنطق الصحيح بدراسة نظريات هندسية واشتغاله في المختبرات تقبلها ، ويراها خرافات . فيمقت الدين لما يرى من معتقدات تخالف الواقع اذا كان من اولئك الذين تلوثت نفوسهم بالموبقات . ولذلك من السهل جداً بث تعاليم الاسلام في أوساط الغرب العلمية لمطابقتها مع العلم الصحيح وخلوها من كل ما يخالف المنطق الصحيح ومن كل خرافة .

(٢) اما الاسلام ، فيهتم بالطبقة العاملة الى أبعد حد ، ولا يفرق بين العامل وصاحب المعمل الا بالتقوى . فقد قال أبو عبدالله (ع) : « من أراد أن يدخله الله في رحمته ويسكنه جنته ، فليحسن خلقه وليعط النصف من نفسه ، وليرحم اليتيم وليعن الضعيف وليتواضع لله الذي خلقه . (النصف : الانصاف والعدل) » .

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « سيد الأعمال : إنصاف الناس من نفسك ومواساة الأخ في الله وذكر الله على كل حال » .

وعنه أيضاً : « من واسى الفقير من ماله وأنصف الناس من نفسه فذلكم المؤمن حقاً » .

فعلى صاحب العمل أو المعمل أن يعطي العامل ما يسد به حاجته وحاجة بيته حتى بعض الكماليات منها كي يكون مصداق الحديث المتقدم .

« ثم بدأت تشرح المادة كأساس للمذهب المادي : « إن المادة كانت قبل كل شيء [٣] . ثم تطورت خلال ملايين السنين الى هذا العالم . اما الانسان فقد تطور عن حيوان ، وقد لعب بذلك العمل البشري دوراً كبيراً » .

---

(٣) مما لا ريب فيه ان الكيمياء علم يبحث فيه عن التركيب والتغييرات التي تطرأ على المادة ويبحث فيه عن تحول المادة الى طاقة (قوى) وتحول الطاقة الى مادة . وان الكيمياء من العلوم المادية والبحث عن موجد الكون : عن الله تعالى بحث روحي بحت . فلا رابطة بين هذا البحث وبين الكيمياء (العلم المادي) . فليس من شأن الكيمياء أن تبحث في ان هذا العالم بما فيه من نظم ثابتة ودساتير متنوعة وتدبير وحكمة فائقة قد وجد بمحض المصادفة وان جميع ما يحدث فيه يتم بالطريقة العشوائية أو بطريقة أخرى .

ولا يرى المتتبع في ما وجد من قوانين عند دراسة المادة والقوة محلاً للمصادفة ، بل بعكس ذلك ، يرى أن هنالك نظاما ثابتاً وقانوناً لا تحيد عنه المادة والطاقة والتفاعلات الكيميائية والحوادث الفيزيائية ويرى أيضا أن سلوك أي جزء من أجزاء المادة مهما صغر أو تضاءل حجمه ليس بسلوك أعمى بل يخضع لقوانين معينة دقيقة مترابطة .

ويرى ان في كثير من الأحيان يتم اكتشاف القانون قبل اكتشاف أسبابه أو فهم طريقة عمله بفترة غير طويلة من الزمن . حتى أنهم تمكنوا من العثور على كثير من الخواص الكهربائية نتيجة ما يجري من الأعمال الرياضية على المعادلات التفاضلية (في الرياضيات العالية) . فأنى للمصادفة أن تضع دساتير وان يظفر الانسان نتيجة اجراء أعمال رياضية بمكتشفات اخرى في حقل الكهرباء وغيرها .

وان الترتيب الدوري الذي اكتشفه (ماندليف) وهو الترتيب الذي أودعه الله تعالى في العناصر الكيميائية دليل قطعي على عـدم وجود أية

« وسألتها قائلاً : إنه من الأحسن لنا أن نبدأ من البداية ونتساءل من أي شيء تتكون المادة ؟ ومن أي شيء تكونت وخلقت ؟ وكم كان حجمها ؟ وكيف بعثت لها الحياة ؟ »

مصادفة هناك .

وان اكتشاف تركيب الذرة (Atome) أثبت أن ما نشاهد من تفاعلات كيميائية وما نلاحظ من خواص تنتظم تحت قوانين خاصة ، وليست هنالك مصادفة عمياء . فالمصادفة لا تولد آلاف الدساتير في مختلف الحقول ثم تربط هذه الدساتير بعضها ببعض لانتظام الكون المادي ومن ثم الحياة .

فالعناصر بما فيها الملون وغير الملون والهش والصلب والخفيف والثقيل والمغناطيس وغير المغناطيس والباقي مدة والفاني بعد فترة محدودة الى ما هنالك تابعة لنفس قانون (ماندااليف) الدوري .

فمن الذي جعل هذه العناصر في غاية الاختلاف من حيث الخواص لما هنالك من حاجة ماسة لوجود وانتظام هذا الكون ثم اخضاعها لنفس القانون . هل للصدفة أن تقوم بهذا العمل المنظم المحيِّر للألباب في ما لا يحصى من مراحل وأشياء .

ثم ماذا كانت هذه المادة في القديم ؟ هل كانت طاقة ثم تكدست فكانت مادة ؟ وماذا كانت هذه الطاقة ، هل كهربائية موجبة أم سالبة ؟ أم ماذا ؟ ثم لماذا ولأي سبب وكيف تكدست تلك الطاقات الهائلة فكانت مادة ... أي عناصر ... ولماذا هذا الاختلاف في العناصر من حيث التركيب والخواص مع العلم ان كل ذلك لابد من وجوده بهذا الترتيب لانتظام هذا الكون الرحيب .

ثم نحن اذا دخلنا في بنـاء الذرة نشاهد عالماً من الخواص والنظم والقوانين ما يحير العقول .

وهذه الذرة (ليست بذرة واحدة وعلى نمط واحـد) كيف صارت

فتململت قليلا ، ثم أجابت : « ان المادة لا ترى ولا تفنى ، إذ انها تتشكل بأشكال مختلفة ، في كل جسم شكل » ، « اما من أي شيء خلقت المادة ، فهذا ما لم يتوصل اليه العلم بعد » !!!... « ومن خواص المادة انها غير قابلة للتصور ، أي ان الانسان لا يتمكن أن يتصورها أو يلمسها » .

أنواعا مختلفة تحت قانون دوري ، وكلها موجودة حتى اليوم : هايدروجين : هليوم ، ... ، أورانيوم ... الخ .

من أين جاءت الكهربائية السالبة (الكترون) وثم الكهربائية الموجبة (البروتون) وكلتاهما موجودتان في بنية الذرة مع تنافرهما .

فهل الذرة هي الله تعالى ؟! فهي مركبة ومحتاجة الى أجزائها ، ثم من أين جاءت هذه الاجزاء ومن الذي ركبها ، بهذا التركيب المعقول تحت قوانين ثابتة معقولة . ثم لنحقق كلاً من الأجزاء ، فنراها مركبة أيضا أم هي طاقات لا نعلم حقيقتها وهكذا دواليك ، فلنتسلسل الى الأخير فلا مناص من الاعتراف بالله الخالق المتعال ، ذلك لأنا لابد لنا اما ان نعترف بعقل جبار داخل الذرة أو أن نعترف بخالق حكيم ، قد أوجد هذه الاجزاء المختلفة الخاصية والماهية ورتبها خير ترتيب . وبما أن المادة ليست من العقل في شيء إذن لابد من الاعتراف بالصانع العظيم وهو الله تعالى .

ثم لا يعقل : أن المادة توجد نفسها بنفسها ثم تضع كل هذه الدساتير والقوانين ، ذلك لأن المادة عندما تتحول الى طاقة أو تتحول الطاقة الى مادة ، فان ذلك كله يتم طبقاً لقوانين معينة ، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة المعروفة التي وجدت قبلها .

ومن الثابت علمياً أن الفرق بين ذرة عنصر معين كعنصر الحديد مثلا وعنصر الرصاص يرجع الى الفرق في عدد البروتونات والنيوترونات التي بالنواة والى عدد وطريقة تنظيم الالكترونات التي هي خارج النواة والتي

فابتسمت لذلك قائلاً : إنكم (بصيغة الاحترام) تؤمنون بوجود شيء لا يمكن أن يتصوره أو يلمسه الانسان ، ثم انكم لا تعلمون من أي شيء يتركب هذا الشيء وكم حجمه ... ان هذه هي الروحانية التي تسمونها Idéalisme : الخيال ... إذ أننا نعتقد بوجود الله تبارك وتعالى . وهذه الصفات التي ذكرتموها هي بالضبط صفات الله . أي أنه غير قابل للتصور وغير قابل للمس أو المسك ، لا يحويه مكان أو فراغ . وليس له شكل وهو خالد لا يفنى ...

تدور حول النواة بسرعة هائلة وتحت دساتير معينة وأبعاد محددة . إذن كل ما في الكون من مواد مختلفة والتي تعد بالملايين أي كل ما في الكون من عناصر ومركبات ، تتألف من جزيئات كهربية ليست في الواقع الا مجرد صور (أو مظاهر) من الطاقة أي طاقة الاشعاع المخزونة . إذن ، المادة ليست الا صورة من صور الاشعاع ولا يزال العلم يعمل لأجل تفهم حقيقة الطاقة والاشعاع وسوف يعمل الى مئات السنين ولن يصل الى حقيقة الطاقة أو القوة كما لم يصل لحد اليوم الى حقيقة (الجاذبية) وحقيقة الروح . « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

لذلك يقول الفيلسوف والعالم الطبيعي الدكتور : (ماريت استانلي) : اننا نحتاج في محاولتنا لوصف الخالق (ومن يقوى على وصفه ، هو كما وصف نفسه) ومعرفة صفاته الى مصطلحات ومعاني تختلف اختلافا بيناً عن تلك التي نستخدمها عندما نصف عالم الماديات . فالصفات المادية والتفسيرات الميكانيكية التي تقوم على نظريات السلوكيين تعجز أن تعيننا على تحقيق هذه الغاية ، وبخاصة بعد أن تبين لنا أن هذا الكون الذي نعيش فيه لا يمكن أن يكون مادة صرفاً وانما هو مادة وروح ، أو مادة وغير مادة . ولا نستطيع

« أما المادة التي تشبهونها (بالفواكه) مثلاً فهي غير موجودة ، اذ ان شيئاً اسمه (الفواكه) لا يوجد . نعم ، يوجد تفاح . فيه بعض خواص الفواكه وليس كلها ، نعم ، يوجد برتقال ، فيه قسم آخر من خواص الفواكه ، أن نصف الأشياء غير المادية بالأوصاف المادية وحدها » .

ثم يقول الدكتور (ماريت استانلي) : « كثيراً ما طلبت الى تلاميذي أن يصفوا لي شيئاً غير مادي مثل (الفكرة) ، وطلبت اليهم أن يبينوا لي التركيب الكيموي (للفكرة) وطولها بالسانتيمترات ووزنها بالغرامات ولونها وضغطها وان يصفوا لي شكلها وصورتها . وقد عجزوا جميعاً عن تحقيق ذلك . وصار من الواضح أنه لكي نصف أمراً غير مادي لابد من استخدام مصطلحات وأوصاف أخرى تختلف اختلافاً كبيراً عن المصطلحات التي نستخدمها في دائرة العلوم » .

انه يقول : « إننا لا نستطيع أن نسخر من هذه المشكلة أو نفر منها ، فلولم يكن هذا الكون ثنائياً (يعني المادة وغير المادة كالفكر والروح) لاستطعنا أن نعرف الفكرة تعريفاً مادياً صرفاً ، وهو ما لم يحدث أبداً . والنظريات المادية التي قدمها ديموقريطس وهوبز والسلوكيون ، وكذلك النظريات المثالية الصرفة التي تفسر هذا الكون تفسيراً معنوياً خالصاً مما قدمه (ليبنتز) و (بيركلي) و (هيگل) ، تقول إن هذه النظريات الآحادية جميعاً لا تعدو أن تكون مجرد افتراضات تقوم على التخمين ولا تستند الى أي أساس من الوجهة التجريبية . ولابد لأية فلسفة تحاول أن تفسر الطبيعة والكون من أن تختبر أولا لمعرفة مدى قدرتها على تفسير سائر أنواع الحقائق والعوامل والعناصر التي يتألف منها هذا الكون أو تظهر فيه » .

ويقول الفيلسوف (ماريت استانلي) : « ان العلوم حقائق مختبرة ، ولكنها مع ذلك تتأثر بخيال الانسان وأوهامه ومدى بعده عن الدقة في

وليس كلها . نعم يوجد (كشرى) فيه خواص اخرى من خواص الفواكه وليس كلها . اما شيء حسي فيه كل خواص الفواكه ، فأمر لا يوجد . إلا أنه توجد كلمة (فواكه) في القاموس . على ان ذلك لا يعني وجودها في

ملاحظاته وأوصافه واستنتاجاته . وتتائج العلوم مقبولة داخل هذه الحدود . فهي بذلك مقصورة على الميادين الكمية في الوصف والتنبؤ . وهي تبدأ بالاحتمالات وتنتهي بالاحتمالات كذلك وليس باليقين وتتائج العلوم بذلك تقريبية وعرضة للأخطاء المحتملة في القياس والمقارنات وتتائجها اجتهادية وقابلة للتعديل بالاضافة والحذف وليست نهائية ، وإننا نرى أن العالِم عندما يصل الى قانون أو نظرية يقول : ان هذا هو ما وصلنا اليه حتى الآن ويترك الباب مفتوحاً لما قد يستجد من التعديلات » (١) .

وهناك من يقول بقدم المادة ، لكن التجارب الكيميائية تدلنا على أن بعض المادة تزول وتفنى . وبعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة ، فالمادة تفنى ، فهي ليست بأبدية ، إذن يجب أن لا تكون قديمة أو أزلية ، فلها إذن بداية .

وتدل التجارب والشواهد من الكيمياء ومن علوم اخرى إن بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية ، كما يقول به الماديون ، بل وجدت بصورة فجائية حتى أن العلوم تستطيع أن تحد الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد . وقد ثبت علمياً أن هذا الكون المادي لم يكن مخلوقاً ثم خلق وليس بقديم كما يظن الماديون جهلاً منهم أو مكابرة . وهو يسير تحت قوانين معينة ودساتير ثابتة أودعها الله هذا الكون : « إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ولئن

---

(١) قد أسهبنا القول في ما يقوله الدكتور (ماريت استانلي) في الجزء الأول من هذا الكتاب . قبل الظفر بمقاله هذا . فيرجى المراجعة .

الحقيقة الواقعية . إن (مثال الفواكه) ليس مني ولست أنا الذي أتيت به ، انما الذي أتى به هو أنتم مع قولكم ان (الفواكه) في هذه الحالة تشبه المادة في حالتها . فاذا ثبت لنا عدم وجود (الفواكه) فان ذلك يعني ، باعترافكم : عدم وجود المادة التي أبنتم خواصها قبل دقائق » .

زالتا إن أمسكهما (أي ما أمسكهما) من أحد من بعده ، انه كان حليماً غفورا » . (سورة الفاطر : ٤٠) .

وبعد أن علمنا أن ليس لهذا العالم المادي أن يخلق نفسه ويسن لنفسه هذه القوانين الرياضية الدقيقة وهذه الخواص المتنوعة التي بها تتحقق الحياة، إذن وجب أن نؤمن أن هناك خالقاً غير مادي وهو الله تعالى . ثم ان ما نلمسه من حكمة فائقة في تنظيم هذا الكون يدلنا على أن خالقه عاقل حكيم . إلا أن العقل لا يوجد هذه الخوارق العظيمة اللا نهائية ولابد أن تكون هناك ارادة ومشيئة ، إذن ثبت أن موجد هذا الكون عاقل ، حكيم ، مريد ، فعال : « كل يوم هو في شأن » . (سورة الرحمن : ٢٩) .

وقد اعترف العلم الحديث الذي يحدد وقت حدوث المادة (أي الوقت الذي خلقها الله تعالى) : أن حدوث الحياة وبدايتها حدث عجيب في تاريخ الكرة الأرضية واعترف بالعجز عن معرفة بداية (الحياة) وكيف كان ظهورها ويقول : العلم عاجز عن معرفة كل ذلك . ويعترف بشيء من التوكيد ان الحياة بدأت في المحيط الدافيء : الماء . وقد قال الله تعالى قبل أربعة عشر قرناً : « أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً (أي متصلة) ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حيٍّ أفلا يؤمنون » .

قد حسب أحد علماء الفسلجة (Physiologiste) أن المادة السنجابية التي في تلافيف الدماغ فيها نحو : ٠٠٠ ٠٠٠ ٦ خلية وكل خلية تتألف من الوف الدقائق الظاهرة وكل دقيقة تتألف من ملايين الجواهر . ثم ان هذه

« هذا هو أساس دراستنا . واستمر النقاش مدة نصف ساعة أو أكثر بقليل ، ثم قالت ما نصه : سيد ... ، (ذكرت اسم الطالب) : إن لدينا برنامجاً خاصاً يجب تنفيذه خلال مدة (الزمنار Seminar) ، واننا لا نريد

الجواهر تتألف مما سيقف عليه العلم في مستبقل قريب وهكذا نرى أن العلم كلما تقدم خطوة أصبح أمام أودية من المجاهيل حتى يضطر بالاعتراف بالله الخالق المدبر القادر المتعال .

ثم نرى أن طبقات العين ، فيها القرنية والعدسية ، وطبقات العين المائية الزجاجية تنتهي في الشبكية وأن الطبقة الشبكية لا تزيد عن ثخن الورقة وتتألف مع ذلك من تسع طبقات ، أبعدها يتألف من ثلاثة ملايين مخروط ونحو من ثلاثة ملايين اسطوانة .

فكيف يوفق المادي بين الصدفة وهذا النظام البالغ من الدقة أقصى المراحل . وان حساب الاحتمالات ينفي إمكان وجود ملايين من الأجزاء في عضو بصورة مرتبة ومنظمة على سبيل الصدفة لتحقيق غاية معقولة . ولكن المادي لا يوافقه حساب الاحتمالات ، (Probabilité) . وما فيه من دساتير . أو هو أقل من أن يستوعب حساب الاحتمالات أو يكتشف في موضوعه بعض القوانين . « فلينظر الانسان مم خلق » ...

كيف يفسر المادي ما نرى من مظاهر في (الأظافر) وقل من يهتم بها . فقد كان يقول (أبقراط) مرجع الطب والحكمة منذ أكثر من الفي سنة : « إن الأظافر كالمرآة تنعكس فيها حالة الانسان الصحية » . ولحد اليوم نرى أن الطبيب لو استعصى عليه تشخيص مرض فانه يمسك بأظافر مريضة ومنها يشخص نوع المرض : فالأظافر الباهتة تدل على فقر الدم والمائلة للزرقة تؤكد مرض القلب وتقعر الأظافر يدل على اضطراب الدورة الدموية .

وقد وجد أن عدد الكائنات الحية في الغرام الواحد من التربة يصل

أن ندخل البلبلة الى أفكار طلابنا ! اما اذا كان لديكم شيء من هذا القبيل ، فبامكانكم أن تذهبوا معي الى البروفسور المختص بالمادية الديالكتيكية ونعمل اجتماعاً ثلاثياً نطلع فيه بمعزل عن الطلبة على نظرتكم الجديدة الى الكون !.. فكان جوابي الموافقة طبعاً ...

« اما الدراسات الأخرى : فتحضير مؤتمر الأحزاب الشيوعي ، وأحزاب العمال في موسكو وتطبيقه على الوضع في المانيا ، على سبيل المثال » .

« والخلاصة أنا يجب أن ندرس في السنة الدراسية الأولى كتاب (رأس المال) لـ (كارل ماركس) بالألمانية بأجزائه الثلاثة ، ثم كتاب الاقتصاد السياسي ، ثم كتاب أسس الماركسية اللينينية ، ثم كتاب (أسس الفلسفة الماركسية) ، ثم كتاب : (التكنولوجي : Technologie) [1] ثم الرياضيات الاقتصادية » .

« اما الشكل الدراسي الثالث : فتؤلف مجاميع من الطلبة ، تدرس كل مجموعة على حدة خارج الوقت الدراسي المشترك ويعاون افراد المجموعة بعضهم البعض » .

« والطريقة الرابعة هي دراسة ذاتية داخل البيت أو المكتبات وقاعات المطالعة » .

***

الى بضعة ملايين ! فما أعظم هذه (المادة) التي خلقت كائناً حياً بالغاً في الصغر فوق تصور الانسان وفيه أعضاء وأجزاء ودقائق ... سيظفر بها العلم في المستقبل . ولكن لن يصل العلم الى حقيقة الحياة ، إلا اذا فوض الأمر الى موجد قادر متعال وهو الله تعالى انه تعالى يقول : « سأريكم آياتي فلا تستعجلون » .

---

(١) علم يوضح تاريخ واصول البحث المتبعة في الفنون والصنايع .

وهكذا نرى ان هذا الشاب المسلم بالهام رباني وإفاضات نفسه الطاهرة يحرج الأستاذة حتى لا تستطيع جواباً ، فتقول وملؤها الشك والارتياب : « المادة لا ترى ولا تفنى وتتشكل بأشكال مختلفة » ، فاذا كانت المادة لا ترى « كما تقول الاستاذة الماركسية) فكيف علم المادي بوجودها مع أنه لا يعترف إلا بما يقع تحت احدى حواسه الخمس التي لا يعلم كيف تكونت لديه وكيف جُهز بها .

ولعله يقول : إن العقل هو الذي دلنا على أن المادة لا ترى ولا تُلمس ، فاذا كان العقل هو المدار للاعتراف بما لا يرى بالعين ولا يلمس ، فبالعقل وبارجاع السبب الى المسبب يعترف الانسان السوي بإله مرتّب لهذا العالم أبدع ترتيب ، إله تتجلى حكمته في كل جزيء من جزيئات هذا العالم ، المنظور وغير المنظور . إله لا يشبه مخلوقاته في شيء ، لافتقار هذه المخلوقات بما فيها المادة الى أجزاء مختلفة لم تكن قبلا (كما ثبت علمياً) رُتبت بتدبير فائق . فالله الذي لا يُشبه مخلوقاته في شيء هو واجب الوجود وهو أزلي قديم ، لم يسبقه شيء من الأشياء . وبغير هذا المنطق السليم لا يمكن أن تحل مشكلة هذا التنظيم المادي وخلق العقول والأرواح والملائكة والجن والحيوية الى ما هنالك .

قد ثبت على أن التطور لا يحدث في الجسم عفواً ومن تلقاء نفسه ، وإن العلم ليعترف أن هناك قصوراً ذاتياً في جميع الأجسام . ولولا ارادة فائقة ومشيئة ربانية لما حصل أي تطور وأية طفرة وأي تحول فجائي ، ولما وجدت هذه الحيوية والخوارق التي نلمسها في أعضاء الجسم الانساني . إن التجارب في شتى العلوم تؤيد ما قلنا . إلا أن النفوس اذا تحجرت فرضت إرادتها الديكتاتورية على العلم ، فأبادت العلماء ، أولئك الذين خالفوها في الرأي على ضوء ما قاموا به من تجارب والمنطق الصحيح كما حدث ذلك في الاتحاد

السوفيتي ، مع الأسف الشديد .

تقول الماركسية ! : « واما الانسان فقد تطور عن حيوان لعب بذلك العملُ البشري دوراً كبيراً جداً » ، فهل لها أن تقول : كيف وجد الحيوان وكيف وجد الآميبا (الكائن الحي ذي الخلية الواحدة) بأسلوب علمي صحيح دونما مغالطة . لكنها تجيب حالاً : « إن العلم لم يصل بعد الى مرحلة يتمكن معها من الاجابة على هذا السؤال » .

فهل من المعقول التمسك بنظرية واهية وإزهاق النفوس من أجلها وهي بعدُ لم تتحقق علمياً .

إن العلم يؤكد بصورة قطعية : أن الحيوية إنما وجدت على وجه الأرض بإرادة الله تعالى ومشيئته ، ذلك لأن التجارب تدل أن ليس في امكان المادة أن تؤثر في نفسها وأن تكون من تلقاء نفسها نباتاً ، فحيواناً فانساناً .

ان العلم ليعترف أن الأرض كانت قطعة نارية في درجة عالية من الحرارة ، فهل كان بالامكان أن تعيش على سطحها خلية من الخلايا أو جرثومة من الجراثيم أو نبات أو حيوان ، فماذا الهذيان ؟ فالمادية هراء ما بعده هراء ودس ما بعده دس وتضليل ما بعده تضليل .

***

تقول الاستاذة الماركسية : « ان من خواص المادة أنها غير قابلة للتصور » . فلسائل أن يسأل : كيف عرفنا : أن عدم امكان التصور من خواص المادة ، فالمادة إذن ليس بشيء متصور ملموس ، فهي إذن ليست بشيء يُحس بالحواس الخمس ولا يمكن أن تتصور ، فما هي المادة إذن ؟ لعلهم يريدون أن يقولوا : إن المادة هي القوة ، أو الطاقة . فاذا كانت المادة على ما يزعمون ! هي القوة نفسها على ما ثبت في الفيزياء إذن : المادة ، كما تؤيده التجارب ، صورة من صور الطاقة : (القوى) ومظهر من مظاهر الإشعاع . فلم تبق المادية كما يفهمها الماديون ، وانما المادة كانت في الابتداء

طاقاتٍ وقوى تكدست تحت نظام خاص حتى كانت هذه العناصر : (الحديد راديوم ، أورانيوم ...) .

فقد قال (آينشتاين : Einstein) : « في الذرة طاقة كبيرة يمكن تسخيرها والإفادة منها وإن المادة صورة من صور الطاقة . وإن الغرام الواحد من المادة يتحول الى (الف مليون مليون مليون) وحدة من وحدات الطاقة وهي الارگ : (Erg) أو الى ٢٥ مليون كيلوات/ساعة أي ما ثمنه ٥٥٠ الف دينار كما قلنا سابقاً . فاذا استطاع الانسان أن يستخدم الذرة لتؤثر في الجو فيسقط مطراً حين يريد ، فذلك لما أودع الله تعالى من نظام ودستور في تشكل الأمطار وحدوثها وتراكم السحب أو حدوثها عند انفلاق الذرة . فالسحب ليست الا طاقة مكدسة في بطن الذرة ، فاذا انفلقت الذرة تحررت ، فأمطرت مطراً غزيراً بإذن الله تعالى على ضوء ما وضع من خواص ودساتير . فماذا الغرور ؟

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين» . (سورة الانفطار : ٦ — ٩).

ثم لنا أن نسأل ما هذا الاختلاف بين القوة التي تتألف منها المادة :

(١) الكترون : شحنة كهربائية موجبة . (٢) پروتون : شحنة كهربائية سالبة .

(٣) نيوترون : كهربائية موجبة وكهربائية سالبة متعادلتان ..

هل وجدت الكهربائية الموجبة قبلاً أم الكهربائية السالبة ؟ وهو عين ما يقال في الأزواج كلها ، ومن نبات وحيوان . وانسان ... هل وُجد الذكر قبلاً أم الأنثى ؟

انه تعالى يقول « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً » . وفي آية اخرى : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودةً

ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . فالله يدعونا الى التفكر في هذه المرحلة الخطيرة التي ترد النظرية المادية (Matérialisme) في الصميم ولا يدع مجالاً للنقاش .

فالذي جعل بين الذكر والانثى مودةً ورحمة جعل بين قوتين مخالفتين : الكهربائية الموجبة والكهربائية السالبة بعد خلقهما مودة ورحمة وتوافقاً ووئاماً : « سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » . (سورة يس : ٣٧) . « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » . (سورة الذاريات : ٥٠) .

فإن قلنا إن الكهربائية الموجبة كانت موجودةً قبلاً ، فكيف خلقت لنفسها كهربائيةً سالبة وكيف أحست بهذه الحاجة لتكوين الذرة وهي أساس الموجودات المادية على اختلاف أنواعها .

فلا مفر من الاعتراف بخالق أوجد قوتين مخالفتين إما في وقت واحد (والله العالم) أو في زمنين متعاقبين . ووفق بينهما . وان هذا التوفيق لهو أعظم دليل على وجود الله جلت عظمته . خلافاً لمنطوق نظرية الاضداد التي يتشدق بها الماديون : كارل ماركس وأتباعه .. دونما تعمق أو لإغواء الناس انتصاراً للصهيونية !

« فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور » . (سورة الحج : ٤٦) . « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق . ذلك ، ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » . (سورة الحج : ٣٠ — ٣٢) .

مولد الرسول الأعظم (ص)

(علاقة الاسلام بالعلم والحياة [١])

ان نظرة بسيطة الى هذا الكون تجعلنا ان نعلم ان ما خلق الله من عوالم ومخلوقات شتى على ضربين منها تابعة الى نظم ثابتة وخواص معينة لا تتعداها ومنها ما هي مختارة ، لها من الارادة في أن تفعل وان لا تفعل ، في ان تتصدى للخير أو لا تتصدى ، في ان تكون مصدراً للشر أو لا تكون .

فهذه الجاذبية التي تضرب بأطنابها في هذا الكون الرحيب التي لها قوانينها ودساتيرها مؤتمرة بأمر الله تعالى لا تحيد عنها قيد شعرة (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) .

وهذه الذرة التي تبلغ من الصغر بحيث لا ترى بأدق الآلات والتي لو جمع عشرة ملايين منها على شرط الكروية لا تتجاوز مليمترا واحداً هي عالم في نفسها . فالالكترونات تدور حول المركز أي البروتونات بنظام خاص وبشكل اهليلجي بسرعة (٢٠٠٠) كم في الثانية ولا تتخلف عما رسم لها من جانب الله تعالى .

وهناك في المركز نيوترونات وآتني نيوترونات يحكم بوجودها العقل الرياضي ، ونظام خاص في عدد الالكترونات والبروتونات ينشأ من ذلك اختلاف هذه العناصر التي شكلت العالم المادي ، وقد عبأ الله تعالى طاقات في هذه الذرة لو تحررت لأفنت العالم في بضع دقائق . كل هذه تابعة الى نظم ثابتة ودساتير معينة ليس لها ان تتحول عنها بارادتها الى غيرها . وهكذا في

---

(١) كلمة القيت فى حفلة ميلاد الرسول (ص) .

عوالم النبات والحيوان ، الا هذا الانسان فقد منّ الله عليه بارادة جزئية وجعله مسؤولاً بهذه الارادة تجاه الاوامر التي بلغه اياها بواسطة سفرائه وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام دفعاً للفساد والافساد ولكي يأخذ هذا الانسان سيره التكاملي في هذا الكون . ذلك لأن الذي اعطى الكمال لكل شيء مادي في هذا الكون يريد بالانسان أن لا يحيد عن سنن الكمال . وهو القائل (وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون) . فوجب حسب هذا المنطق الطبيعي ان لا يحيد هذا الانسان عن اتباع اوامر الله تعالى في أرضه وان لا يفسد في الارض « والله لا يحب الفساد » كي يقطع سيره التكاملي في هذا الكون .

وآخر هؤلاء السفراء بين خالق البشر والبشر وأكملهم هو نبينا نبي الرحمة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم . فقد بعث في وقت كانت البشرية مضطهدة تحت نير العبودية والرقيـــة والاستبداد وعبادة الاوثان والفحشاء الى حد بعيد ، فالرسول لم يأت نتيجة تكامل اجتماعي ــ كما يقول بذلك علماء الاجتماع ــ وانما هو خارق لنواميس علم الاجتماع . فقد بعث في بيئة بلغت من التسافل أقصاه وهذا خير دليل انه سفير موفد من جانب الله تعالى ليس للتكامل الاجتماعي أثر في وجوده ، فقد خالف منذ صغره ما كان عليه قريش من المجون والتسافل ولم يحضر مجالسهم بل كان يفكر ويتعبد بطهارة نفس مرضية وأخلاق ملكوتية حتى سماه قومه بالأمين .

كما ان هذا الانقلاب العظيم الذي قام به نبينا محمد (ص) في حقول شتى من روحية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وادارية وأدبية وعلمية والذي تم خلال ثلاثة وعشرين عاماً لا يمكن حدوثه بالقوة البشرية العادية المحدودة فلابد من تأييد رباني ونصر إلهي حققا هذا الانقلاب بشكل معجز .

كانت رسالة محمد (ص) تحطيماً لطاغوت الشرك بالله وطاغوت التعصب

الديني (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وطاغوت التعصب الجنسي « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وطاغوت التفرقة الاجتماعية « كلكم لآدم وآدم من تراب » وطاغوت الظلم والبغي والطغيان وطاغوت الرق وطاغوت الرجل طغيانه على المرأة ، فقررت للمرأة حقوقها الانسانية في صورة شريفة لا رجعة فيها ولا نكسة « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » .

فرسالة محمد (ص) رسالة شاملة عامة تجمع بين سعادة الفرد في دنياه وآخرته ، رسالة روعي فيها الجانب الروحي والجانب المادي على ضوء العقل والمنطق (لا ضرر ولا ضرار) ، فالاسلام في صميمه حركة تحريرية من براثن الشرك والطبقية والبغي والتفريق العنصري وكل ما يلوث النفس الانسانية من شهوات ونزوات .

الا أن أوروبا عارضت هذا الدين عندما أشرق نوره على أوساط الغرب أشد المعارضة وشوهت سمعة الاسلام ووصمته بالشرك وان محمداً إله يعبد ، لذلك يقول أحد فلاسفة الغرب : « إن أوروبا قد ارتكبت أعظم الجرائم عندما سدت أبوابها على المسلمين الفاتحين وحرمت العالم من تعاليم هذا الدين القويم دين الاسلام ، ولولا هذه المعارضة الأثيمة لرأيت العالم اليوم يوحد الله في أرضه ويطبق أوامر الله وتعاليمه التي أوحى بها الى نبيه الكريم ، فلا تطاحن ولا تباغض » .

ولم تكتف أوربا بخلق الاكاذيب فحسب بل أخذت تتهم الاسلام بأنه دين لا يساير العصر في نظمه وتعاليمه ، فأملوا على شبابنا بعد أن ولجوا في أحضان المادة بما فيها من مآثم وشهوات ، شبهاتٍ واتهامات ما أنزل الله بها من سلطان .

فقالوا : إن الاسلام لا يساير العلم ، حين أن المسلمين ــ حسب اعتراف فلاسفة الغرب وكبــار علمائهم ــ هم مؤسسوا النهضة العلمية الحاضرة لأوربا ، وهم مكتشفوا الطريقة التجريبية التي تعرف اليوم بالطريقة البيكونية، وهم واضعوا الهندسة التحليلية والتحليل الرياضي وعلم الجبر والفلك العالي، ولهم مكتشفات هامة في الحجوم والمساحات ، وان نصف أسماء النجوم في علم الفلك اليوم هي أسماء عربية وهم واضعوا الاسطرلابات ، وقد بنوا مراصد هامة في مختلف البلدان ولا سيما في الاندلس ، وعندما اهدى الخليفة العباسي ساعة الى شارلمان حسبوا أن فيها جنياً يحركها .

غاية ما هنالك كان الدين والتقوى يرافقان العلم ولا ينفكان عنه ، فالمكتشف كان لو اشكلت عليه مسألة أو عسر عليه اكتشاف ما يريد اكتشافه توسل الى الله وصلى ركعاتٍ وسأل الله عز وجل في حل مشكلته ، وهذا مما أدى ان لا يكون العلم آلة هدم وتخريب للمعتقدات والفضائل ، بخلاف ما نشاهده في جامعات العالم اليوم .

وقالوا ان الاسلام يدعو الى الكسل والانزواء ، حين ان الاسلام يأمر بالعمل والجهد المتواصل بشكل لا يؤدي الى الافساد في الارض واهمال النواحي الروحية والعبادية . وهو القائل « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) . إن رسول الله (ص) قبل ذات يوم يد عامل قائلاً : « إنها يد يحبها الله » تقديراً لمقام العامل في المجتمع . وقد جاء في حديث : « إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حقٍ حقه » .

وفي حديث قال رسول الله (ص): « ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته أو ترك آخرته لدنياه ، بل خيركم من أخذ من هذه وهذه » .

وقالوا لمَ أقر الاسلام الرق ، ؟ الاسلام لم يقر الرق وانما نظام الحروب

في العصر الجاهلي كان يحتم ذلك والاسلام قد الغى الرق بصورة تدريجية في جعل أحد وجوه مصروفات بيت المال عتق الرقاب . بقوله تعالى « وفي الرقاب » .

وقالوا إن الاسلام قام بالسيف ، حين أن الاسلام كان مدافعاً عن مبدئه وان مائتي مليون في الصين واندونيسيا والهند اسلموا بمجرد الدعوة ، وهكذا اضافوا أكاذيب اخرى ، الاسلام منها براء ، ولا مجال لذكرها . فما على المسلمين لا سيما الشباب المؤمن الا أن يقوموا بتطبيق قواعد الاسلام وازاحة هذه الرواسب البعيدة عن الحق والواقع وان يرفعوا لواء الاسلام عالياً وبجهاد متواصل ليتحقق ما تنبأ به بعض علماء الغرب من جعل الاسلام ديناً عالمياً فلا تسمع في جميع بقاع الأرض الا : لا إلـه إلا الله ، محمد رسول الله .

***

ليـلة الميـــلاد [١]

ما أبهجها من ليلة وما أسعدها ، انها ليلة حافلة بالخيرات والبركات للناس كافة ، ليلة تضم بين جوانبها رجلاً عظيماً يفوق العظماء ومنقذاً للبشرية جمعاء لا كسائر المنقذين [٢] .

انها ليلة يولد في صبيحتها في بيت الله الحرام سيد الوصيين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين عليٌّ أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام .

أنى لانسان عادي أن يصف مَن بلغ مرتبة النبوة كمحمد (ص) أو مرتبة الامامة كعلي (ع) ، إنهما من عوالم القدس ، حيث ليس للمقاييس المادية أن تخطو هنالك خطوة واحدة . إنه عالم تكاملي نفسي ، ولا يمكن تفهم هذا الصقع الشامخ من عوالم النفس بمقاييس متعارفة بشرية . لذلك ، يقول الغزالي ، ليس للطفل أن يتفهَّم ما يقوم به فيلسوف متبحِّر من محاكمات واستنتاجات واستقراءآت . وذلك أشبه شيء بمن يريد تفهم الرياضيات العالية بمقاييس الرياضيات العادية .

فليس علي (ع) من يمكن وصفه بمقاييس معلومة يفهمها الناس ، وانما شأنه شأن الأنبياء (ع) . يمكن التعرف اليه بما صدر عنه من آثارٍ وابداع .

حقاً انه لمن الصعوبة بمكان ، بل من المستحيل أن يقوى أحد على وصف رجلٍ يقول فيه رسول الله (ص) مخاطباً إياه :

« لو كانت السماوات قرطاساً والأشجار أقلاماً والبحار مداداً والانس كتاباً والجن حساباً ، لما أحصوا معشار فضائلك ، يا علي » .

---

(١) القيت ليلة ميلاد الامام علي عليه أفضل الصلاة والسلام .

(٢) عدا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

أنى لرجل أن يصف علياً عليه السلام وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لولا أني أخشى على أمتي أن تقول فيك ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولاً ما مررت بقوم الا وأخذوا التراب من تحت قدميك يتبركون به » . وهو الذي قال فيه رسول الله : « من أراد أن ينظر الى آدم في علمه والى نوح في عبادته والى ابراهيم في خِلته والى موسى في هيبته والى عيسى في زهده والى يحيى في ورعه ، فلينظر الى علي ابن أبي طالب ، فإن فيه سبعين خصلةً من خصال الأنبياء » .

كيف يوصف من يقول فيه رسول الله (ص) على ما يروي لنا عمر : « لو وُضع إيمان علي في كفة والسماوات والأرضون في كفة لرجح ايمان علي » ...

كيف لا يكون علي كذلك وهو الذي كان يُغمى عليه من خوف الله تعالى كل ليلة مرات . وكان يكتفي بالملح أداماً ، وكان يحمل على ظهره الطعام جوف الليل الى بيوت الأرامل والفقراء . وقد طلق الدنيا ثلاثاً وهو مصداق هذه الآية : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية » .

فإن قوة إيمان الشخص ليتناسب مع درجة تطهير نفسه وقيامه بأعمال صالحات ومَن مثل علي في هذا المضمار ؟ فحقيق أن يقول بشأنه رسول الله (ص) : برز الايمان كله الى الشرك كله » .

وقد جاء في الحديث : « عبدي أطعني ، أجعلك مثلي تقول للشيء كن فيكون » . ولذلك ظهر على يد علي عليه السلام كثير من المكرمات والمعاجز مما يحيِّر الألباب .

فنهج البلاغة كتاب حوى أصولَ الفلسفة الحقة عن الكون والحياة ومصير الانسان وواقعه واصول الاقتصاد ، حيث لا يضحى بالفرد على حساب المجتمع ولا بالمجتمع على حساب الفرد ، حوى أسس ادارة شؤون البلاد وما

يربط الشعب بالهيأة الحاكمة من حقوق ، فهو كتاب فلسفي ، اجتماعي ، عرفاني ، اقتصادي ، ادبي ، وفيه فصل الخطاب في كل حقل يحتاجه الانسان في سيره التكاملي .

فليس لله بعد رسول الله (ص) آية أكبر من علي (ع) ، في جميع الحقول من علمية وفلسفية وغيرهما .

يسأل علي عليه السلام : عن المسافة بين السماء والأرض ، فيجيب (ع) : دعاء" مستجاب ...

حقاً ، أن هذا الجواب ، آخر ما يمكن أن يقال بشأن هذا الفضاء اللانهائي الرحيب، فقد اكتشف أخيراً أن هنالك مجرات وكواكب تبعد عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية وانها تتباعد بعضها عن بعض بسرعة هائلة وان الكون يتسع كل يوم ولا يُعلم مدى ذلك وهو قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون » . ومعلوم . أنه لا يخلو مكان منه تعالى وهو القائل : « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » . فقول علي : «دعاء مستجاب» يسري في جميع أنحاء هذا الكون الواسع الأرجاء .

ثم يُسأل صلوات الله عليه : كم بين المشرق والمغرب فيجيب : « مسيرة يوم للشمس » . ولم يكن ليعلم ان للشمس حركة إلا قبل حوالي ٥٠ عاماً حيث تقدمت العلوم الرياضية العالية والميكانيك السماوي والمراقب . فعلموا أن الشمس مع توابعها من عطارد وزهرة وأرض ومريخ ومشتري وزحل وأورانوس ونپتون وپلوتو كلها تسير في الفضاء بسرعة سبعين الف كيلومتر في الساعة بشكل لولبي نحو نجمة تسمى بالنسر الواقع . وهو قوله تعالى : والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .

يُسأل عليه السلام عن مسائل رياضية ، فيجيب ارتجالاً دونما حساب وتفكير . يُسأل عن عدد يقبل القسمة على ٢ ، ٣ ، ٤ ... الى ١٠ فيقول

وهو يهمز فرساً له : « إضرب أيام سنتك في أيام اسبوعك » .

يُسأل عن مسائل فيزيائية ، فيحلها بشكل عملي ومعلوم ان علم الفيزياء لم يكن معلوماً في الجزيرة العربية في ذلك الوقت .

يسأل عن قطر الشمس ، فيجيب ، ٩٠٠ في ٩٠٠ ميل أي : ٨١٠ ٠٠٠ ميل ومعلوم أن الميل : ٤٠٠٠ ذراع لرجل متوسط القامة ، فلو حولنا الذراع الى انجات فأقدام ، فياردات ، فأميال ، لحصلنا على عين ما عليه الفلك العالي اليوم من أن قطر الشمس ٨٦٥٣٨٠ ميلا (الميل = ١٧٦٠ ياردة) .

وهكذا نرى علياً قد زق العلم زقاً ، وهو القائل : « هذا لعاب رسول الله ، هذا ما زقني رسول الله » علمني رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لي من كل باب ألف باب » ٠٠٠ هذا هو تعظيم الاسلام للعلم .

يقول علي عليه السلام : « بالعلم يُعرف الله ويوحَّد » . ويقول في مقام آخر ، : « كثرة العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب » .

لو قارنا بين هذين الحديثين لعلمنا أن العلم لا يمكن أن يكون موصلاً للحق والواقع وطريقاً للهداية ما لم يكن مقروناً بطاعة الله تعالى ، ما لم يكن مماشياً مع التقوى . فإن تباعد العلم عن التقوى وصار في معزل عن تهذيب النفس، أصبح وبالاً على الفرد بل على البشرية جمعاء ،كما نشاهد ذلك اليوم.

فضعف العقائد والاستهزاء بالمقدسات أو تسخيف الدين إنما هي نتيجة ثقافة عاريةٍ عن أساليب تكامل النفس وتهذيبها وتطهيرها من الدنس والرجس. ولم يكن شيوع المذاهب الباطلة من مادية ووجودية وغيرهما في أوروبا وغير أوروبا الا نتيجة انفصال العلم عن تكامل النفس الانسانية وجعل العلم المادي وحده معبوداً يُعبد ، حلالاً للمشكلات الاجتماعية والنفسية وغيرهما .

على أن عدداً يسيراً من رجال الفكر في أوروبا أخذوا ينددون بهذه الحضارة المادية التي لا تنبض الا بشهوات ونزوات ، ولا تصدر الا عن مادية

مظلمة حالكة • ولكن تيارات الشهوات الجارفة لم تدع أذناً صاغية لنداءاتهم ، حتى صرنا نجابه عالماً مسلوب الفضيلة والعاطفة شأنه الطيش والبطش •

فما الذي يُرجع العالم الى طمأنينة ودعة ، انما هو علم يمازجه التقوى ، يمازجه عبادة الله في أرضـــه ، إنما هو علم مع إيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم •

فالعالم بحاجة الى هُداة مهديين يهدون الناس سواء السبيل ، فقد قال علي عليه السلام : « أرسل رسولاً ليزيل به علتهم » • فالناس مرضى والأنبياء عليهم السلام ومن بعدهم الأوصياء هم المعدلون •

ويقول علي (ع) في موضع آخر : « أرسل أنبياء ليثيروا في الناس دفائن عقولهم ويهدوهم الى معايش تحييهم » • فالأنبياء مع إتمامهم مكارم الاخلاق ليحثون الناس على تعلم شتى العلوم ويهدونهم الى طرق اقتصادية تتحقق فيها العدالة الاجتماعية والإيثار • « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » • « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون ، اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » •

فما واجب المسلم تجاه الوضع العـــالمي الراهن ؟ عالم يسوده الزيغ والانحراف • واما في الوطن الاسلامي ، فتيارات مختلفة تجرف عقائد شبابنا وتجعل منهم أعداءً لدينهم ومقدساتهم •

فهنا واجبان خطيران : أولاً : هداية الشباب بطرق عصرية مجدية من فتح نوادي اسلامية بشكل جذاب وإلقاء محاضرات عليهم وتفهيمهم : أن الاسلام هو دين الحضارة الحقة وتعليمهم آداب دينهم • فالشاب المسلم يقضي أوقات فراغه في هذه النوادي لتهذيب نفسه وأخذها الى مراتب الكمال ويتعلم كيف يرشد الناس الى الدين القويم •

ثانياً : أن ينبري ثلة من رجالات الاسلام لتشكيل جمعية ذات فروع تأخذ على عاتقها تهيئة دعاةٍ للاسلام من الشباب المؤمن . دعاة تسلحوا بسلاح التقوى وسلاح العلم من ديني وعصري ، فيوزعون في أرجاء العالم لدعوة البشر الى دين الاسلام تحت نظام خاص ومناهج منظمة ومسؤوليات معينة . وهكذا يستنير العالم بهداهم ويكون الإسلام دين الفطرة ديناً عالمياً كما تنبأ (برناردشو) من قبل .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

فالى العمل ، الى العمل المتواصل أدعو كل مسلم غيور .

***

مسألة رياضية يحلها علي عليه السلام

قال السيد الداماد في بعض مؤلفاته في كتاب قبس الأنوار في الأوفاق الحروفية والعددية : كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول بالحروف وكان أحسن الناس ، ثم نقل هـذه الرواية : أن يهودياً أتاه ، فقال : يا علي ، أعلمني أي عدد يتصحح منه الكسور التسعة جميعاً من غير كسر وكذلك من كل من كسوره التسعة الا من خمسة ، فيكون له كل من الكسور التسعة مصححاً من غير كسر الا : الثمن لربعه والربع لثمنه والسبع لسبعه والتسع لتسعه والثمن لثمنه ، قال عليه السلام : إن أعلمتك تسلِم ؟ قال : نعم . فقال : إضرب اسبوعك في شهرك ، ثم ما حصل لك في أيام سنتك ، تظفر بمطلوبك . فضرب اليهودي سبعة في ثلاثين فكان المرتقى : (٢١٠) ، فضرب ذلك في ثلاثمائة وستين ، فكان الحاصل : (٧٥٦٠٠) . فوجد بغيته ، فأسلم .

حلّ وتوضيح : بما أنه يجب أن يكون للنصف ، نصف وثلث وربع وخمس وسدس وسبع وثمن وتسع وعشر . إذن يجب أن يكون للعدد المطلوب $\frac{1}{2} \times \frac{1}{2} = \frac{1}{4} = 1/2^2$.

أي يجب أن يقبل العدد القسمة على $2 \times 2 = 2^2$. ويجب أن يقبل القسمة على 2×3 لانه يجب أن يكون للنصف ثلث أي $\frac{1}{2} \times 1/3 = 1/6$. أي يجب أن يكون للعدد سدس .

وهكذا يجب أن يكون لنصف العدد المطلوب ربع أي : $\frac{1}{2} \times \frac{1}{4} = 1/8$. فيجب أن يقبل العدد القسمة على : $2 \times 4 = 2^3$ وعلى 2×5 وعلى $2 \times 6 = 2 \times 2 \times 3$ أو $2^2 \times 3$

وعلى ٢ × ٧ (ا)

وعلى ٢ × ٨ = ٢ × ٢٣ = ٢٤

وعلى ٢ × ٩ = ٢ × ٣٢

وعلى ٢ × ١٠ = ٢ × ٢ × ٥ = ٢٢ × ٥

وبما انه يجب أن يكون لثلث العدد نصف وثلث وربع ... وعشر فيجب ان يقبل القسمة على : ٣ × ٢ = ٣ × ٢ (لأنه ١/٣ × ١/٢ = ١/٦)

وعلى ٣ × ٤ = ٣ × ٢٢ (ب)

وعلى ٣ × ٥ = ٣ × ٥

وعلى ٣ × ٦ = ٣ × ٣ × ٢ = ٢ × ٢٣

وعلى ٣ × ٧ = ٣ × ٧

وعلى ٣ × ٨ = ٣ × ٢٣

وعلى ٣ × ٩ = ٣ × ٣٢ = ٣٣

وعلى ٣ × ١٠ = ٣ × ٢ × ٥

وبما انه يجب أن يكون لربع العدد نصف وثلث وربع وخمس ... الخ . (١/٤ × ١/٢ = ١/٨) .

اذن وجب أن يقبل العدد القسمة على ٤ × ٢ = ٢٢ × ٢ = ٢٣

وعلى ٤ × ٣ = ٣ × ٢٢

وعلى ٤ × ٤ = ٤ × ٢٢ × ٢٢ = ٤٢ (ج)

وعلى ٤ × ٥ = ٥ × ٢٢

وعلى ٤ × ٦ = ٦ × ٢٢ × ٢ = ٣ × ٢٣ × ٣

وعلى ٤ × ٧ = ٧ × ٢٢

وعلى ٤ × ٨ = ٨ × ٢٢ × ٢٣ = ٥٢

وعلى ٤ × ٩ = ٩ × ٢٢ × ٣٢

وعلى ٤×١٠ = $٢^{٢}$ × ٢ × ٥ = $٢^{٣}$ × ٥

وبما انه يجب أن يكون لخمس العدد نصف وكذلك ثلث وربع وخمس ... الخ . ولما كان (١/٥ × ١/٢ = ١/١٠) .

اذن وجب أن يقبل العدد القسمة على ٥ × ٢

وعلى ٥ × ٣

وعلى ٥ × ٤ = ٥ × $٢^{٢}$

وعلى ٥ × ٥ = $٥^{٢}$

وعلى ٥ × ٦ = ٥ × ٢ × ٣ (د)

وعلى ٥ × ٧ = ٥ × ٧

وعلى ٥ × ٨ = ٥ × $٢^{٣}$

وعلى ٥ × ٩ = ٥ × $٣^{٢}$

وعلى ٥×١٠ = ٥ × ٥ × ٢ = $٥^{٢}$ × ٢

وبما انه يجب أن يكون لسدس العدد نصف وكذلك ثلث وربع وخمس ... الخ .

اذن وجب ان يقبل العدد القسمة على ٦ × ٢ = ٢ × ٣ × ٢ = $٢^{٢}$ × ٣

وعلى ٦ × ٣ = ٢ × ٣ × ٣ = ٢ × $٣^{٢}$

وعلى ٦ × ٤ = ٢ × ٣ × $٢^{٢}$ = $٢^{٣}$ × ٣

وعلى ٦ × ٥ = ٥ × ٣ × ٢ (هـ)

وعلى ٦ × ٦ = ٢ × ٣ × ٢ × ٣ = $٢^{٢}$ × $٣^{٢}$

وعلى ٦ × ٧ = ٢ × ٣ × ٧

وعلى ٦ × ٨ = ٢ × ٣ × $٢^{٣}$ = $٢^{٤}$ × ٣

وعلى ٦ × ٩ = ٢ × ٣ × $٣^{٢}$ = ٢ × $٣^{٣}$

وعلى ٦ × ١٠ = ٢ × ٣ × ٢ × ٥ = $٢^{٢}$ × ٣ × ٥

وبما أنه يجب أن يكون لسبع العـدد نصف وكذلك ثلث وربع وخمس ... الخ .

إذن وجب أن يقبل العدد القسمة على ٧ × ٢

وعلى ٧ × ٣

وعلى ٧ × ٤ = ٧ × $٢^{٢}$

وعلى ٧ × ٥ (و)

وعلى ٧ × ٦ = ٧ × ٢ × ٣

وعلى ٧ × ٧ = $٧^{٢}$

وعلى ٧ × ٨ = ٧ × $٢^{٣}$

وعلى ٧ × ٩ = ٧ × $٣^{٣}$

وعلى ٧ × ١٠ = ٧ × ٢ × ٥

وبما أنه يجب أن يكون لثمن العـدد نصف" وكذلك ثلث وربع وخمس ... الخ .

إذن وجب أن يقبل العدد القسمة على ٨ × ٢ = $٢^{٣}$ × ٢ = $٢^{٤}$

وعلى ٨ × ٣ = $٢^{٣}$ × ٣

وعلى ٨ × ٤ = $٢^{٣}$ × $٢^{٢}$ = $٢^{٥}$

وعلى ٨ × ٥ = $٢^{٣}$ × ٥ (ز)

وعلى ٨ × ٦ = $٢^{٣}$ × ٢ × ٣ = $٢^{٤}$ × ٣

وعلى ٨ × ٧ = $٢^{٣}$ × ٧

وعلى ٨ × ٨ = $٢^{٣}$ × $٢^{٣}$ = $٢^{٦}$

وعلى ٨ × ٩ = $٢^{٣}$ × $٣^{٢}$

وعلى ٨ × ١٠ = $٢^{٣}$ × ٢ × ٥ = $٢^{٤}$ × ٥

وبما أنه يجب أن يكون لتسع العدد نصف وكذلك ثلث وربع ... الخ

دون باقٍ .

إذن وجب أن يقبل العدد القسمة على ٩ × ٢ = ٢ × ٢٣

وعلى ٩ × ٣ = ٣٣ × ٣ = ٣٣

وعلى ٩ × ٤ = ٢٣ × ٢٢

وعلى ٩ × ٥ = ٢٣ × ٥ (ح)

وعلى ٩ × ٦ = ٢٣ × ٢ × ٣ = ٣٣ × ٢

وعلى ٩ × ٧ = ٢٣ × ٧

وعلى ٩ × ٨ = ٢٣ × ٣٢

وعلى ٩ × ٩ = ٢٣ × ٢٣ = ٤٣

وعلى ٩ × ١٠ = ٢٣ × ٢ × ٥

وبما أنه يجب أن يكون لعشر العـدد نصف" وكذلك ثلث وربع وخمس ... الخ .

إذن وجب أن يقبل العدد القسمة على ١٠ × ٢ = ٢ × ٥ × ٢ = ٢٢ × ٥

وعلى ١٠ × ٣ = ٢ × ٥ × ٣

وعلى ١٠ × ٤ = ٢ × ٥ × ٢٢ = ٢٢ × ٥

وعلى ١٠ × ٥ = ٢ × ٥ × ٥ = ٢ × ٢٥ (ط)

وعلى ١٠ × ٦ = ٢ × ٥ × ٢ × ٣ = ٢٢ × ٥ × ٣

وعلى ١٠ × ٧ = ٢ × ٥ × ٧

وعلى ١٠ × ٨ = ٢ × ٥ × ٣٢ = ٥ × ٤٢

وعلى ١٠ × ٩ = ٢ × ٥ × ٢٣

وعلى ١٠ × ١٠ = ٢ × ٥ × ٢ × ٥ = ٢٢ × ٢٥

فالمضاعف المشترك البسيط لجميع هذه الأعداد هو :

٦٢ × ٤٣ × ٢٥ × ٢٧ = ٦٤ × ٨١ × ٢٥ × ٤٩ = ٦٣٥٠٤٠٠

فلو رجعنا الى حل المسألة كما في المنطوق وقمنا بالعملية الآتية :

٧ × ٣٠ × ٣٦٠ (عدد ايام الاسبوع في عدد أيام الشهر في عدد أيام السنة)

٣٠ = ٢ × ٣ × ٥ .

٣٦٠ = $٢^{٣}$ × $٣^{٢}$ × ٥

إذن : ٧ × ٣٠ × ٣٦٠ = ٧ × ٢ × ٣ × ٥ × $٢^{٣}$ × $٣^{٢}$ × ٥

٧ × $٢^{٤}$ × $٣^{٣}$ × $٥^{٢}$ = ٧٥٦٠٠

فلا يوجد في حاصل الضرب الأخير $٢^{٦}$ أو $٢^{٣}$ × $٢^{٣}$ = ٨ × ٨

فلا يكون له ثمن الثمن (كما هو منطوق المسألة)

ولا يوجد في حاصل الضرب الأخير ٩ × ٩ = $٣^{٣}$ × $٣^{٣}$ = $٣^{٤}$

إذن لا يكون له ربع الثمن أو ثمن الربع (كما في المنطوق) ولا يوجد الضرب الأخير ٤ × ٨ = $٢^{٢}$ × $٢^{٣}$ = $٢^{٥}$.

إذن لا يكون له ربع الثمن أو ثمن الربع (كما في المنطوق) ولا يوجد في حاصل الضرب الأخير ٧ × ٧ = $٧^{٢}$.

إذن لا يكون له سبع السبع . (كما في المنطوق)

فطريقة الحل : أن يؤخذ المضاعف المشترك البسيط للنتائج الأخيرة ، (أ) ، (ب) ، (ج) ، (د) ، (هـ) ، (و) ، (ز) ، (ح) ، (ط) ، فيكون هذا المضاعف = $٢^{٦}$ × $٣^{٤}$ × $٥^{٢}$ × $٧^{٢}$.

وبما أنه يجب أن لا يكون للعدد المطلوب سبع السبع، ١/٧ × ١/٧ = ١/$٧^{٢}$

إذن وجب أن يكون أس ٧ في المضاعف المشترك البسيط واحداً .

وبما انه يجب أن لا يكون للعدد المطلوب تسع التسع أو ١/٩ × ١/٩ أو ١/$٣^{٣}$ × ١/$٣^{٣}$ = ١/$٣^{٤}$ ، إذن وجب أن يكون أس ٣ في المضاعف المذكور ٣ أي $٣^{٣}$.

وبما أنه يجب أن لا يكون للعدد المطلوب ربع الثمن أو ١/٤ × ١/٨ أو

$١/٢^{٢} \times ١/٣^{٢} = ١/٢^{٥}$ إذن وجب أن ينزل أس ٢ الى ٤ فيكون $٢^{٤}$ في المضاعف المشترك البسيط . لأن العدد لا يقبل القسمة على $٢^{٥}$ أو لا يكون له ربع الثمن ما لم يكن أحد عوامله $٢^{٥}$ وكذا الحال في ثمن الربع = $١/٨ \times ١/٤ = ١/٣^{٢} \times ١/٢^{٢} = ١/٢^{٥}$.

وبصورة طبيعية لا يكون للعدد المذكور : أي (٧٥٦٠٠) ثمن الثمن ، ذلك لأنا نزلنا أس ٢ الى ٤ أي جعلناه $٢^{٤}$ والعدد لا يكون له ثمن الثمن = $١/٨ \times ١/٨ = ١/٣^{٢} \times ١/٣^{٢} = ١/٢^{٦}$ ما لم يكن فيه العامل $٢^{٦}$ وقد حذفناه بجعل الأسس ٢ ، ٤ (أربعة) .

فتكون العوامل للعدد المطلوب ايجاده كما يلي :

$$٧ \times ٢^{٤} \times ٣^{٣} \times ٥^{٢} = ٧ \times ٥ \times ٣ \times ٢ \times ٣^{٢} \times ٢^{٣} \times ٥ =$$

$$٧ \times ٥ \times ٣ \times ٢ \times ٨ \times ٩ \times ٥ = ٧ \times ٣٠ \times ٣٦٠ = ٧٥٦٠٠$$

وهو حاصل ضرب أيام الاسبوع في أيام الشهر ثم في أيام السنة . كما قال به الامام عليه أفضل الصلاة والسلام .

***

ميلاد الزهراء عليها السلام [1]

ما أبهجها من ليلة ، انها ليلة يحتفى فيها بذكرى ميلاد سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها • فإنها كانت قد بلغت من الكمال أوجاً قاصياً • كان يحبها رسول الله (ص) حباً جماً • فاذا دخلت عليه قام لها وأجلسها في مجلسه ، واذا قصد سفراً كان آخر الناس عهداً به فاطمة واذا قدم من سفر أتى المسجد فصلى فيه ركعتين ثم ثنّى بفاطمة (ع) ثم يأتي أزواجه • وهكذا كانت فاطمة عليها السلام موضع حفاوة رسول الله (ص) • فقد روى كل من البخاري ومسلم والترمذي عن النبي (ص) انه قال : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء الا مريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » •

ذلك لأن النساء من حيث الطاقات أقل من الرجال كما يقول ذلك العالم الاجتماعي (پردون) • إنه يقول : « إن الحياة الاجتماعية تتألف من طاقات ثلاث : العلم والعمل والعدالة • وان نسبة طاقات الرجل الى طاقات المرأة كنسبة ٣ الى ٢ أي ٣/٢ ، فللعلم ٣/٢ ، وللعمل ٣/٢ ، وللعدالة ٣/٢ • إذن ٣/٢ × ٣/٢ × ٣/٢ = ٢٧/٨ فيُعلم من هاهنا أن نسبة طاقات الرجل الى المرأة كنسبة ٢٧ الى ٨ أي : ٢٧/٨ •

يقول الله تبارك وتعالى : «الرجال قوامون على النساء» وفي آية أخرى : « وللرجال عليهن درجة » •

---

(١) القيت هذه الكلمة فى حفلة اقيمت من قبل الطلاب الجامعيين احياءً لذكرى ميلاد سيدة النساء (ع) فى ٢٠ ج٢/١٣٨٢ فى الكاظمية .

ومما لا مراء فيه ان التكامل العلمي انما كان من قبل الرجال ، وإن عقول الرجال هي التي جاءت بهذه الكتلة من المكتشفات والمخترعات والنظريات فلم تنبغ امرأة في العلوم العقلية وفي المكتشفات الرياضية والفلكية والفيزيائية الى ما هنالك الا (مادام كوري) : استاذة الفيزياء في جامعة (صوربون) . فقد جاءت بنظرية الاشعاع حين أخفت في جيبها قطعة من الراديوم كانت قد علمت وزنها قبلاً . وقد أكمل الفيزياويون هذه النظرية حتى بلغوا الى تحطيم الذرة ودستور اكتشفه (آينشتاين) ط = ك ع٢ .

أي أن الطاقة التي ادخرها الله تعالى في بطن الذرة تعادل مربع سرعة الضوء مضروباً في الكتلة . وما أعظم هذه الطاقة . فليتق الانسان ربه عندما يشاهد ما أودع الله في هذا الكون من طاقات هائلة تحيِّر الألباب .

سادتي ، ان العالم بأجمعه عالم كمال في الحياة المادية . فلو أبصرتم ما في بطن الذرة من كمال وما أودع الله من كمال فائق في كل جزء من أجزاء هذا الكون الرحيب ، لعلمتم ان ما من شيء في هذا العالم المادي الا وقد بلغ أقصى مراتب الكمال . وان هذا الانسان بغروره وخيلائه لهو شيء ضئيل وضئيل جدا في هذا الكون اللا نهائي .

وقد يكون الانسان مغروراً بمركزه في هذا الكون . ولكن شمسنا هذه التي هي أكبر من أرضنا هذه ٠٠٠ ٣٠٠ ١ مرة تقريباً ما هي الا نجم متوسط الحجم من نجوم مجرّة (درب التبانة) التي يبلغ عددها مئة الف مليون نجم تقريباً . وليست شمسنا هذه ومع الأسف واقعة في منتصف هذه المجرة الكبيرة جداً ولكنها واقعة قرب الطرف على الحافة تقريباً في موقع مدحور ، ليس من العظمة في شيء .

وأعظم من هذا فقد علم الفلكيون أن هناك من (المجرات) في الكون بعدد النجوم الموجودة في مجرتنا هذه : (درب التبانة) . إذن ما قيمة هذا

الانسان المغرور بنفسه في هذا الكون الرحيب الذي لا يمكن الوصول الى غوره وأعماقه . هذا الكون الذي كلما كملت آلات الرصد والعلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائية عثروا فيه على شموس ومجرات وسدم أخرى تدهش العقول والألباب .

والانسان وهو على سطح الأرض يتحرك بحركات شتى . انه يتحرك مع سطح الأرض حين تدور حول نفسها وسرعتها باتجاه دورانها تبلغ ربع الميل في الثانية أي (٩٠٠ ميل في الساعة) اذا كان على خط الاستواء وأقل من ذلك كلما قارب القطبين .

والانسان يتحرك مع الأرض نفسها في دورتها السنوية حول الشمس . والأرض تسير في حركتها هـذه بسرعة ١٨ر٥ ميلاً في الثانية أي ثلاثين كيلومتراً في الثانية .

والشمس وكواكبها تسير في هذا الكون الرحيب بالنسبة الى جاراتها النجوم ، بسرعة هائلة (٧٢٠٠٠) كم/ساعة على شكل لولبي نحو نجمة تسمى بالنسر الواقع: «والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم» .

وان الشمس كما قلنا هي نجم من نجوم مجرّة « درب التبانة » وهذه كالمجرات الأخرى تدور حول نفسها بسرعة هائلة وشمسنا تدور معها طبعاً ونحن ندور مع أرضنا أيضا وسرعة مجرتنا هذه حين دورانها حول نفسها مائة وعشرون ميلاً في الثانية أي : ٤٣٢٠٠٠ ميل/ساعة .

وان المجرات تتباعد بعضها عن بعض بسرعة هائلة ، بسرعة تتراوح بين (٦٠٠ — ٤٠٠٠٠) ميل/ثانية فيتسع هذا الكون يوماً بعد يوم ويتحقق قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » .

فما هي قيمة الانسان في هذا الكون الفسيح ان هو لم يعبد الله تبارك وتعالى ولم يخشع ولم يقم بأعمال صالحات تطهيراً لنفسه وابلاغها مراتب

الكمال . وهل يحق للانسان أن يغتر بنفسه لأن الله منَّ عليه فعرَّفه شيئاً ضئيلا مما أودع من كمال في هذا الكون . وهل كان للانسان دخل في سير الشموس والمجرات وفي صنع الذرة !

« يا أيها الانسان ما غرَّك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك ، كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » [1] .

ليفكر الانسان في ما أودع الله من دساتير رياضية ومعادلات عميقة تربط أجزاء هذا الكون بعضها ببعض بكمال فائق ما بعده كمال ، وكيف أن هذا الكون إنما هو مجموعة قوى وطاقات كهربائية ومغناطيسية وجاذبية وأنه لا مجال للمادة (بالمعنى الذي يقوله الماديون) فيه وكيف ان الله تعالى يسيِّر الألكترون في بطن الذرة (هذه التي لا يمكن أن ترى بأدق الآلات) بسرعة ٢٠٠٠ كم في الثانية حول النواة : البروتون ، وأن قطر نواة الذرة = ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ر٠مم أي واحداً من ترليون جزء من الميليمتر . وكيف أن الله تعالى جعل البروتونات وهي كهربائية موجبة متماسكة بعضها مع بعض بطاقات هائلة ، لو تحررت اهلكت كل ما حواليها الى مسافات شاسعة ، ليفكر الانسان في هذا الكمال الذي أودعه الله في كل ما خلق من عوالم شتى : عالم الجماد والنبات والحيوان ، ليرى ان هنالك كمالين : كمالاً قسرياً نشاهده في الذرة وفي الشمس والقمر والكواكب والمجرات والنيازك والسدم والغاز الكوني : هيدروجين ، وكمالاً تدريجياً اختيارياً لهذا الانسان الناقص ، الذي لابد له أن يتكامل وان يقطع سيره التكاملي . ذلك : لأن الكامل على الاطلاق وهو الله تعالى لا يصدر منه الا (الكمال) . فإما كمال قسري وهذا ما نشاهده في الذرة وغير الذرة وكمال تدريجي اختياري لهذا الانسان على لسان الأنبياء

(١) سورة الانفطار : ٦ — ١٢ .

والأوصياء عليهم السلام .

فالأنبياء والأوصياء معصومون من الزلل وهم قدوة للكمال البشري . وقد جعل الله تعالى للنساء قدوةً من النساء الصالحات ، وان فاطمة الزهراء سيدة النساء الكاملات . بل هي قدوة للرجال وللبشر أجمع. كيف لا تكون كذلك وهي التي عبدت الله تبارك وتعالى حتى تورمت قدماها . يقول الحسن (ع) رأيت فاطمة (ع) قامت في محرابها ليلة جمعتها ، فلم تزل راكعةً ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء . فقلت لها ألا تدعين لنفسك . فقالت : يا بُنَي ، الجار ثم الدار . وهي التي أوصت أن توضع في كفنها قارورة كانت قد جمعت فيها بعض ما ذرفت من الدموع خوفاً من الله تعالى .

ونراها تبذل ما لديها في سبيل الله تعالى لتحكيم دعائم الاسلام . فقد روى أحمد بن حنبل أن رسول الله (ص) رأى ذات يوم مِسحاً (وهو كساء معروف) على باب دار فاطمة ورأى على الحسن والحسين قُلبين (أي سوارين) من فضة فرجع ولم يدخل عليها . فظنت أنه لأجل ما رأى . فهتكت الستر ونزعت القلبين عن الصبيين فقطعتهما ، فبكى الصبيّان ، فقسمته بينهما . فانطلقا الى رسول الله (ص) وهما يبكيان ، فأخذه رسول الله منهما وقال : « يا ثوبان ، إذهب بهذا الى بني فلان ، واشترِ لفاطمة قلادة من عَصب (هو سن دابة بحرية) وسوارين من عاج . فإن هؤلاء أهل بيتي ، ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا » .

وروى الصدوق في الأمالي : قال : كان النبي (ص) اذا قدم من سفره بدأ بفاطمة ، فدخل عليها ، وأطال عندها المكث . فخرج مرة في سفره . فصنعت فاطمة مِسكتين من ورق (أي فضة) وقلادة وقرطين وستراً للباب لقدوم أبيها وزوجها . فلما قدم رسول الله (ص) دخل عليها . فوقف أصحابه

على الباب . فخرج عليهم وقد عرف الغضب في وجهـه ، حتى جلس عند المنبر . فظنت فاطمة أنه انما فعل ذلك لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر . فنزعت ذلك وبعثت به الى رسول الله (ص) وقالت للرسول ، قل له : « تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول إجعل هذا في سبيل الله » . فلما أتاه ، قال : « فعلت فداها أبوها » ثلاث مرات ، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ، لو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء ، ثم قام ، فدخل عليها ..

يأتي رجل من مهاجرة العرب الى رسول الله وهو في المسجد ، فيقول : إني جائع الكبد فأطعمني وفقير فأغنني وعاري الجسد فاكسني ... فيقول له رسول الله (ص) : « ما أجد لك شيئاً . ولكن الدال على الخير كفاعله . انطلق الى ابنتي فاطمة » . وأمر بلالاً ، فوقف به على منزل فاطمة (ع) . فنادى بأعلى صوته : « السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومختلف الملائكة . يا بنت محمد » إني عاري الجسد ، جائع الكبد . فارحميني يرحمك الله . وكان علي وفاطمة ثلاثاً ما طعموا طعاماً .. فتعمد فاطمة الى جلد كبش مدبوغ كان ينام عليه الحسنان وتعطيه الشيخ قائلةً : « عسى الله أن يتيح لك ما هو خير منه » . فيقول الشيخ : « أنا شكوت اليك الجوع ، فناولتيني جلد كبش . فما أنا صانع به مع ما أجد من السغب » فتعمد فاطمة (ع) الى عِقد في عنقها ، أهدته اليها فاطمة بنت عمها حمزة . فتقطعه من عنقها وتنبذه الى الأعرابي . وتقول : « خذ وبعه ، فعسى الله أن يعوضك بما هو خير لك منه » . فتقضى حاجة الرجل ويرجع الى أهله فوراً .

كيف لا تكون فاطمة امرأة قد بلغت غاية الكمال . فإن رسول الله قد دخل عليها ذات يوم فرأى عليها كساءً من أجلال الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله (ص) ، فقال : « يا بنتاه تعجلي مرارة

الدنيا بحلاوة الآخرة » . فقالت : « يا رسول الله ، الحمد لله على نعمائه والشكر على آلائه » . فأنزل الله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

انظروا الى هذا الكمال الرائع الذي تشاهده عند فاطمة الزهراء سلام الله عليها . ذلك أن رسول الله (ص) يسأل ذات يوم نساء المدينة : ما هو أفضل شيء للمرأة . فتأتي الأجوبة ، وبينها من تقول : « أفضل شيء للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل » . فيعلم رسول الله أن هذا الجواب إنما هو من بنته فاطمة الزهراء (ع) . فيقول (ص) : « ذرية بعضها من بعض » .

كل ذلك ، لأن اختلاط الجنسين يؤدي الى فساد في الأرض والفساد يزيح الايمان !. وهو قوله تعالى : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » . « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار » . وقد قال تعالى : « وحقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » .

وهكذا يعمل الفسق في إزاحة الايمان ، حتى جاء في الحديث : النظرة سهم من سهام إبليس لعنه الله ، فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يرى حلاوته في نفسه » . لذلك يكره (كما جاء في الحديث) أن يجلس الرجل حيث جلست المرأة قبل أن يبرد محلها .

سادتي ، إن أوروبا بمجونها وشهواتها ونزواتها ومجالس الرقص فيها ترجع القهقرى ، إنها ترجع الى جاهلية جهلاء . وإن هذه الحضارة كما قال بذلك كبار علمائها آئلة الى انهيار عاجل .

فإذا رأينا ان امرأة امريكية تأتي الى باريس وتقف في وسط شارع (شانزيليزه) ، تنزع ما عليها من ثياب وتصبح عارية وتمشي في الشارع لتُرى الناس ما بلغت أمريكا من الحرية ، أو اذا رأينا أن البنات يختطفن الشبان في سوئد واذا رأينا ان لا بأس بما يحدث في السيارة في ايطاليا في

شارع عام بين الرجل والمرأة ما دام هنالك ستار ، واذا رأينا ان الناس يَنزو بعضهم على بعض علانية على سواحل البحار وضفاف الأنهار وخلف الاشجار بل على قارعة الطريق ! واذا رأينا أن الفتاة لها أن تعمل ما تشاء قبل الزواج ، فإنما نرى ما كان عليه البدائيون قبل بعثة الرسل ، وما عليه الآن القبائل المتوحشة من تقديم الرجل زوجته الى ضيفه ليلاً ومن أن البنت لها أن تتصل بمن تشاء اذا بلغت الخامسة من عمرها وان تقدم البنت ليلة زفافها الى المدعوين واحداً بعد آخر . أو الى رئيس القبيلة أو الملك حتى يأتي بعد ذلك دور الزوج !!!..

فوظيفة الشباب المؤمن أن يقوم بجد بالغ لنشر الدعوة الاسلامية وانقاذ البشرية مما ألمّ بها من جاهلية جهلاء . وحري بجميع المؤمنين الأثرياء أن يقوموا بتأسيس أندية للشباب في كل بلد اسلامي ، لكي يجتمع الشباب المؤمن في هذه الأندية في أوقات الفراغ فيتعلم فيها مبادىء الدين الاسلامي ، وتفسير القرآن وشيئاً من الفقه والحديث ، ويجب أن تضم هذه الأندية قاعةً كبيرة للصلاة وقاعة للمحاضرات ومكتبة اسلامية وساحة للألعاب المشروعة التي تقوي العضلات وتجعل الشاب المؤمن قوياً في جسده .. فقد قال الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . وأهمها قوة الأبدان ...

فكم من شبان كانوا سبباً لإسلام كثيرين . فهذه اليابان متعطشة الى مبلغين ودعاة يدعونهم الى الدين الحنيف وهكذا في أوساط إفريقيا وفي أمريكا وأوروبا .

ونحن نرى والحمد لله تقدماً محسوساً بين الشباب في التوجه الى الاسلام والقيام بجهاد ملموس في خدمة الدين .

وهل سمعتم قبل هذا أن شبانا جامعيين وغير جامعيين يقيمون حفلة كبرى إحياءً لذكرى سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها . أو

يقومون بإقامة الصلاة في كليات جامعة بغداد . ككلية الهندسة والعلوم والآداب والتربية ... وهل سمعتم شباناً أخذوا على عواتقهم أن يضحوا بالنفس والنفيس في سبيل نشر الدعوة الاسلامية في أصقاع الأرض ليرفعوا لواء الاسلام عالياً ، فيعم الدين الاسلامي الأرض كلها فيكون الاسلام ديناً عالمياً كما تنبأ بذلك (برناردشو) قبل سنين .

فجزاكم الله أيها الشبان المجاهدون عن الاسلام خيراً . فأنتم القدوة الصالحة ، يقتدى بكم في بقاع الأرض ، في الجامعات وغيرها من المعاهد . فالاسلام لكم واليكم ، فهبوا مضحين . فلا شيء أثمن في هذا الكون من أن يأخذ شاب بيد شاب آخر يهديه الى صراط الله القويم . ففي هذه الهداية حياة خالدة هنيئة تهديها أنت لأخيك الشاب . انه تعالى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه اليه تحشرون » .

كيف ننقـــذ الشباب

لاقيت في الليلة الماضية رجلاً فاضلاً ، فقلت له : قد قمنا بتنظيم للشباب المؤمن الذي يحضر لسماع المحاضرات الدينية ، ليالي الجمعة وليالي السبت ، فشكلنا منهم لجنة باسم : لجنة التنظيم ، ولجنة باسم : لجنة الثقافة الدينية ، ولجنة باسم : لجنة الارشاد والتبشير ، وسوف نشكل لجاناً أخرى ، تعمل كل لجنة في حدود واجباتها بإخلاص ، وتبذل طاقاتها وأوقات فراغها في صقع نافع أمين لخدمة هذا الدين ، تقدم كل لجنة تقريراً شهرياً عن أعمالها وفعالياتها وتتقبل الاعتراضات والاقتراحات وتعمل على معالجتها وتحقيقها .

فأجاب قائلاً : ليس هذا بعمل مجدٍ ، وانما علينا أن لا نرسل أولادنا الى المدارس الحديثة ، كي لا ينحرفوا ، وكان معنا رجل فاضل كان قد عرك الحياة الى حدٍّ ما ووقف على الوضع الراهن ، فقال له : هذا علاج سلبي ، يُنجي بعض الأفراد من الانزلاق . ولكن هل تمكنت أنت أن تمنع ولدك من أن يذهب الى المدارس الحديثة . قال : كلا . فقال : ففي أي صف هو الآن ؟ أجاب : إنه في الخامس العلمي . قال : ان كنت أنت مع اهتمامك بالموضوع لا تقوى على ردع ولدك من الذهاب الى المدارس الحديثة ، فكيف بالآخرين ؟! . ثم ما هي المعاهد التي نرسل اليها أولادنا لننقذهم من الجهل . هل هناك مدارس تُعنى بشؤون الطلاب الدينية والروحية والعلمية بصورة جدية وباسلوب حديث كي نرسل أولادنا اليها ؟ وكـم مقـدار الميزانية (الأموال) التي يجب أن تبذل لفتح عددٍ كافٍ من هذا النوع من المدارس ؟ ثم من أين نجد المعلمين والمدرسين ؟ ألسنا نستخدم نفس

هؤلاء المدرسين الذين درسوا في المدارس الحديثة حتى انك اذا قمت بتأسيس روضة للأطفال وأردت أن تربيهم منذ نعومة أظفارهم باسلوب ديني صحيح ، تكاد لا تجد بالمقدار الكافي معلمات غير متبرجات ، مصليات ، متزنات ، عاملات بالنصوص الدينية ومع ذلك حاملات شهادة تخولهن ليكنّ معلمات في الروضة . ذلك لأن الأنظمة الحاضرة لا تسمح للمرأة ولا للرجل أن يقوم بمهمة التعليم حتى في الروضة مالم يكن حاملاً شهادة تؤهله للتعليم . فكل شيء أصبح تحت نظام وقانون من قبل الحكومات الحاضرة . ثم إن الانسان يجب أن لا يخرج عن واقع الحياة وان يستفيد من التجارب الماضية خلال ٥٠ سنة خلت . أي منذ أن تأسست المدارس الحديثة في الأقضية .

ثم لو كان منع الطلاب من الدخول الى المدارس أي لو كانت هذه المقاومة السلبية ناجعة لما بلغ عدد الطلاب هذا المبلغ الضخم ، بحيث ان البناية الواحدة تشغل في اليوم ثلاث مرات من قبل ٣ مدارس مختلفة بشعبها الكثيرة . وان بعض المدرسين ليدرّس في الاسبوع ٤٠ ساعة لعدم كفاية المدرسين .

فأنى لك أن تصدّ هذه الرغبة الملحة التي هي وليدة الحاجة وضرورة الانطباق مع مقتضيات العصر وتحصيل الخبز والراحة الى ما هنالك .

فقال : ان هذه المدارس تذهب بالعقيدة وتولد الإلحاد ولكن الابتعاد عنها قد يؤدي الى عدم تطبيق النصوص الدينية برمتها ولكنه لا يؤدي أبداً الى الالحاد .

فقلت له : ان التجارب قد برهنت أن بعض التيارات الجارفة جرف بعض العوام الذين لم يداوموا في المدارس وتخلوا عن كل ما لديهم من مقدسات وعقائد وتسافلوا الى أسفل سافلين . وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على أن التربية الدينية كانت تربية سطحية غير مستندة الى الدليل والبرهان ولم

تكن راسخة في النفوس الى حد لا تزعزعها التيارات الالحادية الجارفة . فإن المنحرفين لهم فعالياتهم ومنظماتهم وجهودهم الجبارة . فما الواجب اذن تجاه الوضع الراهن .

فلم يحر جواباً ...

وهذا مما حدا بي أن تقدم بهذا المقال :

يدخل الطفل وعمره ثلاث أو أربع سنوات الى روضة الأطفال ، أو يدخل ، وقد أكمل السنة السادسة من عمره الى مدرسة ابتدائية ، وكذلك البنات ، فيتلقّون دروساً عملية ونظرية وتربية عصرية بعيدة عن روح الاسلام وقواعده ، يحفظون بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في مدرسة ابتدائية دون أن تتجاوز الحناجر ، ذلك ، لأن المعلم غير مؤمن بما يُملي على الطلاب في موضوع دروس الدين إيماناً رصيناً لا شائبة فيه ، انما يقوم بأداء واجب ملقى على عاتقه ، ولا أنكر ان هناك عدداً قليلاً جداً لا يعادل ١٪ (واحداً بالمائة) جديراً بأن يلقب بمعلم الدين ، الا أن تأثيره ضئيل وضئيل جدا في محيط لا يتجاوب مع بقية الأعضاء .

فاذا جاء دور المتوسطة تدخل بقية المدرسين : مدرس الأحياء ، مدرس الاجتماعيات ، مدرس الرياضيات ... الخ . في الموضوع وأخذ كل يشكك الطلاب في معتقداتهم ويعزو تكوين هذا الكون المعقّد ودساتيره المتقنة الثابتة الى الطبيعة العمياء . أو قال بعشوائية الكون دونما تحقيق !

واما مدرس الدين ، (وهو على الأكثر جاهل بالعلوم الحديثة والنوازع المستحدثة وردودها) ، فلا يدرس في الاسبوع الا درساً واحداً ، وهو على الغالب ، ممن ضعفت عقيدته وتغيّر اتجاهه واختلف عمله عما يُمليه على الطلاب في حقل الدين . فأنى لهذا الدرس الواحد على عِلاته (في موضوع الدين) خلال الاسبوع ، أن يقاوم تزريقات سائر المدرسين المضلة . منها :

« أن الاسلام نظام كان مفيداً لأناس كانوا يعيشون قبل أربعة عشر قرناً ! ، أما الآن ، فنحن بحاجة الى نظام مدني جديد ! فالظروف تبدلت ! فيجب أن تتبدل النظم ، فلا مجال لتطبيق نظم الاسلام ! » . ومنها : « أن الدين كان يقنع العقول البدائية ، أما الآن وقد تقدم العلم ، هذا العلم المحيِّر للعقول ، فلا مجال للدين أن يسيِّر البشر ! والعلم هو وحده كفيل بأن يسير البشر نحو الكمال المنشود وضروريات الحياة فلنكن علمانيين » [1] .

ان ضعف الدين في المدارس وفي أوساط أخرى أدى الى انحلال خلقي وهذا بدوره أدى الى انحلال فكري ، ثم تبنّي أفكار جديدة تتصادم مع حقيقة الاسلام .

ولا مراء أن للمجالس الحسينية أثرها المرموق في التوجيه لو حضرها الشباب ، الا ان الشباب في وادٍ آخر ، وهم يوجهون من قبل منظمات أخرى توجيهاً يؤكد لهم ان المجالس الحسينية تبث الخرافة والأفكار البالية . وهي بعيدة كلَّ البعد عن واقع الحياة ، ويؤكدون لهم ، دليلاً على ذلك ، أنه لا يرى في هذه المجالس الا العجزة والشيوخ ، يتسلّون بالتدخين وشرب الشاي ، وهم ، أنفسهم ، ينتقلون من مجلس الى آخر دون غيرهم من الشباب والمثقفين ، وكذا الحال في صلاة الجماعة وفي المساجد وغيرها .

على ان لنوع الالقاء وتطبيق العلوم الحديثة على الحقائق الاسلامية أثراً خاصاً في جلب الشباب الى المجالس الحسينية . ولكن قلما ترى في الخطباء مَن يجمع بين دراسات مختلفة موضوعية ، فيتكلم بأسلوب علمي رصين ، وباصطلاحات حديثة مستعملاً الدساتير الرياضية وما وصل اليه العلم الحديث من قوانين في الفيزياء والكيمياء والاحياء والفلك والطب الى

(١) هذه الافكار نتاج استعمار الغرب الفكري وفعاليات الكنيسة في أوروبا وامريكا والمبدأ الماركسي .

ما هنالك . ثم التعرف الى المنازع الفلسفية الحديثة والقيام بردها على ضوء العلم الحديث .

فما الذي يجب أن نقوم به لسد هذا التيار اللاديني الجارف الذي دبّ في الشرق منذ أكثر من ٥٠ سنة والانحلال الخلقي المميت ؟

هنا طريقتان : طريقة غير عملية وبحاجة الى تضحيات مرموقة من قبل الأثرياء من المؤمنين ولا أظنها تتحقق . وطريقة أخرى ، قليلة النتاج ، ولكن واجبة التطبيق ويجوز أن تؤتي أكلها بالغة موفورة لو طبقت بمقياس واسع .

***

أما الأولى : فهي تأسيس جمعية باسم : جمعية التهذيب الديني ، مهمتها جمع مبالغ طائلة من أثرياء المسلمين وبناء أبنية عصرية تتخذ مدارس أهلية للبنين والبنات وفتح دور (مدارس) لتهيئة معلمين ومعلمات باسلوب علمي ، وايفاد قسم من الشباب المؤمن للتحصيل العالي الى الغرب ، وتأسيس مدارس أهلية للبنين والبنات اعتباراً من الروضة الى التحصيل العالي بمقياس واسع وتحت مناهج لم تتأثر بمناهج المستعمرين والمبشرين (بالكنيسة) أو بمناهج الإلحاد والمادية .

ولا شك ان هذا العمل الجبار سيولد جواً مفعماً بروح الاسلام وشباباً عاملاً بدستور الاسلام . وتتأثر ، دون ريب ، بقية المدارس بهذا النهج القويم ، فلا ترى اذ ذاك الا مؤمناً يقدس الاسلام ويطبقه .

***

واما الطريقة الثانية : فهي تنظيم نوادي للشباب في كل مدينة أو قرية أو ناحية ، يداومون فيها أوقات فراغهم . تلقى فيها عليهم محاضرات دينية ، يستمعون القرآن الكريم ويطبقون آياته على واقع حياتهم . فتشكل لجان مختلفة منهم ، وتوزع أعمال وفعاليات على هذه اللجان . فيبذل قسم من

طاقاتهم في العمل المنتج المفيد وهم مسؤولون عن تحقيق ما كلفوا به من أعمال . وان كل لجنة تقدم تقريرا عن فعالياتها . يصلون في هذه النوادي أوقات الصلاة في مصلى كبير ويتعلمون فيها بعض الفروع الفقهية الضرورية .

يتلقى الراغبون من الشبان في هذه النوادي الدينية دروساً في التفسير والفقه واصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة الاسلامية بأسلوب حديث ويجاب على ما يختلج في صدورهم من شكوك وريب ، وتلقى عليهم دروس أيضا في الرد على المذاهب المادية والوجودية والنفعية الى ما هنالك من نزعات باطلة جاءت من وراء الشهوات النفسية . ثم هم يتصلون ببقية الشباب في البلد مبشرين ، فيشوقونهم للانتماء الى هذه النوادي الدينية .

وهكذا تنظم نواد من قبل المؤمنات الصالحات من النساء المتعلمات للفتيات طالبات المدارس وغيرهن في كل حارة بنفس الاسلوب وبنفس التنظيم .

ولا شك أن هذه الفعاليات والتضحيات من قبل البنين والبنات لتؤثر في تلطيف الجو المكفهر بالاتجاهات المضللة بعد تفهم حقيقة الاسلام ودسائس الاستعمار وأذناب الاستعمار وما أعقبت الحروب الصليبية من دسائس لم تنته لحد الآن .

وللشبان أوقات فراغ كثيرة يمكن ان نستفيد منها في توجيههم توجيهاً صحيحاً لو تمكنا من تحقيق راحة الشبان في هذه النوادي راحة تتفق والتربية الاسلامية الحقة ، فيبذل قسم من طاقاتهم في صقع مفيد . فانه ان لم تستغل أوقات فراغ الشبان في امور مفيدة موجّهة توجيهاً صحيحاً ، فهي تُصرف لا محالة في تحطيم الشباب وتسافلهم الى أسفل سافلين .

وينبغي أن يكون في هذه النوادي :

١ ــ محل خاص للصلاة والمواعظ الدينية وتلاوة القرآن .

٢ ــ مكتبة اسلامية للمطالعة واعارة كتب اسلامية مبسطة ، ومجلات

اسلامية فيها مقالات واضحة دونما تعقيد ونشرات اسلامية بلغة مفهومة .

٣ ــ صفوف خاصة لدراسات اسلامية من تفسير القرآن الكريم والفقه واصول الفقه ، وعلم الدراية والحديث ، وعلم الكلام ، ومقارنة بين حقائق الاسلام والفلسفات المعاصرة والنوازع الحديثة مع تطبيق آخر ما توصل اليه العلم الحديث وما أودع الله تعالى من عصارات العلوم في القرآن الكريم ضمن آياتٍ بينات .

٤ ــ ساحة خاصة لبعض الرياضات البدنية المفيدة التي تنمي الجسم : « إن لبدنك عليك حقاً »[1] وعملاً بمنطوق هذه الآية الشريفة : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، مع العلم أن (السبق والرماية) وتعلمهما باب من أبواب الفقه الاسلامي .

***

لا شك أنه لو نُظمت هذه النوادي وأصبحت تدار من قبل هيأة عليا من كبار علماء الدين وكبار الموجهين المؤمنين وجب إذن فتح دورات(تدريسية وتدريبية) خاصة لموجهي هذه النوادي والقائمين بادارتها في النجف الاشرف وفي غيرها من بعض المدن الكبيرة ، يتعلمون فيها طرق التنظيم والتوجيه والعلوم التي تؤهلهم للاشراف على هذه النوادي الموجّهة توجيهاً دينياً يتفق مع حقيقة الاسلام وواقعه .

***

قد نرى أن بعض الأثرياء من المؤمنين يشيدون حسينية كبيرة . ونعم ما يصنعون . فلو أسسوا بجنب هذه الحسينية نادياً دينياً للشبان لقاموا بخدمة جديرة بكل تقدير وعالجوا هذا الفراغ العقائدي .

فلابد من توجيه الأخيار من الأثرياء وتفهيمهم الوضع الراهن وأساليب

---

(١) حديث نبوي .

الدعوة حسب مقتضيات العصر الحاضر والأخذ بيد الشبان الى ساحات التقوى والهداية وتنويرهم بنور الاسلام الوضاء . فانهم مؤمنو المستقبل وحافظو بيضة الاسلام وحاملو لوائه الرفيع .

وقد لاحظت ان بعض هؤلاء المؤمنين المخلصين (مع تقديري لهم ولإيمانهم العميق) بعيدون كل البعد عما يحتمه الوضع الراهن من طرق التوجيه الديني وأساليب الدعوة ولعل البعض منهم يرى التقرب الى الشباب بغية تهذيبهم تهذيباً دينياً مروقاً عن الدين وخروجا عما قرره الاسلام وانحرافا عن الصراط السوي . إما لأنهم لم يتدرجوا في دراسات حديثة ولم يحتكوا بالشباب ليعلموا مواطن الضعف فيهم وما اصيبوا من أمراض نفسية من جراء دعايات الحادية عنيفة أو لأنهم قليلو التضحية في هذا المضمار لا يهمهم مستقبل الاسلام والمسلمين . فكنت الاحظ ان بعض هؤلاء المتدينين الأثرياء ، (مع تقديسي لهم) ، لا يروق لـه أن يجهز حسينية أسسها بالكراسي و (التخوت) ، كمن يستشكل أن يسمع كلامـه بالمكبرات الى كثير من الناس .

***

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهما أسلوبهما الخاص في كل زمان حسب الظروف والعوامل المحيطة بالناس .

فان الاستمرار على أسلوب خاص في الدعوة لا يأتي بالنتيجة المطلوبة وترك أساليب أخرى للدعوة لا تتنافى مع روح الشرع ثم ترك ملايين من الشبان المسلمين دون موجه ، تغزوهم الدعايات المضلة ، فتخلق منهم أعداء للاسلام ، إنما هو عمل لا يتفق مع منطوق هذا الحديث : « من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » ، عدا انه يخالف امر الله تعالى حين يقول : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ،

عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون » [١] .

فإن الغرب يعمل منذ اكثر من ١٠٠ سنة بجد متواصل لأجل غزو الشباب المسلم وانتزاع عقيدته وجعله عدواً لدينه ومقدساته . فقد سمعت قبل ٢٨ سنة ممن كان قد أكمل دراسته في الجامعة الامريكية ببيروت ، سمعته يقول : « إن بلاء الشرق دينه ، وان هذا الدين (ويقصد به الاسلام) حجر عثرة دون تقدم الشرق ! ولا سبيل الى التقدم الا بنبذ هذا الدين ! ... » .

فيا أيها المسلمون ، ان الوضع الراهن ومعالجتـه يستدعي شيئاً من التضحية . فهل من مجيب ؟

فقد قال رسول الله (ص) : « ويل لقوم لا يدينون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . وقال (ص) أيضاً : « اذا ظهرت البدع ، فليظهر العالم علمه ، والافعليه لعنة الله » . وقال أيضاً : « الساكت عن الحق شيطان أخرس » .

***

(١) سورة التحريم : ٦ .

غـــذاء الروح في شهر شعبان

ان الانسان روح وبدن ، فكما أن للبدن غذاءاً كذلك للروح غذاء أيضا • فمن تمكن من أن يغذيهما معاً فقد فاز بسعادة الدارين •

إن الانسان كثير الهفوات والزلات • فهو يعصي الله في حركاتـه وسكناته معاصي كثيرة لا يلتفت اليها ، ولا يحاسب نفسه عليها • كل ذلك ، لأن نفسه لم تبلغ مرتبة من الكمال كي تقدر أعمالها وتشخص السيء منها من الحسن تشخيصاً دقيقا وذلك لتلويثها بذنوب سابقة • فهذه المعاصي صغائرها وكبائرها تتراكم على النفس الانسانية ، فتشكل حجاباً كثيفا يمنع الانسان عن رؤية الحق ، فتتوارد عليه الشكوك والأوهام ، فيستهزىء بالمقدسات ويرى الباطل حقاً والحق باطلا والرذيلة فضيلة ، والفضيلة رذيلة !

فالله تبارك وتعالى قرر أعمالاً (تفضلاً منه) ، تمحى بها الذنوب قبل أن تتراكم ، كي لا يكون الانسان مصداق هذه الآية الكريمة : « ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » •

فالصلوات الخمس والنوافل والأعمال الصالحة والمستحبات كلها تمحى الذنوب وتقرّب العبد الى الله تعالى بعد الابتعاد • ومن جملة تلك الاعمال : الأعمال التي وردت في شهر شعبان •

فقد جاء في ثواب الأعمال بسنده عن النبي (ص) ، وقد تذاكر أصحابه عنده فضائل شعبان • فقال (ص) : شهر شريف وهو شهري ، وحملة العرش تعظمه وتعرف حقه ، وهو شهر تزداد فيه أرزاق المؤمنين لشهر رمضان ، وتزين فيه الجنان ، وانما سمي شعبان : لأنه يتشعب فيه أرزاق المؤمنين لشهر رمضان • وهو شهر العمل ، فيـه تضاعف الحسنة سبعين والسيئة

محطوطة والذنب مغفور والحسنة مقبولة والجبار جل جلاله يباهي فيه بعباده ، ينظر من فوق عرشه الى صوّامه وقوامه ، فيباهي بهم حملة عرشه » .

وبسنده عن الصادق عليه السلام ، كان أبي عليه السلام يفصل بين شعبان وشهر رمضان بيوم ، وكان علي بن الحسين عليهما السلام ، يصل ما بينهما ويقول : « صوم شهرين متتابعين توبة من الله » .

وعن الرضا (ع) : « مَن صام ثلاثة أيام من آخر شعبان ووصلها بشهر رمضان ، كتب الله تعالى له صوم شهرين متتابعين » .

وقد قال رسول الله (ص) كما في كتاب الاقبال : « شعبان شهري ورمضان شهر الله عز وجل . فمن صام يوما من شهري كنت شفيعه يوم القيامة . ومن صام يومين غفر الله له ما تقدم من ذنبه ومن صام ثلاثة أيام قيل له : استأنف العمل » .

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « تتزين السماوات في كل خميس من شعبان ، فتقول الملائكة : : إلهنا ، اغفر لصائميه ، وأجب دعاءَهم . فمن صلى فيه ركعتين : يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد ، مائة مرة ، فاذا سلم صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة مرة ، قضى الله له كل حاجة من أمر دينه ودنياه . ومن صام فيه يوما واحدا حرم الله جسده على النار » .

وفي كتاب الإقبال بسنده عن الصادق عليه السلام : في حديث ، أنه سئل : « ما أفضل ما يفعل في شعبان . قال : الصدقة والاستغفار ، ومن تصدق بصدقة في شعبان رباها الله تعالى كما يربي أحدكم فصيله حتى يوافيها يوم القيامة وقد صارت مثل أحد » .

ويستحب له أن يقول في كل يوم من هذا الشهر سبعين مرة : «استغفر الله وأسأله التوبة » .. وأن يقول في كل يوم سبعين مرة : « استغفر الله الذي

لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الحي القيوم وأتوب اليه » .

وعن النبي (ص) : مَن قال في شعبان الف مرة : « لا إله الا الله ولا نعبد الا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون » كتب الله له عبادة الف سنة ويخرج من قبره يوم القيامة ووجهه يتلألأ مثل القمر ليلة البدر وكتب عند الله صدّيقاً » .

ويستحب أن يصلي على النبي وآله في هذا الشهر كثيراً ، فإن الصلاة على النبي وآله تزيد في وزن الأعمال وثقلها : « فأما مَن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية ، وما أدراك ماهيه ، نار حامية » (١) .

هذه وصفات روحية يُدلي بها النبي (ص) لمعالجة أرواح البشر المريضة وتسييرها نحو الكمال المنشود . فان النفس الانسانية إن لم تتصل بالملكوت الأعلى وتستقي من الافاضات الإلهية وتستنير بالأنوار القدسية تتقهقر شيئاً فشيئاً فتكون من « الذين خسروا أنفسهم » فتتسافل الى أسفل السافلين .

فليجرب هذه الوصفات الروحية من كان يشك في تأثيرها ، ليرى كيف يتنور يوماً بعد يوم ، فيصبح انسانا لا كسائر الأناسي ، انساناً يشعر بآلام الآخرين ويقدر نعم الله عليه ، تلطف نفسه ، وتزداد إحساساً وشعوراً ، فلا تتصدى لايذاء الناس وارتكاب المنكرات .

ان الانسان اذا قام يعبد ربه باخلاص عميق دونما رياء يشعر عقيب ذلك بفرح يفوق جميع الأفراح ، بفرح داخلي لا كدر فيه ، وسرور ما بعده حزن الا على ذنوب أدبرت لذاتها وأقامت تبعاتها ، وهو دليل التكامل النفسي وأمارة التقدم الروحي . نعم ، إن العبد اذا دأب على الاستغفار شعر بخفة في روحه وطمأنينة في نفسه وانجذاب لاهوتي .

---

(١) سورة القارعة : ٧ — ١٠ .

ان الانسان لم يخلق ليلهو ويلعب ، بل خلق ليتكامل فيكون انساناً قد اجتمعت فيه المعاني الانسانية السامية ، كي يفوز بالحياة الخالدة السعيدة ، حياة لا مشاكل فيها ولا أحزان جزاءاً لما قام به في دنياه من عبادة وطاعة وأعمال صالحات . ان الله تعالى يقول : « أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون » .

ما أحلى المناجاة في هذا الشهر والاعتراف بالذنوب بين يدي الغفور الرحيم . فقد علمنا الائمة الأطهار وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي عليه السلام مناجاة تقشعر لها الجلود .

يقول علي عليه السلام في مناجاة له في شهر شعبان : « إلهي إن كنت غير مستأهل لرحمتك فأنت أهل أن تجود عليَّ بفضل سعتك . إلهي ، كأني بنفسي واقفة بين يديك ، وقد أظلها حسن توكلي عليك . ففعلتَ ما أنت أهله وتغمدتني بعفوك . إلهي ان عفوتَ فمن أولى منك بذلك . وإن كان قد دنا أجلي ولم يُدنني منك عملي ، فقد جعلتُ الإقرار بالذنب اليك وسيلتي . إلهي قد جُرت على نفسي في النظر لها ، فلها الويل إن لم تغفر لها » .

وقد بين النبي (ص) صلاة مستحبة خاصة لكل ليلة من ليالي شعبان يحتاج القيام بها الى توفيق رباني وصفاء في النفس . وقد يقضي الانسان ساعات في المقهى تتخللها الغيبة والنميمة . فلو صرف زمناً يسيراً منها في عبادة ربه لسار في مدارج الكمال ونحى عن نفسه وساوسها الشيطانية . وتقشعت عنها غياهب الشكوك .

وقد وردت عن علي بن الحسين (ع) : صلوات خاصة وقت الزوال من كل يوم من شهر شعبان نذكر شطراً منها : « اللهم صلِّ على محمد وآل محمد شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم وأهل بيت الوحي . اللهم صلِّ على محمد وآل محمد الفلك الجارية في اللجج

الغامرة ، يأمن من ركبها ويغرق من تركها ، المتقدم لهم مارق ، والمتأخر عنهم زاهق ، واللازم لهم لاحق » ... الى أن يقول : .. « اللهم صلِّ على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين الأبرار الأخيار الذين أوجبتَ حقوقهم ومودتهم وفرضت طاعتهم وولايتهم ... » .

وان ليلة النصف من شهر شعبان من الليالي الشريفة العظيمة . وعن النبي (ص) : « اذا كان نصف شعبان ، فقم ليله وصم نهاره ، فانه يجيء نداء من قبل الله تعالى من أول هذه الليلة الى آخرها : « هل من مستغفر فأغفر له ، هل من مسترزق فأرزقه » .

وقد سئل الباقر عليه السلام ، عن فضل ليلة النصف من شعبان ، فقال : « هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر ، فيها يمنح الله العباد فضله ، ويغفر لهم بمنه . فاجتهدوا في القربة الى الله فيها فإنها ليلة آلى الله عز وجل على نفسه أن لا يرد سائلاً فيها ما لم يسأل معصية . وانها الليلة التي جعلها الله لنا أهل البيت بإزاء ما جعل ليلة القدر لنبينا » .

فيستحب ليلة النصف من شعبان : الغسل ، فانه يخفف من الذنوب ويوجب الرحمة . ويستحب فيها : زيارة الحسين عليه السلام تخليداً لذكرى محيي الشريعة بعد الاندثار وتقديراً لأعماله الخالدة . وعن الصادق (ع) قال : « اذا كان النصف من شعبان نادى مناد من الأفق الأعلى : زائري الحسين ، إرجعوا مغفوراً لكم ، ثوابكم على ربكم ومحمد نبيكم » .

وروى ابن قولويه في (كامل الزيارة) ، بأسانيد عديدة معتبرة عن علي بن الحسين وعن الصادق عليهما السلام ، قالا : « من أراد أن يصافحه مائة الف نبي وأربعة وعشرون الف نبي فليزر قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام ، في النصف من شعبان ، فإن أرواح النبيين يستأذنون الله في زيارته ، فيؤذن لهم ، منهم خمسة أولو العزم من الرسل ، قلنا من هم . قال : نوح وابراهيم

وموسى وعيسى ومحمد (ص) . قلنا : ما معنى أولو العزم ؟ قال : بعثوا الى شرق الأرض وغربها جنها وإنسها ... الحديث » .

وقد وردت أعمال وصلوات خاصة بليلة النصف من شعبان ، مسطورة في الكتب المفصلة . نسأله تعالى التوفيق للقيام بتطبيقها ، باخلاص دونما رياء كي تطهر هذه النفوس مما علق بها من أدران وأوساخ . فـ « إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » .

***

ميلاد الحسين عليه السلام [1]

يولد في صبيحة هذه الليلة المثل الكامل ريحانة رسول الله ، سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليه أفضل الصلاة والسلام . ويجدر بالعالم الاسلامي أن يحتفل بمولده الكريم احتفالاً رائعاً لأنه هو الذي أنقذ العالم من الجاهلية الجهلاء والمادية العمياء ولولا تلك التضحية الغالية التي لا مثيل لها في عالم الوجود لاندرست معالم الدين ولما بقى للاسلام الحقيقي من أثر .

أنى للناقص ان يصف الكامل وإن الامامة لمرتبة رفيعة لا يمكن لأحد أن يتعرف حقيقتها وانما تتعرف اليها بالآثار . وهل لطالب في الدراسة المتوسطة أن يعرف ما حقيقة الرياضيات العالية . كيف أصف من يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أحب ان ينظر الى أحب أهل الأرض الى أهل السماء فلينظر الى الحسين » . كيف لا يكون كذلك وهو المثل الكامل في العبادة والشجاعة والتضحية والإيثار والسخاء . فقد وجد على ظهره يوم الطف أثر ، فسئل زين العابدين (ع) عن ذلك ، فقال : مما كان ينقل الجراب على ظهره الى منازل الأرامل واليتامى والمساكين .

لقد مر الحسين عليه السلام بمساكين يأكلون في الصفة ، فقالوا الغذاء ، فنزل وقال : إن الله لا يحب المتكبرين ، فتغذى ثم قال لهم : « قد أجبتكم ، فأجيبوني » . قالوا : نعم ، فمضى بهم الى منزله . هذه صفة مثالية ليس للبشر العادي أن يصل اليها . وقد حج سلام الله عليه خمساً وعشرين حجة ملبياً ماشياً .

---

(١) كلمة القيت في ليلة الثالث من شعبان ١٣٧٨ في الروضة الحسينية بكربلاء .

جاءه رجل من الأنصار يسأله حاجة ، فقال : يا أخا الأنصار ، صُن وجهك عن بذلة المسألة وارفع حاجتك في رقعة ، فكتب : « إن لفلان علي خمسمائة دينار ، وقد الح بي ، فكلمه ان ينظرني الى ميسرة » . فلما قرأ الحسين الرقعة أعطاه : ألف دينار . وقال له : « اما خمسمائة دينار ، فاقض بها دينك ، وأما خمسمائة : فاستعن بها على دهرك ولا ترفع حاجتك الا الى ذي دين أو مروءة أو حسب » . انظروا الى هذا الأدب الرفيع فإنه درس أخلاقي عظيم . لو أخذ به المسلمون .

ففي الاسلام من النظم الاجتماعية والتعاليم الأخلاقية المثالية والقواعد الاقتصادية ما يُريح البشر في الدنيا ويسعده في الآخرة . وأنى لهذا البشر أن يسن نظاماً كاملاً يؤدي الى سعادة النشأتين .

فإن ما يترشح من الانسان من أفكار يتناسب مع طهارة نفسه ، فرشحات النفس الزكية رشحات طاهرة ، تزكي النفوس وتقربها الى الله تعالى وتعمل في سعادة الانسان في دنياه وعقباه . لذلك جاء في الحديث : « من أخلص لله أربعين صباحاً جرت من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة » . وإن رشحات النفس الخبيثة الملوثة بالذنوب والآثام مظلمة حالكة ، تبعد الفرد عن الله تعالى . لأن هذا الفرد المذنب وإن عدَّ نفسه فيلسوفاً فقد فقد عقله الفطري الطبيعي : ذلك العقل الذي يوحد الله ويقدسه بالفطرة . « فالعقل ما عُبد به الرحمان واكتسب به الجنان » كما في الحديث . وقد قال عليه السلام : « من قارف ذنباً فارقه عقل لم يعد اليه أبداً » .

وما أكثر الذنوب والفسوق والفجور في الغرب . وما وجود أبيقور (Epicure) المادي في اليونان قبل ميلاد المسيح (ع) بثلاثمائة سنة وظهور أمثال : بوخنر ، فورباخ ، نيتشه ، في أوروبا الا لنفوس تلوثت بأنواع الاجرام وضروب العصيان ، فجاءت بهذه الفلسفة المادية في القرن التاسع

عشر الميلادي !. إن الله تعالى يقول : « ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » . وقال الباقر عليه السلام : « ما من شيء أفسد للقلب من خطيئته ، إن القلب ليواقع الخطيئة ، فما يزال به حتى يغلب عليه ، فصيّر أعلاه أسفله » .

ولذلك فإن المستعمر أول ما يقوم به من أعمال لإفساد العقائد وتلويث النفوس ، هو : فتح دور للخمور والفجور واشاعة الفاحشة بطرق شتى . في الصحف ودور السينما والملاهي والراديو والتلفزيون .

ومن المصادفات العجيبة أن يكون (فرويد) صاحب نظرية الجنسية يهودياً . وان الحركة اليهودية قد استغلت نظرياته لمصالحها الخاصة ، فقد جاء في كتاب : « بروتوكولات حكماء صهيون » الذي يرسم السياسة اليهودية العالمية ما يأتي : « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان ، فتسهل سيطرتنا . إن ، فرويد ، منا . وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس . ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه » . كما جاء في الكتاب إشارة مماثلة عن وجوب استغلال مبادىء الفلاسفة الماديين ! لتحطيم العقائد الدينية ونشر المبادىء المادية التي تسهل لليهود السيطرة على العالم . ويقول الكتاب : « لقد رتبنا نجاح دارون ونيتشه بالترويج لآرائهم . وإن الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد » .

لقد بلغ بالفيلسوف المادي : « ومن بؤس الفلسفة أن يسمى الهُراء فلسفة ! » الابتعاد عن المقدسات مرتبةً جعله يعتقد أن الحقيقة الواحدة الأزلية هي الاقتصاد !.. ولا شيء وراء ذلك . فاذا تغيرت علاقات الانتاج تغيرت معها القيم الأخلاقية . والدين افيون الشعوب ، ومخدر الأمم . ابتدعه

البشر لاستغلال الضعفاء وليس أمراً سماوياً !

حين أن الدين ركن من أركان الحياة • بل هو الحياة بعينها ، إذ لا حياة بلا نفس ولا نفس بلا تكامل ولا تكامل الا بالدين •

لقد طبق بعض البلدان بعض النظم الاقتصادية الحديثة التي لا تتفق مع النظم الاقتصادية الاسلامية في شيء ! فمنعوا البيع والشراء والملكية الخاصة وساووا بين أجور العمال مع اختلاف الكفاءات ، ثم سرعان ما عدلوا عن كل ذلك •

ليس هناك نظام اقتصادي كالنظام الاقتصادي الذي أمر به القرآن • ولكن قل من يعمل به • فلو اتبعنا جميعاً القرآن وعملنا بما فيه وبما جاء في السنة ، فلا فقر ولا مرض ولا جهل •

فبيت المال مُعد لإعطاء الفقير ما يغنيه • ذلك لأن ، دين الاسلام دين الحياة ، وليس بأعمال عبادية فحسب لتطهير النفس الانسانية مما علق بها من أدران وتقريبها الى ربها • مع العلم : أن فلسفة الاسلام لا ترمي الى اشباع البطون فحسب ، أيضاً ، وانما ترمي في الوقت نفسه الى فلسفة أبعد ، ألا وهي تزكية النفوس وتطهيرها وتزويدها بما يسعدها في الآخرة في حياة حقيقية تستمر ملايين السنين •

إن الاسلام ليعظم أمر الإنفاق تعظيماً لا مزيد عليه ، حتى ورد ما مؤداه : يستحب للعبد أن يقبِّل يده حينما يتصدق بشيء ، فكأنه يصافح الله • كل ذلك على سبيل المجاز وإفهام العبد أنه يقترب بتصدقه هذا الى ربه • وليس الله بمن يصافَح • « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » •

هذا دين يقول : « من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه فإنما أكرم الله عز وجل » والله هو الغني •

ولكن قد يكون المال الكثير وبالاً يؤدي بالفرد الى التسافل والولوج

في الموبقات . يقول الله تعالى : « ولو بسط الله الرزق للناس لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير » . وفي آية أخرى : « ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، ان الله كان بكل شيء عليما » .

إن الاسلام في الوقت الذي يهتم في رفع حاجة الفقراء الى أبعد حدّ ، بقوله : « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » . وبقوله كما جاء في الحديث : « اذا أملقتم [1] فتصدقوا » ، « صدقة السر تطفيء غضب الرب » ، « من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب » ، يُملي على الفقير دستوره الاصلاحي ، لعدم إمكان التساوي بين العباد في الرزق لحكمة هناك ، بقوله : كما جاء في حديث قدسي : « وإن من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو صرفته الى غيره لهلك » .

ان الله تعالى وسعت رحمته كل شيء ، فهو يعطي المؤمن والكافر على السواء . ولكنه قد يضيق على المؤمن في رزقه في هذه الدنيا ليوجهه اليه تعالى : « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » . ذلك لأن الغِنى كثيراً ما يؤدي الى الطغيان . فما على المؤمن المضيق عليه في رزقه الا أن يصبر ويشكر ربه على تهذيبه إياه ، وعدم جعله نسياً منسياً ، ومصداقاً لهذه الآية : « نسوا الله فنسيهم » . وأن لا يتقاعس عن العمل في حدود طاقته . إنه تعالى يقول : « مَن كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً [2] . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ،

---

(١) وهو قول علي عليه السلام .

(٢) مطرودا عن رحمة الله .

فأولئك كان سعيهم مشكورا ، كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا (٣) أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » .

فحسب الآيات المذكورة : من قصر جميع همه على الدنيا فإنه يُعجل له في ما يشاء ، ثم يدفع به الى جهنم . ولكن من عمل لآخرته مشكور سعيه ، ثم ان الله تعالى لا يبخل لا على مُريدي الآخرة ولا على مريدي الدنيا فحسب ، فانه تعالى يعطي هؤلاء وهؤلاء ولا يمنعهم رزقه مع تفضيل بعضهم على الآخر لحكمة هناك . ولكن درجات الآخرة ونعيمها لا تقاس بما في الدنيا من درجات ونعيم زائل .

يقول الله تعالى في آية أخرى أيضاً : « إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيراً بصيرا » ، أي ان الله انما يبسط الرزق ويقدره لحكمة ومصلحة تعود على العبد بنفع قد لا يقف عليه في الدنيا . وهو (أي العبد) كمريض يشرب الدواء المر مع كراهية . ولكن عاقبته الشفاء .

ان الله تعالى هو الذي قسم بين العباد رحمته ، فخص بالنبوة المخلصين من عباده ، الشاكرين له . كما أنه تعالى خص كلا من عباده بنوع من المعيشة يصلح بها حالهم . على حد قوله تعالى : « أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضهم بعضاً سُخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » . ومعنى ذلك : أن رحمة الله تعالى خير مما يُجمع من الأموال ويدخر من حطام الدنيا .

ثم لا ينبغي للمؤمن أن يتمنى ما للبعض من أموال وأولاد وجاه ، فالله تعالى يقول : « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ، وتزهق أنفسهم وهم كافرون » .

---

(٣) ممنوعا .

فليست للدنيا قيمة عند الله تعالى . لأنها للمؤمن دار عمل واختبار واجتياز . « الدنيا مزرعة الآخرة » . وقد جاء في الحديث : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة ماء » .

وفي حديث آخر : « الدنيا دار من لا دار له ، ولها يعمل من لا عقل له » . وفي حديث آخر : « الدنيا ساعة ، فلا تجعلها الا طاعة » .

لذلك ، لا يهم الله كما في الآية الآتية : كفرُ الكافرين . فيعطيهم في هذه الدنيا الفانية من الأموال الطائلة ويجعل لبيوتهم سقفاً من فضة ... الخ . ولكن قد حدد نعمته ولطفه على هؤلاء الكفار في الدنيا لئلا يرغب المؤمن في الكفر اذا ما رأى : أن كل كافر في سعة ودعة ورغد من العيش . وكل مؤمن في ضيق ، فمنّ على بعض المؤمنين المطيعين بشيء من حطام الدنيا ونعيمها انه تعالى يقول : « ولولا أن يكون الناس أمةً واحدةً لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبواباً وسروراً عليها يتكئون . وزخرفاً ، وإن كل ذلك لمّا متاع الحياة الدنياوالآخرة عند ربك للمتقين » [1] .

إن الاسلام يريد أن يُنمي في الفرد قابلية العطاء لوجه الله وتقرباً الى الله . ولذلك يفضل العطاء السري ، « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية » . ويحرض الاسلام المسلمين على الانفاق غاية التحريض ولا يريد بالانفاق أن يكون حكومياً فحسب ، يؤخذ كل ما يؤخذ بصورة جبرية. لأن هذا النوع من العطاء لا ينمي في الفرد سجية السخاء والعطاء لوجه الله تعالى ولا يجعل صلة متينة بين العبد والمعبود لذلك جعل الاسلام الإنفاق على ضربين من إلزامي واختياري .

وبديهي أن لا سلامَ للعالم أجمع ولا اطمئنان الا بتزكية النفوس .

---

(١) سورة الزخرف : ٣٣ ـ ٣٥

ولا تزكو النفوس إلا باتبـاع أوامر الاسـلام : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » [٢] .

فحري بالمسلم أن يفهم الاسلام وأن يعمل في نشر الاسلام وتطبيق نظمه الاقتصادية في أصقاع العالم وأن لا ينخدع بكلمات هؤلاء الذين أسموا أنفسهم فلاسفة وعزوا نظرياتهم زوراً الى العلم والعلم من كل ذلك براء .

فلنتخذ من الحسين عليه السلام دروساً في التضحية ونكران الذات لخدمة هذا الدين . فان دين الاسلام دين المستقبل كما صرح بذلك كبار الفلاسفة اللاهوتيين . انه تعالى يقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » [٣] .

ولا حياة لهذه البشرية الضالة ، بالمعنى الصحيح ، حياة تجعله يشعر بمركزه في هذا الكون ، حياة توصله الى معرفة الخالق جل وعلا والقيام بواجب الشكر والتطهّر والتكامل الا بالعمل بهذه الآية الشريفة : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانكم اليه ترجعون » [٤] .

---

(٢) سورة الرعد : ٣٠ .

(٣) سورة العنكبوت : ٦٩

(٤) سورة الانفال : ٢٤ .

الامام أمير المؤمنين (ع) ومسألة رياضية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أقضاكم علي » وقال أيضاً : « ليهنئك العلم يا أبا الحسن ، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً » .

في كتاب (مشكلات العلوم) للنراقي أن : ١٧ جملاً كانت مشتركة بين ثلاثة أشخاص ، فجاؤوا علياً عليه السلام وقالوا : إن نصف هذه الجمال لأحدنا وثلثها الآخر وتسعها لثالثنا ، ونريد أن نقسمها بيننا على أن لا يبقى باق .

فدعا علي (ع) بجمل له وأضافه الى الجمال . فكانت ١٨ جملاً . فأعطى نصف الجمال : (أي ١٨ جملاً) الى من له النصف ، أي أعطاه : (٩) جمال . وأعطى ثلث الـ (١٨) الى من كان له الثلث ، أي أعطاه (٦) جمال . وأعطى تسع الـ (١٨) الى من كان له التسع ، أي أعطاه جملين .

٩ + ٦ + ٢ = ١٧ ثم أرجع الجمل الذي أضافه الى بيته .

***

قد يستغرب الشخص لأول وهلة عندما يلاحظ هذا الحل . ذلك ، لأن من كان له النصف يستحق ٨ ١/٢ من الجمال . ومن كان له الثلث يستحق ٥ ٢/٣ من الجمال . ومن كان له التسع يستحق ١ ٨/٩ من الجمال . وان

٨ ١/٢ + ٥ ٢/٣ + ١ ٨/٩ = ١٦ ١/١٨

فالمجموع ١٦ جملا وجزء من ثمانية عشر جزءاً من جمل . فبقى إذن ١٧/١٨ من جمل واحد لم يوزع بعد بين الشركاء . ولا يخفى أن الباقي وهو ١٧/١٨ من جمل واحد يجب أن يوزع بين الشركاء أيضاً : على ان يأخذ الأول نصف هذا المقدار وان يأخذ الثاني ثلث هذا المقدار وان يأخذ الثالث تسع

هذا المقدار . مع العلم انه لا يراد نحر جمل أو تعويض بالقيمة في هذا التقسيم . فالتقسيم السابق على علاته غير مطلوب ، لما يؤدي الى تجزئة الجمل الواحد الى كسور !

فلنأت بمثال حسابي بسيط بُغية التوضيح :

مثال : لو أن رجلين أرادا أن تقسم بينهما مبلغاً بنسبة : ١/٢ ، ١/٦ .

فنحن نقسم المبلغ بينهما بنسبة ١/٢ ، ١/٦ أي بنسبة : ٣/٦ ، ١/٦ أي بنسبة ٣ ، ١ (بنسبة البسوط أو الصور) . فالمبلغ يقسم الى أربعة أقسام : ٣ منها تكون للشخص الأول ، وقسم واحد أو حصة واحدة تكون للشخص الثاني . ذلك لأن نسبة ١/٢ الى ١/٦ أي :

$$\frac{1/2}{1/6} = 6/2 = 3 \text{ ، و } \frac{\text{٣ حصص}}{\text{١ حصة}} = 3$$

فاذن : قسم المبلغ بين الشخصين بنفس النسبة المطلوبة . فاذا كان المبلغ ٤٠ ديناراً فللشخص الأول ٣٠ ديناراً وللشخص الثاني ١٠ دنانير .

ولكن لو اقترح علينا الشخصان : أن تقسم بينهما المبلغ على ان يكون نصيب أحدهما النصف ونصيب الآخر السدس دون أن يبقى شيء يعطى لغيرهما . أي انهما قالا هكذا :

قسم بيننا المبلغ ٤٠ ديناراً على أن يكون لأحدنا النصف وللآخر السدس .

فعلينا أن نقسم المبلغ بشكل لا يؤدي الى بقاء شيء من المبلغ . لأن المبلغ كله لهما .

فاذا قمنا بحل هذه المسألة حسب منطوق المسألة رقم (١) ... يكون الجواب هكذا :

$$1/2 + 1/6 = 3/6 + 1/6 = 4/6 = 2/3$$

فيبقى ١/٣ المبلغ دون مالك ، حين أنه لهما .

فيجب اذن : أخذ نصف الثلث (الباقي) واعطاؤه للأول وأخذ سدس الثلث (الباقي) واعطاؤه للثاني .

أي ١/٢ × ١/٣ = ١/٦ يكون للأول

و ١/٦ × ١/٣ = ١/١٨ يكون للثاني ... أو

(١/٢ + ١/٦) × ١/٣ = ٢/٣ × ١/٣ = ٢/٩

أي يجب اعطاء ٢/٩ المبلغ لهما . فيبقى أيضاً :

١/٣ × ١/٣ = ١/٩ دون مالك . ومعنى ذلك : أن في كل تقسيم يبقى ١/٣ الموجود دون مالك . حينئذ يبقى في التقسيم الثالث أيضاً ثلث الباقي قبلاً ، أي ١/٣ × ١/٩ = ١/٢٧

وفي التقسيم الرابع يبقى : ١/٣ × ١/٢٧ = ١/٨١ وهكذا دواليك .

اذن يكون نصيب الأول : المبلغ الاصلي × ١/٢ (١ + ١/٣ + ١/٩ + ١/٢٧ + ١/٨١ + ...)

أو نصيب الاول = المبلغ الأصلي × ١/٢ (١ + ١/٣ + ١/٣٢ + ١/٣٣ ∓ ١/٣٤ + ... ١/٣٥)

نرى داخل القوس متوالية هندسية تنازلية أساسها : ١/٣

ومعلوم ان مجموع حدود متوالية هندسية أساسها أقل من الواحد :

$$\text{حـ} = \frac{\text{ا}}{\text{ا} - \text{ر}}$$ (فيما اذا كانت الحدود لا تتناهى أي ن = ∞)

ويراد بـ حـ = المجموع

ا = الحد الأول

ر = الأساس

وبعد التطبيق : $حـ = \frac{١}{١ - ١/٣} = \frac{١}{٢/٣} = ٣/٢$

∴ نصيب الأول = المبلغ الأصلي × $١/٢ \times ٣/٢ = ٣/٤$ من المبلغ الاصلي

ونصيب الثاني = المبلغ الاصلي × $١/٦ \times ٣/٢ = ١/٤$ من المبلغ الاصلي

وهذه النتيجة تطابق تماماً ما نحصل عليه فيما اذا قسمنا المبالغ بنسبة $١/٢ ، ١/٦$ كما بينا آنفاً .

توضيح : لا يخفى ان مجموع حدود متوالية هندسية :

$$حـ = \frac{ا(ر^{ن} - ١)}{ر - ١} = \frac{ار^{ن} - ا}{ر - ١} \quad (ن = \text{عدد الحدود})$$

لنضرب صورة الكسر ومخرجه في (— ١) فتكون النتيجة :

$$حـ = \frac{ا(١ - ر^{ن})}{١ - ر} = \frac{ا - ار^{ن}}{١ - ر}$$

ولما كانت $ر = ١/٣$ ∴ $١/٣^{ن} = ٠$ (اذا كانت $ن = \infty$)

∴ $ار^{ن} = ٠$

∴ $حـ = \frac{ا}{ا - ر} = \frac{١}{١ - ١/٣}$

لنعمم الموضوع ولنؤسس (نظرية حسابية) . فنقول : لو أريد اعطاء ا/١ من مبلغ ما الى شخص ، و ب/١ من نفس المبلغ الى شخص آخر وكان ا/١ + ب/١ < ١ (أي مجموع ا/١ و ب/١ أقل من الواحد) ، فان تقسيم الباقي بصورة متسلسلة على نفس النسق يؤدي بالنتيجة الى تقسيم المبلغ المذكور بنسبة الكسرين ا/١ ، ب/١ دون أي فرق .

البرهان : بديهي انه في التقسيم الأول كان نصيب الشخص الأول : ا/١ ، ونصيب الشخص الثاني : ب/١ وما سيبقى هو كسر من المبلغ الأصلي ، يساوي :

$$١ - (ا/١ + ب/١) = \frac{ا ب - ا - ب}{ا ب}$$

وقد فرضنا المبلغ الأصلي = ١

ولنفرض : $\frac{ا ب - ا - ب}{ا ب} = ك$

وحسب توضيحنا السابق ، سيكون مجموع سهام الشخص الأول بعد تقسيمات متوالية ، تقسيمات لا تتناهى مساوياً الى كسر من المبلغ الأصلي يعادل :

نصيب الشخص الأول = ا/١ (١ + ك + ك٢ + ك٣ + ... + كن)

ويكون مجموع سهام الشخص الثاني كسراً من المبلغ الأصلي يعادل :

= ب/١ (١ + ك + ك٢ + ك٣ + ... + كن)

وان ما في القوس من متوالية هندسية عدد حدودها ن = ∞ وأساسها ك ، مجموعها يساوي :

$$\text{حـ} = \frac{1}{1-ك} = \frac{1}{1-\frac{1ب-1-ب}{1ب}} = \frac{1ب}{1+ب}$$

∴ يكون نصيب الشخص الاول كسراً من المبلغ الاصلي يعادل :

$$1/1 \times \frac{1ب}{1+ب} = \frac{ب}{1+ب}$$

ونصيب الشخص الثاني كسراً من المبلغ الاصلي يعادل :

$$ب/1 \times \frac{1ب}{1+ب} = \frac{1}{1+ب}$$

واذا فرضنا المبلغ : م ، سيكون :

$$\text{نصيب الشخص الاول} = \frac{م ب}{1+ب}$$

$$\text{ونصيب الشخص الثاني} = \frac{م 1}{1+ب}$$

ومن المعلوم انه اذا أردنا تقسيم المبلغ م بين شخصين بنسبة ١/١ ، ب/١ يجب ان نقسمه حسب قواعد التقسيم المتناسب بنسبة الكسور كما يلي :

$$\text{نصيب الشخص الاول} = \frac{م \times ا/^{1}}{ا/^{1} + ب/^{1}} = \frac{م\ ب}{ا + ب}$$

$$\text{ونصيب الشخص الثاني} = \frac{م \times ب/^{1}}{ا/^{1} + ب/^{1}} = \frac{م\ ا}{ا + ب}$$

ويلاحظ أن العمليتين أي تقسيم المبلغ حسبما قسمه علي عليه السلام وحسب قواعد التقسيم المتناسب بنسبة الكسور تعطيان نفس النتيجة .

وهكذا يمكن أن نبرهن على صحة التقسيم فيما لو كان عدد الاشخاص أكثر من اثنين :

فاذا كان عدد الأشخاص ٣ وكسر الشخص الثالث حـ/^{1} فان ا/^{1} من المبلغ (في التقسيم الأول) يكون للشخص الأول و ب/^{1} من المبلغ يكون للثاني و حـ/^{1} من المبلغ للثالث . ويبقى من المبلغ الأصلي كسر يعادل :

$$\text{ك} = \frac{\text{ا ب حـ} - \text{ب حـ} - \text{ا حـ} - \text{ا ب}}{\text{ا ب حـ}} = (ا/^{1} + ب/^{1} + حـ/^{1}) - ١$$

وبعد القيام بتقسيمات متوالية بمقدار لا يتناهى يكون نصيب الشخص الأول = ا/^{1} (١ + ك + ك^{٢} + ك^{٣} + ... + ك^{ن}) ، ونصيب الشخص الثاني = ب/^{1} (١ + ك + ك^{٢} + ك^{٣} + ... + ك^{ن}) ، ونصيب الشخص الثالث = حـ/^{1} (١ + ك + ك^{٢} + ك^{٣} + ... + ك^{ن}) .

وأما مجموع المتوالية الهندسية داخل القوس عندما تكون ن = ∞ يساوي :

$$\frac{\text{١}}{\text{١ - ك}} = \frac{\text{١}}{\text{١ - } \frac{\text{ابحـ - بحـ - احـ - اب}}{\text{ا ب حـ}}}$$

$$\frac{\text{ا ب حـ}}{\text{ب حـ + احـ + اب}}$$

واذا عوضنا عما في الأقواس : (للاول وللثاني وللثالث) ، نحصل على ما يلي : (مع العلم ان المبلغ الاصلي = م)

$$\therefore \text{ نصيب الشخص الاول} = \frac{\text{م ب حـ}}{\text{ب حـ + احـ + اب}}$$

$$\text{نصيب الشخص الثاني} = \frac{\text{م احـ}}{\text{ب حـ + احـ + اب}}$$

$$\text{نصيب الشخص الثالث} = \frac{\text{م اب}}{\text{ب حـ + احـ + اب}}$$

وهكذا اذا أردنا أن نقسم المبلغ : م بين ثلاثة أشخاص بنسبة ا/١ ، ب/١ ، حـ/١ (أي تقسيما متناسبا بنسبة الكسور) يكون :

$$\text{نصيب الأول} = \frac{\text{م} \times \text{ا/١}}{\text{ا/١ + ب/١ + حـ/١}} = \frac{\text{م ب حـ}}{\text{ب حـ + احـ + اب}}$$

$$\text{نصيب الثاني} = \frac{\text{م} \times \text{ب}_{/1}}{\text{ا}_{/1} + \text{ب}_{/1} + \text{حـ}_{/1}} = \frac{\text{م ا حـ}}{\text{ب حـ} + \text{ا حـ} + \text{ا ب}}$$

$$\text{نصيب الثالث} = \frac{\text{م} \times \text{حـ}_{/1}}{\text{ا}_{/1} + \text{ب}_{/1} + \text{حـ}_{/1}} = \frac{\text{م ا ب}}{\text{ب حـ} + \text{ا حـ} + \text{ا ب}}$$

***

والآن نأتي لحل المسألة حسبما وضعناه من نظرية برهنا على صحتها :

والمسألة هي : ثلاثة أشخاص طلبوا أن تقسم بينهم ١٧ جملاً ، على أن يكون سهم الشخص الأول $\frac{1}{2}$ ونصيب الشخص الثاني $\frac{1}{3}$ وحصة الثالث $\frac{1}{9}$ ولا يبقى شيء .

ولما كان $\frac{1}{2} + \frac{1}{3} + \frac{1}{9} = \frac{17}{18}$ اذن يبقى من الجمال $\frac{1}{18}$ منها . وهذا يوجب أن نقسم الباقي وأعني به : ($\frac{1}{18}$) بصورة متسلسلة حسب منطوق المسألة حتى لا يبقى شيء . وقد برهنا على ان نتيجة هذه التقسيمات المتسلسلة التي لا تتناهى من حيث العمل الحسابي تطابق تقسيم ١٧ جملاً بنسبة الكسور :

$\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{3}$ ، $\frac{1}{9}$ فعليه يكون :

$$\text{نصيب الشخص الأول} = \frac{17 \times \frac{1}{2}}{\frac{17}{18}} = 18 \times \frac{1}{2} = 9$$

$$\text{نصيب الشخص الثاني} = \frac{17 \times \frac{1}{3}}{\frac{17}{18}} = 18 \times \frac{1}{3} = 6$$

$$\text{نصيب الشخص الثالث} = \frac{١٧ \times {}^{١}/_{٩}}{{}^{١٧}/_{١٨}} = {}^{١}/_{٩} \times ١٨ = ٢$$

ويرى ان العمل حسب التقسيم المتناسب في ايجاد نصيب الشخص الأول أي : $\frac{١٧ \times {}^{١}/_{٢}}{{}^{١٧}/_{١٨}}$ يطابق العمل حسبما أمر به علي عليه السلام

وهو ضرب ١٨ في ${}^{١}/_{٢}$ أو : $(١٧ + ١) \times {}^{١}/_{٢} = ٩$.

أي يضاف على ١٧ جملاً ، جمل واحد . فيضرب المجموع في ${}^{١}/_{٢}$ فيكون نصيب الشخص الأول ، (أو يؤخذ نصفه) . وهكذا بالنسبة الى الثاني والثالث :

∴ ٩ + ٦ + ٢ = ١٧ جملاً (يطابق الأصل) .

ان قيام علي عليه أفضل الصلاة والسلام بهذا النوع من التقسيم أي اضافة ١ على ١٧ وأخذ نصف المجموع واعطاءه الى الشخص الاول ، وأخذ ثلث المجموع واعطاءه الى الشخص الثاني وأخذ تسع المجموع واعطاءه الى الشخص الثالث أقرب الى أذهان العوام الذين لا يمكنهم أن يتوصلوا الى حقيقة تقسيم عدد بنسبة كسور اعتيادية : على أن يكون نسبة ما للأول الى الثاني كنسبة النصف الى الثلث :

$$\frac{\text{الأول}}{\text{الثاني}} = \frac{{}^{١}/_{٢}}{{}^{١}/_{٣}} = {}^{٣}/_{٢}$$

ونسبة ما للثاني الى الثالث كنسبة الثلث الى التسع . أي :

$$\frac{\text{الثاني}}{\text{الثالث}} = \frac{1/3}{1/9} = 9/3 = 3 \text{ وهو عدد مجرد}$$

ونسبة ما للأول الى الثالث كنسبة النصف الى التسع • أي :

$$\frac{\text{الأول}}{\text{الثالث}} = \frac{1/2}{1/9} = 9/2 = 4\,1/2$$

وهكذا نرى ان بعد تقسيم المبلغ حسب قواعد التقسيم المتناسب بنسبة الكسور (أو تقسيم المبلغ بنسبة الصور بعد توحيد المخارج) ، تتحقق نفس النسب :

$$\frac{\text{نصيب الأول}}{\text{نصيب الثاني}} = 9/6 = 3/2$$

$$\frac{\text{نصيب الثاني}}{\text{نصيب الثالث}} = 6/2 = 3$$

$$\frac{\text{نصيب الأول}}{\text{نصيب الثالث}} = 9/2 = 4\,1/2$$

وهكذا نرى ان علم الامام علي عليه السلام يتجلى في حل المسألة المذكورة بشكل مفهوم لدى العوام في ذلك الوقت ، حيث لم تكن العلوم الرياضية معروفة في الجزيرة العربية ، حلاً يطابق ما نص عليه علم الحساب الإستدلالي • وقد علمنا أن لا فرق بين المنطوقين : (١) تقسيم المبلغ بين ثلاثة

أشخاص على ان يأخذ الاول ١/٢ والثاني ١/٣ والثالث ١/٩ ولا يبقى شيء وبين : (٢) تقسيم المبلغ بين ثلاثة بنسبة الكسور الاعتيادية ١/٢ ، ١/٣ ، ١/٩ من حيث المآل . وفي السؤال حالة خاصة ، أي ان المضاعف المشترك البسيط للمقامات = عـدد الجمال + ١ = ١٧ + ١ = ١٨ . فاستفاد علي عليه السلام من هذه الحالة الخاصة وحل المسألة باضافة جمل على عدد الجمال فكان المضاعف المشترك البسيط : ١٨ ، ولو ضربت الكسور في ١٨ (المضاعف) لما تغيرت النسب ، ولكن كحالة خاصة يكون المجموع : ٩ + ٦ + ٢ = ١٧ مساوياً لعدد الجمال .

***

وقد رويت هذه المسألة بشكل آخر ولعلها هي مسألة اخرى ، ذلك : أن ثلاثة أشخاص أتوا علياً عليه أفضل الصلاة والسلام ومعهم ١٩ جملا وأرادوا أن تقسم كلها بينهم على أن يكون للأول ١/٢ وللثاني ١/٤ وللثالث ١/٥ ولا يبقى شيء . فقال عليٌّ عليه السلام : أضيفوا على ١٩جملاً، جملاً واحداً ... فيكون (٢٠) . خذوا النصف وأعطوه الشخص الاول . وخذوا الربع وأعطوه الشخص الثاني وخذوا الخمس وأعطوه الشخص الثالث :

١٠ + ٥ + ٤ = ١٩ جملاً

فالحل حسبما أمر به علي (ع) : ١٩ + ١ = ٢٠ المضاعف المشترك البسيط (كحالة خاصة) .

نصيب الشخص الأول = ٢٠ × ١/٢ = ١٠) (لا تتبدل النسب لو
نصيب الشخص الثاني = ٢٠ × ١/٤ = ٥) ضربت كلها في نفس
نصيب الشخص الثالث = ٢٠ × ١/٥ = ٤) المقدار)

١٠ + ٥ + ٤ = ١٩ (عدد الجمال ، كحالة خاصة أيضاً) .

فالحل حسب قواعد التقسيم المتناسب :

$$\text{نصيب الشخص الأول} = \frac{١٩ \times {}^{١}/_{٢}}{{}^{١٩}/_{٢٠}} = ١٠$$

$$\text{نصيب الشخص الثاني} = \frac{١٩ \times {}^{١}/_{٤}}{{}^{١٩}/_{٢٠}} = ٥$$

$$\text{نصيب الشخص الثالث} = \frac{١٩ \times {}^{١}/_{٥}}{{}^{١٩}/_{٢٠}} = ٤$$

فلا فرق بين النتيجتين ، اذ المنطوقان يؤديان الى نفس النتيجة .

فسلام الله عليك يا علي ، من إمام مطاع للمتقين وقاضٍ قدير ورياضي عظيم ، وعالم بطرق السماء أكثر منه بطرق الأرض ، ومخبر عن حركة الشمس قبل اكتشاف علم الميكانيك السماوي والتلسكوبات والمراقب الجسام ، وعالم بطول قطر الشمس قبل تقدم علم الفيزياء والفلك العالي .

وسلام الله عليك يا أمير المؤمنين ، يا ميزان الاعمال وسيف ذي الجلال وساقي السلسبيل الزلال ، وحجة الله البالغة ونعمته السابغة والصراط الواضح والنجم اللائح ورحمة الله وبركاته .

المثل الكامل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرعان مهمان من فروع الدين وواجب على كل مسلم أن يقوم بهما وجوب الصلاة ، وهما ركنان مهمان ، بهما تسعد الأمم وتبلغ أعلى مرتبة من الرقي والكمال . وقد قام على دعامتيهما الاسلام ، فبلغ حيث بلغ .

ان الله تعالى يقول : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» . (سورة آل عمران : ١٠٠) وقد قال رسول الله (ص) : « اذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه . فمن لم يفعل فعليه لعنة الله » . وقال أيضاً : « لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر ، فاذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلّط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الارض ولا في السماء » .

وقال أيضاً : « ان الله ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له ، فقيل وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له ، قال : الذي لا ينهى عن المنكر » . وجاء في حديث : «ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» . ولا شك ان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي الى تفسخ الأخلاق وهو علة العلل في تدهور الامم وسقوطها عدا ما هنالك من عذاب أخروي أليم . فعن أبي الحسن الرضا عليه السلام « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم ، فلا يستجاب لهم » . و « إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء ، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتؤمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم

وتعمر الارض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر » كما جاء في الحديث .

هذا حسين عليه السلام قد أنكر على معاوية استخلاف يزيد ونهى عن المنكر لأن يزيد ، لاستحلاله ما حرم الله وهتكه حرمات الله ، ما كان أهلاً ليتصدّى خلافة العالم الاسلامي ، وهو في عنفوان نهوضه وازدهاره . يخاطب حسين (ع) معاوية في كتاب له : « إن لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنة وقتلك أولياءه على التهم ونفيك أولياءه من دورهم الى دار الغربة ، وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث يشرب الشراب ويلعب بالكلاب . ما أراك الا قد خسرت نفسك وبترت دينك وغششت رعيتك وأخزيت أمتك ... الخ » .

وان معاوية ليعترف بفضل الحسين (ع) ، فهو يقول لابنه يزيد : « وما عسيت أن أعيب حسيناً ، فوالله ما أرى للعيب فيه موضعاً » . وقد نصح حسين عليه السلام معاوية أيضا حين كان يريد أخذ البيعة ليزيد بقوله : « تريد أن توهم الناس في يزيد ، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً ، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص . وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد مما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش ، والحمام السبق لأترابهن والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصراً ، ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت فيه » .

كيف لا يقوم حسين (ع) بهذه النهضة الخالدة . وقد سمع رسول الله (ص) يقول : « من أرضى سلطاناً جائراً بسخط الله خرج عن دين الله » . فانه « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » . كيف لا يضحي سلام الله عليه بنفسه ونفيسه وقد حفظ عن رسول الله (ص) : « لا تحل لعين مؤمنة ترى الله يعصى وتطرف حتى تغيره » .

وعن أبي جعفر عليه السلام ، قال : أوحى الله الى شعيب النبي : أني

معذّب من قومك مائة الف ، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفا من خيارهم فقال (ع) : « يا ربّ ، هؤلاء الأشرار ، فما بال الأخيار ؟ » فأوحى الله عز وجل اليه : « داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي » .

فالمؤمن حقاً هو ذلك المؤمن الذي يغضب عند انتهاك حرمات الله ويضحي بما لديه إعلاءاً لكلمة الله العليا ، ففي حديث : « إن موسى بن عمران قال : « يا ربّ من أهلك الذين تظلّهم في ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ؟ ، فأوحى الله اليه : الطاهرة قلوبهم والبريئة أيديهم ، الذين يذكرون جلالي ذكر آبائهم الى أن قال : والذين يغضبون لمحارمي اذا استُحلت » .

وإن الصحابة الموجودين في عصر الحسين (ع) كانوا يعلمون فسق يزيد وظلمه فمنهم من رأى الخروج عليه كابن الزبير ومنهم من امتنع عن مبايعته كعبدالله بن عمرو بن العاص حتى دعا نائب أمير مصر بالنار ليحرق عليه بابه .

ولولا خروج الحسين عليه السلام لاندرست معالم الدين وتمركزت البدع وضاعت السنن . كيف لا يكون ذلك ويزيد يقول متمثلاً بقول ابن الزبعرى : « لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل »

إن للحسين (ع) وذويه وأصحابه آياتٍ باهرات من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ خروجه من مكة حتى رجوع الأسرة النبوية بعد التضحية الغالية الى مدينة جدهم ثانياً . وقد خطب الحسين عليه السلام حين عزم على الخروج من مكة الى العراق فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله ما شاء الله ولا قوة الا بالله ، وصلى الله على رسوله ، خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه ، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا ، فيملأن مني أكراشا جوفا وأجربة سغبا ، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم ، رضا الله رضانا أهل البيت ، نصبر على بلائه ويوفينا

أجور الصابرين ، لن تشذ عن رسول الله (ص) لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده ، ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه ، فليرحل معنا ، فاني راحل مصبحاً انشاء الله » .

وقد حمل معه النسوة والأطفال كي يظهر للناس مبلغ الجور ومدى الظلم لئلا يركنوا الى الظالم ولا يعرضوا عليه دينهم ولا يتابعوه في معالم دينهم .

يصل الحسين عليه السلام الى كربلا مع أفلاذ كبده وأرحامه الأقربين ، فيقول : « ما اسم هذه الأرض ، فيقال : كربلاء . فيقول سلام الله عليه : « اللهم اني أعوذ بك من الكرب والبلاء » ثم أقبل على أصحابه ، فقال كلمته الخالدة التي يجب أن تكتب بأحرف من نور .

« الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم، فاذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون » . ما أعظم هذه الكلمة انها تفسر الطابع الذي طبع عليه الجنس البشري في كل زمان ومكان ، ولا يشذ عن ذلك الا الفذ الأوحدي . « وقليل ما هم » . فطالما كان الدين سلعة تجارية تشترى بها الراحة والسلامة والمنافع الخسيسة الدنيوية . وطالما كان الدين وسيلة للبلوغ الى مناصب زائلة فحرّف وغيّر تبعاً للسياسة المستحكمة .

انظروا كيف يخاطب الحسين (ع) جيش ابن سعد حين ركب فرس رسول الله (ص) يوم عاشوراء انه يقول :

« تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا والهين ،فأصرخناكم موجفين . سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم ، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم . بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم . فهلاً لكم الويلات ، تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف ، ولكن أسرعتم اليها كتهافت الفراش .

فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الاحزاب • ونبذة الكتاب ومحرّ في الكلم وعصبة الآثام ونفثةالشيطان ومطفيء السنن • هؤلاء تعضدون وعناتتخاذلون، أجل والله غدر فيكم قديم وشحت عليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم • فكنتم أخبث ثمر ، شجى للناظر وآكلة للغاصب ، ألا وإن الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين ، بين السلّة والذلة وهيهات منا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ، حجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا ترون أن الحق لا يُعمل به والباطلَ لا يُتناهى عنه فلا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا َبرما ، ألا واني زاحف بهذه الاسرة وقلة العدد وخذلان الناصر » •

ففي هذه الخطبة المنيفة عبر لا تتناهى ودروس محكمة لا تستقصى ، تتفهمها نفوس زكية وأرواح نقية •

فقد تمّ نهي الحسين عن المنكر بتقديم نفسه الزكية ونفوس أبنائه الأبرياء حتى ولده الرضيع واخوته وأبناء أخيه وأبناء عمه للقتل وأمواله للنهب وخبائه للحرق وعياله للأسر - ليفدي بكل ذلك دين جده ويستنقذه من أن يقضى عليه الخمور والفجور •

لا يمكن أن نستقصى مراحلَ هذا النهي عن المنكر في هذه العاجلة ونختم ذلك بنبذة يسيرة عن خطاب من تولّت هذه المهمة بعد قتل الحسين عليه السلام ألا وهي شقيقته الكبرى زينب عليها السلام في مجلس يزيد :

« الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين صدق الله كذلك حيث يقول : « ثم كان عاقبةَ الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » •

« أظننتَ يا يزيد ، حيث أخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء ، فأصبحنا نُساق كما تساق الإماء : أنّ بنا هوانا على الله ولك عليه كرامة ،

وأن ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً ، حيث رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلاً مهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : ولا تحسبنّ الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب اليم» .

« أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله (ص) سبايا ، قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن ... » الى آخر ما قالت سلام الله عليها .

فليتخذ المسلمون من هذه التضحية الغالية دروساً بليغة لخدمة هذا الدين وقمع البدع وما جاءنا من وحشية وجاهلية في الأخلاق وتدنيس النفوس من جراء إتباع نوازع الغرب الأثيمة ، التي هي خلاصة الشهوات الحيوانية المميتة .

وينبغي أن لا يبهرنا هذا التقدم الصناعي في عالم المادة ، فالانسان ليس بمادة فحسب ، الانسان انسان بروحه ونفسه وملكاته المعنوية . وان اتباع الغرب في حضارته الشهوانية مما يؤدي الى إماتة النفس الانسانية وتسافلها الى أسفل السافلين . والاسلام إذ يأمر بالعمل في شتى الحقول من زراعية وصناعية وتجارية وعمرانية لا يهمل النفس الانسانية تتردى في دياجير الشهوات والآثام بل يجعل رائده الاسمى تكامل هذه النفس الانسانية وإخراجها من حضيض البهيمية الى أوج الملكوت . يعترف بذلك كبار فلاسفة الغرب المنصفون الذين لم يتابعوا الغرب في هذيانه وطيشه ومجونه ومادیته الساحقة ، وكثيراً ما كتبوا أن هذه المدنية المادية الطائشة مآلها الزوال والانقراض .

فطوبى لنفوس إتعظت بكلمات أهل بيت العصمة (ع) فاتخذت منها مناراً للعروج الى حيث الطمأنينة والخلود والكمال المنشود .

حسين مني وأنا من حسين

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن بعلى العامري وصححه : أنه خرج مع رسول الله (ص) الى طعام دعوا له . فاستقبل رسول الله (ص) أمام القوم وحسين مع الغلمان يلعب ، فأراد رسول الله (ص) أن يأخذه فطفق الصبي يفرّ هاهنا مرة وهاهنا مرة ، فجعل رسول الله (ص) يضاحكه حتى أخذه : قال فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ، فوضع فاه على فيه يقبله ، فقال : « حسين مني وأنا من حسين ، أحبّ الله من أحبّ حسيناً ، حسين سبط من الأسباط » .

وروى الحاكم في المستدرك أيضاً بسنده عن أبي هريرة ، قال رأيت رسول الله (ص) وهو حامل الحسين بن علي ، وهو يقول : « اللهم إني أحبه، فأحبّه » ، وقال رسول الله (ص) : « من أحب أن ينظر الى أحب أهل الأرض الى أهل السماء فلينظر الى الحسين » وعن صحيح الترمذي عن أنس بن مالك قال : سُئل رسول الله (ص) : أي أهل بيتك أحب اليك ، قال : الحسن والحسين » وكان يقول لفاطمة ، أدعي لي ابنيّ فيشمهما ويضمهما اليه .

وفي الإصابة عن أبي هريرة ، قال : خرج علينا رسول الله (ص) ومعه الحسن والحسين ، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة ، حتى انتهى الينا،فقال:من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقدأبغضني. وكان النبي (ص) يصلي فاذا سجد وثب الحسنان عليهما السلام على ظهره . فاذا أرادوا أن يمنعوهما ، أشار اليهم أن دعوهما ، فلما قضى الصلاة وضعهما في حجره وقال : من أحبني فليحب هذين .

وكان (ص) يجثو للحسنين عليهما السلام فيركبان على ظهره ، ويقول

نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما .

وحملهما (ص) مرة على عاتقه ، فقال رجل : نعم الفرس لكما ، فقال صلى الله عليهما وآله وسلم : ونعم الفارسان هما .

وعن صحيحي الترمذي والنسائي كان رسول الله (ص) يخطب ، فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله (ص) من المنبر ، فحملهما ووضعهما بين يديه وقال : صدق الله ، (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) ، نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما .

وخرج رسول الله (ص) ليلة في احدى صلاتي العشاء وهو حامل حسيناً ، فوضعه ثم كبَّر للصلاة . فأطال سجدة الصلاة . قال راوي الحديث ، فرفعت رأسي واذا الصبي على ظهر رسول الله (ص) وهو ساجد ، فرجعت الى سجودي فلما قضى الصلاة . قيل يا رسول الله : إنك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها ، حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى اليك . قال (ص) : كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله .

ومر (ص) على بيت فاطمة ، فسمع الحسين يبكي ، فقال : « ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني » .

وهناك حوادث وأحاديث أخرى تدل على شدة حب النبي للحسين (ع) لا مجال لذكرها مما يدل على عظمة منزلته عند الله وعند رسوله . وبديهي أن رسول الله (ص) وهو سيد المرسلين لا يُحب إلا عن دليل وهو أجل من أن تؤثر فيه العواطف .

وإن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وهما إمامان قاما أو قعدا ، كما جاء في حديث صحيح .

وقد قال (ص) مرات عدة وبعبارات متنوعة كما روته كافة كتب الحديث :

« إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي . فأجيب ، وإني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي : الثقلين : كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي . فلا تتقدموهم فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ، وان اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » وقد قال (ص) أيضا : « مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة من دخله كان آمناً وقال أيضا : « مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح » .

كيف لا يحب رسول الله (ص) حسيناً وهو الذي سماه حسيناً وأذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وحنكه بريقه وعقّ عنه بكبش وأمر أمه أن تحلق رأسه وتتصدق بوزن شعره فضة . وهو الذي قام بتغذيته أربعين يوماً وليلة ، لأن لبن فاطمة سلام الله عليها قد جف بعد أن ولدت حسيناً . فطلب رسول الله (ص) مرضعة ، فلم يجد ، فكان يأتيه فيلقمه إبهامه ، فيمصه . ويجعل الله في إبهام رسول الله (ص) رزقاً يغذيه . فأنبت الله لحمه من لحم رسول الله (ص) . وهذا ليس بشيء ينكره العقل السليم ، اذا صدّق معاجز رسول الله (ص) تلك المعاجز التي تفوق هذه المعجزة بدرجات . فكيف لا يقوم الحسين (ع) بعد الاطلاع على ما قدمناه بهذه النهضة المباركة وكيف لا نشارك أهل البيت في الحزن والأسى في هذه الايام المحزنة ، فان أهل البيت كانوا اذا اهل شهر محرم الحرام اغتموا وحزنوا وأقاموا المآتم تخليداً لذكرى محيى الشريعة بعد الاندثار ، أعني حسيناً عليه الصلاة والسلام .

نعم ، إن رسول الله (ص) لحزين في هذه الأيام ، باكٍ على ولده ، كيف وقد بكى وحزن لهذه الفاجعة الأليمة قبل وقوعها وأقام المآتم لأجلها في مجمع أصحابه فأخبرهم بها وبكى وبكوا لبكائه ، فكان هو الذاكر وأصحابه المستمعين وقد روى الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي في كتابه أعلام النبوة . فقال ما لفظه :

ومن انذاره (ص) ما رواه عروة عن عائشة (رض) قالت دخل الحسين ابن علي رضي الله تعالى عنهما على رسول الله (ص) وهو يوحى اليه فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره ، فقال جبرئيل (ع) ، يا محمد إن امتك ستفتن بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك ومد يده فأتاه بتربةٍ بيضاء وقال في هذه الأرض يقتل ابنك ، اسمها الطف . فلما ذهب جبرئيل خرج رسول الله (ص) والتربة في يده وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحذيفة وعمار وأبو ذر وهو يبكي ، فقالوا ، ما يبكيك يا رسول الله . فقال : أخبرني جبرئيل : إن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف ، وجاءني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه .

وفي العقد الفريد ، قال ومن حديث ام سلمة زوج النبي (ص) ، قالت : كان عندي النبي (ص) ومعي الحسين . فدنا من النبي (ص) ، فأخذته ، فبكى ، فتركته ، فدنا منه ، فأخذته ، فبكى ، فتركته . فقال له جبرئيل : أتحبه يا محمد . قال نعم . قال : أما إن امتك ستقتله ، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها ، فبسط جناحه فأراه منها ، فبكى النبي (ص) .

وفي الصواعق المحرقة ، أن علياً مر بكربلاء عند مسيره الى صفين وحاذى نينوى قرية على الفرات ، فوقف وسأل عن اسم الارض ، فقيل كربلاء . فبكى حتى بل الأرض من دموعه . ثم قال : دخلت على رسول الله (ص) وهو يبكي . فقلت ما يبكيك ؟ قال : كان عندي جبرئيل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء ، ثم قبض جبرئيل قبضةً من تراب أشمني اياه ، فلم أملك عيني ان فاضتا .

وقد قال الحسين (ع) : أنا قتيل العبرة ، لا يذكرني مؤمن الا استعبر . فالحسين عَبرة كل مؤمن كما جاء في حديث صحيح . وكيف لا تفيض عينا المؤمن عندما يسمع أن حسيناً يتناول طفله الرضيع بعد أن جفت المراضع ،

فيشرف على الأعداء ، قائلا : « ان كنا في زعمكم مذنبين ، فما ذنب هذا الرضيع ، وقد ترونه يتلظى عطشاً ، وهو طفل لا يعرف الغاية ولم يأت بجناية . ويلكم اسقوه شربة ماء ، فقد جفت محالب أمه وإن كنتم غير مصدقين خذوه مني واسقوه أنتم » . فاختلف القوم فيما بينهم ، منهم من قال : اسقوا الرضيع ، ومنهم من قال : إن الحسين قد بلغ الغاية من الظمأ لو صبرتم قليلا أسلم أمره اليكم . فخشى ابن سعد العاقبة وأشار الى حرملة قائلاً : إقطع نزاع القوم ، فرمى الرضيع بسهم له في نحره ، فذبحه من الوريد الى الوريد ، وصار الطفل يرفرف على يدي والده كالطير المذبوح ، فأخذه الى المخيم ، استقبلته اخته ، قائلة : « يا أبه ، لعلك سقيت أخي ماءً » . فأجابها : « هاكِ أخاك مذبوحاً » . ثم حفر الارض بسيفه ودفن الرضيع وآماله ....

الحسين (ع) يعلم الناس الصلاة فى أحرج ساعة

يقول الله تبارك وتعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » . وفي موضع آخر : « ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين » وفي مكان آخر : « ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » . فلم يهتم الدين الاسلامي بشيء اهتمامه بالصلاة وقد جعلها أساساً لقبول بقية الأعمال بقوله : « الصلاة عمود الدين ، إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها » . « الصلاة قربان كل تقي » . « أول ما يحاسب عليه الصلاة » . « وان أول ما فرض الله تعالى الصلاة وآخر ما يبقى عند الموت الصلاة . وآخر ما يحاسب به يوم القيمة الصلاة ، فمن أجاب فقد سهل عليه ما بعده ، ومن لم يجب فقد اشتد عليه ما بعده » . وقال : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » . وفي هذه الأحاديث كفاية لبيان أهمية الصلاة .

ان النبي (ص) كان كثير الصلاة حتى تورمت قدماه . وأما علي (ع) فكان يصلي كل يوم وليلة الف ركعة . وقد قال فيه ابن ابي الحديد : « كان علي أعبد الناس وأكثرهم صلاةً وصوماً ومنه تعلّم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يميناً وشمالا فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته » . واما الحسين (ع) فكما روى ابن عبدالبر في الاستيعاب حج خمساً وعشرين حجةً ماشياً ونجائبه تقاد معه وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة .

وقد صلى الحسين (ع) صلواتٍ عدة مشهورات منذ خروجه من مكة

فاراً ، بُغية الاستشهاد في موضع آخر ، صيانةً لحرمة بيت الله الحرام .

الأولى : أنه عليه السلام بعد أن سار من بطن العقبة ونزل شَراف ، أمر عند السحر فتيانه فاستقوا الماء وأكثروا ثم سار منها حتى انتصف النهار . فلاقاهم الحر ومعه الف فارس وكان قد أثر فيهم العطش . فأمر الحسين (ع) فتيانه ان اسقو القوم وارووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً ، ففعلوا . وقد حضر وقت صلاة الظهر . فأمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق أن يؤذن . فلما حضرت الإقامة ، خرج الحسين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : « أيها الناس ، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت عليَّ رسائلكم : أن اقدم علينا ، فانه ليس لنا إمام ، لعل الله أن يجمعنا واياكم على الهدى والحق . فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فاعطوني ما أطمئن اليه من عهودكم ومواثيقكم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين ، انصرفت عنكم الى المكان الذي جئت منه اليكم » . ثم قال للمؤذن : أقم الصلاة ، فأقام الصلاة . فقال للحر : أتريد أن تصلي بأصحابك ؟ فقال لا ، بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك . فصلى بهم الحسين عليه السلام ، وكل دخل خيمته . فلما كان وقت العصر أمر الحسين عليه السلام أن يتهيئوا للرحيل . ثم أمر مناديه ، فنادى بالعصر ، وأقام ، واستقدم الحسين عليه السلام فصلى بالقوم . ثم سلم وانصرف اليهم بوجهه . فحمد الله وأثنى عليه . وقال : « أما بعد ، أيها الناس ، إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله ، يكن أرضى لله عنكم . ونحن أهل بيت محمد ، أولى بولاية هذا الأمر عليكم ، من هؤلاء المدعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجور والعدوان . فان أبيتم الا الكراهة لنا والجهل بحقنا وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم وقدمت علي به رسلكم ، انصرفت عنكم » . فامتنع الحر وأصحابه وجعجعوا به حتى أوردوه كربلاء .

وإن ائتمام الحر بأبي عبدالله الحسين عليه السلام في صلاته يعرفنا قبلاً

ان نفسه كانت ثمينة لقبول الحق والفوز بالشهادة وحسن السمعة . لذلك يأتي حسيناً يوم العاشر نادماً تائباً فاراً من ابن سعد وأصحابه ، قائلاً : « هل لي من توبة » . فيتوب على يد الامام عليه السلام ، ويستشهد بين يديه ويفوز بالخلود الأبدي في نعيم أبدي . وقد أتم الحر بهذا الرشاد الحجة على ابن سعد ومَن والاه .

ونادى عمر بن سعد عشية يوم الخميس لتسع مضين من المحرم قائلا : « يا خيل الله اركبي وبالجنة ابشري » . فركب الناس وزحفوا بعد العصر ، والحسين عليه السلام جالس أمام بيته محتبٍ بسيفه فجاءه العباس عليه السلام قائلا : يا أخي أتاك القوم . فقال : يا عباس ، « اركب بنفسك أنت حتى تلقاهم ، وتقول لهم : ما بالكم وما بدا لكم ، وتسألهم عما جاء بهم » . فأتاهم العباس (ع) في نحو عشرين فارساً ، فسألهم فقالوا : « قد جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم » . قال : « لا تعجلوا حتى أرجع الى أبي عبدالله فأعرض عليه » . فلما أخبره العباس بقولهم ، قال له : «إرجع اليهم . فان استطعت أن تؤخرهم الى غدوة وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يعلم أني كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار » . فرجع العباس عليه السلام ، وسألهم ذلك . فتوقف ابن سعد . فقال له عمر بن الحجاج الزبيدي . سبحان الله . والله لو أنهم من الترك أو الديلم وسألونا مثل ذلك ، لأجبناهم . فكيف وهم آل محمد . فجمع الحسين عليه السلام أصحابه قرب المساء فقال : « اثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء ، أللهم إني أحمدك على أن اكرمتنا بالنبوة ، وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعا وأبصاراً وأفئدة ، فاجعلنا لك من الشاكرين» . ثم طلب الى أصحابه أن يتفرقوا عنه جوف الليل ، وقال لهم : أنتم في حلٍّ مني ، فلم يقبلوا وقابلوه بكلمات

تدل على عظمة الايمان فيهم فقام الحسين (ع) وأصحابه الليل كله ، يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون • باتوا ولهم دوي كدوي النحل ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد •

سِمة العبيد من الخشوع عليهمُ لله ان ضمّتهم الاسحار
فاذا ترجّلت الضحى شهدت لَهم بيضُ القواضب أنهم أحرار

ولم يشغلهم ما هم فيه من الشدائد وانتظار القتل عن ذكر ربهم فعبر اليهم في تلك الليلة من عسكر ابن سعد اثنان وثلاثون رجلاً • ولا أعلم كيف أصف هذا التهجد • فانهم كانوا يرون الحق علانية وقد رفعت عنهم الحواجب وكشف لهم الغطاء • لذلك تراهم مأنوسين فرحين مستبشرين • فهذا بُرير ، يداعب عبدالرحمن الانصاري ويضاحكه • فيقول له عبدالرحمن ، يا برير ، ما هذه ساعةُ باطل • فيجيب برير : « لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً ، وانما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير اليه • فوالله ما هو الا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا ونعالجهم بها ساعة ثم نعانق الحور العين » •

وأعظم صلاة يصليها الحسين عليه السلام هي صلاة ظهر العاشوراء • ففي بحبوحة الوغى يأتي أبو ثمامة الصيداوي حسيناً قائلاً : « يا أبا عبدالله ، نفسي لنفسك الفداء ، هؤلاء قد اقتربوا منك • لا والله ، لا تُقتل حتى أقتل دونك ، وأحب أن القى الله ربي وقد صليت هذه الصلاة » • فرفع الحسين عليه السلام رأسه الى السماء ، وقال : « ذكرت الصلاة ، جعلك الله من المصلين الذاكرين • نعم هذا أول وقتها » • فالحسين عليه السلام يدعو لأبي ثمامة أن يجعله الله من المصلين • كل ذلك ، لأنه لا فضيلة ولا مقام أعلى من أن يعد الانسان من المصلين • وهذا تفسير قوله تعالى : « إن الانسان خلق هلوعاً ، اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين » • فاستثنى الله تعالى المصلين الذاكرين • فهؤلاء بصلواتهم المقبولات تطهر نفوسهم فتأخذ

بالكمال ويكونون إذ داك فوق البشر العادي ، فلا يجزعون عند الشر ولا يمنعون اذا مسهم الخير .

ثم قال الحسين عليه السلام سلوهم ان يكفوا عنا . ففعلوا . فقال لهم الحصين بن تميم انها لا تقبل . فقال له حبيب بن مظاهر : زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله (ص) وتقبل منكم يا خمار . فحمل عليه الحصين وحمل عليه حبيب رضوان الله عليه فقتل بديل بن صريم ثم قتل . فقال الحسين عليه السلام : « عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي . لله درك يا حبيب ، لقد كنت فاضلا ، تختم القرآن في ليلة واحدة » . وقال الحسين عليه السلام لزهير بن القين وسعيد بن عبدالله : تقدما أمامي حتى أصلي الظهر . فتقدما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتى صلى بهم صلاة الخوف . فوصل الى الحسين عليه السلام سهم ، فتقدم سعيد بن عبدالله ووقف يقيه النبال بنفسه ، ما زال ولا تخطى ، فما زال يُرمى بالنبل حتى سقط الى الارض وهو يقول : « اللهم العنهم لعن عاد وثمود . اللهم ، أبلغ نبيك عني السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح . فاني أردت ثوابك في نصرة ذرية نبيك » . ثم قضى نحبه رضوان الله عليه ، فوجد فيه ثلاثة عشر سهما سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح ، وقد خطب الحسين في أصحابه بعد الصلاة ، فقال : « يا أصحابي ، إن هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها وتؤلفت ولدانها وحورها وهذا رسول الله (ص) والشهداء الذين قتلوا معه ، أبي وامي يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم وهم مشتاقون اليكم ، فحاموا عن دين الله وذبوا عن حرم رسول الله » .

هذه صلاة يصليها الحسين (ع) في أحرج ساعة بين السيوف والرماح ، فيعلم الناس عظمة الواجب وأنه لا يترك بحالٍ ، وأن أمر الله فوق جميع الاعتبارات . وأن الحرب والنضال انما هما لتقويم دين الله واحياء شعائر

الله • يعلّم الناس أن مبدأ الفضائل انما هو في صلاة يؤديها الانسان شكراً لخالقه • وأن لا فضيلة دون صلاة وخشوع لله تبارك وتعالى • يقدم درساً عملياً : ان الشواغل الدنيوية من تجارة ومرض ولعب وسباق وجهاد وغيرها محكومة تجاه عظمة الصلاة ، ولا عمل لمن لا صلاة له مهما عظم العمل في نظره أو في نظر الناس • وهو صلوات الله عليه يختم هذه الصلاة التي لا تشبهها أية صلاة بمناجاة يناجي بها ربه حين بقي وحيداً فريدا قائلا :

تركت الخلق طـراً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكـا

فلـو قطعتني في الحب إربـاً لما مال الفؤاد الى سواكـا

فالى الاستفاضة من الدروس الحسينية والاستفادة من عظمته وآثاره الخالدة أدعو إخواني المسلمين •

لماذا أبكي حسيناً (ع) [١]

ما هذا الحزن الذي يحيط بالعالم الاسلامي عند هلال محرم الحرام ؟ ما هذا الأسى الذي يتداخل كل مسلم في هـذه الايام ؟ ما هذا الوجوم الذي يعم الآفاق ؟ لماذا هذه المآتم وهذه المجالس المتعددات في شرق العالم وغربه ؟ لماذا تغلق المجوس حوانيتها ثلاثة أيام في هذا الشهر ؟ لماذا أتباع براهما بوترا في الهند يقيمون المآتم ويبذلون وينفقون ؟ لماذا تصرف آلاف الدنانير لاطعام الفقراء والمساكين في هذه الايام ؟ ذلك لأن حادثاً عظيماً يهز العالم هزاً ، ذلك لأن الفضيلة تصطدم بالرذيلة فيكون من نصيبها الخفوق أولا ثم الفتح والانتصار . ذلك لأن الضلال يريد أن يعود فيأتيه الحسين عليه السلام بنفسه ونفيسه فيقمعه قمعاً . ذلك لأن الجاهلية الجهلاء تريد أن تبرز من جديد فيقابلها السبط بما عز لديه : بطفله وولده وسبي رحله وذراريه، ذلك لأن الشرك يريد أن يخرج من قرن الشيطان فتتداركه رحمة الله الواسعة : حسين عليه السلام فيمحقه محقاً بأخبية تحرق وستور تهتك وثغور تقرع . كيف لا يهتز العالم لهذا الحادث العظيم وإن حياته فيه : ألا وهي الخلود في نعيم أبدي بتطهير النفس من الدنس والرجس وبعبادة الرحمن : ذلك الذي خلق الانسان لأجله . كيف لا يضطرب العالم شكراً وتقديراً ، فانه لولا هذا الحادث الجلل لكان مستغرقاً في عبادة الشمس واللات والعزى . فلو بذل العالم كل ما فيه من مال وذاب حزناً وأسى وكآبةً وسال دموعاً لما وفى حقاً من حقوق محيي الشريعة ومجددها أعني حسيناً عليه الصلاة السلام .

ما هذا البكاء ؟ انما هو زفرات يزفرها الانسان مصحوبة بالدموع

---

(١) كلمة ألقيت في العشرة الاولى من شهر محرم الحرام .

بصورة غير اختيارية اعترافاً بعظمة الحسين عليه السلام وتقديراً لأعماله الجبارة الخالدة . انما هو مظهر من مظاهر الحب والولاء . انما هو امارة من امارات العشق والوداد . وقد جاء في الحديث : « هل الدين الا الحب والبغض ؟ » ...

نسمع كثيراً أن كبار الرجال من سياسيين عظام الذين لم يسمع أنهم بكوا لحادثة ، يذكرون في تاريخ حياتهم أنهم بكوا مرتين أو ثلاثا طيلة حياتهم اما على أم لهم توفيت أو أب خطفه ريب المنون . كل ذلك لحب يتجلى فيسيل دموعاً ساخنات . وحسين والله قد خدم البشرية أضعاف ما يخدم الوالد ولده والوالدة ولدها . لأنه أحيا نفوس العالم الضالة وأخرجها من الحيرة الى نور الهداية وهداهم سواء السبيل .

لقد حضرت في احدى العواصم حفلة رائعة لتخليد ذكرى الكيمياوي الشهير : برثلو (Berthelot) وان أكثر مدن العالم قد احتفلت في نفس اليوم بذكرى هذا الكيمياوي الذي خدم العالم خدمات مادية تفيد البدن خاصة . وما هي نسبة احياء النفس الانسانية بصورة أبدية الى خدمة بدنية يقدمها الكيمياوي مع تقديرنا لخدمته .

ان الشرع الاسلامي قد نهى عن البكاء لأمور تافهة دنيوية وأمر بالصبر وجعل البكاء مبطلاً للصلاة واستثنى البكاء أثناء الصلاة خوفاً من الله تعالى أو حباً للحسين السبط ، ولذلك يقول صلوات الله عليه : « أنا قتيل العبرة ، لا يذكرني مؤمن الا استعبر » . فالبكاء على الحسين عليه السلام من علامات الايمان الواقعي الحقيقي . كان الصادق عليه السلام يقول : « الحسين عبرة كل مؤمن » .

ليس البكاء على امحاء الفضيلة يبعث على الذل والمسكنة كما يظنه البعض . فان النفوس لتصدأ كما يصدأ النحاس ، ولا يزيل هذا الصدأ الا

البكاء من خشية الخالق والبكاء على ملتقى الفضائل ومجمع التضحيات الحسين عليه الصلاة والسلام .

كان صديق لي من الافاضل في النجف الاشرف يقول لي : « اني أشعر أن نفسي تصدأ إن لم أحضر مجلس الحسين عليه السلام في كل اسبوع مرة فأبكي ، فاذا بكيت أشعر بعد البكاء بارتياح وفرح وسرور واطمئنان وترفع عن العالم المادي » . فالميزة الفارقة بين البكاء الباعث على الذل والهوان هو ذلك البكاء الذي يتعقبه حزن وكآبة وظلمات ، ولكن البكاء من عقاب الخالق أو البكاء للندم الحاصل للانسان من جراء ما اقترفت يداه من الذنوب يريح النفس ويبعث على السرور والفرح وكل من جرب ذلك يصدقني فيما أقول .

ولقد شاهدت أناساً كثيرين يبكون حسيناً باخلاص لا تأخذهم في الله لومة لائم جربتهم وسبرتهم فرأيتهم من خيار الناس وأبرارهم . فكأن هذا البكاء الخالص لو كان عن معرفة يؤثر في النفس فيهديها سواء السبيل ، فتبدو آثار هذه الهداية في الافعال والمعاملات . أليست التجربة مدار البحث في علم النفس الحديث أو بالأحرى في علم مظاهر النفس . أليس أكثر مقتبسات علم النفس الحديث تتم بطريقة آنكت (Enquête) أي السؤال والتتبع والفحص عن نفسيات ثلة من الناس . وقد وجدت الذين لا يرتضون البكاء على الحسين عليه السلام أقل عطفا وحنانا من الطبقة الأولى المارة الذكر . فاني أرى أن من علائم الانسان الكامل أن يحزن ويبكي لهذا الحادث العظيم الذي به تجلى الدين وبه عرف الله وبه عبد . كيف لا ويزيد يقول متمثلاً بقول ابن الزبعرى :

« لعبت هاشم بالملك فلا خبر" جاء ولا وحي نزل
لست من خندف ان لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل »

فهذا ابكاء بكاء للدين ولله تعالى وهذه الدموع يتجلى فيها التقدير والشكر والثناء ، ومن تتبع أدوار هذا البكاء الحسيني علم كيف يأخذ بالانسان فيجعله في وادٍ كله صفاء وكله نور .. ولا يسع المجال أن أنقل مقالاً ضافياً طالعته في مجلة الكلية التي تصدر ببيروت عن فوائد البكاء المادية وكيف يفيد العين وكيف يكون سبباً لقتل كثير من الجراثيم التي تصاب بها العين . ذلك لأن كل ما جاء في الشرع المحمدي من أعمال لها فوائد روحية تؤدي الى كمال النفس الانسانية وفوائد مادية تفيد الحياة المادية والاجتماعية .

ثم أليس عظماء الدين كانوا غزيري الدمعة مع بسالتهم وشجاعتهم وقيامهم بأعمال خارقة . هذا علي عليه السلام ، يصفه ضرار بن ضمرة قائلاً : « كان والله غزير الدمعة .. الى أن قال ... لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ، قابضاً على لحيته الشريفة يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ... الخ » .

ليس البكاء على الفقيد ببدعة والادلة على ذلك كثيرة : منها الاصل العملي يقتضي إباحة البكاء على الفقيد ورثاءه بالقريض وتلاوة مناقبه ومصائبه والجلوس حزناً عليه والانفاق عنه في وجوه البر .

ويستفاد من الادلة اللفظية والسيرة القطعية والاصل العملي استحباب البكاء ، اذا كان الفقيد مستجمعاً لصفات الفضل أو مضحياً نفسه في سبيل احياء الفضيلة ، كي يتأسى به الآخرون ويقتدى به الباقون فتنمو الفضيلة وتستأصل الرذيلة . ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بكى يوم احد على عمه حمزة حتى قال ابن عبدالبر في ترجمته : « لما رأى النبي (ص) حمزة قتيلا بكى ، فلما رأى ما مثل به شهق (وذكر الواقدي أن النبي (ص) كان يومئذ اذا بكت صفية يبكي واذا نشجت ينشج قال : وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكى رسول الله (ص)) .

وقد أخرج البخاري أن النبي (ص) بكى على جعفر وزيد وقال : « اخواي مؤنساي ومحدثاي » .. وقد بكى رسول الله (ص) يوم مات ولده ابراهيم كما في الجزء الاول من صحيح البخاري صفحة : ١٤٨ . فقال له عبدالرحمن ابن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ قال « يابن عوف : انها رحمة ، ثم اتبعها (يعني عبرته) بأخرى . فقال : « ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » .

ومنها يوم ماتت احدى بناته (ص) فجلس على قبرها كما في صحيح البخاري وعيناه تدمعان . ومنها يوم مات صبي لاحدى بناته إذ فاضت عيناه يومئذ ـ كما في صحيح البخاري وصحيح مسلم فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله . قال : « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء » .

وقد ذكر ابن عبد البر في استيعابه ما لفظه : دخلت فاطمة وهي تبكي وتقول وا عماه . فقال رسول الله (ص) : « على مثل جعفر فلتبك البواكي » .

وان أهل المدينة الطيبة لا يزالون الى الآن اذا ناحوا على ميت بدأوا بالنياحة على حمزة . وما ذاك الا مواساةً لرسول الله (ص) بمصيبته في عمه ، وأداءً لحق تلك الكلمة التي قالها في البعث على البكاء عليه وهو قوله (ص) : « لكن حمزة لا بواكي له » .

وأخرج ابن سعد كما في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر من الصواعق المحرقة لابن حجر عن الشعبي قال : مر علي (عليه السلام) بكربلاء عند مسيره الى صفين وحاذى نينوى فوقف وسأل عن اسم الارض ، فقيل كربلاء . فبكى حتى بل الارض من دموعه . ثم قال عليه السلام : « دخلت على رسول الله (ص) وهو يبكي فقلت ما يبكيك : (بأبي أنت وأمي) . قال : « كان عندي جبرائيل آنفاً ، وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطىء

الفرات بموضع يقال له كربلاء » .

وأخرج الملا (كما في الصواعق أيضا) أن عليا عليه السلام مر بموضع قبر الحسين (عليه السلام) ، فقال : « هاهنا مناخ ركابهم وهاهنا موضع رحالهم وهاهنا مهراق دمائهم . فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض » .

ومن حديث أم سلمة كما نص عليه ابن عبد ربه المالكي حيث ذكر مقتل الحسين عليه السلام في الجزء الثاني من العِقد الفريد . قالت : « كان عندي النبي (ص) ومعي الحسين ، فدنا من النبي (ص) ، فأخذته فبكى ، فتركته فدنا منه ، فأخذته فبكى ، فتركته . فقال له جبرائيل اتحبه يا محمد . قال : نعم . قال ان امتك ستقتله وان شئت أريتك الارض التي يقتل بها فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فالى تعظيم الشعائر والى احياء وتقوية الدين بتخليد اسم من خلد الدين وأحياه وأعني به حسين الفضيلة وحسين الاباء أدعو اخواني المسلمين .

كيف نجلب الشباب الى حظيرة الاسلام

كل منا يعلم أن الأكثرية الساحقة من شبابنا اليوم بعيدون عن الاسلام كل البعد ، فهم بين مؤمن بمبادىء الاسلام غير مؤدٍ للفرائض ومنفلت عن الاخلاق الاسلامية الا القليل وبين مستهزىء بالمقدسات والتعاليم الاسلامية وناظر الى ما أوجبه الله من واجبات نظرة سخرية وازدراء وبين عدوٍ للاسلام ومبادئه . كل ذلك ، لأن الصهيونية والمسيحية والاستعمار قامت منذ مائتي سنة بأساليب شتى عن طريق التعليم وتأسيس نوادي للشباب وغيرها باتنزاع العقيدة الاسلامية عن الشباب وعرض الاسلام كمبدء بالٍ خرافي لا يماشي الترقي والتقدم ، كمبدأ معارض لمفاهيم العصر والحضارة الغربية التي يجب أن تعتنق لمواكبة السير التقدمي بين الأمم والا فالموت والفناء !

فقد خسرنا نتيجة جهود بذلها الغرب ٨٠٪ من شبابنا . وان العدد ليتفاقم يوماً بعد يوم . مع العلم ان الشباب طاقة لا يستهان بها بل هو الثقل الوزين الذي يجب أن يتحمل مسؤولية الاحتفاظ بالرسالة المحمدية ونشرها بين الأصقاع .

فما الذي يجب أن نقوم به لارجاع الشباب المخدوع الى حظيرة الاسلام والى تفهم الاسلام كمبدأ يفي بجميع ما يحتاجه الانسان من دساتير لتكامله في جميع الحقول من اجتماعي واقتصادي وقضائي وعسكري وسياسي وعلمي وما يحتاجه من تعاليم لتحقيق آخرة سعيدة .

هذا ما يجب أن يفكر فيه المفكرون وان يكون شغلهم الشاغل . لا شك : ان النشرات الدينية تؤثر الى حدٍّ ما في ردع الشباب عن غوايتهم وتحبيبهم الاسلام . ولكن قل من يحمله حب الاطلاع على اقتناء نشرات دينية ومطالعتها

وان المجلات الخلاعية لا تدع مجالاً للتفكير في نواحي اخرى تهذيبية .

ومن الواضح أن التدريس في المدارس من ابتدائية وثانوية وعالية لا يبتنى على توحيد الله تبارك وتعالى وعزو كل نظام وقانون في هذا الكون الى الله المبدع الحكيم .. بل تدور على الالسنة : أن الطبيعة هي التي صنعت كذا وجهزت بكذا وان الطبيعة عالجت وتداركت !.. الى ما هنالك . فينشأ الطالب بعيداً عن توحيد الله تبارك وتعالى في أرضه وسمائه ، بعيداً عن تقديسه وعزو كل كمال اليه [1] .. وقد يؤول أمره الى الالحاد ! لا سمح الله .

هذا هو الواقع المرير الذي نلمسه اليوم في شبابنا . فهل تكفي المواعظ فحسب ومَن يرى الشباب حتى يَعظهم ؟ وفي أي محل يعظهم ؟ فهل هناك من مشوقات لاجتماعهم في محل خاص ؟!

فأساليب الدعوة الى حظيرة الاسلام يجب أن تتطور حسب مقتضيات العصر . شريطة أن لا تتنافى مع ما قرره الشرع الشريف .

فلابد أن ينبري الأثرياء من المسلمين مقدّرين الوضع المبكي باذلين من نفوسهم ونفائسهم لتأسيس نوادي للشباب يرأسها من يعتمد عليه في دينه وتقواه وعلمه ، فيطبق لتربية الشباب في أوقات فراغهم مناهج اسلامية رصينة .

إن هذه النوادي هي مدارس اسلامية تجذب الشباب اليها باسلوب شيق ، ففيها قاعة لإلقاء المحاضرات ، وفيها مصلى كبير لاقامة الفرائض ، وفيها مكتبة اسلامية وفيها ساحات لرياضات بدنية وما يقوي الأجساد وهناك صفوف لإلقاء دروس في الدين والأخلاق وعلم التجويد والتفسير وتاريخ الاسلام . وهناك امتحانات تعين مقدار أهلية الشاب للقيام بالدعوة الاسلامية

---

(١) قد يصرف أحدهم عشرين سنة من العمر للوقوف على حياة النملة بالتفصيل . أفلا يجدر به أن يصرف شيئا من العمر لمعرفة خالق النملة !

فهذه النوادي أو المدارس الاسلامية لها مناهجها وساعات للعمل وفعاليات شتى ، وتعلّم في الوقت نفسه بعض الصنايع ليستعين بهـا المبشر بالدين الاسلامي : (الداعية) في بعض الأحيان وعند الضرورة .

إن في الشباب طاقات وقوى لابدّ وان تتوجه بصورة طبيعية لتبذل في ناحية من النواحي بشكل سلبي أو ايجابي ، فعلينا أن نستغل هذه الطاقات وان نستفيد منها لتربية الشاب تربية سليمة ، تربية اسلامية رصينة ، تربية فيها مرغبات مشروعة ومشوقات يقرها الدين الاسلامي : جمال المحل ، النظافة المتناهية ، تلاوة القرآن بصوت رخيم ، أخلاق فاضلة وتحابب وتواد أمر بهما الاسلام .

الشاب يريد أن يعمل ، يريد أن ينتج ، يريد الحركة والفعالية ، فهذه النوادي تحقق رغبات الشباب وذلك بتقسيم واجبات وفعاليات شتى على الشباب المنتمين الى هذه النوادي : من ادارة مكتبة أو تطبيق منهج أو القاء كلمة أو هداية شاب أو المساهمة فيما يقوي الجسم من رياضة بدنية وألعاب رياضية مشروعة أو القيام بأعمال نجارية لترتيب قاعة المحاضرات الى ما هنالك من فعاليات لا تدع مجالاً لأن تصرف أوقـات فراغ الشاب في ما يفسد دينه ودنياه .

وقد شاهدت في استانبول قبل حوالي أربعين عاماً نادياً هاماً أسسه قس امريكي يرتدي الألبسة العادية ، إن هذا النادي كان ينتمي الى جمعية الشبان المسيحيين (Y. M. C. A.) . كنت ترى في هذا النادي ما يحقق راحة الشاب من مناضد وكراسي ووسائل للمطالعة وساحات للعب ، وقد لاحظت أنه قد وضعت في القاعة الكبرى قطعة مكتوب عليها سورة الفاتحة من القرآن الكريم وبجنبها قطعة اخرى مكتوب عليها عبارات من الانجيل المتداول .

وكانت تلقي محاضرات على الطلاب في كل اسبوع في أوقات معينة

لتوجيههم الى هدف معين ، وكانت تقوم الجمعية في الصيف بأخذ الشبان الى سواحل البحر ونصب الخيم لتدريبهم تحت مناهج معينة واستمالتهم نحو الهدف المنشود !

يقول الاستاذ محمد مهدي الآصفي في كتابه : (من حديث الدعوة والدعاة) :

دعيت في طهران الى الكنيسة الانجيلية من قبل الدكتور (جان آلدر) زعيم الحركة المسيحية في ايران لنتحدث عن شؤون الاسلام والمسيحية فأدهشني نشاط الحركة وتوسعها وقوتها وإيمان أصحابها بها واهتمام المسيحيين بتجهيزها وتمويلها • وأشجاني أكثر من أي شيء آخر : أنني رأيت ثلة من الشباب المسلم المتنصر يعملون في تسيير هذه الحركة وتجهيزها • فكان ينادي أحدهم الآخر : مصطفى ، محمد ، حسن ، علي ، فسألت عن حالهم • فقالوا : « نحن من المسلمين المتنصرين ، راقتنا الدعوة فاستجبنا لها » • فسألتهم عما اذا كانوا يعرفون شيئاً عن الاسلام ، فكان الجواب بالنفي • وكانوا لا يحسنون قراءة شيء من القرآن • مع العلم أنهم كانوا يحفظون جملاً طويلة من العهد الجديد والعهد القديم من الكتاب المدعو بـ (المقدس) •

يقول الاستاذ الآصفي : « تعتمد المسيحية في التبشير على الأساليب العاطفية أكثر من أي جانب آخر وتستغل العاطفة قبل أن تستغل العقل أو من غير أن تستغل العقل • فطقوس العبادة تجري في جو متكهرب بموسيقى عذبة وألحان شجية مثيرة والنشيد الديني يسبح على فضاء الكنيسة ممتزجاً بالأنغام الموسيقية في جو ممغطس ساحر • والنشيد حقل من حقول الشعر العاطفي الرقيق ، يلعب بأفكار الحاضرين وعواطفهم ، فتسد عليهم منافذ العقل والتفكير • ثم هناك ضروب الاغراء والوعد الكاذب • فالمؤمن الخاطىء اذا اغتسل بماء التعميد واعترف للقسيس بكل شيء فقد وهب الله له ما تقدم

من ذنبه ، وما أدراك ما لمشهد التعميد من روعة وسحر » .

مما لا شك فيه أن الغزو التبشيري كان يعتمد منذ أمد بعيد على فتح مدارس ابتدائية وثانوية وسلسلة من النشرات بورق جيد وطباعة أنيقة لمختلف الطبقات : للأطفال والشبان وغيرهم .

واما التبشير المسيحي في افريقيا فحدث عنه ولا حرج ، فانه يجري بمقياس واسع جداً ، فهناك مبشرون يوفدون مع تعليمات خاصة للمستعمرات ، وتفتح للأهلين معاهد للتدريس ثم يؤتى بمطبعة وتطبع فيها النشرات المسيحية ، فاذا حاولت هذه المستعمرة أن تتحرر ، رجع هؤلاء المبشرون وحل محلهم مبشرون آخرون من طراز آخر وتعليمات خاصة ، فاذا تحرر البلد نهائياً واستقل استقلالاً تاماً حل محل هؤلاء القسيسين قسيسون آخرون وهكذا ... ولكن الافريقيين يميلون مع كل ذلك الى الاسلام أكثر من أي دين آخر ويدخل منهم في دين الاسلام أفواجاً وأفواجاً ، لعلمهم أن الاسلام يأمر بالتحرر والاستقلال ويأبى الذل والاستعمار .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (١) .

وقد قرأت في احدى المجلات أن عدداً كبيراً من الشبان المسلمين في (وينه) عاصمة اطريش قد تقدموا بطلب الى المراجع الدينية يرجون فيه أن يرسل اليهم عالم ديني يعلمهم مبادىء الدين القويم .

وقد تأسس مركز اسلامي في جنو (Génève) في سويسرا باسم (Islamic center) لنشر تعاليم الاسلام والاتصال بالجمعيات الاسلامية في أرجاء العالم .

وهناك جمعيات اسلامية مهمة تأسست في الهند تعمل لأجل نشر الاسلام في أنحاء العالم ولها نشرات بلغات شتى ، وهناك نداءات تأتي من اليابان

---

(١) سورة المنافقين : ٨

يطلبون بالحاج أن يرسل لهم دعاة يدعون الناس الى الاسلام . واما أفريقيا فخير بقعة لنشر الاسلام في الوقت الراهن فان عدد المسلمين يزداد في افريقيا (٥٠٠ ٠٠٠) نسمة في كل سنة ، وقد كان في بداية القرن العشرين (٤٠٠٠٠) مسلم في كونكو واليوم عددهم (٢٣٦ ٠٠٠) وان (لومومبا) كان يميل الى الاسلام ، وكان يقول : « اني اتعجب أن المسيحيين كانوا يعلموننا في المدارس أن نحترم الأسس المسيحية وكانوا يقولون يجب أن يسود الحب والوئام بين أفراد البشر ، ولكن المسيحيين أنفسهم كانوا يخالفون ما يقولون ، وكانوا يسحقون أسس المدنية والانسانية تحت أقدامهم وان التعليمات المدرسية تخالف مخالفة صريحة مع معاملتهم السود : الملونين » . كما أن في أمريكا مجالاً واسعاً لتثبيت دعائم الاسلام .

فالاسلام دين الفطرة ، دين العقل والمنطق ، تتقبله النفوس بكل ارتياح ، لذلك نراه ينتشر في استراليا من قبل جمالين ، وذلك أن القاطنين في استراليا احتاجوا الى وسائل النقل لبعد المدن بعضها عن بعض بمسافات شاسعة ، وأرسل لهم من الأفغان عدد من الجمال مع أصحابها المسلمين ، فنشر هؤلاء الجمّالون الدين الاسلامي مع كونهم من عوام الناس في تلك الاصقاع ، وبنى المسلمون هناك مساجد فخمة يتلى فيها كتاب الله وتقام فيها الصلوات . فليعلم شبابنا ان الغرب لا يزال متمسكاً بدينه ، وهو يحارب الاسلام بشتى الوسائل ، ففي أمريكا (٢١٢ ٠٠٠) داعية للتبشير بدين المسيح (ع) ، وعشرات الالوف من الكنائس والأديرة والمؤسسات التبشيرية وما الى ذلك من المعاهد والمستشفيات . والحكومة الامريكية تبذل الدولارات في هذا السبيل ، وللكنيسة سلطتها في أمريكا . ولقد ترجم الكتاب المقدس : (الانجيل) المتداول الى ٦٣٠ لغة . وفي بعض الجامعات توضع صورة المسيح (ع) على شهادة التخرج .

فجدير بشبابنا أن لا تأخذهم في الله لومة لائم وأن يعملوا مجدين لنشر الاسلام في أصقاع الأرض ، أينما حلوا ، بعد دراسة الاسلام دراسة متقنة ودراسة القرآن الكريم دراسة وافية وعلم الحديث وشيء من الفقه . ففي ذلك نجاتهم ونجاة العالم مما تنتابه من ويلات ولهم بذلك عند الله أجر عظيم .

« ومَن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين » (١) .

(١) حم السجدة : ٣٣ .

شهر الغفران

ان الله تبارك وتعالى لعلمه بما ستجنيه هذه النفس الأمارة بالسوء من الموبقات والمدنّسات والخبائث ، هيأ لها شتى الوسائل لتئوب الى ربها وتكفّر عن سيآتها وتحظى بغفران الله وجليل رحمته • ومن أهم تلك الوسائل المطهّرة للنفس الانسانية من الدنس والرجس هو شهر رمضان المبارك بما فيه من امساك وتسبيح وتهليل وتحميد ومناجاة وتلاوة قرآن وصدقة وإطعام وكفّ النفس والجوارح عن الأذى وكل ما يؤدي الى التسافل والتدنس • فالصوم نعم المربي وإن شهر رمضان المبارك شهر تربية وتزكية ، شهر تهذيب وتثقيف دينيين • فكما أن بعض الأمم تخصص اسبوعاً لشؤون التربية فتسمي هذا الاسبوع اسبوع التربية أو أسبوع المعارف ، كذلك فان الله تبارك وتعالى رحمة بعباده قد خصص شهراً للانابة والاستغفار وكفّ النفس عن مشتهياتها كي تكمل بالصبر والعزم على اقتحام الأذى • فان النفوس تقاس بدرجة تحملها النوائب وصبرها على المكاره • لذلك قد جاء في الحديث القدسي أن الله يقول : « الصوم لي وأنا أجزي عليه » وفي حديث آخر : « عمل ابن آدم هو له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به » • نعم ان الله يمتحن عباده بالصبر على البلاء والمكاره لأمرين : أولهما : أن البلايا والمكاره مهذّبة للنفس آخذة إياها الى أرفع مراتب الكمال ، ثانيهما : ليكون الجزاء عن جدارة ولياقة • وهو القائل : « وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يُرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » • ولا شيء أعلى مرتبة عند الله من الصبر • والصوم تمرين ورياضة على الصبر • فقد قال الله تعالى كما جاء في الحديث : « كل أعمال ابن آدم بعشرة أضعافها الى سبعمائة ضعف الا الصبر فانه لي وأنا أجزي به » • فثواب الصبر مخزون عند الله والصبر هو الصوم • وقد

روي في قوله تعالى : « واستعينوا بالصبر » أي بالصيام . ولما كان الصوم في الحر أشد لذلك جاء عن الصادق عليه السلام : « مَن صام يوماً في الحر فأصابه ظمأ وكّل الله عز وجل به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى يفطر وقال الله عز وجل : ما أطيب ريحك وروحك ، ملائكتي اشهدوا أني قد غفرت له » .

ومن كلام رسول الله (ص) : الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر . وانما سمي هذا الشهر بشهر رمضان ، لأنه يرمض الذنوب (أي يحرقها) كما جاء في الحديث . وفي الاقبال عن كتاب الجعفريات عن الكاظم عن الصادق عن زين العابدين عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : لا تقولوا رمضان ، فانكم لا تدرون ما رمضان ، فمن قاله فليتصدق وليصم كفارة لقوله ، ولكن قولوا كما قال الله تعالى : شهر رمضان . كل ذلك تنويهاً بعظمة هذا الشهر حتى سماه الله تعالى باسمه . ولكن قد ورد في بعض الأخبار لفظ رمضان مجرداً عن لفظ الشهر ولذلك حمل على الكراهة .

الصوم زكاة الابدان ومطهر اياها من الخبائث . فقد جاء في الحديث : ان لكل شيء زكاةً وزكاة الابدان الصيام . وما أعظم الخطاب الذي خطب به رسول الله (ص) الناس قبيل شهر رمضان المبارك ، فانه مستجمع لجميع الخصال التي يكون بها الانسان انساناً كاملاً ، انه خلاصة جميع الفضائل ودستور جامع لجميع الكمالات . فأين هذا البشر المادي المسكين من التمسك بهذه الفضائل وتتبع هذه المكرمات ، ليست الوسائط المادية من النفس الانسانية وكمالها في شيء . ولا أعلم ماذا ينتظر البشر بعد هذا الدستور الإلهي . فلا دستور بعد دستور محمد (ص) وهل تجدون معشار ما في هذا الحديث النبوي من دساتير تكامل البشر في نظريات : دكارت أو اسپينوزا

أو مالبرانش أو برگسون (Bergson) او اسپنسر أو روسو .

فقد روى الصدوق في الأمالي بسنده عن الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي عليهم السلام عن النبي (ص) انه خطب الناس ذات يوم فقال : « أيها الناس ، إنه قد أقبل اليكم شهر الله تعالى بالبركة والرحمة والمغفرة . شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات . وهو شهر قد دعيتم فيه الى ضيافة الله وجُعلتم فيه من أهل كرامة الله ، أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب . فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه ، فان الشقي من حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم . واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه . وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ، ووقّروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا أرحامكم واحفظوا ألسنتكم وغضوا عما لا يحل النظر اليه أبصاركم وعما لا يحل اليه الاستماع أسماعكم وتحننوا على أيتام الناس يُتحنن على أيتامكم، وتوبوا الى الله من ذنوبكم ، وارفعوا اليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فانها أفضل الساعات ، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة الى عباده ويجيبهم اذا ناجوه ويلبيهم اذا نادوه . ويستجيب لهم اذا دعوه » .

« أيها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم ، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم ، فخففوا عنها بطول سجودكم ، واعلموا أن الله جل ذكره أقسم بعزته أن لا يعذب المصلين والساجدين ، وان لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

« أيها الناس من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لما مضى من ذنوبه . فقيل يا رسول الله وليس كلنا يقدر على ذلك . فقال (ص) اتقوا النار ولو بشق تمرة . اتقوا النار ولو

بشربة من ماء » .

« أيها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام . ومن خفف فيه منكم عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه ومن كفّ فيه شره كف الله غضبه عنه يوم يلقاه ، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه . ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه . ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءةً من النار ، ومن أدى فيه فرضاً كان له ثواب من أدى سبعين فريضةً فيما سواه من الشهور . ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقّل الله ميزانه يوم تخف الموازين . ومن تلا فيه آية من القرآن كان له أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور » .

« أيها الناس إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة ، فاسألوا الله ربكم أن لا يُغلقها عنكم ، وأبواب النيران مغلقة ، فاسألوا الله ربكم أن لا يفتحها عليكم ، والشياطين مغلولة ، فاسألوا الله ربكم أن لا يسلطها عليكم » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام ، فقمت وقلت يا رسول الله ، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟ فقال يا أبا الحسن ، أفضل الاعمال في هذا الشهر : الورع عن محارم الله عز وجل . ثم بكى . فقلت يا رسول الله ، ما يبكيك ؟ فقال يا علي ، لما يُستحل منك في هذا الشهر . كأني بك ، أنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين : شقيق عاقر ناقة ثمود ، فيضربك ضربة على قَرنك تخضب بها لحيتك ، قال أمير المؤمنين عليه السلام ، فقلت : يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني ؟ فقال (ص) : في سلامة من دينك . ثم قال يا علي ، من قتلك فقد قتلني ومَن أبغضك فقد أبغضني ، لأنك مني كنفسي وطينتك من طينتي ... الى آخر الحديث .

ساعات هذا الشهر المبارك

قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في أول خطبته المشهورة : « أيها الناس ، إنه قد أقبل اليكم شهر الله تعالى بالبركة والرحمة والمغفرة » . حقاً ، إن هذا الشهر شهر الرحمة وشهر المغفرة . فقد جاء في الإقبال بسنده عن أبي عبدالله (ع) ، قال : « اذا كان أول ليلة من شهر رمضان غفر الله لمن شاء من الخلق ، فاذا كانت الليلة التي تليها ضاعفهم ، فاذا كانت الليلة التي تليها ضاعف كلما اعتق الى آخر ليلة في شهر رمضان يضاعف مثل ما اعتق في كل ليلة » . وبسنده عن سعيد بن جبير ، سألت ابن عباس : ما لمن صام شهر رمضان وعرف حقّه ؟ قال تهيأ يا ابن جبير حتى أحدثك بما لم تسمع أذناك ولم يمر على قلبك .. (الى أن قال) : سمعت رسول الله (ص) يقول : « لوعلمتم ما لكم في شهر رمضان لزدتم لله شكراً . اذا كان أول ليلة منه غفر الله لأمتي الذنوب كلها سرها وعلانيتها . ورفع لكم ألفي ألف درجة وبنى لكم خمسين مدينة ، ثم ذكر لكل يوم من أيامه فضلاً عظيماً ، (الى أن قال) : فاذا تم ثلاثون يوماً كتب الله عز وجل لكم بكل يوم مر عليكم ثواب ألف شهيد وألف صديق وكتب الله عز وجل لكم عبادة خمسين سنة وكتب الله لكم بكل يوم صوم ألفي يوم ورفع لكم بعدد ما أنبت النيل درجات وكتب الله عز وجل لكم براءة من النار وجوازاً على الصراط وأماناً من العذاب . وللجنة باب : يقال له الريّان ، لا يُفتح الى يوم القيامة . ثم يفتح للصائمين والصائمات من أمة محمد (ص) . ثم ينادي رضوان خازن الجنة يا أمة محمد ، هلموا الى الريان . فتدخل أمتي من ذلك الباب . فمن لم يغفر له في شهر رمضان ففي أي شهر يُغفر له » . وفي حديث آخر : « إن لله ملائكة موكّلين بالصائمين يستغفرون لهم في كل يوم من شهر رمضان الى آخره ،

وينادون الصائمين كل ليلة عند افطارهم : ابشروا عباد الله ، فقد جعتم قليلاً وستشبعون كثيراً • بوركتم وبورك فيكم • حتى اذا كان آخر ليلة من شهر رمضان : ناداهم ابشروا عباد الله ، فقد غفر الله لكم ذنوبكم وقبل توبتكم ، فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون » •

كيف لا يكون كذلك ، وإن الصائم يعتزم ترك النميمة والغيبة والفحش والسباب وأكل أموال الناس بالباطل والكذب على الله ورسوله والنظر الى ما حرم الله والجدل والمراء والخمر والميسر والربا وكل ما حرم الله ورسوله صلى الله عليه وآله • فانه بتركه هذه الموبقات يوشك أن تحصل له طبيعة ثانية طاهرة وأن يصبح انساناً كاملاً سوياً مقرباً الى الله وموضعاً لرحمته وجزيل سيبه •

كم رأينا أناساً كانوا قد توغلوا في الشهوات والمدنسات ، فتطهروا عنها بفضل شهر رمضان المبارك ، فانه كما قال رسول الله (ص) في خطبته المشهورة : « أيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات » • وذلك لأن الانسان يشعر وهو صائم أنه يتقرب الى ربه في كل لحظة وهو يذكر الله في كل آن ، فكلما عطش أو جاع تذكر أنه يطيع الله ويمتثل أوامره بتحمله هذا العطش وذلك الجوع ، فيتوجه بكلّه الى خالقه وتقوى هذه الرابطة بين العبد والمعبود • وإن النفس الانسانية لتتطهر بدرجة قوة هذه الرابطة •

ما أحلى الصوم ، فانه ذكر عملي لله تعالى ، ويلي هذا التذكر ما يقوم به الصائم من أعمال خيرية مؤكدة في هذا الشهر : أدعية خاصة بالنهار ، دعاء عند الافطار وغسل في ليالي الافراد وأدعية بعد الافطار وصلوات مستحبة في كل ليلة وتلاوة القرآن وحضور مجالس الوعظ والارشاد والقيام بصلاة الليل عند السحر ومناجاة الله تعالى في الأسحار وقراءة أدعية السحر •

حقاً ، إن هذه الأعمال توصل الانسان الى يقين كامل والى اطمئنان

نفسي يكون العبد فيه كأنه يرى الله تعالى ويناجيه .

ما أحلى الاستغفار والبكاء من خوف الباري عند السحر . وهو القائل : « وبالاسحار هم يستغفرون » .

أتذكر تلك الساعات الثمينة التي كنت أقضيها في حرم مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . فقد كنت أرى بجنبي رجالاً مؤمنين غمرهم حب إلهي ، يقرؤون دعاء أبي حمزة الثمالي المروي عن زين العابدين علي بن الحسين (ع) ، وهم يبكون بكاء الثكلى . تنهمل دموعهم على خدودهم خوفاً من الله تعالى وشوقاً اليه . وقد تمنعهم هذه الدموع المملوءة بفرح عظيم الاستمرار في القراءة . قد علاهم من الخشوع والخضوع والخلوّ بالله تعالى حالة لا يشعر بها إلا ذو حظ عظيم .

وها إني اذكر من هذا الدعاء بعض فقراته . ليعلم هذا الانسان المادي أنه لم يُخلق للدنيا فحسب ، وانما خلق لحياة خالدة ، لـ (جنة عرضها السموات والارض أعدّت للمتقين) . ف « الدنيا مزرعة الآخرة » .

يقول زين العابدين (ع) في دعائه : « إلهي لا تؤدبني بعقوبتك ، ولا تمكر بي في حيلتك ، من أين لي الخير يا رب ولا يوجد الا من عندك ، ومن أين لي النجاة ولا تُستطاع ألا بك ... (الى أن يقول) : الحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي وأخلو به حيث شئت لسري ، بغير شفيع فيقضي لي حاجتي ... (الى أن يقول) : معرفتي يا مولاي دلتني عليك ، وحبي لك شفيعي اليك ، وإني واثق من دليلي بدلالتك ، وساكن من شفيعي الى شفاعتك ، أدعوك يا سيدي بلسان قد أخرسه ذنبه . ربِّ ، أناجيك بقلب قد أوبقه جُرمه ... (الى أن يقول) : وما أنا يا ربِّ وما خطري ، هبني بفضلك وتصدق علي بعفوك ، أي ربِّ جللني بسترك واعف عن توبيخي بكرم وجهك ... (الى أن يقول) فوعزتك يا سيدي ، لو انتهرتني ما برحت من

بابك ، ولا كففت عن تملقك لما انتهى إليَّ من المعرفة بجودك وكرمك ... (الى أن يقول) : سيدي لعلك عن بابك طردتني ، وعن خدمتك نحيتني ، أو لعلك رأيتني مُستخفاً بحقك فاقصيتني ، أو لعلك رأيتني مُعرضاً عنك فقليتني ، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني ، أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني ، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني ، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني ، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطّالين فبيني وبينهم خليتني ... (الى أن يقول) : وأعنّي بالبكاء على نفسي ، فقد أفنيت بالتسويف والآمال عُمري ، وقد نزلت منزلة الآيسين من خيري ، فمن يكون أسوأ حالاً مني إن أنا نقلت الى مثل حالي الى قبرٍ لم أمهده لرقدتي ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي . ومالي لا أبكي ولا أدري الى ما يكون مصيري . وأرى نفسي تخادعني وأيامي تخاتلني وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت . فمالي لا أبكي . أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري ، أبكي لضيق لحدي ، أبكي لسؤال منكرٍ ونكير إياي ، أبكي لخروجي من قبري عُرياناً ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري : أنظر مرة عن يميني واخرى عن شمالي ، اذ الخلائق في شأنٍ غير شأني ... (الى أن يقول) : إلهي ، إن عفوت فمن أولى منك بالعفو ، وإن عذبت فمن أعدل منك في الحكم . إرحم في هذه الدنيا غربتي ، وفي اللحد وحشتي ، واذا نُشرت للحساب بين يديك ذلّ موقفي . واغفر لي ما خفي على الآدميين من عملي ، وأدِم لي ما به سترتني . وارحمني صريعاً على الفراش تقلبني أيدي أحبتي وتفضّل عليَّ ممدوداً على المغتسل يُغسلني صالح جيرتي وتحنن علي محمولا قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي وجُد عليَّ منقولاً قد نزلت بك وحيداً في حفرتي ، وارحم في ذلك البيت الجديد غربتي ، حتى لا أستأنس بغيرك يا سيدي » .

شهادة المثل الكامل علي عليه السلام

يفارق علي عليه السلام الدنيا الفانية في مثل هذا اليوم [1] بعد أن ألقى على الأمة الاسلامية دروساً خالدة ما بعدها دروس : دروساً فيها عز الدنيا وسعادة الآخرة ، فيها راحة الفرد وراحة المجتمع ، فيها طمأنينة النفس وراحة الضمير ، فيها الوصول الى الحق والزلفى الى الله تعالى ، فيها غنى الفقير وفلاح الغني ، فيها العدل الاجتماعي المطلق وكل ما يؤدي بالفرد والمجتمع الى ذروة الكمال .

ولكن البشر لسوء سريرته وفساد باطنه وتغلب الهوى والأطماع لم يكن جديراً ليستفيد من هذه الدروس . بل أراد البعض في كل فرصة إخماد قبسات هذا النور اللامع حتى ضرب عليه السلام بسيف ابن ملجم المرادي فجر اليوم التاسع عشر من هذا الشهر المبارك وهو في محرابه يناجي ربه .

وقد أخبر بذلك رسول الله (ص) في آخر خطبته المشهورة التي خطب بها الناس قبيل شهر رمضان المبارك ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام فقمت وقلت : يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟ فقال : يا أبا الحسن ، أفضل الأعمال في هذا الشهر : الورع عن محارم الله عز وجل . ثم بكى . فقلت : يا رسول الله ، ما يبكيك ؟ فقال : يا علي ، أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر ، كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود ، فضربك ضربة على قرنك . فخضب منها لحيتك . قال أمير المؤمنين عليه السلام : فقلت يا رسول الله ، وذلك في سلامة من ديني ؟ فقال : في سلامة من دينك . ثم قال : يا علي ، من قتلك فقد قتلني ، ومن

(١) القيت هذه الكلمة في الـ (٢١) من شهر رمضان المبارك .

أبغضك فقد أبغضني ، ومن سبك فقد سبني . لأنك مني كنفسي وروحك من روحي وطينتك من طينتي ... » الى آخر الحديث.

وقد روى النسائي في الخصائص بسنده عن عمار بن ياسر في حديث : قال : كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة ، الى أن قال : قال رسول الله (ص) : ألا أحدثكما بأشقى الناس : رجلين ، قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك على هذه ، — ووضع يده على قرنه — حتى يبل منها هذه وأخذ بلحيته .

وقد قدم على علي وفد من أهل البصرة ، فيهم رجل من الخوارج . يقال له : الجعد بن نعجة ، فقال اتق الله يا علي ، فانك ميت . فقال علي : « ولكني مقتول بضربة على هذا تخضب هذه — وأشار الى رأسه ولحيته بيده — قضاء مقضي وعهد معهود وقد خاب من افترى » . ثم عاب علياً في لباسه . فقال : « لو لبست لباسا خيرا من هذا » ؟ فقال : « إن لباسي هذا أبعد لي من الكبر وأجدر أن يقتدى بي المسلمون » .

وكان علي(ع) في الشهر الذي استشهد فيه يفطر ليلة عند الحسن(ع) وليلة عند الحسين(ع) وليلة عند ابن جعفر، لا يزيد على ثلاث لقم ويقول: « أحبّ أن يأتيني أمر الله وأنا خميص » . كيف لا يكون كذلك وهو القائل : « هيهات هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخيّر الأطعمة ، ولعل بالحجاز واليمامة مَن لا طمع له بالقرص ولا عهد له بالشبع ، أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر وجشوبة العيش ؟. وأيم الله يميناً ، استثنى فيها بمشيئة الله لأروضنّ نفسي رياضة تهش معها الى القرص مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدوماً » .

نعم ، إنه صلوات الله عليه كان أزهد الناس ، لم يشبع من طعام قط ، وكان يلبس الخشن ويأكل جريش الشعير . فاذا ائتدم فبالملح ، فان ترقى

فبنبات الأرض .

روى عن سويد بن غفلة : قال : دخلت على علي عليه السلام ، فوجدته جالساً وبين يديه إناء فيه لبن ، أجد ريح حموضته وفي يده رغيف ، أرى قشار الشعير في وجهه وهو يكسره بيده ويطرحه فيه . فقال : « ادنُ ، فأصب من طعامنا » . فقلت : إني صائم . فقال (ع) : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من منعه الصيام من طعام يشتهيه ، كان حقاً على الله تعالى أن يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها » . قال : فقلت لفضة — وهي تقرب منه قائمة — ويحكِ يا فضة ، ألا تتقين الله في هذا الشيخ ، ألا تنخلين هذا الطعام من النخالة التي فيه ؟ قالت : تقدَّم الينا أن لا ننخل له طعاماً .

وكان عليه السلام يجعل جريش الشعير في وعاءٍ ويختم عليه . فقيل له في ذلك . فقال (ع) : « أخاف هذين الولدين أن يجعلا فيه شيئاً من زيت أو سَمن » .

وإن علياً (ع) قد سهر تلك الليلة التي ضُرب فيها وأكثر الخروج والنظر الى السماء ، وهو يقول : والله ، ما كَذبت ولا كُذبت . وانها الليلة التي وعِدت فيها ، ثم يعاود مضجعه . فلما طلع الفجر ، شد إزاره وخرج وهو يقول :

أشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكا

ذلك لأن أولياء الله مع علمهم بما سيكون لا يعملون الا حسب الامور العادية . « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيَّ عن بينة » .

يخرج علي (ع) ، فجر اليوم التاسع عشر من هذا الشهر المبارك الى المسجد لصلاة الفجر وينادي الصلاة الصلاة ، فيضربه ابن ملجم على رأسه وهو ساجد فلما أحس (ع) بالضربة ، لم يتأوه وصبر واحتسب ووقع على

وجهه ، قائلاً : « بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله . هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، ثم صاح وقال . قتلني ابن الملجم ، قتلني اللعين ابن اليهودية ، فزت ورب الكعبة » .

وانما قال : فزت ورب الكعبة ، لأن رسول الله (ص) قد أخبره : أنه سيضرب هذه الضربة وهو في سلامة من دينه ، فكانت هذه الضربة علامة ختام أعماله الجبارة في سلامة من دينه صلوات الله عليه ، وهذا درس عملي للناس أجمعين في أن يبذلوا أقصى جهودهم لتنتهي أعمالهم مع حسن العاقبة وفي سلامة من دينهم . فقد يزعم الانسان انه صالح فتنتهي أعماله مع سوء العاقبة ، وقد يتهم نفسه أنه غير صالح ، فتنتهي اعماله مع حسن العاقبة ، ونستعيذ بالله من الاغترار بأعمالنا والركون اليها ونرجو منه التوفيق وحسن العاقبة .

نعم إن هذا الانسان يقول حين يرى ما يرى من آثار الموت وهول المطلع وعذاب البرزخ والحساب الدقيق والعقاب الشديد : « ربِّ ارجعونِ لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت »[1] . « اذ تبرّأ الذين اتُبعوا من الذين اتَبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرةً فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار »[2] . وفي مكان آخر : « وما اضلنا الا المجرمون ، فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ، فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين »[3] . وفي مكان آخر : « واتبعوا احسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب وأنتم لا تشعرون ، أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين ، أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين

---

(١) سورة المؤمنون : ١٠٠ .
(٢) سورة البقرة : ١٦٦ — ١٦٧ .
(٣) سورة الشعراء : ٩٩ — ١٠٢ .

أو تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين ، بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين » [١] وفي مكان آخر : « وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مردٍّ من سبيل » [٢] .

وروى الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في أماليه بسنده الى الاصبغ بن نباتة ، قال : لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) . غدونا عليه نفرٌ من أصحابنا : أنا والحارث وسويد بن غفلة وجماعة معنا ، فقعدنا على الباب ، فسمعنا البكاء من الدار . فبكينا . فخرج الينا الحسن بن علي عليهما السلام ، فقال : يقول لكم أمير المؤمنين انصرفوا الى منازلكم . فانصرف القوم غيري واشتد البكاء في منزله ، فبكيت . فخرج الحسن . فقال : ألم أقل لكم انصرفوا ؟ فقلت : لا والله ، يابن رسول الله ، ما تتابعني نفسي ولا تحملني رجلاي أن أنصرف حتى أرى امير المؤمنين وبكيت . فدخل الدار ولم يلبث أن خرج . فقال لي : ادخل . فدخلت على امير المؤمنين عليه السلام . فاذا هو مستند ، معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف دمه واصفر وجهه . فما أدري وجهه أشد صفرةً أم العمامة ، فأكببت عليه ، فقبلته وبكيت . فقال لي : « لا تبك يا أصبغ ، فانها ، والله ، الجنة» . فقلت له : جعلت فداك . اني أعلم والله انك تصير الى الجنة ، وانما أبكي لفقداني اياك ، يا أمير المؤمنين .

نعم ، يقول علي لأم كلثوم وهي تبكي ، « أسكتي ، فلو ترين ما أرى لما بكيت ، هذه الملائكة وفود والنبيون ، وهذا محمد (ص) يقول : يا علي ، أبشر ، فما تصير اليه خير اليه مما أنت فيه » .

ثم إنه صلوات الله عليه يوصي لابن ملجم ، فيقول : « ابصروا ضاربي ، أطعموه من طعامي ، واسقوه من شرابي ، النفس بالنفس ، إن هلكت ،

---

(١) سورة الزمر : ٥٥ — ٥٩ . (٢) سورة الشورى : ٤٤ .

فاقتلوه كما قتلني . وان بقيت رأيت فيه رأيي » .

ثم تزايد ولوج السم في جسده الشريف حتى احمرت قدماه وامتنع عن الاكل والشرب وشفتاه تختلجان بذكر الله وجبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه فقال له ابن الحنفية : أراك تمسح جبينك ؟ فقال : « يا بُني » اني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن المؤمن اذا نزل به الموت عرق جبينه وسكن أنينه » . ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً وجعل يودعهم ويقول: « الله خليفتي عليكم ، أستودعكم الله » .

وهكذا يفارق الدنيا هذا الامام العظيم الذي لن يأتي الدهر بمثله أبداً، وهكذا تنتهي حياته الشريفة التي ملؤها فضائل ومكرمات وكرامات ومعجزات وبطولات وبلاغةوزهد وورعوتقوى الىحدبعيد لنيصل اليهاالبشر العادي.

ان أكرمكم عند الله اتقاكم

إن الله تبارك وتعالى وهو الكامل على الإطلاق لا يريد بالناس بل بما خلق إلا الكمال . ذلك لأن الكامل لا يترشح منه إلا الكمال . ألا نرى ما أودع الله تعالى من حسن الكمال في الجماد والنبات والحشرات والهوام والحيوان في تشكيلاتها الداخلية وفي وسائل الدفاع لتحقيق وسائل العيش والحياة .

فهذه المعادلات الفيزيائية والخواص الكيمائية ودساتير الفلك والميكانيك السماوي والأرضي وما أودع الله من خواص وقابليات ومعادلات ودساتير في الذرة : كلها تشير الى الكمال الذي أودعه الله هذا الكون الرحيب ، وارتباط بعضها ببعض ، وذلك بقوله تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ، ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير » (١) .

فجميع العوالم من مادية ونباتية وحيوانية تنادي بهذا الكمال الذي أودعه الله فيها . فكيف يسوغ للانسان وهو ، على مايزعم أشرف المخلوقات، أن يستثنى من ذلك ، وأن يخالف سنة الله تعالى في مخلوقاته : أن يفجر ويفسق، أن يبطش ويزني ، أن يرابي ويغتاب، أن يقطع الرحم ويأكل الحرام ، أن ينكر نعم الله تعالى عليه وهي التي لا تعدّ ولا تحصى : « وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفّار » (٢) .. فلا يصلي لإداء واجب الشكر ، ولا يصوم كذلك ، ولا يزكي ولا يخمس ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، فيرجع الى جاهلية جهلاء ، يعيش كالبهائم والأنعام بل أضل سبيلا ،

(١) سورة الملك : ٣ — ٤ .
(٢) سورة ابراهيم (ع) : ٣٤ .

فيكون راجعاً أو (رجعياً)نحو البهيمية والجاهلية بكل ما في الرجعية من معنى صحيح • وهذا ما يتنافى وسنة الكمال الآلهية التي نشاهد مظاهرها وآثارها في العالم أجمع •

إذن ، يحكم العقل الفطري الذي لم يلوث بفسق وفجور ورقص وخمور ، أن المقياس الذي يجب أن يفاضل به بين إنسان وإنسان ، انما هو الشيء الذي يؤدي الى كماله والى تحقيق سنة الله في أرضه : ألا وهو التقوى • ذلك لأن التقوى هي تلك الحالة التي بها تزكو النفس من أدرانها وأوساخها ، فتسير بدرجة تطهُّرها نحو الكمال المنشود • لذلك سنَّ الله تعالى قانوناً للمفاضلة وجعل التقوى الأساس الذي تُبتنى عليه المفاضلة بين خلقه ، ولم يقل : إن أكرمكم عند الله أعلمكم أو أثراكم أو أكثركم جسامة أو أعلاكم نفوذاً أو أحسنكم وجهاً • ذلك لأن من العلماء الماديين من هم في الدرجات الواطئة من التكامل النفسي ، كما نرى ذلك في الغرب • وان من الفلاسفة والرياضيين والكيماويين والاجتماعيين من هم ملاحدة وفي الدرجة السفلى من المراتب الاخلاقية • ومنهم إباحيون يستسيغون كل محرم ولا يتناهون عن منكر فعلوه ، مُدلهمة نفوسهم ، مظلمة أرواحهم ، متحجرة قلوبهم • سلبوا العاطفة وعدموا الفضيلة • فليس هؤلاء الذين خالفوا التقوى بقادة ، بل هم في الدرك الأسفل من مراتب التسافل • ولذلك كله لم يختر الله تعالى أنبياءه وأوصياء أنبيائه إلا من عباده الذين اتخذوا التقوى شعاراً والفضيلة دثاراً • وإن أعلاهم شأنا في مراتب التقوى انما هو خاتم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم • إذ يقول فيه ربنا تباركوتعالى: « وإنك لعلى خلق عظيم » •

ثم إن الله تبارك وتعالى يصف أهل التقوى بقوله : « إن المتقين في جنات وعيون • آخذين ما آتاهم ربهم ، إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ،

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم . وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون » (١) .

فعرَّف الله تعالى : التقوى : أنها ملازمة ذكر الله تعالى ليلا ونهاراً ومراقبة هذه النفس الأمارة بالسوء وإطعام الفقراء والمساكين .

وكان رسول الله (ص) والأئمة من بعده سلام الله عليهم أجمعين ملازمين للعبادة والإيثار والخشوع والخضوع والقيام بحوائج الناس (٢) ملازمة لا يضاهيهم فيها أحد ، ممحَّضين في عبادته تعالى بجميع ما في العبادة من معنى سام رفيع . فهم حقاً قادة البشر أجمع . إذ هم بكمالهم النفسي يوجهون النفوس البشرية نحو الكمال المنشود . ومن سواهم لا يقوى على ذلك ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

لنستمع الى كلام علي عليه السلام في هذا المقام :

« إعلموا عباد الله ، أن التقوى دار حصن عزيز ، والفجور دار حصن ذليل ، لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ اليه . ألا وبالتقوى تقطع حمة (٣) الخطايا وباليقين تدرك الغاية القصوى .

« عباد الله ، الله الله في أعز الأنفس عليكم ، وأحبها اليكم » الى أن يقول:

« عباد الله ، انه ليس لما وعد الله من الخير مترك ، ولا فيما نهى عنه من الشر من مرغب . عباد الله ، احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال ويكثر فيه

---

(١) سورة الذاريات : ١٥ — ٢١ .

(٢) قال الامام الكاظم (ع) : « ان لله عرشا لا يسكن تحت ظله الا من اسدى لأخيه معروفا، أو نفس عنه كربة، أو قضى له حاجة ، أو ادخل الى قلبه سروراً » وقال الامام زين العابدين (ع) : « من قضى لأخيه حاجة فبحاجة الله بدا » .

(٣) الحمة ، بضم ففتح : في الاصل : ابرة الزنبور والعقرب ونحوها تلسع بها والمراد هنا : سطوة الخطايا على النفس .

الزلزال وتشيب فيه الأطفال » .

انظروا كيف يؤدب الامام محمد الباقر عليه السلام شيعته ويأمرهم بالتقوى ويحذّرهم مخالفة أمر الله تعالى .

فقد جاء في أصول الكافي عن جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر عليه السلام أنه قال :

« يا جابر ، أيكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بمحبتنا أهل البيت . فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله واطاعه ، وما كانوا يعرفون ، يا جابر ، إلا بالتواضع والتخشع والأمانة والإنابة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين[1] وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء » .

فقال جابر : قلت : يا ابن رسول الله ، ما نعرف اليوم أحداً بهذه الأوصاف .

فقال عليه السلام : « يا جابر ، لا تذهبن بك المذاهب » : حسب الرجل أن يقول : أحب علياً وأتولاه . فوالله ، لو قال اني أحب رسول الله (ص) ، فرسول الله خير من علي صلى الله عليهما وآلهما ولا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه شيئاً . ليس بين الله وبين أحد قرابة إلا بالتقوى ! » .

هذا دستور الكمال الانساني ، دستور ما بعده دستور . دستور لا يقوى على عرضه من تربى في أحضان المادية الهوجاء ، دستور يتحقق بتطبيقه ما يريده الله لمخلوقاته في أرضه من كمال . دستور يتجلى في تطبيقه كمال لهذا الانسان يضاهي ما نشاهد من كمال في بطن الذرة وفي السماوات العلى ، في المجرات والسُدم وفي مسافات تبعد عنا آلاف الملايين من السنين

(١) الغارمين : أهل الدين : المدينون .

الضوئية ، في مسافات شاسعة جداً محيرة للألباب .

حاش لله ، أن يخلق كل ما خلق في غاية الكمال ويدع الانسان ليفسد في الأرض « والله لا يحب الفساد » [١] فلابد لهذا الانسان من كمال على لسان أنبيائه وأوصياء أنبيائه عليهم السلام : كمال نفسي ليس من المادة في شيء ، كمال تتجلى فيه راحة الضمير « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » [٢] وارتياح نفسي الى أبعد الحدود ، وتقرب الى الحق المتعال ، ومراقبة لأعمال النفس مراقبة شديدة . فيكون هذا المتكامل مصداق قول علي عليه أفضل الصلاة والسلام :

« فمن علامة أحدهم : أنك ترى له قوة في دين ، وجزماً في لين ، وإيماناً في يقين ، وحرصاً في علم ، وعلماً في حلم ، وقصداً في غنى [٣] ، وخشوعاً في عبادة ، وتجملا في فاقة [٤] ، وصبراً في شدة ، وطلباً في حلال ، ونشاطاً في هدى ، وتحرجاً عن طمع [٥] . يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسي وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر . يبيت حذراً ، ويصبح فرحاً . حذراً لما حذر من الغفلة ، وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة . إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره ، لم يعطها سؤلها فيما تحب » .. (الى أن يقول ..) : « يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل . تراه قريباً أمله ، قليلاً زلله ، خاشعا قلبه ، قانعة نفسه ، منزوراً أكله ، سهلا أمره ، حريزاً دينه ، ميتة شهوته ، مكظوما غيظه . الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون » .. (الى أن يقول) : « يعفو عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه . بعيداً فحشه ، ليناً قوله ، غائبا منكره ، حاضراً معروفه ، مقبلا خيره ، مدبراً

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٥ .
(٢) سورة الرعد : ٣٠ .
(٣) قصداً أي : اقتصاداً .
(٤) التجمل : التظاهر باليسر عند الفاقة : أي الفقر .
(٥) أي تباعداً عن طمع .

شره . في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور » . (الى أن يقول) : « نفسه منه في عناء ، والناس منه في راحة . أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه » .

أنظروا الى ما يقوله علي عليه السلام عن صفات المؤمن الحقيقية ، ذلك الذي يجمع بين الجهادوالدعوة الىالاسلام وبين العبادة والخضوع للهالمتعال. انه (ع) يقول :

« أين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه [١] ، وقرأوا القرآن فأحكموه ، وهيجوا للقتال فولهوا وله اللقاح [٢] الى أولادها وسلبوا السيوف أغمادها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً . بعض هلك وبعض نجا . لا يبشرون بالأحياء [٣] ولا يعزون بالموتى ، مُره [٤] العيون من البكاء خمص البطون من الصيام[٥] ، ذبل الشفاه من الدعاء[٦] ، صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين . أولئك إخواني الذاهبون ، فحقّ لنا أن نظمأ اليهم ، ونعض الأيدي على فراقهم » .

فهؤلاء الذين وصفهم علي عليه السلام ، قد جسموا التقوى خير تجسيم وهم الكرماء على الله وهم أتقى الناس ومصداق هذه الآية المباركة: « إن

---

(١) من نهج البلاغة . الجزء الاول ص : ٢٣٤ .

(٢) اللقاح : جمع لقوح ، وهي الناقة . و « ولهها الى أولادها » فزعها اليها اذا فارقتها .

(٣) اذا قيل لهم : نجا فلان فبقى حيا لا يفرحون . لأن أفضل الحياة عندهم الموت فى سبيل الحق . ولا يحزنون اذا قيل لهم : مات فلان ، فان الموت عندهم حياة السعادة الأبدية .

(٤) مره — بضم فسكون — جمع أمره ، من « مرهت عينه » اذا فسدت ، أو ابيضت حماليقها .

(٥) خمص البطون : ضوامرها .

(٦) ذبلت شفته : جفت ويبست لذهاب الريق .

(٧) سورة الحجرات : ١٣ .

أكرمكم عند الله أتقاكم » [٧] .

فطوبى لمن طبق هذه الدساتير التي تتلألأ نوراً وبهاءاً ، كي يتلألأ نوراً وكمالا . وطوبى لمن فكر في عقباه كما يفكر لدنياه ولم يكن من الغافلين . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «حفت الجنة بالمكاره ،وحفت النار بالشهوات » .

« طوبى لنفس أدت الى ربها فرضها [١] وعركت بجنبها بؤسها [٢] وهجرت في الليل غمضها ، حتى اذا غلب الكرى [٣] عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها ، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم ، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم « أولئك حزب الله ، إلا ان حزب الله هم المفلحون » .

وأختم هذا الجزء بآية هي : دستور الكمال الإنساني وغاية وجوده في هذا الكون :

« يا أيهـا الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته ، ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون » [٤] .

إنتهى الجزء الرابع من هذا الكتاب ، والحمد لله ، ويليه الجزء الأخير : الخامس ، إن شاء الله تعالى ...

---

(١) من كلام لعلي امير المؤمنين عليه افضل الصلاة والسلام .
(٢) عركه بالجنب : اي صبر عليه كانه شوك فيسحقه بجنبه .
(٣) الكرى : النوم .
(٤) سورة آل عمران : ١٠٢ .

الفهرس

الصفحة

١ ــ الدين أمر فطري ٣
٢ ــ علة بعث الرسل ٩
٣ ــ هل الاسلام سير تقدمي أم رجعي ١٩
٤ ــ لا رجعية في الاسلام ٣٠
٥ ــ الزوجية في الكون ٤٩
٦ ــ الكون الرحيب ٦٢
٧ ــ حالات النفس مع الله تعالى ٧٠
٨ ــ مدرسة اسلامية ٨٣
٩ ــ اعتراف ماركسية بعجزها ٨٧
١٠ ــ في مولد الرسول الأعظم (ص) ١٠٩
١١ ــ ليلة الميلاد ١١٤
١٢ ــ مسألة رياضية يحلها علي عليه السلام ١٢٠
١٣ ــ ميلاد الزهراء عليها السلام ١٢٧
١٤ ــ كيف ننقذ الشباب ١٣٦
١٥ ــ غذاء الروح في شهر شعبان ١٤٥
١٦ ــ ميلاد الحسين عليه السلام ١٥١
١٧ ــ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومسألة رياضية ١٥٩
١٨ ــ المثل الكامل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٧٢

الفهرس

الصفحة

١٩ ــ حسين مني وأنا من حسين ١٧٨
٢٠ ــ الحسين (ع) يعلم الناس الصلاة في أحرج ساعة ١٨٣
٢١ ــ لماذا أبكي حسيناً (ع) ١٨٩
٢٢ ــ كيف نجلب الشباب الى حظيرة الاسلام ؟ . . . ١٩٥
٢٣ ــ شهر الغفران ٢٠٢
٢٤ ــ ساعات هذا الشهر المبارك ٢٠٦
٢٥ ــ شهادة المثل الكامل علي عليه السلام ٢١٠
٢٦ ــ « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ٢١٦

من منشورات دار النعمان في النجف
خـــلال شهرين

المراجعات . . . . . للامام السيد عبد الحسين شرف الدين
التكامل في الاسلام ـ الجزء الرابع . . . . للاستاذ احمد امين
شبهات حول الاسلام . . . . . محمد قطب
الفصول المهمة في تاليف الامة . . . . . للامام شرف الدين
المختصر النافع . . . . . للحلي
شبهات الاستعمار حول الاسلام . . . . . للقزويني
لواعج الاشجان وكتاب الايقاد . . . . . .

وتحت الطبع كتب عديدة سوف يعلن عنها قريبا مختلفة الانواع والعلوم منها كتاب عن حياة الطفل مفصل ومصور

التكامل في الاسلام

باشرنا بطبع الجزء الثاني من هذا الكتاب : للمرة الثالثة
وسنباشر بطبع الجزء الثالث للمرة الثانية ان شاء الله

يطلب من محمد جواد الكتبي الكاظمي
بغداد ـ شارع المتنبي ـ تلفون : ٨٧٨٦٤

ثمن النسخة : مائة وسبعون فلساً

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 073838342